الجزء الثاني من اليواقيت والجواهر في بيان
عقايد الاكابر لقطب الواصلين العارف بالله
تعالى سيدى عبد الوهاب
الشعراني رضي الله عنه
ونفعنا به والمسلمين
آمين
م

بسم الله الرحمن الرحيم

(المبحث الحادي والثلاثون)

في بيان عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام من كل حركة اوسكون اوقول اوفعل ينقص مقامهم الاكمل وذلك لدوام عكوفهم في حضرة الله تعالى الخاصة فتارة يشهدونه سبحانه وتعالى وتارة يشهدون انه يراهم ولا يرونه ولا يخرجون ابدا عن شهود هذين الامرين ومن كان مقامه كذلك لا يتصور في حقه مخالفة قط حقيقية وانما هي مخالفة صورية كما سيأتي بيانه ان شاء الله تعالى وتسمى هذه حضرة الاحسان ومنها اعصم الانبياء وحفظ الاولياء فالاولياء يدخلون ويخرجون والانبياء مقيمون فيها ومن اقام فيها من الاولياء كسهل بن عبدالله التستري وسيدي ابراهيم المتبولي فانما ذلك بحكم الارث والتبعية للانبياء استمدادا من مقامهم لا بحكم الاستقلال فافهم اذا علمت ذلك فلنذكر لك نقول المتكلمين في مبحث العصمة ثم نقول الصوفية فنقول وبالله التوفيق

قال أئمة الاصول الانبياء عليهم الصلاة والسلام كلهم معصومون لا يصدر عنهم ذنب ولو صغيرة سهوا ولا يجوز عليهم الخطأ في دين الله قطعا وفاقا للاستاذ أبي اسحاق الاسفرايني وابي الفتح الشهرستاني والقاضي عياض والشيخ تقي الدين السبكي وغيرهم وقال جماعة لا ينبغي اجراء الخلاف في الانبياء والمرسلين ابدا وانما الخلاف في الانبياء الذين لم يرسلوا وهو كلام محشو أدبا وذلك لتوقف حجية السنة على القول بالعصمة وايضا فان الرسول مشرع لنا بجميع اقواله وافعاله وتقريراته فلو انه صدق عليه الوقوع في معصية ما لصدق عليه تشريع المعاصي ولا قائل بذلك ابدا وعبارة الشيخ

محيي الدين في الفتوحات ويشترط في حق الرسول العصمة في جميع ما يبلغه عن الله عز وجل فان عصم في غير ما يبلغه فمن مقام آخر كان يخاطب بالتأسي به فيصير ذلك التأسي أصلا لا يجوز عليه فيه فعل حرام قطعا ولا فعل مكروه الا لبيان الجواز انتهى وكان امام الحرمين رحمه الله يقول من جوز وقوع الصغيرة من الانبياء سهوا قيدها بغير الدالة على الحسد كسرقة لقمة والتطفيف في الكيل والوزن بثمرة مثلا ثم لا بد ان ينبهوا عليها على الفور واما استغفاره صلى الله عليه وسلم اكثر من سبعين مرة كما ورد فكان لاجل الترقي في المقامات فكان يستغفر من كل مقام ترقى عنه وثم مقام رفيع وارفع وكان الامام الجنيد يقول في حديث انه ليغان على قلبي فاستغفر الله تعالى في اليوم والليلة اكثر من سبعين مرة ان المراد انه ليغان على قلبي مما اطلعت عليه مما يقع لامتى بعدى من المخالفات فاستغفر الله لهم اكثر من سبعين مرة انتهى وقال جماعة من علماء الاصول الانبياء الذين لم يرسلوا معصومون قطعا من غير خلاف ومن قال فيهم غير ذلك فعليه الخروج من عهدته بين يدى الله عز وجل وبين يديهم فان بداية النبوة تؤخذ من بعد انتهاء الولاية فمن اين يتعقل الواحد منا اسم ذنوب الانبياء وقد قالوا حسنات الابرار سيئات المقربين فافهم والزم الادب واجب عن الانبياء عليهم السلام جهدك كل من كان في حجاب عن مقامهم واى فائدة لتجريح من عدله الله تعالى هل يثاب احد على ذلك لا والله بل ذلك الى الاثم اقرب * وقال الشيخ أبو طاهر القزويني في الباب الخامس والثلاثين من كتاب سراج العقول يجب تنزيه الانبياء عليهم الصلاة والسلام عن كل ما يتبادر الى افهامنا من ذكر خطاياهم فان خطاياهم لا ذوق لنا فيها وان الله تعالى لما اصطفى الانبياء في سابق علمه للنبوة واداء الرسالة رشحهم لذلك في مبادى امورهم وحماهم من مكايد الشيطان وصفى سرائرهم من الكدورات وشرح صدورهم بنوره وزينهم بالاخلاق الجميلة وطهرهم عن الرجس والرذائل كما روى في الصحيح ان جبريل اتى الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يلعب مع الصبيان فأخذه وصرعه وشق عن قلبه فاستخرج منه شبه علقة وقال هذا حظ الشيطان منك ثم غسله في طست من ذهب من ماء زمزم ثم لأمه وعاد كما كان في مكانه وقال وصورة الشق ليست مثل شق الذبح بالسكين وانما المراد به كشف باطنه بيد جبريل من غير الم يصيبه أودم يصيبه وحاشى حشاه صلى الله عليه وسلم من ذلك * قال وهذا قريب من اخراج الله الذرية من ظهر آدم عليه السلام بمسح اليد كما يليق بجلاله وسببه توقف العقول الضعيفة ووقوع الاشتباه في مثل ذلك بقصد الخروج عن المألوفات وذلك قوله تعالى الم نشرح لك صدرك فلم يكن فيه بعد ذلك للهوى منفذ ولا للشيطان عليه سبيل واطال في ذلك * وقال الشيخ العارف بالله تعالى الجامع بين الطريقين سيدى عبد العزيز الديريني رضي الله عنه لا يجوز قطعا نسبة الانبياء عليهم الصلاة والسلام الى الذنوب على حد ما نتعقله نحن وانما سماها الله تعالى في حقهم معصية وخطيئة وذلك لان مقامهم الارفع لا ذوق لولي فيه ولو ارتفعت درجته فضلا عن غيره من امة الناس وذلك لانهم معصومون من

الوقوع فى ذنوبنا وغاية خطايا هم انما هو مثل نظره الى مباح أولفظة رائحتها رعونة ومكروه وباطنها علم وصلاح مثل قول ابراهيم عليه الصلاة والسلام فى معرض اقامة الحجة على قومه بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم وكما وقع له من قوله انى سقيم حتى لا يخرج مع قومه الى ما دعوه اليه من اللهو واللعب اى مائل الى السقم ونحو ذلك انتهى * وقال الشيخ فى الباب الثانى والسبعين وثلثمائة من الفتوحات المكية يجب قطعا تنزيه الانبياء عما نسبه اليهم بعض المفسرين من الطامات الكبرى مما لم يجئ فى كتاب ولا سنة صحيحة وهم يزعمون انهم قد فسروا قصصهم التى قصها الله تعالى علينا وكذبوا والله فى ذلك وجاؤا فيه بأكبر الكبائر وذلك كمسألة ابراهيم الخليل عليه السلام وما نسبوه اليه من وقوع الشك بحسب ما يتبادر الى الاذهان وما نظروا فى قوله صلى الله عليه وسلم نحن اولى بالشك من ابراهيم وذلك ان ابراهيم عليه السلام لم يشك فى احياء الله الموتى معاذ الله ان يشك نبى فى مثل ذلك وانما كان يعلم ان لاحياء الله الموتى طرقا ووجوها متعددة لم يدر بأى وجه منها يكون احياء الله تعالى للموتى وهو مجبول على طلب الزيادة من العلم فعين الله تعالى له وجها من تلك الوجوه فسكن ما كان عنده وعلم حينئذ كيف يحيى الله الموتى فما كان السؤال الا عن معرفة الكيف لا غير وكذلك القول فى قصة سليمان وما نسبوه الى الملكين ببابل هاروت وماروت كل ذلك لم يرد فى كتاب ولا سنة وانما ذلك نقل عن اليهود فاستحلوا اعراض الانبياء والملائكة بما ذكروا لهم من تجريحهم انبياء الله تعالى وملؤا تفاسيرهم للقرآن من ذلك فالله تعالى يحفظنا واخواننا من غلطات الافكار والافعال والاقوال آمين انتهى * وقال ايضا فى الباب الرابع والخمسين ومائة ينبغى للواعظ أن يراقب الله تعالى فى انبيائه وملائكته ويستحيى من الله عز وجل ويجتنب الطامات فى وعظه كالقول فى ذات الله بالفكر والكلام على مقامات الانبياء عليهم السلام من غير أن يكون وارثا لهم فلا يتكلم قط على زلاتهم بحسب ما يتبادر الى أذهان الناس بالقياس على غيرهم فان الله تعالى قد اثنى على الانبياء أحسن الثناء بعد أن اصطفاهم من جميع خلقه فكيف يستحل اعراضهم بما ذكره المؤرخون عن اليهود قال ثم ان الداهية العظمى جعلهم ذلك تفسيرا لكلام الله تعالى ويقولون فى تفسيرهم قال المفسرون فى قصة داود انه نظر الى امرأة اوريا فأعجبته فأرسله فى غزاة ليموت فيأخذها وكقولهم فى قصة يوسف عليه السلام انه هم بالمعصية وان الانبياء لم يعصموا عن مثل ذلك وكقولهم فى قصة قوم لوط لو أن لى بكم قوة أو آوى الى ركن شديد العجز والتحرى ونحو ذلك و يعتمدون على تأويلات فاسدة واحاديث واهية نقلت عن قوم قالوا فى الله ما قالوا من البهتان والزور فمن أورد مثل ذلك فى مجلسه من الوعاظ مقته الله والانبياء والملائكة لكونه جعل دهليزا ومهادا لمن فى قلبه زيغ يدخل منه الى ارتكاب المعاصى ويحتج بما سمعه منه فى حق الانبياء ويقول اذا كان الانبياء وقعوا فى مثل ذلك فمن اكون أنا وحاشا الانبياء كلهم عن ذلك الذى فهمه هذا الواعظ فوالله لقد أفسد هذا الواعظ الامة وعليه وزر كل من كان سببا لاستهانته بما وقع فيه من المعاصى ولكن قد ورد انه

لا تقوم

لا تقوم الساعة حتى يصعد الشيطان على كرسي الوعظ ويعظ الناس وهؤلاء من جنوده الذين يتقدمونه انتهى * فان قلت فما الفرق بين العصمة والحفظ * فالجواب الفرق بينهما ان الانبياء معصومون من المباح لهوى انفسهم بخلاف الاولياء فاذا فعل الانبياء المباح لا يفعلونه لهوى نفوسهم كغيرهم وانما يفعلونه على جهة التشريع انه مباح فهو واجب عليهم حينئذ يعني فعل المباح اذ التبليغ واجب عليهم ذكره الشيخ محيي الدين في آخر باب سجود التلاوة من الفتوحات المكية * وقد حبب لي ان اذكر لك بعض اجوبة عن بعض الانبياء عليهم الصلاة والسلام مبتدئا بآدم عليه السلام خاتما بمحمد صلى الله عليه وسلم فتحا لباب الاجوبة عن باقيهم فأقول وبالله التوفيق

اعلم ان آدم عليه الصلاة والسلام اول فاتح لباب التوبة حين وقع على يديه ما وقع من اكل الشجرة بعد النهي عنها فكانت معصية صورية ليعرف بنيه كيف يفعلون اذا وقعوا في المنهي عنه لانه عليه السلام هو فاتح القبضة ولو لم يقع ذلك على يديه لوقع على يد غيره وقد قال الشيخ محيي الدين في الباب التاسع والثلاثين من الفتوحات كانت معصية آدم عليه السلام من عين نعمة الله تعالى عليه لان الانبياء عليهم الصلاة والسلام لا ينقلون قط من حال الا الى اعلى منها فان الله تعالى اجتباهم واصطفاهم بسابق العناية فلا يمكر الحق تعالى بهم ابدا * قال ومن هنا يعلم أن هبوط آدم عليه السلام وحواء الى الارض لم يكن عقوبة لهما وانما كان عقوبة لابليس وحده فان آدم عليه السلام اهبط بصدق الوعد السابق بأن يكون خليفة في الارض من بعد ما تاب الله عليه واجتباه وبعد ما تلقى الكلمات من ربه بالاعتراف فكان اعترافه عليه الصلاة والسلام في مقابلة قول ابليس أنا خير منه الخ فعرّفنا الحق تعالى مقام الاعتراف عند الله تعالى وما ينتجه من السعادة لنتخذ ذلك طريقا اذا خالفنا أوامر ربنا فكان ما وقع من آدم كالتعليم لبنيه اذا وقعوا في مخالفة كيف يكون خلاصهم وتنصلهم منها كما مرّ واما ابليس فعرّفنا الحق تعالى بدعواه الخيرية ان كل من اتبعه في هذه الدعوى طرد عن حضرة الله ولعن ورجم لنحذر من أن نقول نحن خير من فلان فلذلك كان هبوط ابليس الى الارض عقوبة له دون آدم فما هبط ابليس الى الارض الا لاكتساب الاوزار بخلاف آدم عليه السلام فانما اهبط للخلافة والترقي في الدرجات فان جميع حسنات بنيه في صحائفه وليس عليه من اوزارهم شئ * فان قلت ان معصية ابليس لا تقتضي تأبيد الشقاء لانه لم يشرك بالله شيأ وانما افتخر على آدم عليه السلام بما جبله الله عليه من الطبيعة التي هي النار لكونها اقرب الى اسمه تعالى النور لما فيها من الاضاءة بخلاف الطين * فالجواب انما جاء الشقاء الابدي من اعتراضه على الله ونسبة افعاله الى غير الحكمة مع اضماره في نفسه انه لو بقي ابد الآبدين لوسوس للناس بالضلال فجوزي بنظير فعله ونيته ورجع عليه وزر كل مشرك على وجه الارض وقد قال الشيخ ابو مدين انما خلد أهل الجنة والنار بالنيات والا فكان العدل أن يعذب الكفار بقدر مدة عصيانهم * فان قلت فهل قوله حين تبرأ من الذين كفروا بقوله اني أخاف الله رب العالمين توحيد يسعد به ام لا * فالجواب ليس هو بتوحيد لانه

لا يقدر يوسوس لاحد بالشرك حتى يتصوره في نفسه على الصورة التي اذا حصلت في نفس المشرك زالت عنه صورة التوحيد فاذا تصورها في نفسه كهذه الصورة فقد خرج عن التوحيد ضرورة فلم يسعد به فكان ابليس مشركا في نفسه بلا شك ولا ريب ثم لو قدر أن صفة الشرك ذهبت من نفسه لم يجد المشرك في نفسه من يحدثه بالشرك * فاعلم أن ابليس اول مشرك بالله وأول من سنّ الشرك فهو اشقى العالمين * فان قلت فما الحكمة في قوله تعالى في آدم عليه السلام عصى وفي ابليس أبى * فالجواب ماقاله الشيخ في الباب السابع والستين وثلثمائة ان ذلك من علوم الاسرار ولا يذكر الا مشافهة لاهله * فان قلت فهل ابليس يجهل شيأ من شرائع الانبياء عليهم السلام * فالجواب هو عالم بها كلها على الكمال وذلك ليوسوس للناس بضد ما امرت الانبياء به ولولا علمه بها لربما التبس عليه الامر فأمر الناس بما امرت به الرسل وذلك لا يصح منه وقد ذكر الشيخ في باب الحج من الفتوحات ان من اغرب الامور ان ابليس يقف كل سنة مع الناس ولكن لا يقف في عرفة وانما يقف في عرنة بفتح الراء وهي من عرفات فيقف يبكي على مافاته من طاعة الله عز وجل ويحزن على مافاته ولما يراه يحصل لاهل الموقف من المغفرة العامّة فيقف بعرنة لعلمه انها من عرفة رجاء أن تصيبه الرحمة من باب الامتنان لا من باب الاعمال الصالحة * قال وانما لم تطرده الملائكة عن عرنة لعلمهم بان عنده معرفة الله عز وجل ودخول المشركين المساجد جائز في الجملة انتهى * فان قلت فما الحكمة في وقوع آدم عليه السلام في اكله من الشجرة ثم نزوله بعد ذلك الى الارض التي هي دون الحضرة التي كان فيها فالجواب كما قاله الشيخ في الباب التاسع والثلاثين ان الحكمة في ذلك كله تأنيس العلماء والاولياء اذا وقعوا في زلة فانحطوا عن مقامهم العلي وظنوا انهم نقصوا بذلك عند الله تعالى فيعلمون بقصة آدم عليه السلام ان ذلك الانحطاط الذي احسوا به في نفوسهم لا يقضي بشقائهم ولا بد فربما يكون هبوطهم كهبوط آدم للتكريم والحق تعالى لا يتحيز والوجود العلوي والسفلي كله حضرته فليست السماء التي اهبط منها اقرب الى الحق من الارض واذا كان الامر على هذا الحد فعين هبوط الولي في عيون الناس بعد الزلة وذله وانكساره بسببها هو عين الترقي فقد انتقل بالزلة الى مقام اعلى مما كان فيه لان علو الولي انما يكون بزيادة المعرفة والحال وقد زاد هذا الولي بحصول الذلة والانكسار من العلم بالله تعالى مالم يكن عنده قبل الزلة وهذا هو عين الترقي فعلم ان من فقد هذه الحالة في زلته ولم يندم ولم ينكسر ولا ذل ولا خاف مقام ربه فهو في اسفل سافلين ونحن ما نتكلم الا على زلات اهل الله عز وجل اذا وقعت منهم قال تعالى ولم يصروا على ما فعلوا الآية وقال صلى الله عليه وسلم الندم توبة وقيل لابي يزيد البسطامي أيعصي العارف فقال وكان امر الله قدرا مقدورا فلم يقل لا يعصي ولا انه يعصي ادبا مع الله تعالى ومعنى وكان امر الله قدرا مقدورا اي ان معصية اهل الله تعالى بحكم القدر النافذ فيهم لا غير ولا يصح في حقهم ان يقعوا في المعاصي قط بشهوتها كما يقع فيها غيرهم لان في ذلك انتهاكا لحرمات الله تعالى واهل الله تعالى محفوظون من شهوة المعاصي والتلذذ بها فان الايمان المكتوب

في قلوبهم يمنعهم من ذلك * قال سيدي علي الخواص رحمه الله ومن حكمة وقوع العبد في المخالفة للاوامر وقوعه في مقام الادلال بالطاعات وعجبه بها فان توالي الطاعات الصرف ليلا ونهارا تورث غالب الناس الزهو والعجب وشهود أنهم خير من كثير من الناس وهذا غاية البعد من حضرة الله عز وجل وما جعل الله تعالى التكاليف الا ليذل بها النفوس بين يديه ولا يرى بها المكلف شرف نفسه على احد من خلق الله تعالى فان ذلك ذنب ابليس الذي اخرج به من حضرة الله عز وجل وكل من ادعى مقام القرب مع عدم الاذلال فهو كاذب انتهى * فان قلت قد ورد أن آدم عليه السلام لما اكل من الشجرة اسود جسده وقد يتبادر الى الاذهان ان ذلك يوذن بان آدم عليه السلام اثرت فيه المعصية نقصا ما * فالجواب ليس اسوداد بدنه علامة على نقصه بل هو علامة على حصول سيادته كما ذكره الشيخ في الباب الثاني والسبعين في الكلام على حديث نزل الحجر الاسود من الجنة وهو أشد بياضا من اللبن فسودته خطايا بني آدم قال وكذلك القول في اسوداد جسد آدم عليه السلام لما اكل من الشجرة يدل على سيادته لان ذلك اورثه الاجتباء والاصطفاء ولولا اكله من الشجرة ما ظهرت سيادته وكذلك الحجر الاسود لما خرج من الجنة وهو ابيض فلابد من اثر يظهر عليه تعرف به سيادته في دار الدنيا اذا رجع الى الجنة ويتميز به عن اقرانه ويظهر به عليه خلعة التقريب الالهي في جعله يمين الله في الارض ولم يكن من الاكوان ما يدل على السيادة الا اللون الاسود فكساه الله تعالى لون السواد اعلاما لنا بأنه صار سيدا بخروجه من الجنة الى الدنيا * قلت ولعل من هذا القبيل جعل ستر الكعبة اسود وكذلك عمائم خلفاء بني العباس وغيرهم ولعل ذلك هو سر لبسه صلى الله عليه وسلم العمامة السوداء يوم فتح مكة اظهارا لسيادته على الخلق من باب التحدث بالنعمة * فعلم ان معنى قوله في الحديث فسودته خطايا بني آدم أي جعلته سيدا بتقبيلهم اياه وكذلك القول في اسوداد جلد آدم هو يدل على سيادته لان هبوطه الى الارض هبوط خلافة له للتناسل والترقي * فان قلت فما الوجه الجامع بين سواد الحجر وجلد آدم وبنيه * قلنا وجهه الاجتباء والسيادة فكان تقبيل الحجر يشبه الاجتباء والاصطفاء لآدم عليه السلام وبنيه بسبب خطاياهم * فان قلت فلم امر الناس بالسجود على هذا الحجر وتقبيله والتبرك به * فالجواب انما امروا بذلك ليكون كفارة لهم من خطاياهم فظهرت سيادته بذلك وحصل به تمييز القائم بآداب العبودية والمخل بالقيام بها فان بني آدم ربما زهوا بالصورة التي خلقوا عليها وبالكمالات التي خلعها الحق عليهم على ما سواهم فأمرهم الحق تعالى بالسجود الى جهة الجماد الذي هو الكعبة مع انه انقص رتبة منهم فمنهم من اطاع فرضي الله عنه ومنهم من عصى فسخط الله عليه * فان قلت قال القوم ان حصول معرفة الله عز وجل للعبد تمنعه من الوقوع في معصية الله وآدم عليه الصلاة والسلام من رؤس العارفين بالله عز وجل فكيف وقع في اكله من الشجرة * فالجواب كما قاله الشيخ في الباب السابع ومائتين ان المعرفة تمنع العارف بلا شك ولكن اذا اراد الله تعالى ان يوقع احدا من الاكابر فيما قدره عليه لحكمة سبق بها علمه

فلا بدان يزين الله تعالى له الوقوع فى ذلك بتأويل يقع له فيه وجه الحق ولا يقصد بذلك العمل انتهاك الحرمة كما وقع لآدم عليه السلام ثم اذا وقع ذلك المقرب فى المعصية بذلك التأويل اظهر الله له فساده فاذا تحقق بعد الوقوع انه اخطأ علم انه عصى فعند ذلك يحكم عليه لسان الشريعة بأنه عصى ويشهد على نفسه عند نفسه انه اعصت واما فى حال وقوع الفعل منه فلا لاجل شبهة التأويل فهو كالمجتهد فى زمان فتواه بأمر ما اعتقادا منه ان ذلك عين الحكم المشروع فى المسئلة وفى ثانى الحال يظهر له بالدليل انه اخطأ فيكون لسان الظاهر يحكم عليه انه اخطأ فى زمان ظهور الدليل لا قبل ذلك * فان قلت فهل تكون عقوبة العارفين على الذنب اشد أم عقوبة الجاهلين * فالجواب ان عقوبة العارفين بالله تعالى اشد لشدة اعتناء الحق تعالى بهم وربما كانت زلة العارف ترجح على سبعين زلة من زلات الجاهل ولو لم يكن من عقوبة العارف الا ما يحصل عنده من الاستحياء والخجل لكان ذلك كفاية بل ربما كان ذلك الخجل اشد على العارف من العقوبة الظاهرة كما ان المغفرة اشد عليهم من العقوبة وذلك لان العقوبة جزاء فيجد العبد الراحة عند الاستيفاء منه فهو بمنزلة من اوفى دينه والغفران ليس كذلك فلا يزال العارف ملازم الخجل والحياء مدة طويلة وذلك اشد من العقوبة الشديدة فى يوم وتنقضى * كما قال تعالى والفتنة اشد من القتل ولهذا المعنى الذى ذكرناه كان الحق تعالى اذا اعتنى بعبده وغفر له ذنبه احال بينه وبين تذكره وأنساه اياه لانه لو تذكره لاستحى ولا عذاب على النفوس الطاهرة الشريفة اعظم من ان ينعم عليها من هى مسيئة فى حقه حتى ان صاحب الحياء يود أنه لم يكن شيأ مذكورا * كما قالت الكاملة ياليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا مع ان حياءها انما كان من المخلوقين حين نسبوا اليها ما لا يليق بها ولا بأبيها وامها كما اشار اليه قوله تعالى ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت امك بغيا فبرأها الله تعالى مما نسب اليها لاجل ما نالها من عذاب الحياء من قومها فكيف بالحياء من رب العالمين فيما يحققه العبد من تعدى حدوده ومجاهرته بالمعاصى * فان قلت فهل يلزم من كون الحق تعالى ينسى عبده سيئاته ان تكون بدلت بحسنات كما اشار اليه قوله تعالى فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات * فالجواب لا يلزم ذلك ولكن قال بعض العارفين ان فى نسيان العبد ذنوبه بالكلية بشرى عظيمة من الله بأنه بدل سيئاته حسنات فان من علامة التبديل نسيان الذنب وذلك ان الذنب اذا بدله الله بحسنات لم يبق للذنب صورة وجود من الوجودات الاربع ويؤيد ذلك قول بعض العارفين كل ذنب لم يذهب من ذهن الانسان فليحدث له توبة جديدة فانه الى الآن لم يبدل وليكثر من الاستغفار طول عمره فوالله ما خلقنا الا لامر عظيم * وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول انما انسى الله تعالى خواص اوليائه ذنوبهم رحمة بهم لان العبد كلما تذكر ذنبه فكأنه يجعل بينه وبين الله تعالى صورة قبيحة تؤذن بالبعد ولهذا قالوا ذكر الجفا فى وقت الصفا جفا انتهى * وسمعت اخى افضل الدين رحمه الله يقول لما انزل الله تعالى على محمد صلى الله عليه وسلم ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر كان ذكر الذنب عليه اشد من الذنب لصفاء

الحضرة

الحضرة التي كان فيها على ان تلك الذنوب لا يتعقلها مثلنا كما مرّ لانها ذنوب بالنظر الى مقامه الشريف من باب حسنات الابرار سيئات المقربين * كما بلغنا أن شخصا من العارفين مرّ على جدار فانتصب عنده بالبكاء فقيل له ما سبب هذا البكاء فقال وقع لى انني تيممت من تراب بغير اذن صاحبه وهذا الذنب لا يكاد يبكى عليه أحد ولو من صالحى زماننا فضلا عن غيرهم * وقال الشيخ محيي الدين في الباب السابع ومائتين من الفتوحات من حين نزل قوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وتألم النبي صلى الله عليه وسلم من ذكر الذنب فما نزل عليه جبريل قط الا في صورة دحية * وكان قبل نزول هذه الآية ينزل عليه في اى صورة شاء وكان دحية أجمل اهل زمانه فكان الحق تعالى يقول لمحمد صلى الله عليه وسلم بلسان الحال ما بيني و بينك الا صورة الجمال والحسن لانك اعظم حبيب وفي آداب الملوك انه ينبغى للوزراء ان لا يكون في احد منهم عاهة من برص او جذام او تشويه خلقة وان لا يحضر بين يديهم قط أحد في بدنه عاهة بل يقضون حاجته من غير أن يتفوه بين يدى السلطان فافهم * وكان من كمال دحية انه ما رأته حامل دخل المدينة الا القت ما في بطنها لما ادركها في نفسها من شهود ذلك الجمال وانما لم تلق الحوامل ما في بطنها عند رؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم مع انه اجمل من دحية بما لا يتقارب لانه مشرع والناس مأمورون برؤيته فستر الله تعالى جماله عن غالب الناس رحمة بهم بخلاف دحية لم يؤمر أحد برؤيته * فان قلت ما صورة تبديل السيئات بالحسنات هل تصير نفس المعصية التي وقعت حسنة في صحيفة العبد أم يصير العبد يطيع الله تعالى بعد أن كان يعصيه * فالجواب كما قاله بعض اهل الكشف أن صورة التبديل أن يبدل اسم السيئة في الصحيفة و يكتب مكانها حسنة تشاكلها فان كانت المعصية كبيرة كتب مكانها حسنة كبيرة او كانت صغيرة كتب موضعها حسنة صغيرة وهذا الامر اعظم عنايات الله تعالى بالعبد ان صح لانه يعطى النفس حظها في الشهوات الدنيوية ثم يكتب الله تعالى له في صحيفته اعمالا صالحة لم يعمل عينها * فعلم أن الله تعالى اذا بدل سيئات العارف حسنات رأى ذلك من اكبر النعم عليه * فان قيل فهل يصح أن يعصى أحد من الخواص ربه على الكشف والشهود اذا رأى في اللوح المحفوظ ما قدره الله عليه * فالجواب لا يصح ذلك لعارف ابدا لان المخصوص بما كشف بقلبه في حضرة الاحسان على الدوام ولو قدر انه عصى الله تعالى على الكشف لا يشهد الحق تعالى الا غير راض عنه في ذلك الفعل * فان قيل قد تقدم قول أبي يزيد حين سئل أيعصى العارف فقال وكان امر الله قدرا مقدورا بجوز وقوع العارف في سائر المعاصى * فالجواب وهو كذلك فجائز في حق الولى أن يكفر بعد ايمان فضلا عن المعاصى الاسلامية كما وقع لابليس فانه عصى بعد معرفته بالله عز وجل وانما جوّز ابو يزيد ذلك وعدمه ادبا مع الله تعالى ان يحكم عليه بشئ معين كما مرّ لوائل المبحث أى ان كان الله تعالى قدر على العارف المعصية فلا بد من وقوعه فيها لكن مع الحجاب بتأويل او تزيين او غفلة او سهو كما اشار اليه حديث اذا اراد الله تعالى انفاذ قضائه وقدره سلب ذوى العقول

عقولهم الحديث يعني العقول الذاكرة انها بين يدى الله عزوجل حال عصيانها لا عقول التكليف فاياك والغلط والله تعالى اعلم * فان قلت قد قال الحق جلا وعلا ان عبادى ليس لك عليهم سلطان وآدم عليه السلام من عبيد الاختصاص بيقين فكيف كان ابليس واسطة في اكل آدم عليه السلام من الشجرة * فالجواب أن ابليس لم يأت آدم عليه السلام من باب المعصية وانما دلاه بغرور من ذلك حلفه لآدم عليه السلام بالله تعالى انه له من الناصحين * ومنها انه قال له انما نهاك الله تعالى عن قرب الشجرة لا عن اكل ثمرها ومنها كما هو مشهور في الاجوبة عن آدم عليه السلام فما أتاه من صورة مانهى عنه وانما أتاه من صورة مالم ينهه عنه الذى هو الاكل * وايضاح ذلك أن ابليس اذا اراد اغواء عبد ورأى وجه العصمة او لاحظ محيطا به تجسد له في صورة انسان مثله فيتخيل ذلك الولى مثلا انه انسان لا شيطان ويأتيه بالاغواء من قبل اذنه فيدخل عليه فيما حجر عليه تأويلا دناه ان يقول له ان الله غفور رحيم وهل رحمته الا للمذنبين وقال نبيكم شفاعتى لاهل الكبائر من امتى فاذا صغى اليه يقول له افعل فان مثلك لا يضره الذنب الا اذا كان دليله لا يحتمل التأويل وقد احتمل دليل هذه المعصية التأويل وذلك ان ابليس يعلم ان الانسان العاقل لا يقدم على معصية الله ابتداء دون وسوسته بالتأويل والتزيين فاذا اعطاه ابليس هذا الاصل صار العبد من اهل الاجتهاد في وقوعه في الذنب او تركه فان اخطأ فله اجر فلم يتم للشيطان مراده من ذلك العبد المحفوظ مادام العبد ذاكرا قول ابليس فان نسى ماقاله ابليس وقع ضرورة كما وقع لآدم عليه السلام * قال الشيخ محيي الدين وانما اكل آدم وحواء من الشجرة لان قلوب الاصفياء صافية لا تعتقد ان احدا يكذب عليهم ولكن من عناية الله تعالى لآدم ان تلك الاكلة اعقبته الخلد في جنته وملكا لا يبلى على رغم انف ابليس لكن من غير ماقصده هو لآدم انما كان قصده له ان يقع في الذنب ولا يتوب منه فتاب الله تعالى على آدم والتائب من الذنب كمن لا ذنب له * فان قلت فهل يمكن ان يكون ابليس قصد بقوله لآدم عليه السلام هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى الخير الذى آل امر آدم عليه السلام اليه فان ابليس لم يعين وقتا * فالجواب لا يصح من ابليس قصد ذلك ابدا لانه ابليس له خير الى آدم وذريته البتة وانما الله تعالى يرد وسوسته خائبة بحسن العاقبة لوليه مثلا فيجتبيه ويصطفيه ضد ماقصد ابليس * وكان الشيخ ابو العباس العريني شيخ الشيخ محيي الدين يقول لم يعص آدم ربه معاذ الله وانما عصى من كان في ظهره من ذريته الذين هم اهل الشقاء لان ظهره كان كالسفينة لسائر اولاده * وكان الشيخ ابو مدين التلمسانى يقول لو كنت مكان آدم لاكلت الشجرة كلها وفي رواية اخرى لو علم آدم حين اكله من الشجرة ما يؤول أمره اليه من الخير لاكل الشجرة كلها انتهى وقد بسط الشيخ الكلام على حديث فجحد آدم فجحدت ذريته ونسى آدم فنسيت ذريته في الباب الخامس وثلاثمائة فراجعه ترى العجب في غرائب تلك العلوم * وقد سنح لى ان اضرب لك مثلا تعلم به يقينا تنزيه آدم عليه السلام من المعصية المحضة كما يقع فيها غيره

وتقوم ببعض واجب حق ابيك عليه الصلاة والسلام فأقول وبالله التوفيق * اعلم ان الله سبحانه وتعالى لما قضى فى سابق علمه بالسعادة لقوم والشقاوة لقوم ولم يبدل ذلك القول لديه فلا بد من فاتح يفتح القبضتين فكان ابليس فاتحا لقبضة الشقاوة وآدم عليه السلام فاتحا لقبضة السعادة فابليس شقى وآدم عليه السلام سعد هو وذريته الذين اقتفوا آثاره فى التوبة والاعتراف فان آدم مع علمه بأن ما وقع فيه كان بقضاء وقدر اعترف بذنبه وقال ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين واضاف الذنب الى نفسه ليعلم بنيه كيف يخرجون اذا وقعوا فى معصية عن الاثم ولا يصرون على المعاصى من غير توبة ولا اعتراف كما وقع فيها ابليس وجنوده من الانس والجن فكان حكم آدم عليه السلام فيما وقع له مع الحق جل وعلا حكم عبد قال الحق تعالى له فيما بينه وبينه انى اريد ان اظهر فى هذا الوجود ما كان مكنونا فى علمى وبحكم اسمائى فى اهل حضراتها من السعداء والاشقياء ونظهر حجتى على عبادى قبل أن اخرجهم من جوارى فان علمى سبق بذلك وانا كريم ومن شأن الكريم أن لا يخرج احدا من جواره الا بحجة ظاهرة تقام عليه بين المحجوبين عن سماع ما قلته لك من سرى فاذا قلت لك لا تقرب هذه الشجرة فاعلم انى اذنت لك فى القرب منها فاقرب لاقيم عليك الحجة واخرجك الى دار خلافتك وترقيك بالاعمال فان هذه الدار التى أنت فيها لا تكليف فيها ولا ترقى لاحد باعماله كما هى اعمال اهل الجنة التى يؤول امر المؤمنين اليها بعد يوم القيامة سواء فلا يسع العبد صاحب هذا السر الا ان يبادر الى ما اذن له فيه سيده سرا من وراء المحجوبين ولم يكن ذلك معصية الا عند المحجوبين عن سماع ذلك السر الذى اسره الحق لآدم عليه السلام واما الحاضرون السامعون ذلك فليس ذلك بمعصية عندهم فان الاذن من الحق فى فعل شئ والامر به واحد فى تلك الحضرة كما صرح به الشيخ فى الباب الثالث والسبعين فى الجواب الثامن والثلاثين من اسئلة الحكيم الترمذى وانما فرق بينهما فى لسان ظاهر الشرع فقط فان الامر غير الارادة فى احكام الشريعة اذ الامر بخلاف الارادة اكتفى الحق تعالى فيها بالجاء العبد فى الباطن الى وقوع ذلك الفعل من غير أن يأمره بذلك * ان الله لا يأمر بالفحشاء فافهم * وكان الشيخ ابو مدين يقول قول بعض العارفين ما فعلت الشئ الفلانى الا باذن من الله تعالى مراده بالاذن هنا الارادة الازلية انتهى * فعلم ان فى نداء الحق تعالى على آدم بالمعصية والغواية نفعا عظيما لذريته المحجوبين الذين يتعدون حدود الله فيتأسون بأبيهم فى الندم والاستغفار والاعتراف فلم تكن تلك المعصية مقصودة لآدم بالاصالة كما هى ذنوب الغاوين من ذريته وانما بكى آدم عليه السلام مع اذن الحق تعالى له فى اكله من الشجرة سرا على ما مر فى كلام أبى مدين تشريعا لذريته فكان بكاؤه صوريا * فان قلت فلم لم يفتح آدم عليه السلام قبضة السعادة بالطاعة الصرف دون وقوعه فى المعصية ثم توبته منها * فالجواب انما كان الامر بعد وقوع المعصية ليظهر آدم بذلك سعة فضل الله ورحمته وحلمه على عباده الذين

سبق في علمه أنهم يقعون في معاصيه تعالى فقال ولو انه فتح قبضة السعداء بالطاعة المحضة لتعطلت حضرات كثير من الاسماء الالهية المتعلقة بالعالم المخالف اذ الطائع لا يحتاج الى مغفرة ولا رحمة ولا حلم لعدم من يغفر له أو يرحم أو يحلم عليه ويؤيد ذلك حديث لو لم تذنبوا لذهب الله بكم وأتى بقوم يذنبون فيستغفرون الله تعالى فيغفر لهم فاعلم ذلك * واما الجواب عن نوح عليه السلام في قوله رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا فانما دعا عليهم بذلك رحمة بهم خوف ان يشتد عليهم غضب الله تعالى اكثر مما كانوا فيه وقد أمرنا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ان يقول احدنا اذا خاف من وقوعه في فتنة اللهم توفني اذا كانت الوفاة خيرا لي فلم يكن دعاؤه على قومه من غضب نفسي حاشا الانبياء من ذلك وقال الشيخ محيي الدين ليست دعوة نوح التي يعتذر بها يوم القيامة قوله رب لا تذر على الارض انما هي قوله ولا يلدوا الا فاجرا كفارا لكونه تحكم على الله فيما لم يعرفه ولم يزل الحق يربي انبياءه بأدب بعد أدب قال صلى الله عليه وسلم لما نزل قوله تعالى ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى أدبني ربي فأحسن تأديبي انتهى * وأما الجواب عن السيد ايوب عليه السلام في جمعه الذهب في ثوبه لما امطر الله تعالى عليه رجلا من جراد من ذهب وقال له ربه ألم أكن أغنيتك عن هذا فقال بلى يارب ولكن لا غنى لي عن خيرك وبركتك * فالجواب ان اكابر الاولياء فضلا عن الانبياء عليهم الصلاة والسلام لا ينقص كمالهم اخذ الدنيا وامساكها فان كان ايوب عليه السلام جمع الذهب لما هو عليه من ظاهر الحال فهو صحيح مع انه قانع بلا شك لان القناعة عند أهل الله تعالى ليست هي الا كتفاء بالموجود من غير طلب مزيد وان كان فعل ذلك ليقتدى به قومه فما فعل الا ما هو أولى بالقربة الى الله تعالى من تركه لا سيما وايوب عليه السلام ممن هدى الله تعالى وممن امر الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أن يقتدى بهداهم * وقال تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة فقد رجعت القناعة بهذا التقرير الى بابها في لسان العرب وهي المسألة فان القانع هو السائل لكن من الله لا من غيره قال تعالى في الظالمين يوم القيامة مقنعي رؤسهم أي رافعين رؤسهم الى الله تعالى يسألونه العفو والمغفرة عن جرائمهم فعلم ان من سأل غير ربه فهو ظالم الا ان يرى أن ذلك الغير باب من ابواب الله تعالى من غير وقوف معه فان لم يكن كذلك خيف عليه الحرمان والخسران ولا يخفى ان السائل موصوف بالركون الى من سأله والله تعالى يقول ولا تركنوا الى الذين ظلموا ومن ركن الى نفسه أو الى جنسه فقد ركن الى ظالم لقوله تعالى انه أي الانسان كان ظلوما جهولا * وقد قال الشيخ محيي الدين في الباب الرابع والتسعين * اعلم ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام وكمل الاولياء ما امسكوا الدنيا الا باطلاع عرفاني انتج لهم ما عشقهم في الامساك من نفع الانفس بالاقوات التي قدر الله تعالى وصولها لاصحابها في اوقات مخصوصة فما امسكوا الدنيا عن بخل ولا ضعف يقين حاشاهم من ذلك قال وانظر الى ايوب عليه السلام كيف اعطته المعرفة المذكورة انه صار يحثو في ثوبه من الذهب لما أمطر عليه وهو يقول لا غنى لي عن بركتك انتهى واما الجواب عن يونس عليه السلام فيما حكاه الله تعالى عنه بقوله

الرجل بكسر الراء القطيع من الجراد اه

وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه الآية فالمراد بقوله ان لن نقدر عليه
أن يونس عليه السلام ظنّ انّ الله تعالى لا يضيق عليه لما عهده من سعة رحمته من باب
قوله تعالى ومن قدر عليه رزقه اى ضيق عليه وانما آخذه الله تعالى لكونه قصر ذلك
الاتساع الالهى على نفسه فقط ولم ينظر ذلك فى حق غيره من امّته فلما ظنّ ان رحمة الله
تعالى لا تنالهم اثر غضبه ظلمة فى ظاهره لعلو منصبه وصفاء قلبه فاسكن فى ظلمة بطن
الحوت ماشاء الله تعالى لينبهه تعالى على حالته حين كان جنينا فى بطن امّه من كان يدبره
فيه وهل كان فى ذلك الموطن يتصور منه ان يغضب او يغاضب بل كان فى كنف الله
عزوجل لا يعرف سوى ربه فردّه تعالى الى هذه الحالة فى بطن الحوت تعليما له بالفعل
لا بالقول فنادى فى الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين اى
سبحانك يارب تفعل ماتريد وتبسط رحمتك على من تشاء وهذا كالاعتذار عن امته
وقوله كنت من الظالمين اى اثر غضبى رجع علىّ ما ازالت ظلمتنى لان علمك ما تعلق بى
الا على هذا الحال ثم لما زالت ظلمة المغاضبة ظلمة تليق بمقام الانبياء وانتشر النور اللائق
بكمال النبوة فى قلبه استجاب له ربه فنجاه من الغم فقذفه الحوت من بطنه مولودا على
الفطرة السليمة فلم يولد أحد من بنى آدم ولا تين سوى يونس عليه الصلاة والسلام
فخرج ضعيفا كالطفل كما قال تعالى وهو سقيم ورباه تعالى باليقطين وذلك لان ورقه ناعم
ولا ينزل عليه ذباب اذ الطفل لضعفه لا يستطيع أن يرد الذباب عن نفسه فغطاه الله
تعالى بهذه الشجرة التى من خاصيتها أن لا يقربها ذباب مع نعومة ورقها فانه مثل القطن
فى النعومة بخلاف ورق الاشجار كلها فان فيه الخشونة ذكره الشيخ فى الباب الثالث
والثلاثين من الفتوحات * واما الجواب عن السيد موسى عليه الصلاة والسلام فى قوله
ففررت منكم لما خفتكم كيف خاف عليه السلام وهو كامل مع ان الواحد من الاولياء
لا يخاف أحدا الا الله تعالى * فالجواب مقام الخوف أولى من وجوه منها ان الكامل يرى
من نفسه الضعف بخلاف صاحب الحال من الاولياء ومنها انه يجب على الكامل الفرار
من كل شئ يؤذى بدنه او يلحقه بالعدم وان خالف ذلك أثم ومنها ان فى الخوف عدم تعطيل
الاسباب فكان من كمال موسى فراره ويحتمل ان خوفه منهم انما هو خوف من الله تعالى
بالاصالة ان يسلطهم عليه فرجع خوفه منهم الى خوفه من الله تعالى وذلك محمود والله أعلم
*واما الجواب عن السيد سليمان عليه الصلاة والسلام فى قوله تعالى فطفق مسحا
بالسوق والاعناق فهو أن تعلم يا أخى أن الانبياء عليهم الصلاة والسلام لا توصف بفعل
سفه ولا اتلاف مال لكمالهم وانما المراد انه لما احب الخير الذى هو المال عن ذكر ربه
لا عن حكم الطبع طفق يمسح بيده على اعراف الخيل وسوقها فرحا واعجابا بخير ربه
ولعلمه عليه الصلاة والسلام بأن الله تعالى يحب من عباده حب الخير وذلك الحب للخير
اما انّ يراد به حب الله اياه أو حب الخير من حيث وصف الخير بالحب ومعلوم ان الخير
لا يحب الا للاخيار فانهم محل وجود عينه فلذلك قال سليمان عليه الصلاة والسلام
انى أحببت حب الخير عن ذكر ربى أى أنا فى الخير من حيث المحبة كالخير فى حبه ولهذا

لما توارت بالحجاب يعنى الصافنات الجياد اشتاق اليها فقال ردوها على لانه فقد المحل الذى أوجب له هذه الصفة الملذوذة فانها كانت محلا له * قال الشيخ فى الباب الرابع والعشرين ومائة من الفتوحات وليس للمفسرين الذين جعلوا التوارى للشمس دليل لان الشمس ليس لها ههنا ذكر ولا الصلاة التى يزعمون وسياق الآية لا يدل على ما قالوه فى ذلك بوجه ظاهر البتة وأما استرواحهم فيما فسروه بقوله تعالى ولقد فتنا سليمان فالمراد بتلك الفتنة انما هو الاختبار اذ كان متعلقه الخيل ولا بد فيكون اختباره اذا رآها هل يحبها عن ذكر ربه لها أو يحبها لعينها فأخبر عليه السلام انه احبها عن ذكر ربه اياها لا لحسنها وكمالها وحاجته اليها فانها خير من الملك الذى طلب أن لا يكون لاحد من بعده فأجابه الحق تعالى الى ما سأل فى المجموع ورفع الحرج عنه وقال له هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب وان له عندنا لزلفى وحسن مآب أى ما ينقصه هذا الملك شيأ من ملك الآخرة كما يقع لغيره من المتنعمين فى الدنيا فان كل شئ تنعموا به فى الدنيا نقص من نعيمهم فى الآخرة كما ورد * قال ومن هنا يعلم أن الانبياء عليهم الصلاة والسلام لم يكن شئ يشغلهم عن الله تعالى من نعيم الآخرة فضلا عن الدنيا ولذلك سألوا التوسع فى الدنيا ومحال أن يسألوا من ربهم ما يحجبهم عنه او يحجبهم الحق تعالى الى ما يحجبهم اكراما لهم * وقد ذكر الشيخ فى باب الوصايا من الفتوحات ان الاكابر ما سألوا الله تعالى التوسع فى الدنيا الا لغرض صحيح وذلك لانهم لما احكموا الزهد فى الدنيا والقناعة منها بالقليل أمنوا على نفوسهم من أن يشتغلوا عن الله بشئ فسألوا الله التوسع فى الدنيا ليوسعوا بها على انفسهم وعلى من يلوذ بهم اعطاء لنفوسهم ومعارفهم حقهم وليتلذذوا بخطاب الله عز وجل لهم بقوله اقرضوا الله قرضا حسنا فانه تعالى ما خاطب بذلك الا اهل الجدة والسعة فلاجل لذة توجه خطاب الحق تعالى لهم فى ذلك سارعوا الى تحصيل مرتبة الغنى بالتجارات والمكاسب الشرعية لعلمهم بأن من لا مال له محروم من لذة هذا الخطاب فقد بان لك أن سليمان عليه السلام لم يتمدح فى كماله بسؤاله الدنيا أن تكون له بأسرها لفقد العلة التى كرهت الدنيا من اجلها * وقد بلغنا أن نملة طلبت من سليمان الامان فأعطاها فقالت ما ملكك الذى اعطاكه الحق تعالى بسؤالك فقال خاتمى فقالت اف لملك يحويه خاتم ثم قالت له يا سليمان اذا كانت الامور التى يعطيها الحق تعالى لعباده لا تخرج عن ملكه تعالى فما فائدة طلبك أن يعطيك ملكا لا ينبغى لاحد من بعدك انتهى * قلت وما ذكره الشيخ فى هذه الآية تفسير غريب واضح وعليه فلا يصح استدلال الشبلى به على تحريق ثيابه بالنار حين شغلته عن ربه عز وجل وقال ان سليمان عليه السلام قطع سوق الخيل وأعناقها لما شغلته عن الصلاة * وأما قول بعض العلماء ان الضمير فى توارت للشمس فلا يناسب قوله ردوها على اذ الشمس ليس ردها فى يد قومه حتى يردوها عليه ومع ذلك فان صح دليل فى رد الشمس على سليمان باظهار الضمير الذى فى توارت وردوها للشمس دون الخيل اتبعناه والله اعلم * وسمعت سيدى عليا الخواص

رحمه الله يقول ثم مقام يقتضي طلب العبد أن يوسع الله عليه الدنيا ليزداد بذلك فقرا الى الله تعالى والى نعمة وكيف يعاب على من سأل ربه ما هو أقل من جناح بعوضة انتهى * واما الجواب عن خطيئة داود عليه الصلاة والسلام التى استغفر منها وخر راكعا واناب فكانت نظرة فجأة بغير تقدم نية صالحة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم كانت خطيئة أخي داود النظر وذلك انه رفع رأسه من الارض بغير نية تناسب مقامه فآخذه الله بذلك ولذلك ورد أنه لم يرفع بصره الى ناحية السماء بعد ذلك الى أن مات حياء من ذلك الرفع السابق مع الغفلة فعين الذنب هو رفع البصر ولو الى مباح بغير نية فافهم * فعلم أن مؤاخذة الاكابر فى الحركات والسكنات مع الغفلة لا تختص بالنظر ولا غيره فلو قدر انه حرك اصابعه مع الغفلة عن شهود الحق بذلك لآخذه الله به لوجوب الحضور عليهم مع الله تعالى على الدوام وأما ما ذكروه من ان خطيئة داود كانت هى النظر الى امرأة أوريا فلم يصح لنا ذلك فى حديث والله أعلم وقد بسط ذلك فى مبحث الجواب عن آدم عليه الصلاة والسلام فراجعه * وأما الجواب عن السيد يوسف عليه الصلاة والسلام فى قوله تعالى ولقد همت به وهم بها الآية فقد ذكر الشيخ فى الباب السابع والستين وثلثمائة من الفتوحات ان روحه اجتمعت بروح يوسف عليه الصلاة والسلام فى بعض الاسراءات الروحية فقال له يا نبى الله ما معنى الاشتراك فى اخبار الله تعالى عنك بقوله ولقد همت به وهم بها فانه تعالى لم يعين فى ماذا ولا يخفى ان اللسان يدل على احدية المعنى فقال يوسف عليه الصلاة والسلام نعم ولذلك قلت للملك على لسان رسوله أن يسأل النسوة فاذكرت المرأة الا انها راودتنى عن نفسى وما ذكرت انى راودتها فافهم ما قلته لك فان به يزول ما كان يتوهمه بعض الناس لما لم يعين الله تعالى امرهمى وهمها فقلت له يا نبى الله اللسان يؤذن بالاشتراك فقال نعم صدقت لكن فى اللفظ دون المعنى فانها همت بى لتقهرنى على ما كانت ارادت منى وهممت انا بها لاقهرها بالدفع عن ذلك فالاشتراك فى طلب القهر منى ومنها فكأنه تعالى يقول ولقد همت به يعنى فى عين ما هم بها وليس الا القهر فيما يريد كل واحد من صاحبه دليل ذلك قول المرأة الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وما جاء فى قصتى قط انى راودتها عن نفسها فأرانى الله تعالى البرهان غير ارادتى القهر فى دفعها عنى أولا بالقول اللين كما قال تعالى لموسى وهارون فقولا له قولا لينا اى لا تعسف عليها يا يوسف وسسها فانها امرأة موصوفة بالضعف على كل حال قال الشيخ محيي الدين فقلت له افدتنى افادك الله تعالى فاعلم ذلك * وأما الجواب عن ابينا ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام فذكر الشيخ فى الباب السابع والستين والثلثمائة ان روحه اجتمعت بروح الخليل عليه الصلاة والسلام قال فقلت له يا ابت لم قلت ولكن ليطمئن قلبى مع انك من المؤمنين بذلك بلا شك فقال صحيح ولكن للاحياء وجوه كثيرة كما كان ايجاد الخلق فمنهم من اوجده الله تعالى عن كلمة كن ومنهم من اوجده بيديه ومنهم من اوجده ابتداء ومنهم من اوجده عن خلق آخر فطلبت العلم بتعيين وجه من هذه الوجوه فاذا اعلمنى به اطمأن قلبى * قلت وقد بسط الشيخ الكلام

على ذلك فى الباب الخامس والعشرين ومائتين والله اعلم ولنرجع الى المعنى الذى نحن فيه * قال الشيخ فقلت له يا أبت لم قلت بل فعله كبيرهم هذا قال لانهم كانوا قائلين بكبرياء الحق تعالى على آلهتهم التى اتخذوها فقلت له فماذا أردت باشارتك بقولك هذا قال لى أنت تعلم المراد بها فقلت انى اعلم انها اشارة ابتداء وخبره محذوف يدل عليه قولك بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم اقامة للحجة عليهم فقال عليه الصلاة والسلام مازدت على ما كان الامر عليه فقلت له فما كانت خطيئتك فى قولك والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين فقال هى نسبة المرض الى نفسى فى قولى واذا مرضت فهو يشفين مع انه فى الحقيقة لم يمرضنى الا الله تعالى فهذا كان خطيئتى فكان فى اضافتى المرض الى نفسى ثم طلبى المغفرة من تلك الاضافة ادبا فقلت له فلم قال تعالى فى حقك وانه فى الآخرة لمن الصالحين فخص صلاحك بالآخرة وأطلق الصلاح لغيرك من الانبياء فى الدنيا والآخرة * فقال لان الصالح من شرطه أن لا يضيف الى نفسه شيأ الا باضافة الله تعالى وقد أضفت الى نفسى وغيرها ماليس لها بغير اذن خاص من الله تعالى بقولى واذا مرضت وقولى انى سقيم وقولى بل فعله كبيرهم هذا * فقلت له يا ابت فما قولك فى الانوار الثلاثة فانك معصوم عن اعتقادك فيها الالوهية فى حين من الاحيان فقال انما قلت ذلك اقامة للحجة على قومى ألا ترى الى ماقال الحق تعالى فى القرآن وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه وما كان اعتقاد قومى فى الاله الا انه نمروذ ولم تكن تلك الانوار آلهتهم ولا كان نمروذ الهالهم وانما كانوا يرجعون فى عبادتهم لما نحتوه آلهة لا اليه ولذلك لما قلت ربى الذى يحيى ويميت لم يتجرأ نمروذ أن ينسب الاحياء والامانة الى آلهتهم التى وصفها لهم لئلا يفتضح فقال انا احيى وأميت فعدل الى نفسه تنزيها لآلهتهم عندهم حتى لا يتزلزل الحاضرون فقلت له فلم عدلت الى الاقرب فى الحجة فقال لانى علمت قصور أفهامهم عما جئت به لو فصلته وطال المجلس فعدلت الى الاقرب فى افهامهم بذكر اتيان الله تعالى بالشمس من المشرق وطلبت أن يأتى بها من المغرب فبهت الذى كفر تعجيزا له من الله تعالى * واختم الاجوبة بالجواب عن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فنقول وبالله التوفيق * اعلم ان الاجوبة عن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من علماء أمته لا تحصى ولكن نذكر لك منها اطرافا صالحا فنقول وبالله التوفيق ذكر الشيخ محيى الدين فى الباب الثامن والتسعين وثلثمائة أن محمدا صلى الله عليه وسلم لم يزل معصوما عن كل ماينقص مقامه الاكمل قبل النبوة وبعدها كما روى أنه عليه الصلاة والسلام قبل رسالته كان يرعى الغنم بالبادية فكان يهم أن يدخل الى مكة فيصيب فيها ما يصيب الشبان من اللعب فاذا دخل مكة لذلك أرسل الله عليه النوم فيفوته فعل ما دخل لاجله فيستعجل الرجوع الى غنمه فكان فى ذلك عصمته صلى الله عليه وسلم من حيث لا يشعر * وفى المثل السائر من العصمة أن لا تجد ويسمى هذا المقام علم الحاصل فى عين الفائت كما قال تعالى وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم فكان فى ذلك الفائت سعادة العبد وفضل على الحاصل

نهى

يوسف عليه الصلاة والسلام [illegible] على
[illegible]
[illegible] أيديهن [illegible] ذلك ليثبت عنده [illegible] براءته فلا [illegible] المحنة
حتى [illegible] استراحة من السجن بل المحنة كله [illegible] فقصد يوسف بذلك براءة ساحته
[illegible] الاحتمال [illegible] وهو رسول من الله عز وجل فلابد لامته في طريق
الهداية [illegible] فلذلك خشي صلى الله عليه وسلم من الناس
أن يعيبوا عليه تزويجه بزوجة من تبناه حتى لا يردوا دعوته فستر عليه فعلم أن الله تعالى
ما ابتلى نبيه صلى الله عليه وسلم بتزويجه زوجة من تبناه الا ليذوق بلاء التهمة ويتخلق
بالرحمة التامة على كل متهم فان تزوج الرجل زوجة من تبناه مما كان يقدح في كماله
صلى الله عليه وسلم عند جهال العرب وهو رسول وأى رسول ثم انه تعالى لما أذاقه ألم
الحرج في مقامه ذاك والدنا بانتفاء العلة في ذلك بقوله ما كان محمد أبا أحد من رجالكم
ولكن رسول الله وخاتم النبيين ورفع الحرج في مثل ذلك عن المؤمنين فأذاق الحق تعالى
رسوله صلى الله عليه وسلم ما أذاق يوسف حين لم يجب الداعي وطلب أن تكون البراءة
في غيبته لكونها أكثر ريبا له لانه لو حضر ربما قيل ما زكوه الا في وجهه حياء منه
ومن كمال الرجل أن يقف مع ما تمسك عليه المروءة العرفية في كل مالم يؤمر بفعله حتى
يأتيه أمر الله فهناك يكون بحسب ما يؤمر به انتهى . قلت ويحتمل أن يكون المراد
بقوله صلى الله عليه وسلم لاجبت الداعي الثناء على يوسف بالقوة في عدم خروجه
من السجن فأظهر صلى الله عليه وسلم ضعف حاله عن حال يوسف كما قال نحن أولى
بالشك من ابراهيم فان يوسف اجتمع عليه حالان حال السجن وحال كونه مفترى عليه
وكل رسول يطلب أن يقرر في نفوس أمته ما يتعبدون به دعاء ربه في كل ما يدعوهم اليه
فكأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو كنت مكان يوسف لسارعت الى الخروج
طلبا للبراءة بجدالي عن نفسي لتثبت براءتي عند من أرسلت اليهم ويحتمل غير ذلك
والله أعلم . فان قلت فما المراد بقوله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم عفا الله عنك
لم أذنت لهم هل هو توبيخ كما فهمه بعضهم أو سؤال عن العلة مثل قوله تعالى لعيسى عليه
الصلاة والسلام أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين . فالجواب كما قاله الشيخ في الباب
الثامن والخمسين وخمسمائة ان ذلك سؤال عن العلة لا سؤال توبيخ لان العفو قد تقدم
ذلك وقوله حتى يتبين لك انما هو استفهام مثل قوله تعالى لعيسى ما تقدم كأنه
تعالى يقول أفعلت يا محمد ذلك حتى يتبين لك الذين صدقوا فاما أن يقول عند ذلك نعم
أولا فان العفو والتوبيخ لا يجتمعان لا سيما سامع تقدم العفو في الذكر كما تقدم فان من وبخ
فما عفا مطلقا الا ان التوبيخ مؤاخذة وهو تعالى قد عفا . قال ولما كان هذا اللفظ
قد يفهم منه في اللسان التوبيخ جاء لاجل ذلك بالعفو ابتداء ليتنبه العارف بالله تعالى
وبمواقع كلامه انه لم يرد التوبيخ الذي يتوهمه من لا علم عنده بالحقائق انتهى . وقال
في الباب الثامن والثلاثين من الفتوحات أيضا في قوله عفا الله عنك لم أذنت لهم ذكر

اهل

من التحقير لهم تعالى بقوله البشرى فتولى الحق الباطن نور الله قلوب علمائهم كالعلم الذى عندنا نحن فلو لم يكن الالهى أن نخلد مثلا الى البشرى فالعلم ليس فيها عجائبه فهلموا واستفهموا أن تنصفوا وأعطى بكلام الله تعالى حقه فى الفهم ان قلت فما المراد بقوله تعالى فى حقه صلى الله عليه وسلم عبس وتولى أن جاءه الاعمى الى آخر النسق هل هو محمول على ظاهره أم المراد به غير ذلك فالجواب كما قاله الشيخ فى الباب الرابع والثمانين فلما تلبس العتاب على ظاهره ولنفسه نبيه صلى الله عليه وسلم ما ذكره ليعلمه تعالى عند المنكسرة قلوبهم أكثر مما بين الملوك لانه تعالى لا تطرق الفقراء بخلاف الملوك ويصلح النبأ أن الحق تعالى يغار لعبيده المنكسرة القلوب من أجل ربه أشهد بما يعاون بظاهرهم صفات الجلالة فاذا جاء المريد الى الشيخ الملك مطاع فى الامور ثم ان فقيرا دخل عليك كذلك زائرا فأقبل على الفقير أكثر من الملك الا أن تخاف سطوته ولا تعرض عن الفقير حتى يفرغ من حاجته التى جاء اليك لاجلها ، فعلم أن تجلى الحق تعالى بالحضور عند الملك المطاع تجلى فى غير موطنه اللائق به اذ الكبرياء والعظمة انما تليق بأهل الجنة فى الجنة لعدم التحجير عليهم وزوال التكليف وما عاتب الله تعالى نبيه بقوله عبس وتولى أن جاءه الاعمى الا لكون ذلك الاعمى فقيرا افتقارا تعالى لمقام العبودية والفقر أن يهتم الاجلال الاهله عن أن قلوبهم فى غير محلها واطال فى ذلك وأما مفهوم قوله تعالى أما من استغنى فأنت له تصدى فذكر الشيخ فى الباب التاسع والاربعين وخمسمائة ان معناه العتاب فى حال اجتماع الفقراء مع الاغنياء لا مع الانفراد فان من الادب الاقبال على كل وارد من غنى او فقير وفى الحديث اذا أتاكم كريم قوم فأكرموه ، وقال تعالى لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين ، وهنا نكتة ينبغى للشيخ أن تعرفها وهى أن الملك العزيز فى قومه ما جاء اليك ولا نزل اليك حتى ترك جبروته وكبرياءه خلف ظهره قبل أن يأتيك فما أتاك الا وهو يرى نفسه دونك فكان جبرونك فى نفسك اذا لم تقبل عليه وتتواضع له أعظم من جبروته وعلى كل حال يلزمك مقابلته نظير فعله معك وأنزله انت منزلته من نفسك قبل أن يأتيك وأدخل عليه السرور بالاقبال والتبسم تكن حكيم الزمان فان الله تعالى ما عاتب نبيه صلى الله عليه وسلم فى حق الاعمى والاغنياء الا لكون الفريقين كانا حاضرين فبالمجموع وقع العتب لا مع الانفراد ، وكان سيدى على الخواص رحمه الله يقول انما أقبل صلى الله عليه وسلم على الاغنياء لصفة الغنى التى ظاهره بها والعارف بالله تعالى ينبغى له الاقبال على كل نعت الهى من جلال وعظمة وغيرهما فان وقع أن احدا من العارفين عوتب على اقباله على الاغنياء فليس ذلك من حيث ظاهرهم بالغنى وانما ذلك لعلة اخرى ، فعلم انه لا ينبغى القياس على هذا العتاب وطرده فى حق الاغنياء مطلقا فان ذلك مزلة قدم عن الشريعة فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمرنا باكرام كريم كل قوم اذا أتانا كما مر وافهم وعلم أيضا أن تعظيم العارف للملوك والامراء والاغنياء انما هو

من [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible] لا نتكلم معهم الآن فيهم
وقال في ذلك [illegible] بصفة الاستغناء [illegible] فان علم أن الفقير [illegible]
فقيدنا الفقير على الى خلق التخلق بصفة الغنى وتحقيقه أي نحو الغني [illegible] أن يتوقع عليه صفة
المخلوقات المركبة. ثم مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم حين عظمته بقوله عبس وتولى
الى آخر ما جاء به [illegible] الالهية المذكورة وهو الغنى المطلق الذي لا يكون لغير الله قطعا
فلهذا تصدى رسول الله صلى الله عليه وسلم لاكابر قريش المشهورين بالتشبه بهذه الصفة
الالهية فيهم كأنها [illegible] بتعظيمهم التشرف والرغبة في ذلك الوقت الذي تصدى لهم فيه فكان
تصديه صلى الله عليه وسلم باقباله على الاغنياء انما هو تعليم أمته أن يتصفوا بالتحلي
من الاتصاف بصفة الغنى حتى تخلق شهادة وتخلق في ذلك المقام مأمور به المترقي الى شهود عدم
تخصيص المتخلقات الالهية فان العالم كله من شعائر الله تعالى ومن صفته ولا ينفك شيء
منه عن مصاحبة معية الحق تعالى له لعدم تحيزه جل وعلا فكل كامل غنا وعلى
هضم جناب المنكسرة قلوبهم لان الحق عندهم كما أخبر نابه الشارع صلى الله عليه
وسلم وأيضا فانه صلى الله عليه وسلم مع هذا المشهد كان له حرص عظيم على اسلام
قريش فكان يعلم ان اكابرهم اذا مالوا اليه بقلوبهم أطاعوه وأحبوه وأسلموا فيسلم
باسلامهم خلق كثير * قال تعالى لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم
حريص عليكم أي ان عنادكم وعدم اسلامكم يعز عليه لمحبته الخير لكم * فان قلت
فكيف أوقع الحق تعالى العتب على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع هذا المشهد العظيم
الذي قدمناه * فالجواب انما عاتبه واعلمنا بذلك تأديبا لنا فان الانسان محل الغفلات
وهو فقير بالذات ولو صار من أكبر ملوك الدنيا فهو فقير لان غناه عرضي عرض له من
حصول الجاه والمال فما استغنى الا بغيره بخلاف الحق جل وعلا فليست الصفة التي
ظهرت في الاغنيا صفة الحق حقيقة حتى يتصدى العبد لها ولذلك قال تعالى في الآية
أما من استغنى بسين الطلب وما قال أما من هو غني فكان مما أدب الله تعالى به نبيه
صلى الله عليه وسلم الاعراض عن الاغنياء والاقبال على الفقراء أولا ثم أمره أن يقبل
على كل من ترك غناه وكبرياءه وجاء اليه. قال الشيخ واكثر الناس غافلون عن هذا
الادب الثاني فلا يكادون يشهدون له طعما ويتخيلون ان اقبال العارفين على أحد من
الرؤساء والاغنيا انما ذلك لاجل جاههم ومالهم وليس الامر كما ظنوا * ثم اعلم ان أهل
الله تعالى اذا علموا ان أحدا من العوام يتبعهم على تعظيم الاغنياء من غير فهم للمعنى
الذي قصدوه وخافوا ان يداخلوا ذلك الفعل رغبة في الدنيا فلهم اظهارها والانفة عن
الاغنيا والرؤسا تقديما لمصلحة المحجوبين * تأمل قولهم شرط الداعي الى الله عز وجل
أن يكون غنيا عن المدعوين لا يحتاج اليهم في شيء يمنون به عليه فعرف أنه ينبغي له
اجتناب الناس لا ينفروهم عنه [illegible] اليهم بالمال الا قبال ولا ينبغي له قبول
صدقاتهم وأخذ صلتهم لانهم يهون بذلك في أعين المدعوين ويجب عليه التعفف عما
بأيديهم وكف نفسه عنهم اما بعمل أو قناعة * قال تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة

والموعظة الحسنة فاما الحكمة فهو غناه عما بأيدى المدعوين وأما الموعظة الحسنة فهو تمهيده بساط المدعوين حتى انهم يصيرون يبادرون الى فعل ماندبهم اليه من غير توقف لما يعلمون لنفوسهم فى ذلك من المصلحة وفى القرآن ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك وقد استقر الامر على ان تقديم الفقراء على الاغنياء مطلوب فى كل مافيه اكرام وانه لا ينبغى لفقير ان يراعى أحدا من الاكابر بعد ماتبين له الحق فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر والسلام * (خاتمة) لا ينقص من كمال الانبياء عليهم السلام عدم معرفتهم بتدبير أحوال الدنيا فى بعض الاوقات كما أشار اليه قوله صلى الله عليه وسلم فى مسئلة تلقيح النخل أنتم أعلم بأمر دنيا كم وذلك انه صلى الله عليه وسلم مر على قوم وهم على رؤس النخل فقال مايصنع هؤلاء فقالوا يلقحون النخل فقال ما أرى ذلك يجدى شيئا فسمع بذلك الانصار فتركوا تلقيح نخلهم تلك السنة فقل حمل النخل وخرج البلح شيصا فأخبروه بذلك فقال أنتم اعلم بأمر دنيا كم يعنى فى كل مالم يوح اليه فيه شئ * قال الشيخ محيى الدين وسبب خفاء بعض أحوال الدنيا على الانبياء والاولياء انما هو لما غلب على قلوبهم من عظيم مشاهدة جلال الله تعالى فغابوا بذلك عن تدبيرهم للكون ولو ان ذلك الجلال والعظمة انحجب عنهم لكانوا أعرف الناس بأمر الدنيا لكن لا يخفى ان حجابهم عن تدبير الكون انما هو لهم فى بعض الاوقات لا كلها كما أشار اليه خبر لى وقت لا يسعنى فيه غير ربى * قال بعض العارفين وما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تزايد كماله وصار يدبر أمر الدنيا والآخرة ولم يكن يشغله مشاهدة جلال الله عز وجل عن ذلك * وقد ذكر الجلال السيوطى رحمه الله انه صلى الله عليه وسلم كان مكلفا بالاقبال على الله عز وجل وعلى الخلق معا فى آن واحد لا يحجبه الخلق عن الحق * فان قلت فلم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمشاورة أصحابه مع كونهم دونه بيقين * فالجواب كما قال الشيخ فى الباب الثامن والتسعين ومائة ان الله تعالى ما أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بالمشاورة لمن هو دونه الا ليعلمه تعالى ان له فى كل موجود خصوصية لا تكون لغيره فقد يلقى الله تعالى من الوجه الخاص لآحاد الامة مالم يلقه الى أحد من المقربين بدليل قصة الخضر مع موسى عليهما الصلاة والسلام والله أعلم

(المبحث الثانى والثلاثون)

فى ثبوت رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وبيان انه أفضل خلق الله على الاطلاق وغير ذلك * اعلم ان رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ثابتة بالكتاب المعجز والسنة والاجماع وكذلك أجمعت الامة على انه بلغ الرسالة بتمامها وكمالها وكذلك تشهد بجميع الانبياء انهم بلغوا رسالات ربهم * وقد خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع فحذر وأنذر وأوعد وما خص بذلك أحدا دون أحد ثم قال ألا هل بلغت فقالوا بلغت يارسول الله فقال اللهم اشهد * فان قيل ان بعضهم يقول انه سقط من القرآن حين جمعه بعض آيات وعلى هذا فينبغى للعارف أن يبحث عنها من طريق كشفه ليتلوها فيثاب على تلاوتها فهل ذلك صحيح * فالجواب هذا أمر لا يوافق هذا القائل عليه احد

وقد قال جمهور المحدثين يجب تأويل قول عائشة كانوا يقرؤن فعدة من ايام اخر متتابعات فسقط متتابعات وقالوا المراد بالسقوط النسخ فيحتمل أن يكون المراد بالسقوط في كلام هذا البعض النسخ ان صح النقل * فان قيل هل الدليل على تصديق الرسول في ادّعائه انه رسول ينسحب في الدلالة على ما جاء به من الاخبار والاحكام او يفتقر الى دليل آخر * فالجواب كما قاله الشيخ في الباب الرابع والاربعين من الفتوحات انه لا يفتقر الى دليل آخر بل ينسحب في الدلالة على ما جاء به صلى الله عليه وسلم * فان قلت ايهما أكمل شهادتنا بما جاءنا من طريق الوحي او شهادتنا بالمعاينة * فالجواب أن شهادتنا بالوحي اتم من شهادتنا بالعين والمشاهدة كما شهد خزيمة للنبي صلى الله عليه وسلم بأنه ابتاع الجمل من الاعرابي ولم يكن خزيمة حاضرا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم بم تشهد يا خزيمة قال بتصديقك يا رسول الله فحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشهادة خزيمة وحده لكونها شهادة بالوحي ولو ان خزيمة كان شهد شهادة عين لم تقم شهادته مقام اثنين وبه حفظ الله تعالى علينا قوله تعالى لقد جاءكم رسول من نفسكم الى آخر السورة فانّ جامع القرآن من الصحابة كان لا يقبل آية منه الا بشهادة رجلين فصاعدا الا هذه الآية فانها ثبتت بشهادة خزيمة وحده انتهى * فان قيل فما أوّل ما ظهر من الموجودات بعد فتق العما * فالجواب كما قاله الشيخ تقي الدين بن ابي المنصور أن أوّل ما ظهر بعد فتق العما هو محمد صلى الله عليه وسلم فاستحق بذلك الاوّلية للاوليات فهو ابو الروحانيات كلها كما كان آدم عليه الصلاة والسلام ابا الجسمانيات كلها انتهى وسيأتي قريبا تحقيق الاوّلية في كلام الشيخ محيي الدين وان اوّل ما خلق الله الهباء فراجعه * فان قلت فما معنى قوله صلى الله عليه وسلم كنت نبيا وآدم بين الماء والطين والنبي هو المخبر عن الله وكيف صح اخباره صلى الله عليه وسلم قبل أن يخلق وقبل وجود من يخبرهم * فالجواب كما قاله الشيخ في الباب الخامس وثلثمائة من الفتوحات معناه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعرف ذاته بذاته باذن الله في غير مجلى قبل اخذ الميثاق وهو الحال التي كان فيها صلى الله عليه وسلم يعرف نبوّته وذلك قبل خلق آدم كما أشار اليه الحديث المذكور فكان له صلى الله عليه وسلم التعريف في ذلك الحال فان النشأة الانسانية كانت مبثوثة في العناصر ومراتبها الى حين وجودها لكن من الناس من أعطى في ذلك الموطن شهود نفسه ومرتبته اما على غاياتها بكمالها واما بأن يشهد صورة ما من صوره وهي عين تلك المرتبة التي له في الدنيا فيعلمها ويحكم على نفسه بها وهنا شاهد صلى الله عليه وسلم نبوّته ولا ندري هل شهد صور جميع أحواله أم لا قال تعالى وأوحى في كل سماء أمرها * فما من فلك من الافلاك التسعة الا وللانسان صورة فيه فيحفظها ذلك الفلك الى وصول وقتها فوجودها كوجود الصورة الواحدة في المرائي الكثيرة المختلفة الاشكال من طول وعرض واستقامة وتعوج واستدارة وتربيع وتثليث وصغر وكبر فتختلف صور الاشكال باختلاف المجلي والعين واحدة فلذلك قلنا انه صلى الله عليه وسلم كان يعرف ذاته بذاته من غير مجلى باذن الله تعالى

واذا كان بهذه المثابة لم تؤثر فيه المراتب اذا لها قال صلى الله عليه وسلم وهو في المرتبة العليا أنا سيد ولد آدم ولا فخر فلم تحكم فيه المرتبة * وقال في وقت آخر وهو في مرتبة الرسالة والخلافة انما أنا بشر مثلكم فلم تحجبه المرتبة عن معرفة نشأته وسبب ذلك أنه رأى لطيفته ناظرة الى مركبها العنصري وهو متبدد فيها فشاهد ذاته العنصرية فعلم انها تحت قوة الافلاك العلوية ورأى المشاركة بينها وبين سائر الخلق الاناسي والحيواني والنبات والمعدن فلم ير لنفسه من حيث نشأته العنصرية فضلا على أحد ممن تولد عنها بل رأى نفسه مثلا لهم وهم أمثال له فقال انما انا بشر مثلكم وكان يتعوذ من الجوع فما افترق عنا الا بقوله يوحى الى * فقد عرفت معنى قوله صلى الله عليه وسلم كنت نبيا وآدم بين الماء والطين وان هذا القول انما كان بلسان تلك الصورة التي هو فيها مما هو معدود من صور تلك المراتب فترجم لنا في هذه الدار عن تلك الصورة * قال الشيخ رحمه الله ولنا أيضا صورة فوق ماذكرناه لا تدرك بعقل ولا بالاسترواح من نقول الشرح فسكتنا عنها وذلك أن لنا صورة في الكرسي وصورة في العرش وصورة في الهيولى وصورة في الطبيعة وصورة في النفس وصورة في العقل المعبر عنه باللوح والقلم وصورة في العما وصورة في العدم هذا كله مرئي لاصحاب الكشف وهو الذي يتوجه عليه خطاب الله القديم لعباده في مكنون علمه فافهم * فان قلت فهل كان لآدم عليه الصلاة والسلام علم عند أخذ الميثاق بما يحتوى عليه ظهره من الصور * فالجواب لم يكن له علم بذلك كما انه لاعلم لملك من الافلاك التي فيها صورة من صورنا بها * فان قيل فلم كان الاخذ من الظهر دون غيره * فالجواب انه انما خص الظهر بالاخذ لان الظهر كان غيبا لآدم عليه الصلاة والسلام ولو انه تعالى اخذنا من بين يدى آدم لكان عرفنا وذلك لان له عليه الصلاة والسلام معنا صورة في صورة فشهد كما شهدنا * قال الشيخ محيي الدين ومانحن على يقين بأنه عليه الصلاة والسلام لم يعلم بما اخذ منه او يعلمه ولكنا لما رأينا الحضرات التي تقدمت من الافلاك لا تعلم بصورة ما فيها قلنا بما يكون الامر في آدم كذلك فرحم الله من اطلع على أن آدم كان يعلم الصور التي اخذت من ظهره فألحقه بهذا الموضع من هذا الكتاب * قلت قد اخبرني اخي افضل الدين رحمه الله أن الله تعالى اطلعه على عدد السعداء الذين كانوا في ظهر آدم عليه الصلاة والسلام دون الاشقياء قال وعدتهم ماتحصل من ضرب تسعمائة الف الف الف الف الف الف الف الى تسع مرات وتسعمائة تسعة وتسعين الف ونصف ذلك وثلث ذلك مضروب جميعه في الاصول التي ذكرناها فما يحصل من ذلك فهو عدد من كان في ظهر آدم من السعداء لا يزيدون واحدا ولا ينقصون وهو حساب لا يتعقله العقل وانما طريقه الكشف انتهى والله تعالى اعلم * قال الشيخ محيي الدين ومن بعد عن فهمه تصور ماذكرناه من أن لنا في كل فلك صورة ليست احداها احق بنا من الاخرى فلينظر في خبر الترمذي مرفوعا وقال فيه حسن غريب ان الله تعالى تجلى لآدم ويداه مقبوضتان أي كما يليق بجلاله فقال له يا آدم اختر أيهما شئت فقال اخترت يمين ربي وكلتا يديه يمين مباركة ففتحها فاذا آدم

مطلب عدد السعداء الذين كانوا في ظهر آدم من غير زيادة ولا نقص

وذريته فنظر آدم عليه الصلاة والسلام الى شخص من اضوئهم فقال من هذا يا رب فقال الله تعالى له هذا ابنك داود فقال يا رب كم كتبت له من العمر فقال أربعين سنة فقال يا رب وكم كتبت لي فقال الله تعالى الف سنة فقال يا رب قد أعطيته من عمري ستين سنة قال الله له أنت وذاك فمازال آدم يعدّ لنفسه حتى بلغ تسعمائة وأربعين سنة * فجاءه ملك الموت ليقبض روحه فقال له آدم قد بقي من عمري ستون سنة فقال الله تعالى يا آدم انك قد وهبتها لولدك داود فجحد آدم فجحدت ذريته ونسي آدم فنسيت ذريته قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن ذلك اليوم أمر الله تعالى بالكتاب والشهود انتهى فهذا آدم وذريته صور قائمة في قبضة الحق كما يليق بجلاله وهذا آدم خارج عن تلك اليد وهو يرى صورته وصورة ذريته في يد الحق فما بالك يا أخي تقربه في هذا الموضع وتنكره علينا في قولنا بتعدد الصور في الافلاك فلو كان هذا محالا لنفسه لم يكن واقعا ولا جائزا نسبة اذ الحقائق لا تتبدل * قال وأكثر من هذا التأنيس لك فلا أقدر عليه فلا تكن ممن قال الله تعالى فيهم صم بكم عمي فهم لا يبصرون وقد أطال الشيخ الكلام على ذلك في الباب السادس وأربعين وثلثمائة * فان قلت فهل اعطى أحد النبوة وآدم بين الماء والطين غير محمد صلى الله عليه وسلم * فالجواب لم يبلغنا أن أحدا أعطى ذلك انما كانوا أنبياء ايام رسالتهم المحسوسة * فان قلت فلم قال كنت نبيا وآدم بين الماء والطين ولم يقل كنت انسانا اوكنت موجودا * فالجواب انما خص النبوة بالذكر دون غيرها اشارة الى انه اعطى النبوة قبل جميع الانبياء فان النبوة لا تكون الا بمعرفة الشرع المقدر عليه من عند الله تعالى * فان قلت فما معنى قولهم انه صلى الله عليه وسلم اول خلق الله هل المراد به خلق مخصوص او المراد به الخلق على الاطلاق * فالجواب كما قاله الشيخ في الباب السادس أن المراد به خلق مخصوص وذلك أن أول ما خلق الله الهباء واول ما ظهر فيه حقيقة محمد صلى الله عليه وسلم قبل سائر الحقائق وايضاح ذلك أن الله تبارك وتعالى لما أراد بدء ظهور العالم على حد ما سبق في علمه انفعل العالم عن تلك الارادة المقدسة بضرب من تجليات التنزيه الى الحقيقة الكلية فحدث الهباء وهو بمنزلة طرح البناء الجص ليفتح فيه من الاشكال والصور ما شاء وهذا هو أول موجود في العالم ثم انه تعالى تجلى بنوره الى ذلك الهباء والعالم كله فيه بالقوة فقبل منه كل شئ في ذلك الهباء على حسب قربه من النور كقبول زوايا البيت نور السراج فعلى حسب قربه من ذلك النور يشتد ضوءه وقبوله ولم يكن أحد أقرب اليه من حقيقة محمد صلى الله عليه وسلم فكان أقرب قبولا من جميع ما في ذلك الهبا فكان صلى الله عليه وسلم مبدأ ظهور العالم وأول موجود * قال الشيخ محيي الدين وكان أقرب الناس اليه في ذلك الهباء علي بن ابي طالب رضي الله عنه الجامع لاسرار الانبياء أجمعين انتهى وقول الشيخ في الامام علي رضي الله عنه انه جامع لاسرار الانبياء قد نقل أيضا عن الخضر عليه الصلاة والسلام في حق الشيخ ابي مدين التلمساني فقال فيه حين سئل عنه أنه جامع لاسرار المرسلين لا أعلم أحدا في عصري هذا أجمع لاسرار المرسلين منه * فعلم كما قاله الشيخ

وقال الشيخ في الفتوحات أن ممد جميع الأنبياء والمرسلين من روح محمد صلى الله عليه
وسلم إذ هو قطب الأقطاب كما سيأتي بسطه في مبحث كونه خاتم النبيين فهو ممد لجميع
الناس أولا وآخرا فهو ممد لكل نبي وولي سابق على ظهوره حال كونه في الغيب وممد
أيضا لكل ولي لاحق بعد ظهوره في حياته ومماته إلى يوم القيامة فهو في حال كونه موجودا في
عالم الشهادة وفي حال كونه منتقلا إلى الغيب الذي هو البرزخ والدار الآخرة فلم تخل
رسالته صلى الله عليه وسلم ومدده عن العالم من المتقدمين والمتأخرين ❊ فإن قلت
قد ورد في الحديث أول ما خلق الله نوري وفي حديث أول ما خلق الله العقل فما الجمع بينهما
❊ فالجواب أن معناهما واحد لأن حقيقة محمد صلى الله عليه وسلم تارة يعبر عنها بالعقل
الأول وتارة بالنور به ❊ فإن قلت فما الدليل على كونه صلى الله عليه وسلم ممد الأنبياء
السابقين في الظهور عليه من القرآن (فالجواب) من الدليل على ذلك قوله تعالى أولئك
الذين هدى الله فبهداهم اقتده أي إن هداهم هو هداك الذي سرى إليهم منك في الباطن
فإذا اهتديت بهداهم فإنما ذلك اهتداء بهداك إذ الأولية لك باطنا والآخرية لك
ظاهرا ولو أن المراد بهداهم غير ما قررناه لقال تعالى له صلى الله عليه وسلم فبهم اقتده
وتقدم حديث كنت نبيا وآدم بين الماء والطين فكل نبي تقدم على زمن ظهوره فهو
نائب عنه في بعثته [illegible]
[illegible]
الله تعالى بين يديه بين يدي أي [illegible] علم الأولين والآخرين إذ المراد بالأولين
هم الأنبياء الذين تقدموه في الظهور وعند غيبة جسمه الشريف وإيضاح ذلك أنه صلى الله
عليه وسلم أعطى العلم مرتين مرة قبل خلق آدم عليه الصلاة والسلام ومرة بعد ظهور
رسالته صلى الله عليه وسلم كما أنزل عليه القرآن أولا من غير علم جبريل ثم أنزل عليه به
جبريل مرة أخرى ولذلك قال الله تعالى له ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه
أي لا تعجل بتلاوة ما عندك منه قبل أن تسمعه من جبريل بل اسمعه من جبريل وأنت
منصت إليه كأنك ما سمعته قط وقد علمت التلامذة الموفقين بذلك مع أستاذيهم ذكر
ذلك الشيخ في الباب الثاني عشر من الفتوحات وفي غيره من الأبواب فذات وفي تصريح
الشيخ بأن القرآن أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل جبريل نظر ولم أطلع
على ذلك في حديث فليتأمل (فإن قلت) فإذا روح محمد صلى الله عليه وسلم هي روح
عالم الخير كله وهي النفس الناطقة فيه كله ❊ (فالجواب) نعم والأمر كذلك كما ذكره
الشيخ في الباب السادس وأربعين وثلثمائة فحال العالم المذكور قبل ظهوره صلى الله
عليه وسلم بمنزلة الجسد السوي وحاله بعد موته صلى الله عليه وسلم بمنزلة النائم وحال
العالم حين يبعث يوم القيامة بمنزلة الانتباه من النوم فالعالم اليوم كله نائم من حين مات
رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن يبعث انتهى ❊ (فإن قلت) فما الدليل على كونه
صلى الله عليه وسلم أفضل من أبيه إبراهيم مع أنه صلى الله عليه وسلم أمرنا أن نسأل الله
أن يصلي عليه كما صلى على إبراهيم والقاعدة أن يكون المشبه به أفضل من المشبه
❊ (فالجواب) ليس المراد ما يتبادر من ذلك إلى الأذهان وإنما النكتة في قوله كما صليت

عن ... كونه صلى الله عليه وسلم كان مشتغلا في تعليم الصحابة كيفية الصلاة عليه فلما
قالوا له كيف نصلي عليك ما وسعه الا التواضع ... قولوا ... اللهم ... وآل
اذ كانت ... على الفاظ ... الا بقدر ... الالفاظ ... مع كونه
افق ... من الفكار ... قال الشيخ ... كان محمد صلى الله
عليه وسلم افضل من ... مع انه فرغ
من ... عليه الصلاة والسلام (قلت ...) ... في الباب ... من الفتوحات
... ان آدم عليه الصلاة والسلام
كان حاملا لالفاظ الاسماء ومحمد صلى الله عليه وسلم كان حاملا لمعانيها وهي جوامع
الكلم المشار اليها بقوله اوتيت جوامع الكلم ... حصل على الذات حصل على الاسماء
وكانت تحت حيطته ... ومن حصل على الاسماء لا يكون حصل الذات الذي هو المسمى
قال ولهذا فضلت الصحابة بانهم حصلوا الذات ونحن حصلنا الاسم ولكن لما راعينا
الاسم مراعاتهم للذات ضوعف لنا الاجر بحسرة الغيبة التي لم تكن لهم فكان لنا
التضعيف بذلك فنحن الاخوان لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهم الاصحاب وهو صلى
الله عليه وسلم الينا بالاشواق وما افرحه بلقاء واحد منا والعامل منا اجر خمسين ممن يعمل
مثل عمل الصحابة كما ورد انتهى واما كونه صلى الله عليه وسلم قوي الاستعداد من ابيه آدم
فلانه خلق من امتزاج الابوين لا من واحد منهما بل من المجموع ... صلى الله
عليه وسلم استعداد الاثنين فلهذا كان ... في الباب
الثاني والسبعين في اسرار الحج من الفتوحات ... قال ... اختص محمد صلى الله
عليه وسلم بالكمال على آدم وابراهيم لكونه ابنا لهما وكل ابن له في النشأة هذا الكمال الا ان
الناس يتفاضلون فيه لاجل الحركات العلوية والطوالع النورانية والاقترانات
السعادية وان لم يكن لها عندنا اثر في التخليق انتهى وقال الشيخ في الباب السابع
والثلاثين وثلثمائة في حديث لو كان موسى حيا ما وسعه الا ان يتبعني ... اعلم انه
صلى الله عليه وسلم نبي الانبياء للعهد الذي اخذ على الانبياء بسيادته عليهم ونبوته
في قوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة الآية فعمت
رسالته وشريعته كل الناس فلم يختص نبي بشيء الا ان كان ذلك الشيء لمحمد صلى الله عليه
وسلم بالاصالة انتهى ... فكل نبي تقدم على زمن ظهوره فهو نائب له صلى الله عليه وسلم
في بعثته ... ذكره الشيخ تقي الدين السبكي ونقله عنه الجلال السيوطي
في أول الخصائص (فان قلت) قد تقدم أن القرآن انزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم
جملة قبل أن ينزل عليه تفصيلا فما الحكمة في ذلك (فالجواب) انما انزل عليه صلى الله عليه
وسلم القرآن اجمالا ليفرق بين تنزيله عليه وتنزيل العلوم على الاولياء وذلك أن التدريج
في الامور انما هو للتحمل ولا ... للارسال بخلاف الاولياء لا تنزل عليهم العلوم الا وهي
... لان منها جهة ... والتكسب ... النبوة ... والولاية كسب ... وقال
في ... الفتوحات في قوله صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم ولا فخر

لما كان صلى الله عليه وسلم سيد ولد آدم لأن جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام نوابه
صلى الله عليه وسلم من لدن آدم إلى آخر الرسل وهو عيسى عليه الصلاة والسلام كما بين
[illegible] الأنبياء [illegible] وصدق صلى الله
عليه وسلم في [illegible]
[illegible] آدم [illegible] لم يبعث نبي إلى الناس عامة إلا هو خاصة [illegible]
الأنبياء [illegible] صلى الله عليه وسلم (فإن قلت) فهل يكون نسخ شريعته
لكل شريعة تقدمت [illegible] تلك الشرائع [illegible] (فالجواب) ليس [illegible] ذلك
[illegible] الطاهر
أجمعوا [illegible] اتفاقا على [illegible] يكون
جميع الأنبياء نوابا له صلى الله عليه وسلم [illegible] عيسى عليه الصلاة والسلام [illegible] إلى
الأرض لا يحكم بشريعته الذي كان عليها [illegible] بشريعة محمد صلى الله عليه
وسلم الذي بعثه الله ولو أن الشرع الذي يحكم به عيسى [illegible] كان له لا صالة لكان
يحكم إذا نزل إلى الأرض (فإن قلت) فقوله صلى الله عليه وسلم لا تفضلوني على يونس
[illegible] هل هو منسوخ [illegible] (فالجواب) [illegible] صلى الله عليه وسلم
[illegible] خلق الله تعالى [illegible]
[illegible] ولا يكون ذلك إلا [illegible] كل ما [illegible] عليه [illegible] الحديث
لا تفضلوني [illegible] لا تفضلوني مطلقا فإنه [illegible] وعلى
[illegible] الله عز وجل له [illegible] (فإن قلت) فهل للعارف أن يفضله صلى الله عليه
وسلم [illegible] (فالجواب) [illegible] الكامل لا [illegible]
[illegible] الله تعالى [illegible] (فإن قلت)
[illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible] الأنبياء والأولياء [illegible]
صلى الله عليه وسلم [illegible] (فالجواب) كما قاله الشيخ
في الباب [illegible] والثلاثين [illegible] أنه اختص صلى الله عليه وسلم [illegible]
فيها [illegible] الأنبياء [illegible] أنه أعطاه [illegible] الوحي [illegible]
[illegible]
[illegible] كتابه ومعلوم أن [illegible]
[illegible] أعطاه [illegible]
صلى الله عليه وسلم العلم [illegible] العلوم [illegible]
وهو ما أتى في [illegible] تعليما وإعلاما لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قوله تعالى
وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق ومنها أنه أعطاه
علم الشرائع المتقدمة كلها وأمره أن يهدي بهدى الأنبياء ومنها أنه اختص بشرع
لم يكن لغيره كما أشار إليه حديث أعطيت ستا لم يعطهن نبي قبلي فهذه أمور [illegible]
لم يعطها أحد غيره ومما خص به [illegible] والذي [illegible] رسول الله

صلى الله عليه وسلم يوم القيامة [illegible] (فان قلت) فهل ورد [illegible] وهو محمد
* فالجواب نعم [illegible] سأل الله [illegible] صلى الله عليه وسلم
ودرجة [illegible] وفي ملاك الاربعمائة [illegible] الله [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم
[illegible] حين اذا قام في المقام المحمود يوم القيامة [illegible] صلى الله عليه وسلم اذا اشتغل
في الشفاعة فأحمد الله تعالى بمحامد [illegible] الا [illegible] الآن اي التي يفتحها علي تعالى بهذه
الاسماء التي تقتضيها ذلك الموطن [illegible] صلى الله عليه وسلم لا يثني على الله
الا بما [illegible] ولا يخطر [illegible] وذلك انا نعلم ان في الجنة ما لا عين رأت ولا اذن
سمعت ولا خطر على قلب بشر ونعلم انا لا نعلم ايضا ما اخفي لنا من قرة اعين وما من شيء من
ذلك الا وهو مستند الى الاسم الالهي الذي ظهره بجلاله الاسم الالهي الذي امر الله
تعالى علينا بالاطلاع عليه فلا [illegible] ثناء بتسبيح واما ثناء
اثبات * قال الشيخ محيي الدين في الباب الثامن والثلاثين وثلاثمائة وقد سألت الله
تعالى ان يطلعني على عدد تلك الاسماء المرقومة في اللواء فقيل لي ان قدرها الف اسم
وستمائة اسم واربعة وستون اسما [illegible] في كل لواء [illegible]
من الحمد في موطن القيامة دخل الجنة يعني قبل الناس وليس احد اهلا الا للرجل
الكامل من نبي وولي انتهى * (فان قلت) فما حكمة جعل اللواء بيده صلى الله عليه وسلم
* فالجواب كما قاله الشيخ في الباب الرابع والسبعين انه انما جعل بيده ليجتمع اليه
الناس اذ هو علامة على مرتبة الملك وعلى وجود الملك وانما سمي لواء لانه يلتوي على
جميع المحامد فلا يخرج عنه حمد [illegible] آدم ومن دونه تحت لوائي
وايضاح ذلك ان آدم عليه الصلاة والسلام في عالم الاسماء وما ظهر بعلمها الا بحكم النيابة
عن محمد صلى الله عليه وسلم في عالم الملائكة لتقدمه بالنبوة وآدم بين الماء والطين فلما
ظهرت جسمية محمد صلى الله عليه وسلم كان هو صاحب اللواء فيأخذ اللواء من آدم يوم
القيامة بحكم الاصالة فيكون آدم فمن دونه تحت لوائه * (فان قلت) فهل يدخل تحت لوائه
صلى الله عليه وسلم ايضا الملائكة * فالجواب نعم لانها كانت تحت ذلك اللواء في زمان
آدم فكذلك يكونون في الآخرة تحته حين يحمله رسول الله صلى الله عليه وسلم وهناك
يظهر لجميع الخلق سيادة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلافته على الجميع انتهى
* (فان قلت) فأين منزلة محمد صلى الله عليه وسلم يوم الموقف الاعظم * فالجواب كما قاله
الشيخ في الباب السابع والثلاثين وثلاثمائة ان منزلته على يمين حضرة الرحمن حين التجلي
على العرش واما منزلته يوم القيامة فهي بين يدي الحكم العدل لتنفيذ الاوامر الالهية
في العالم فالكل عنه يأخذ في ذلك الموطن وهو صلى الله عليه وسلم وجه كله يرى من جميع
جهاته وله من كل جهة اعلام من الله يفهم عنه يرونه لسانا ويسمعونه صوتا وحرفا
انتهى * (فان قلت) فهل الوسيلة مختصة به فلا تكون لغيره ام يصح ان تكون لغيره لقوله
في الحديث لا ينبغي ان تكون الا لعبد من عباد الله وارجو ان اكون انا هو فلم يجعلها له
صلى الله عليه وسلم نصا * فالجواب كما قاله الشيخ محيي الدين في الباب الرابع والسبعين

فى الجواب الثالث والتسعين ان الذى تقول به انه لا يجوز لاحد سؤال الوسيلة لنفسه أدبا مع الله تعالى فى حق رسوله صلى الله عليه وسلم الذى هدانا الله به وايثاراله أيضا على أنفسنا وما طلب منا أن نسأل الله له الوسيلة الا تواضعا منه صلى الله عليه وسلم لنا وتأليفا لنا نظير المشاورة فتعين علينا أدبا وايثارا ومروءة ومكارم أخلاق ان الوسيلة لو كانت لنا لوهبناها له صلى الله عليه وسلم وكان هو الاولى بأفضل الدرجات لعلو منصبه ولما عرفناه من منزلته عند الله تعالى * ومما يؤيد تحريم سؤالنا الوسيلة لانفسنا ماذكره العلماء فى الخصائص من تحريم خطبة المرأة التى عرض عليه الصلاة والسلام لوليها بتزويجها له ولذلك امتنع أبو بكر من اجابة عمر حين سأله عمر أن يتزوج ابنته حفصة وقال أبو بكر انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرها انتهى * وقد رأيت فى نسخة من نسخ الفتوحات بمصر مانصه يجوز لكل مسلم ان يسأل لنفسه الوسيلة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعينها لنفسه ولعلها من النسخ المدسوس فيها على الشيخ أو مرجوع عنها بدليل قوله رضى الله عنه فى الباب السابع وثلاثين وثلثمائة ان منزلته صلى الله عليه وسلم فى الجنان هى الوسيلة التى يتفرع منها جميع الجنان وهى فى جنة عدن دار المقامة ولها شعبة فى كل جنة من الجنان ومن تلك الشعبة يظهر محمد صلى الله عليه وسلم لاهل تلك الجنة وهى فى كل جنة أعظم منزلة فيها انتهى فاياك أن تضيف الى الشيخ ما فى النسخة المدسوسة ثم تعترض عليه والله أعلم

(المبحث الثالث والثلاثون فى بيان بداية النبوة والرسالة والفرق بينهما وبين امتناع رسالة رسولين معا فى عصر واحد وبيان انه ليس كل رسول خليفة وغير ذلك من النفائس التى لا توجد فى كتاب)

اعلم يا أخى انه قد ورد فى الصحيح أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحى الرؤيا الصادقة الحديث (فان قلت) ما حقيقة بدء الوحى (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الجواب الخامس والعشرين من الباب الثالث والسبعين من الفتوحات ان المراد ببدء الوحى انزال المعانى المجردة العقلية فى القوالب الحسية المقيدة فى حضرة الخيال سواء كان ذلك فى نوم أو يقظة (فان قلت) فاذن هو من مدركات الحس (فالجواب) نعم هو من مدركات الحس وحضرة المحسوس كما فى قوله تعالى فتمثل لها بشرا سويا * قال الشيخ محيى الدين وفى حضرة الخيال أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم العلم فى صورة اللبن ولذا كان يؤول به رؤياه وهذا هو ما أبقاه الله تعالى على الامة من أجزاء النبوة فان مطلق النبوة لم يرتفع وانما ارتفع نبوة التشريع فقط كما يؤيده حديث من حفظ القرآن فقد أدرجت النبوة بين جنبيه فقد قامت بهذا النبوة بلاشك وقوله صلى الله عليه وسلم فلا نبى بعدى ولا رسول المراد به لا مشرع بعدى (فان قلت) فما الحكمة فى كون الرؤيا الصادقة جزءا من ستة وأربعين جزءا من النبوة وما حكمة هذا العدد (فالجواب) انما خصت الاجزاء بهذا العدد لان نبوته صلى الله عليه وسلم كانت ثلاثا وعشرين سنة وكانت رؤياه الصادقة ستة أشهر ونسبة الستة أشهر الى الثلاث

وعشرين سنة جزء من ستة وأربعين جزءا فلا يلزم أن تكون هذه الاجزاء لنبوة كل نبي فقد يوحى الى نبي أكثر من ذلك فتكون الاجزاء بحسب ذلك من خمسين وستين وأكثر والله أعلم (فان قلت) هل مقام الولاية من لازم مقام النبوة أو هو وصف آخر لا يكون للانبياء (فالجواب) أن ولاية الله تعالى لعباده هي الفلك المحيط العام وهي الدائرة الكبرى وفي حكمها وحقيقتها أن الله تعالى يتولى من شاء من عباده برسالة أو نبوة أو ايمان ونحو ذلك من أحكام الولاية المطلقة وكل رسول لا بدّ أن يكون نبيا وكل نبيّ لا بدّ أن يكون وليا وكل وليّ لا بدّ أن يكون مؤمنا (فان قلت) فالى أي وقت يستمر حكم الرسالة والنبوّة (فالجواب) اما الرسالة فتستمر الى دخول الناس الجنة أو النار واما النبوّة فانها باقية الحكم في الآخرة لا يختص حكمها بالدنيا (فان قلت) فما حقيقة الرسالة وهل هي حال أو مقام (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثامن والخمسين ومائة أن حقيقة الرسالة ابلاغ كلام الله من متكلم الى سامع وهو حال لا مقام اذ لا بقاء لها بعد انقضاء التبليغ فلا تزال الرسالة يتجدد حكمها كل حين وهو قوله تعالى ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث فالاتيان به هو الرسالة وحدوث الذكر هو عند السامع المرسل اليه ولهذا ظهر علم الرسالة في صورة اللبن لان المرسل هو اللبن انتهى وقال في الباب السابع والخمسين ومائة اعلم أن الرسالة نعت كوني متوسط بين مرسل ومرسل اليه والمرسل به قد يعبر عنه بالرسالة وقد تكون الرسالة حال الرسول لا نقضائها بانقضاء التبليغ قال تعالى ما على الرسول الا البلاغ فالرسالة هنا هي التي أرسل بها وبلغها وهكذا وردت في القرآن حيثما وردت ولا يقبلها الرسول الا بواسطة روحي قدسي ينزل بالرسالة تارة على قلبه وتارة يتمثل له الملك رجلا وكل وحي لا يكون بهذه الصفة لا يسمى رسالة بشرية وانما يسمى وحيا والهاما اووجودا ولا تكون الرسالة الا كما ذكرنا يعني بواسطة روحي قدسي (فان قلت) فما الفرق بين النبي والرسول (فالجواب) الفرق بينهما هو أن النبي اذا ألقى اليه الروح شيئا اقتصر به ذلك النبي على نفسه خاصة ويحرم عليه أن يبلغ غيره ثم ان قيل له بلغ ما أنزل اليك اما لطائفة مخصوصة كسائر الانبياء واما عامة ولم يكن ذلك الا لمحمد صلى الله عليه وسلم سمي بهذا الوجه رسولا وان لم يخص في نفسه بحكم لا يكون لمن بعث اليهم فهو رسول لا نبي وأعني بها نبوّة التشريع التي لا تكون للاولياء * فعلم أن كل رسول لم يخص بشيء من الحكم في حق نفسه فهو رسول لا نبي وان خص مع التبليغ بشيء في حق نفسه فهو رسول ونبي فما كل رسول نبي على ما قررناه ولا كل نبي رسول بلا خلاف والله أعلم هكذا ذكره الشيخ محيي الدين في الباب الثامن والخمسين ومائة فليتأمل فان من بلغ شرعا لا نصيب له في العمل به يطلق عليه نبي أيضا من حيث انه مخبر والله أعلم (فان قلت) فهل كان الوحي للانبياء الذين لم يرسلوا على لسان جبريل في اليقظة أم في المنام (فالجواب) لم أر في ذلك شيئا عن الاصوليين ولكن ذكر الشيخ عبد العزيز الديريني في كتابه المسمى بالدرر الملتقطة أن الانبياء الذين لم يرسلوا كان الوحي اليهم في المنام على لسان جبريل انتهى فلا أدري ما دليله في ذلك فليتأمل (فان قلت)

فكم تنقسم النبوة على قسم (فالجواب) تنقسم النبوة البشرية على قسمين (القسم الاول) من الله تعالى الى غيره من غير روح ملكي بين الله تعالى وبين عبده بل اخبارات الهية يجدها فى نفسه من الغيب أو فى تجليات ولا يتعلق بذلك الاخبار حكم تحليل ولا تحريم بل تعريف بمعانى الكتاب والسنة أو بصدق حكم مشروع ثابت انه من عند الله تعالى أو تعريف بفساد حكم قد ثبت بالنقل صحته ونحو ذلك وكل ذلك تنبيه من الله تعالى وشاهد عدل من نفسه قال ولا سبيل لصاحب هذا المقام أن يكون على شرع يخصه يخالف شرع رسوله الذى أرسل اليه وأمرنا باتباعه أبدا (القسم الثانى) من النبوة البشرية وهو خاص بمن كان قبل بعثة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وهم الذين يكونون كالتلامذة بين يدى الملك فينزل عليهم الروح الامين بشريعة من الله تعالى فى حق نفوسهم يتعبدهم بها فيحل لهم ما شاء ويحرم عليهم ما شاء ولا يلزمهم اتباع الرسل وهذا المقام لم يبق له اثر بعد محمد صلى الله عليه وسلم الا فى الائمة المجتهدين من امته لكن لا يفارقونهم بوجوب اتباعهم الرسل فلهم أن يحلوا بالدليل ويحرموا به انتهى (فان قلت) هل ثم أحد من البشر ينال فى الدنيا علما من غير واسطة محمد صلى الله عليه وسلم (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الاحد وتسعين وأربعمائة ليس أحد ينال علما فى الدنيا الا وهو من باطنية محمد صلى الله عليه وسلم سواء الانبياء والعلماء المتقدمون على مبعثه والمتأخرون عنه وأطال فى ذلك كما تقدم بسطه فى المبحث قبله (فان قلت) فهل أطلع الله تعالى أحدا من الاولياء على عدد الانبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام أو حصل له الاجتماع بهم كلهم من طريق كشفه (فالجواب) نعم ذلك واقع لكل من حق له قدم الولاية الكبرى * وقد قال الشيخ محيي الدين فى الباب التاسع والاربعين وثلثمائة * اعلم أن عدد الانبياء والمرسلين من بنى آدم مائة الف وأربعة وعشرون ألفا كما ورد فى الحديث ولا بد من هذا العدد فى الاولياء فى كل عصر وقد يزيدون * قال الشيخ وقد جمع الله تعالى بينى وبين جميع انبيائه فى واقعة صحيحة حتى لم يبق منهم أحد الا وعرفته وكذلك جمعنى على من هو على اقدامهم من الاولياء فرأيتهم وعرفتهم كلهم * وقال أيضا فى الباب الثالث والستين وأربعمائة رأيت فى كشفى جميع الانبياء والمرسلين وأممهم كما سيأتى مشاهدة على من كان منهم ومن يكون الى يوم القيامة أظهرهم الحق تعالى فى صعيد واحد * قال وصاحبت منهم غير محمد صلى الله عليه وسلم جماعة منهم الخليل عليه الصلاة والسلام قرأت عليه القرآن كله باستدعائه ذلك منى فكان يبكى عند كل موضع ذكره الله تعالى فيه من القرآن وحصل لى منه خشوع عظيم * وأما موسى عليه الصلاة والسلام فأعطانى علم الكشف والافصاح عن الامور وعلم تقايب الليل والنهار * وأما هود عليه الصلاة والسلام فأخبرنى بمسئلة كانت وقعت فى الوجود وما علمتها الا منه * وأما عيسى عليه الصلاة والسلام فتبت على يديه أول دخولى فى طريق القوم * قال ورأيت فى هذه الواقعة أمورا علمت منها أنه لا حظ لى فى الشقاء ومنها انى رأيت نفسي فى السعداء الذين على يمين آدم عليه الصلاة والسلام فشكرت الله

مطلب اجتماع الشيخ بجميع الانبياء والمرسلين والاولياء والمؤمنين وقراءته القرآن على الخليل عليه السلام وغير ذلك

على ذلك * وقال أيضا فى الباب الثالث والسبعين ما اجتمعت بأحد من الانبياء أكثر من عيسى عليه الصلاة والسلام وكنت كلما اجتمعت به دعا لى بالثبات فى الدين حيا وميتا وكان لا يفارقنى حتى يدعو لى بذلك * وكان يقول لى يا حبيبى وأمرنى أول اجتماعى عليه بالزهد والتجريد وكان من زهاد الرسل وأكثرهم سياحة وكان حافظا للامانة لم يأخذه فى الله لومة لائم ولذلك عادته اليهود انتهى * وقال أيضا فى الباب الخامس والستين وثلثمائة قد شاهدت فى واقعة نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم وشاهدت جميع الانبياء من آدم الى محمد صلى الله عليه وسلم وأشهدنى الله تعالى جميع المؤمنين بهم حتى ما بقى منهم أحد لا من كان ولا من يكون الى يوم القيامة وعرفت خاصهم وعامّهم وعرفت جميع السعداء الذين كانوا فى ظهر آدم وعددهم فلا يخفى على الآن منهم أحد من أهل الجنة ولا من أهل النار لكن لم يعطنى الله تعالى معرفة عدد أهل النار لكثرتهم فلا يعلم عددهم الا الله تعالى وعرفت فى هذا الكشف جميع مراتب الانبياء والمرسلين وأتباعهم واطلعت على جميع ما كنت آمنت به مجملا مما هو فى العالم العلوى والسفلى وشهدت ذلك كله عيانا وما زحزحنى عن ذلك الذى رأيته وشاهدته عن ايمانى فلم أزل أقول وأفعل ما أقوله لقول النبى صلى الله عليه وسلم لى قل كذا وافعل كذا لا لعلمى ولا لعينى ولا لشهودى فواخيت فى شهودى بين الايمان والعيان فى آن واحد لئلا يفوتنى ثواب الايمان * قال وهذا مقام ما وجدت له ذائقا الى وقتى هذا وان كنت أعلم أن فى رجال الله تعالى من ناله لكنى لم أجتمع به يقظة ومشافهة * قال وسبب ذلك أنى ما علقت خاطرى قط من جانب الحق تعالى بشئ يطلعنى عليه من الكون وانما علقت خاطرى مع الله تعالى أن يستعملنى فيما يرضيه ولو خالف ذلك هوى نفسى وأن لا يحجبنى عنه بوقوع ما يباعدنى عنه وعن شهوده فانى أنا العبد المحض الذى لا أرى لى شفوفا على أحد من عباد الله تعالى وأتمنى أن يكون العالم كله مطيعا على قدم المعرفة * قال وانما ذكرت لك ذلك من باب التحدث بالنعمة وفتحا لباب تنشيط الاخوان لطلب نيل مقامات الرجال انتهى (فان قلت) فما معنى قوله تعالى يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده (فالجواب) أن الروح هنا هو الملقى من عند الله الى قلوب عباده ويكون أمر الله تعالى هو الذى ألقاه لان صورة ذلك الروح هو صورة قوله تعالى لا اله الا أنا فاتقون ولو لم تكن صورته ذلك لكان يقول أن لا اله الا هو فالوسائط مرتفعة فى هذا المنزل لا وجود لها اذ كان عين الوحى المنزل هو عين الروح والملقى هو الله لا غيره فليس الروح هنا عين الملك (فان قلت) فهل الملائكة تعرف هذا الروح (فالجواب) لا تعرف الملائكة هذا الروح لانه ليس من جنسها اذ هو روح غير مجهول وليس نورانيا والملائكة روح فى نور * قال الشيخ فى الباب الثامن وثلاثين ومائتين وهذا الرزق لنا ولسائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام وأما تنزل الارواح الملكية على قلوب العباد فانهم لا ينزلون الا بأمر الله الرب وليس معنى ذلك أن الله يأمرهم من حضرة الخطاب بالانزال وانما يلقى اليهم ما لا يليق بمقامهم أن يعرفوه من ذواتهم فى صورة من ينزلون

عليه بذلك فيعرفون أن الله تبارك وتعالى قد أراد منهم الانزال والنزول بما وجده
فى نفوسهم من الوحى الذى لا يليق بهم فانه من خصائص البشر فان البشر يشاهدون
صورة المنزل عليهم فى الصورة التى عندهم فيعرفون من تلك الصورة من هو صاحبها
فى الارض فينزلون عليه و يلقون اليه ما القى اليهم فيعبر عن ذلك الملقى بالشرع والوحى
فان كان منسوبا الى الله تعالى بحكم الصفة سمى قرآنا وفرقانا وتوراة وانجيلا وزبورا وصحفا
وان كان منسوبا الى الله بحكم الفعل لا بحكم الصفة سمى حديثا وخبرا وسنة ورأيا
قال الشيخ* وقد ينزلون أيضا بالامر الالهى من حضرة الخطاب (فان قلت) فما معنى قول
الملك وما نتنزل الا بامر ربك له ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا
ما معنى هذا النسيان (فالجواب)* معناه ليس ربك نسيا فيما شاهده من قول جبريل
لمحمد صلى الله عليه وسلم فى حال كونها اعيانا ثابتة فى علمه حال عدمها وخطابا تها
فصح قوله نسيا لانه حكاية امر محقق فى وجود محقق لله لا يتصف بالحدوث ثم ان تلك
الاعيان لما حدثت اخبرت بما كان منها قبل كونها مما شاهده الحق تعالى منها
ولم تشهده هى لعدم وجودها لنفسها وقد روى عن الزهرى انه حدث مرة عن
شخص من الثقات فقال حدثنى فلان عنى انى قلت كذا وكذا وذلك أن الزهرى لما قال
حدثنى فلان اتصل الاسناد وان كان هو لا يعلم هذا الحديث ذكره الشيخ فى الباب
السابع والثمانين وسيأتى بسط الكلام على احوال الملائكة فى المبحث التاسع
والثلاثين فراجعه والله اعلم (فان قلت) هل النبوة مكتسبة كالولاية أى ولاية النبى
فى نفسه كما قيل أم هى موهوبة (فالجواب) الولاية فى كل من النبى والولى مكتسبة
وما خرج عن الكسب سوى النبوة وايضاح ذلك ان الله تعالى قد خلق الخلق على
منازل بحسب ما سبق فى علمه فجعل الملائكة ملائكة والرسل رسلا والانبياء انبياء
والاولياء اولياء والمؤمنين مؤمنين والمنافقين منافقين والكافرين كافرين كل ذلك
مميز عنده سبحانه وتعالى لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم ولا يتبدل أحدها أحد فليس لمخلوق
تعمل فى مقام لم يخلق عليه بل قد وقع الفراغ من ذلك فلا يجرى احد فى غير مجراه
ولا يمشى احد فى مدرجة أحد اذ لو سلك احد فى مدرجة احد لكانت النبوة مكتسبة
وحصلها من لم يكن نبيا وذلك غير واقع انتهى* وقال الشيخ* أيضا فى الباب التاسع عشر
لكل شخص من اهل الله تعالى سلم يخصه لا يرقى فيه غيره اذ لو رقى احد فى سلم احد لكانت
النبوة مكتسبة والامر على خلاف ذلك (فان قلت) فما شبهة قول من يقول ان النبوة
مكتسبة (فالجواب) شبهته فى ذلك كونه راى الانبياء قبل رسالتهم لابد ان ينقطعوا
ويتعبدوا على نية قوة الاستعداد للوحى ليرجعوا الى الحالة التى كانوا عليها حين قدر
الحق تعالى المقادير فلما نظر هؤلاء القوم الى انقطاعهم وتعبدهم ثم حصول النبوة لهم ظنوا
أن النبوة مكتسبة وهو وهم وقصور نظر (فان قلت) فما شبهة منكرى النبوات المعهودة
(فالجواب) سبب انكارهم ذلك توهمهم ان كل من صفى جوهرة نفسه من الكدورات
الطبيعية والتزم مكارم الاخلاق العرفية صار نبيا من غير وحى اليه على لسان ملك

قالوا فانه اذا صفي قلبه انتعش في قلبه جميع ما في العالم العلوي من العلوم السماوية التي في اللوح المحفوظ وغيره بالقوة فينطق بالغيوب فهناك يسمى نبيا عندهم * ذكره الشيخ في الباب الخامس والستين وثلثمائة ثم قال وليس الامر عندنا وعند أهل الله تعالى كما قالوا هؤلاء وان جاز وقوع ما ذكروه من انتقاش العلوم الالهية لانه لم يبلغنا أن نبيا أو حكيما صفى جوهرة نفسه فأحاط علما بما يحتوي عليه حاله في كل نفس ابدا بل غايته ان يعلم بعضا ويجهل بعضا وأطال في رد أقوال منكري النبوة فكذب والله وافترى من زعم أن الشيخ فلسفي كما مر في مبحث حدوث العالم وقد قال ايضا في الباب الثامن والتسعين ومائتين من قال ان النبوة مكتسبة اخطأ لان النبوة اختصاص الهي قطعا * قال وشبهة قول من يقول انها مكتسبة زعمه انها ليست من الله تعالى وانما هي من فيض العقل والارواح العلوية انتهى * (وقال أيضا في الباب الرابع والثمانين) يا علم ان كل مأمور به فهو مقام مكتسب ومن هنا قالوا المقامات مكاسب والاحوال مواهب انتهى (فان قلت) فهل كل رسول خليفة ام الخلافة لبعض الرسل دون بعض (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثامن والاربعين انه ليس كل رسول خليفة انما تكون الخلافة لمن نص الله تعالى على خلافته كداود عليه الصلاة والسلام فهو رسول وخليفة لانه قال له احكم بين الناس بالحق وأما آدم عليه الصلاة والسلام فاجعل الله تعالى له الخلافة وما قال له احكم (فان قلت) فما الفرق بين الخلافة والرسالة (فالجواب) الفرق بين الخليفة والرسول ان الخليفة هو كل من جمعت فيه هذه الصفات فأمر ونهى وعاقب وعفا وأمرنا الله تعالى بطاعته فهذا هو الخليفة وأما الرسول فهو كل من بلغ امر الله ونهيه ولم يكن له من نفسه امر من الله ان يأمر وينهى في كل ما أراد فهذا رسول مبلغ رسالات ربه لا خليفة (قلت) ويصح ان يسمى الرسول الذي لم يصرح الحق له بقوله احكم خليفة أيضا من حيث انه نائب عن الحق في خطابنا بالتكاليف وغيرها والله أعلم * فعلم ان للخليفة ان يشرع كل ما أراد مما لم يأمره الحق به صريحا وليس ذلك للرسول قال الله تعالى اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم أي اطيعوا الله فيما أمركم به على لسان محمد بقول محمد فيه ان الله يأمركم بكذا واطيعوا الرسول فيما لم يبلغه عن أمري ولا قال لكم انه من عندي ويؤيد هذا التأويل قوله تعالى واطيعوا الرسول ففصل امر الله الذي يطيعه فيه من طاعة رسوله ولو كان يعني بذلك مما يبلغه الينا عن امر الله الذي أمرنا به لم يكن ثم فائدة زائدة بطاعة رسوله فتعين ان يكون المراد بطاعتنا له صلى الله عليه وسلم أن نطيعه فيما أمر هو به ونهى عنه مما لم يقل هو انه من عند الله وسيأتي بسط ذلك في مبحث وجوب الاذعان والطاعة للرسل ان شاء الله تعالى (فان قلت) هل يقدح في كمال عبودية الرسل بالنظر الى مقامهم طلبهم الاجر على التبليغ كما أشاروا اليه بقولهم ان أجري الا على الله (فالجواب) كما قاله الشيخ في باب اسرار الزكاة من الفتوحات لا يقدح في عبودية الرسل ذلك وانما قال نوح عليه الصلاة والسلام ان أجري الا على الله ليعلمنا بأن

كل عمل خالص يطلب الاجر بذاته وذلك لا يخرج العبد عن أوصاف عبوديته فان العبد في صورة الاجير ما أنت أجير اذ حقيقة الاجير من استؤجر وهو اجنبي عن عبودية المستاجر له والسيد لا يستأجر عبده وانما العمل يقتضي الاجرة وهو لا يأخذها وانما يأخذها العامل وهو العبد فهو قابض الاجرة من الله تعالى فاشبه الاجير في قبض الاجرة وفارقه بالاستئجار انتهى (فان قلت) هل الافضل ترك الاجرة أو أخذها صدقة من الله تعالى (فالجواب) كما قاله الشيخ في الكلام على الاذان ان مذهب المحققين أخذ الاجرة وان ذلك افضل من تركها لكن بشرط أن يكون مشهده الاخذ من الله تعالى لا من المخلوقين فليكمل طلب الاجرة وأخذها من باب المنة واظهار الفاقة لا من باب الاستحقاق وذلك من اجل ما يوكل ويتمتع به فعلم ان مقام الدعوة الى الله تعالى يقتضي الاجرة وما من نبي دعا قومه الى الله تعالى الا قال لا أسألكم عليه أجرا فاثبت الاجر على الدعاء ولكن اختار أن يأخذه من الله تعالى (قلت) ويؤخذ من هذا ان للواعظ منا أو المدرس أو المفتي بعلم أن يأخذ أجرا على ذلك اذ هو من عمل يقتضي الاجر بشهادة كل رسول لله تعالى وله أيضا أن يترك الاخذ من الناس ويطلبه من الله تعالى اقتداء بالانبياء عليهم الصلاة والسلام اذ هو أجر تفضل الله تعالى به على عبده ليكون العبد لا يستحق على سيده أجرا من حيث انه ملكه وعين ماله * وقال الشيخ أيضا في الباب السادس عشر وثلثمائة *اعلم أن استخدام الحق العبد على حالين للعبد فتارة يعبده العبادة المحضة وتارة يعبده عبادة اجارة فمن كونه عبدا هو مكلف بالصلاة والزكاة وجميع الفرائض ولا أجر له على هذا جملة واحدة من حيث أداء فرضه انما له ما يمن به على عبده من النعم التي هي أفضل من الاجر لا على جهة الاجر ثم انه تعالى ندب الى عبادته في امور ليست فرضا على العبد فعلى هذه الاعمال المندوبة فرضت الاجور فكل من تقرب بها الى سيده أعطاه اجرته عليها وكل من لم يتقرب لم يطلبه بها ولا يعاقبه عليها فمن هنا كان العبد حكمه حكم الاجير في الاجارة فالفرض له الجزاء الذي يقابله من حيث انه هو العهد الذي بين الله وبين عباده * وأما النوافل فلها الاجور وهي قوله في الحديث القدسي ولا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى احبه الحديث فاذا أنتجت النافلة للعبد محبة الحق تعالى والنكتة في ذلك هو أن المتنفل عبد اختيار كالاجير فاذا اختار الانسان أن يكون عبد الله لا عبد هواه فقد آثر الله تعالى على هواه * وأما في الفرائض فهو عبد اضطرار لان العبودية أوجبت على العبد خدمة سيده فيما افترضه عليه فعلم ان بين الانسان في عبوديته الاضطرارية وعبوديته الاختيارية كما بين الاجير والعبد المملوك فان العبد الاصلي ماله على سيده استحقاق الا ما لا بد منه فهو يأكل ويلبس من سيده ويقوم بواجبات اموره ولا يزال في دار سيده ليلا ونهارا الا يبرح الا اذا وجهه سيده في شغل فهو في شغله الدنيا وي مع الله تعالى وكذلك هذا حاله يوم القيامة وفي الجنة فانها جميعها ملك لسيده فيتصرف فيها بإذن سيده كتصرف

المالك والاجير ليس له الاماعين له من الاجرة فقط ومنها نفقته وكسوته وساله دخول على حرم سيده ومؤجره ولا له اطلاع على اسراره ولا تصرف فى ملكه الابقدر ما استؤجر عليه فاذا انقضت مدة اجارته وأخذ اجرته فارق مؤجره واشتغل بأهله وليس له من هذا الوجه حقيقة ولا نسبة أن يطلب من استأجره الان يمن عليه رب المال بأن يبعث خلفه ويخاليه ويخلع عليه فذلك من باب المنة (فان قلت) فهل يكون عبودية الاضطرار فى الجنة كما هى فى الدنيا (فالجواب) لا يكون فى الآخرة عبودية اضطرار ابدا لعدم التحجير فان تفطنت يا أخى لما نبهتك عليه علمت من أى مقام قالت الانبياء ان أجرى الا على الله مع كونهم العبيد الخلص الذين لم يملكهم قط هوى نفوسهم ولا هوى أحد من خلق الله وذلك لان طلب الاجر راجع الى دخولهم تحت حكم الاسماء الالهية فمن هنالك وقعت الاجارة فهم فى حال الاضطرار وهم فى الحقيقة عبيد الذات وهم لها ملك والاسماء دائما تطلبهم لتظهر آثارها فيهم فكل اسم يناديهم ادخلوا تحت أمرى وأنا اعطيكم كذا فلهم الاختيار من هذا الوجه فى الدخول تحت أى اسم شاؤا فلا يزال احدهم فى خدمة ذلك الاسم حتى يناديه السيد من حيث عبودية الذات فيترك كل اسم الاهى ويقوم لدعوة سيده فاذا فعل ما أمره به حينئذ رجع الى أى اسم شاء ولهذا كان الانسان يتنفل حتى يسمع اقامة صلاة الفريضة فيؤمر بترك كل نافلة ويبادر الى اداء فرض سيده ومالكه فاذا فرغ دخل فى أى نافلة شاء (فان قلت) فمن أى حضرة كان اجر الانبياء على الله تعالى (فالجواب) هو من حضرة السيادة فانه هو الذى استخدمهم فى التبليغ (فان قلت) فهل يكون زيادة اجر النبى صلى الله عليه وسلم ونقصه بحسب النية والعزم أو بحسب التعب والراحة من جهة المدعوين (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب السابع عشر وأربعمائة ان أجر كل نبى يكون على قدر ما ناله من المشقة الحاصلة من المخالفين (فان قلت) فكيف يصح طلب الاجر من الله مع كون الاجر ليس هو بمعلوم القدر عند الرسول أو الواعظ مثلا (فالجواب) انما صح طلب ذلك من الله تعالى مع كونه مجهولا لعلم الرسول بأن الله تعالى يعلمه بخلاف طلب الاجر المجهول من الخلق لا يصح الا بعد علمه وذلك لجهل الخلق بما يستحقه المدعى عليهم (فان قلت) فهل للرسول اجر اذا رد قومه رسالته ولم يقبلوها منه (فالجواب) نعم للرسول أجر فى ذلك لكن كما يؤجر المصاب فيمن يعز عليه فللرسول أجر بعدد من رد رسالته من امّته بلغوا من العدد ما بلغوا كما ان الذى يعمل بشرع محمد صلى الله عليه وسلم ويؤمن به له مثل اجر جميع من اتبع الرسل لاستجماع الشرائع كلها فى شرع محمد صلى الله عليه وسلم (فان قلت) فما هو الغيب الذى يطلع الله تعالى عليه رسله المشار اليه بقوله فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول هل هو ما غاب عنه من احكام التكاليف الموحى بها اليه أم غير ذلك (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الاحد وعشرون وثلثمائة ان المراد بهذا الغيب المخصوص بمن كان رسولا هو علم التكاليف الذى غاب عن العباد

ولم تستقل عقولهم بادراكه ولهذا جعل له الملائكة رصدا حذرا من الشياطين ان تلقى الى الرسول ما يعمل به فى نفسه من التكليف الذى جعله الله طريقا الى سعادة العباد من أمر ونهى ويؤيد ما قلناه من ان هذا الغيب هو علم الرسالة التى يبلغها الرسل عن الله تعالى قوله تعالى ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم فاضاف الرسالة الى قوله ربهم لما علموا ان الشياطين لم تلق اليهم أعنى الرسل شيئا فيتيقنون أن تلك الرسالة من الله تعالى لا من غيره (فان قلت) فهل ذلك القدر الذى يطلع الله تعالى عليه من ارتضاه من رسول هل هو باعلام الملك له ام هو بلا واسطة ملك (فالجواب) هو بلا واسطة ملك فان الملائكة اذا لم يكن لها واسطة فى الوحى تحف انوارها بالرسول كالهالة حول القمر وتكون الشياطين من ورائها لا يجدون سبيلا الى هذا الرسول حتى يظهر الله تعالى ذلك الرسول على ما شاء من غيبه المتعلق بالتكاليف كما مر قال الشيخ محيى الدين وليس فى الفتوحات المكية ولا غيره من كتبنا اصعب من تصور الغيب الذى انفرد به الحق ويسمى الغيب المحالى المشار اليه بقوله تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو وانما كان محالا لانه غيب برزخى بين عالم الشهادة وعالم الغيب لا يتخلص لاحد الجانبين وكان هذا مما فضل الصديق عن غيره به وقليل من عثر عليه (فان قلت) فما الحكمة فى كونه صلى الله عليه وسلم كان يلحقه البرد اذا نزل عليه الوحى حتى يسجى بالكساء (فالجواب) الحكمة فى ذلك ان الرسول اذا نزل عليه الوحى عرق من شدته للانضغاط الذى يحصل من التقاء روح الملك وروح الرسول ثم ان الهواء الخارج مع الرطوبات من البدن يغمر المسام بقوته فلا يتخلل الهواء البارد من خارج ثم اذا سرى عن ذلك النبى وانصرف الملك عنه سكن المزاج وانتعشت الحرارة الغريزية وايضاح ذلك ان الملك اذا ورد على رسول الله بأمر يتعلق بعلم خبرى او حكمى يتلقى ذلك منه الروح الانسانى ويتلاقيان هذا بالاصغاء وذلك بالالقاء وكل منهما نور فيحتد عند ذلك المزاج ويشتعل وتتحرك الحرارة الغريزية المزاجية حتى يتغير وجه الرسول من شدتها وهو المعبر عنه بالحال وهو من أشد ما يكون ثم ان تلك الرطوبات البدنية تصعد بخارات الى سطح كرة البدن لاستيلاء الحرارة ومنه يكون العرق الذى يطرأ على صاحب الحال ثم اذا انتعشت تلك الحرارة وانفتحت المسام قبل الجسم الهواء البارد من خارج فتخلل الجسم وحصل البرد فى المزاج فيطلب الغطاء وزيادة الثياب ليسخن وذلك لاستيلاء البرد والقشعريرة على الحرارة الغريزية وضعفها ولا يخفى ان هذا كله خاص بما اذا كان التنزل على القلب بالصفة الروحانية والله أعلم *(فان قلت) فلم اختار الانبياء النوم على ظهورهم دون جنوبهم (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الحادى والثلاثين وثلثمائة انهم انما اضطجعوا على ظهورهم لعلمهم بأن كل ما قابل الوجه فهو افق له ومعلوم ان الافق نوعان نوع أدون وهو الارض ونوع أعلى وهو السماء فلذلك استلقوا على ظهورهم ليكون افقهم أعلى وايضاح ذلك كما فى الباب الثالث والثلاثين هو ان تعلم ان الوارد الالهى الذى هو صفة القيومية اذا جاءتهم اشتغل الروح الانسانى المدبر عن تدبيره

عما يتلقاه من الوارد الالهي من العلوم الالهية فلم يبق للجسم من يحفظ عليه قيامه ولا قعوده فرجع الى أصله وهو لصوقه بالارض المعبر عنه بالاضطجاع ولو كان على سرير فان السرير هو المانع له من وصوله الى التراب فهذا سبب اضطجاع الانبياء على ظهورهم عند نزول الوحي عليهم ثم ان الروح اذا فرغ من ذلك التلقي وصدر الوارد الى حضرة ربه رجع الروح الى تدبير جسده فأقامه من ضجعته قال الشيخ وما بلغنا عن نبي قط انه تخبط واضطرب عند نزول الوحي أبدا والله أعلم (فان قلت) فما ثم اذن في العباد أقوى من الانبياء لتحملهم ثقل الوحي (فالجواب) نعم ما ثم أقوى من الانبياء فهم أقوى من الجبل لتحملهم الوحي حين نزل اليهم ولم يحمل ذلك الجبل بل تصدع قال الشيخ في الباب الثاني والاربعين وثلثمائة ومما يؤيد قولنا ان الانبياء اقوى من الجبال قوتهم على سماع مالا يليق بجناب الله من الكفار وغيرهم وعدم قوة الجبال لسماع ذلك قال تعالى تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا أن دعوا للرحمن ولدا وقد سمع الانبياء قوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ولم يكادوا ينفطرون ولم يتزلزلوا بل ثبتوا وذلك لانه تعالى تجلى للانبياء في نحو حضرة قوله تعالى لو اردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا فعلموا من حضرة الاطلاق الالهي مالم تعلمه السموات والارض والجبال فانتج لهم هذا العلم قوة في نفوسهم حملوا بها ما سمعوه في حق الله ولو أن ذلك نزل على من ليست له هذه القوة لذاب عظمه فانظر ما اكثف حجاب من اعتقد ان لله ولدا وما أشد عماه عن رؤية الحقائق انتهى (فان قلت) فهل كان قبل نوح عليه الصلاة والسلام رسل أم كانوا كلهم أنبياء فقط حتى آدم عليه الصلاة والسلام (فالجواب) لم يبلغنا في كتاب ولا سنة انه كان قبل نوح رسل وانما كانوا كلهم أنبياء فقط كل نبي منهم على شريعة مخصوصة من ربه عز وجل ولكن كان كل من شاء من القوم دخل في شرع أحدهم معهم ومن شاء لم يدخل فمن دخل ثم رجع كان كافرا ومن لم يدخل فليس بكافر كما انه اذا أدخل نفسه ثم كذب الانبياء كان كافرا وأما من لم يكذب وبقي على البراءة فليس بكافر (قلت) لكن رأيت في مسند الامام سند مرفوعا كان آدم عليه الصلاة والسلام رسولا مكرما انتهى فليتأمل مع ما قبله وما بعده (فان قلت) قوله تعالى وان من امة الا خلا فيها نذير هل هو نص في الرسالة (فالجواب) ليس هو بنص في الرسالة كما ذكره الشيخ في الباب الثالث عشر وثلثمائة قال وانما هو نص في ان في كل أمة عالما بالله تعالى وبامور الآخرة وذلك هو النبي لا الرسول اذ لو كان الرسول لقال اليها ولم يقل فيها فليس هو بنص في الرسالة قال وهذا هو الذي نقول به فلم يكن فيهم رسل وانما كان فيهم أنبياء عالمون بالله تعالى فمن شاء وافقهم ودخل معهم في دينهم وتحت حكم شريعتهم ومن شاء لم يكلف ذلك وكان ادريس عليه الصلاة والسلام منهم فلم يجئ له نص في القرآن بالرسالة وانما قيل فيه صديقا نبيا فأول شخص افتتح الله به الرسالة نوح عليه السلام (فان قلت) فهل كان عدم اجابة اكثر قوم نوح عليه الصلاة والسلام لضعف عزمه ام لاتساع حاله وغلبة التسليم لله

تعالى

تعالى عليه فلم يكن له همة تنفذ فيهم (فالجواب) ليس للهمة من الداعين اثر فى المدعوين جملة واحدة ومن قبل من رسوله ما قبل فليس ذلك من علو همة الداعى وانما ذلك من حيث ما وهب الله تعالى لخلقه من المزاج الذى اقتضى له قبول مثل ذلك ويسمى هذا المزاج الخاص الذى لا يعلمه الا الله تعالى وبه كان كفر اول من كفر ممن ليس له أبوان يهودانه اوينصرانه اويمجسانه كما ورد فعلم انه لو كان تأثير الكلام فى المدعو من همة الداعى فقط لاسلم كل من شافهه الرسول بالخطاب كائنا من كان لنفوذ همته وكان يقدح فى كمال الرسل ردقومهم رسالتهم ولا قائل بذلك فسقط قول من يقول لو كان الواعظ صادقا مخلصا فى وعظه لاثر وعظه فى قلوب السامعين فانه لا اصدق مين الرسل ومع ذلك فلم يعم قولهم فى السامعين قبولا بل قال نوح عليه الصلاة والسلام انى دعوت قومى ليلا ونهارا فلم يزدهم دعاءى الا فرارا فلما لم يعم القبول فى السامعين لكلام الرسل مع تحققنا علو همتهم علمنا ان الهمة مالها أثر جملة واحدة وانما ذلك من المزاج كما مر ومن سمع قول واعظ فلم يؤثر فيه القبول فالعيب منه لا من الواعظ اذ صاحب العقل السليم يؤثر فيه الكلام الحق على يدى اى من جاء به من الناس ولو من كافر بالله اذ الوحى الذى جاء به المشرك حق على كل حال وان لم يعمل به حامله فالعاقل يقبل ذلك من حيث كونه حقا لا من حيث المحل الذى ظهر به (فان قلت) فما ايضاح ذلك *(فالجواب) ان تنظر فى حال المدعو فان رأيته فى حال سماعه يسمع من الواعظ كلاما ولم يؤثر فيه ثم انه يسمعه من واعظ آخر بعينه فيؤثر فيه فاعلم ان ذلك التأثير لم يكن من حيث قبوله الحق وانما هو من حيث وجود نسبة بينه وبين الواعظ الثانى من اعتقاد فيه أو نحو ذلك فما أثر فى السامع سوى نفسه وفى القرآن العظيم ان عليك الا البلاغ وقال ليس عليك هداهم أى ليس عليك ان توفقهم لقبول ما أرسلتك به وأمرتك ببيانه ولكن الله يهدى من يشاء وهو أعلم بالمهتدين اى الذين قبلوا التوفيق على مزاج خاص فالهادى الذى هو الله تعالى الابانة والتوفيق وليس للهادى من المخلوقين الا الابانة فقط ذكره الشيخ فى الباب التاسع والسبعين وثلثمائة *(فان قلت) فما معنى قوله تعالى لتبين للناس ما نزل اليهم مع ان القرآن جاء على لغتهم فما السبب الداعى الى احتياجهم الى بيان الرسول صلى الله عليه وسلم (فالجواب) سبب ذلك ان كل كلام لا بد فيه من اجمال وما كل أحد يعرف المجمل فلذلك لم يكتف الحق تعالى بنزول الكتب الالهية من غير بيان الرسل لما أجمل فيها ومعلوم انه لا يفصل العبارة الا العبارة فنابت الرسل مناب الحق تعالى فى تفصيل ما أجمله فى كتابه وناب المجتهدون مناب الرسل فيما اجملوه فى كلامهم ولولا ان حقيقة هذا الاجمال سارية فى العالم ما شرحت الكتب ولا ترجمت من لسان الى لسان ولا من حال الى حال قال تعالى فأجره حتى يسمع كلام الله وهو ما انزل خاصة وأما ما فصله الرسول وابان عنه فهو تفصيل ما نزل لا عين ما نزل فان البيان وقع بعبارة أخرى ذكره الشيخ فى الباب الحادى والستين وثلثمائه *(فان قلت) فهل النبوة من

النعوت الالهية او الكونية *(فالجواب)* هي من النعوت الالهية أثبت حكمها في الجناب الالهي الاسم السميع واثبت حكمها صيغة الامر الذي في الدعاء المأمور به واجابة الحق تعالى عباده فيما سألوه فيه فليست النبوة بمعقول زائد على هذا الذي ذكرناه الا انه تعالى لم يطلق على نفسه من ذلك اسما كما اطلق في الولاية فسمى نفسه وليا وما سمى نفسه نبيا مع كونه اخبرنا وسمع دعاءنا ذكره الشيخ في الباب الخامس وخمسين ومائة *(فان قلت)* فما معنى قوله تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى ألقى الشيطان في امنيته كيف وصل الى قلب الرسول والنبي مع انهما معصومان منه (فالجواب) كما قال الشيخ في الباب السادس من الفتوحات ان الانبياء عليهم السلام انما عصموا من العمل بوسوسه الشيطان فقط فهو يلقي اليهم ولا يعملون بقوله لعصمتهم فليس له على قلوب الانبياء من سبيل فالعصمة حقيقة انما هي من العمل بما يلقي لا من الالقاء لاجل الآية المذكورة في السؤال بخلاف قلوب الاولياء فقد يعملون بما يلقي اليهم ان لم تحفهم عناية الحفظ ولما علم ابليس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم معصوم من العمل بقوله لعصمة قلبه من استشراف ابليس عليه جاءه في الصلاة بشعلة نار مخيلة فرمى بها في وجهه وكان غرض الشيطان ان يفتن بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاته وعن الاقبال عليها لما رأى ماله في الصلاة من الخير اذ هو لعنه الله حسود لبني آدم بالطبع فتأخر النبي صلى الله عليه وسلم الى خلفه ولم يقطع الصلاة وأخبر بذلك أصحابه *(خاتمة ان قلت)* هل يمتنع رسالة نبيين معا في آن واحد الى شخص واحد (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الرابع والعشرين من الفتوحات نعم يمتنع رسالتهما الا ان يكونا ينطقان في رسالتهما بلسان واحد في آن واحد كموسى وهارون عليهما السلام قال تعالى فيهما اذهبا الى فرعون انه طغى فقولا له قولا لينا الى آخر النسق فلم يكن لكل منهما عبارة تخصه دون الآخر لا سيما وموسى عليه الصلاة والسلام يقول عن هارون هو أفصح مني لسانا انتهى والله أعلم

(المبحث الرابع والثلاثون في بيان صحة الاسراء وتوابعه وانه رأى من الله تعالى صورة ما كان يعلمه منه في الارض لا غير وما تغيرت عليه صلى الله عليه وسلم صورة اعتقاده حال كونه في الارض)

اعلم ان الاصل في قصة الاسراء قوله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير قال الشيخ محيي الدين والضمير في قوله انه راجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لا الى البارى جل وعلا واطال في ذلك ثم قال في نقل الحق تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم من مكان الى مكان الا ليريه ما خص تعالى به ذلك المكان من الآيات والعجائب الدالة على قدرته تعالى من حيث وصف خاص لا يعلم من الله تعالى الا بتلك الآية كأنه تعالى يقول ما اسريت بعبدى الا لرؤية الآيات لا الى لانه لا يحويني مكان ونسبة الامكنة الى نسبة واحدة وكيف اسرى بعبدى الي وانا معه حيث كان *(فان قلت)* فما بقي الا أن رؤية الملك في دسكرة

بملائكته وجنوده لعلي في التعظيم وحصول الهيبة من رؤيته وهو متنكر وانما كان تعالى لا يحويه مكان لان المكان المعقول هو من سقف العرش الى تخوم الارضين وذلك كالذرة بالنسبة لما فوق العرش ولما تحت التخوم فان صعد العرش الى ابد الآبدين لا يجد بعده سقفا أو نزل العرش أبد الآبدين لا يجد له ارضا ومن رأى الوجود هذه الرؤية بعد عن القول بالجسمية تعالى الله رب العالمين عن ذلك وقال الشيخ محيي الدين في الباب السابع والستين وثلثمائة ولما أراد الله سبحانه وتعالى ان يرى محمدا صلى الله عليه وسلم من آياته ما شاء انزل الله تعالى اليه جبريل عليه الصلاة والسلام وهو الروح الامين بدابة يقال لها البراق ثباتا للاسباب وتقوية له ليريه العلم بالاسباب ذوقا كما جعل الاجنحة للملائكة ليعلمنا بثبوت الاسباب التي وضعها في العالم والبراق دابة برزخية فانها دون البغل الذي تولد من جنسين مختلفين وفوق الحمار الذي تولد من جنس واحد وذلك لحكمة تعلمها أهل الله تعالى فركبه صلى الله عليه وسلم واخذه جبريل عليه السلام وسار به في الهواء قال الشيخ محيي الدين والبراق للرسل مثل فرس النوبة الذي يخرجه المرسل الى المرسل اليه ليركبه تهمما به في الظاهر وأما في الباطن فمعناه انه لا يصل الى حضرته الا بما كان منه تعالى لا على ما يكون لغيره فهو تشريف وتنبيه لمن لا يدري مواقع الامور منا فجاء صلى الله عليه وسلم الى البيت المقدس ونزل عن البراق وربطه بالحلقة التي تربطه بها الانبياء قبله كل ذلك اثباتا للاسباب فانه ما من رسول الا وقد اسرى به راكبا على ذلك البراق ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم اختص عنهم في اسرائه بامور يعرفها أهل الله عز وجل (فان قلت) فما الحكمة في ربطه صلى الله عليه وسلم مع علمه بانه مأمور (فالجواب) انما ربطه اثباتا لحكم العادة التي اجراها الله تعالى في مسمى الدابة ولو انه أوقفه من غير ربطه بالحلقة لوقف ولكن حكم العادة منعه من ذلك ألا تراه صلى الله عليه وسلم كيف وصف البراق بانه شمس وهو من شأن الدواب التي تركب ولانه قلب بحافره القدح الذي كان يتوضأ به صاحبه في القافلة التي لاقته في طريق مكة فوصف البراق بانه يعثر والعثور هو الذي أوجب قلب الآنية يعني القدح ولما جاء جبريل عليه السلام الى النبي صلى الله عليه وسلم قال له يا محمد اركب فركبه صلى الله عليه وسلم ومعه جبريل وطار به البراق في الهواء واخترق به الجو وعطش صلى الله عليه وسلم واحتاج الى الشرب فأتاه جبريل باناءين اناء لبن واناء خمر وذلك قبل تحريم الخمر فعرضهما عليه فتناول اللبن فقال له جبريل عليه السلام اصبت الفطرة أصاب الله بك امتك ولذلك كان صلى الله عليه وسلم يتأول اللبن بالعلم فلما وصلا الى السماء الدنيا استفتح جبريل فقال له من هذا فقال له جبريل قال من معك قال محمد صلى الله عليه وسلم قال أوقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح فدخل جبريل ومحمد فاذا آدم عليه السلام وعن يمينه اشخاص بنيه السعداء ثمرة الجنة وعن يساره نسم بنيه الاشقياء ثمرة النار ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم صورته هنالك في اشخاص السعداء فشكر الله تعالى وعلم عند ذلك كيف يكون الانسان في مكانين وهو

عينيه لا بخيره فيكان له الصورة للمرئيه فيه الصور المرئية تختلف المرآة الواحدة والمرائي فقال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح ثم عرج في البراق وهو محمول على الرفرف في المنسلة الذي بين السماء الاولى والسماء الثانية فاستفتح جبريل السماء الثانية كما فعل في الاولى وقال وقيل له فلما دخل اذا بعيسى عليه السلام بجسده عينه فانه لم يمت الى الآن بل رفعه الله الى هذه السماء واسكنه فيها وحكمه فيها قال الشيخ محيي الدين وهو شيخنا الاول الذي رجعنا الى الله تعالى على يديه وهو نبينا وله عليه الصلاة والسلام بنا عناية عظيمة لا يغفل عنا ساعة واحدة فرحب وسهل ثم عرج الى السماء الثالثة فاستفتح فقال وقيل له فتح فاذا بيوسف عليه السلام فسلم عليه ورحب به وسهل وجبريل في هذا كله يسمى له ما يراه من هؤلاء الاشخاص ثم عرج به الى السماء الرابعة فاستفتح فقال وقيل له فتح فاذا بادريس عليه السلام بجسمه فانه ما مات الى الآن بل رفعه الله الى هذه السماء وأسكنه فيها قال تعالى ورفعناه مكانا عليا وهو هذه السماء قلب السموات فسلم عليه ورحب وسهل ثم عرج به الى السماء الخامسة فاستفتح فقال وقيل له فتح فاذا بهارون عليه الصلاة والسلام ويحيى بن زكريا فسلما عليه ورحبا به ثم عرج به الى السماء السادسة فاستفتح فقال وقيل له فتح فاذا بموسى عليه السلام فسلم ورحب وسهل ثم عرج به الى السماء السابعة فاستفتح فقال وقيل له فتح فاذا بابراهيم عليه السلام مسند ظهره الى البيت المعمور فسلم عليه ورحب وسهل وسمى له البيت المعمور الضراح فنظر اليه وصلى فيه ركعتين وعرفنا عليه السلام انه يدخله كل يوم سبعون ألف ملك من الباب الواحد ويخرجون من الباب الآخر فالدخول من باب مطالع الكواكب والخروج من باب مغاربها واخبر أن أولئك يخلقهم الله تعالى كل يوم من قطرات ماء الحياة التي تسقط من جبريل حين ينتفض كما ينتفض الطائر عندما يخرج من الماء عند انغماسه في نهر الحياة فان له في كل يوم غمسة فيه ثم عرج به الى سدرة المنتهى فاذا نبقها كالقلال وورقها كآذان الفيلة فرآها وقد غشاها الله تعالى من النور ما غشى فلا يستطيع أحد ان ينعتها لان البصر لا يدركها حتى ينعتها لشدة نورها ورأى يخرج من أصلها أربعة أنهار نهران ظاهران ونهران باطنان فأخبره جبريل ان النهرين الظاهرين النيل والفرات والنهرين الباطنين نهران يمشيان الى الجنة وان النيل والفرات يرجعان يوم القيامة الى الجنة وهما نهر العسل واللبن في الجنة قال الشيخ وهذه الانهار تعطى لشاربها علوما متنوعة يعرفها أصحاب الاذواق في الدنيا وأخبره ان اعمال بني آدم تنتهي الى تلك السدرة وانها مقر الارواح فهي نهاية لما ينزل مما هو فوقها ونهاية لما يعرج اليها مما هو دونها وبها مقام جبريل عليه السلام وهنالك منصته فنزل صلى الله عليه وسلم عن البراق بهذه المنصة وجيء اليه بالرفرف وهو نظير المحفة عندنا فقعد عليه وسلمه جبريل الى الملك النازل بالرفرف فسأله الصحبة ليأنس به فقال له لا اقدر لو خطوت خطوة لاحترقت فما منا الا له مقام معلوم وما اسرى الله تعالى بك يا محمد الا ليريك من آياته فلا تغفل فودعه وانصرف مع ذلك الملك والرفرف يمشي به الى ان ظهر لمستوى سمع فيه صريف القلم والاقلام في الالواح

وهي

الهى تكتب بما يجريه الله تعالى فى خلقه وما تنسخه الملائكة من اعمال عباده وكل قلم للنسخ قال تعالى انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون ثم زج به فى النور زجة فأفرده الملك الذى كان معه وتأخر عنه فلم يره فاستوحش لما لم يره معه وبقى لا يدرى ما يصنع وأخذه هيمان مثل السكران فى ذلك النور وأصابه الوجد فأخذ يميل ذات اليمين وذات الشمال واستفرغه الحال وكان تمايله كتمايل السراج اذا هب عليه نسيم رقيق لا يطفيه وكان سبب الهيمان سماع ايقاع تلك الاقلام وصريفها أى صوتها فى الالواح فأعطت من النغمات المستلذة ما اداه الى ما ذكرنا من سريان الحال فيه وحكمه عليه فتقوى بذلك الحال فعلم أن الرفرف متدلى له الا لكون البراق له مكان لا يتعداه كجبريل عليه السلام لما بلغ الى المكان الذى لا يتعداه وقف فلو أن الحق تعالى أراد بجبريل الصعود فوق ذلك المقام لصعد الا انه لا مثل ما حصل لرسول الله صلى الله عليه وسلم كان عروجه انما كان لعروج البراق بحكم التبعية والحركة القسرية وكذلك المقام الرفرفى لما وصل الى مقام لا يتعداه الرفرف زج به فى النور فغمره النور من جميع نواحيه كما بسطه الشيخ فى الباب الرابع عشر وثلثمائة وسيأتى الكلام على عروج الملائكة فى مبحثها ان شاء الله تعالى ثم انه صلى الله عليه وسلم لما تقوى بالحال اعطاه الله تعالى فى نفسه علما علم به ما لم يكن يعلمه قبل ذلك عن وحى من حيث لا يدرى وجهته فطلب الاذن فى الرؤية بالدخول على حضرة ربه الخاصة فرأى صوتا يشبه صوت أبى بكر وهو يقول يا محمد قف ان ربك يصلى فراعه ذلك الخطاب وقال فى نفسه أربى يصلى فلما وقع فى نفسه هذا التعجب من هذا الخطاب وأنس بصوت أبى بكر رضى الله عنه فتلا عليه هو الذى يصلى عليكم وملائكته فعلم عند ذلك ما هو المراد بصلاة الحق تعالى فلما فرغ تعالى من الصلاة مثل قوله تعالى سنفرغ لكم أيها الثقلان مع انه تعالى لا يشغله شأن عن شأن ولكن لما كان لخلقه لاصناف العالم أزمنة مخصوصة وأمكنة مخصوصة لا يتعدى بها زمانها ولا مكانها لما سبق فى علمه ومشيئته صح قوله تعالى سنفرغ لكم من هذه الحيثية اى فان ربك قد سبق فى علمه انه لا يجمع بين شغلين ترتب أحدهما على الآخر فى آن واحد وظهر بذلك شدة الاعتناء برسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يقيمه فى مقام التفرغ له بحكم التنزل الالهى للعقول فهو تنبيه على العناية به والله أعلى وأجل فى نفس نبيه صلى الله عليه وسلم من ذلك ثم أمر صلى الله عليه وسلم بالدخول لتلك الحضرة الشريفة فأوحى الله تعالى اليه فى تلك الحضرة ما أوحى ورأى عين ما كان يعلم لا غير وما تغيرت عليه صلى الله عليه وسلم صورة اعتقاده وذكر الشيخ رجوعه عليه الصلاة والسلام من تلك الحضرة ومراجعته لموسى فى شأن الصلوات الى ان قال ثم ودع رسول الله صلى الله عليه وسلم موسى وانصرف نازلا الى الارض قبل طلوع الشمس قال الشيخ وكان هذا الاسراء بجسمه الشريف ولو كان الاسراء بروحه صلى الله عليه وسلم ويكون رؤيا رآها كما يرى النائم فى نومه ما انكره أحد من قريش ولا نازعه فيه وانما أنكروا عليه كونه أعلمهم ان الاسراء كان بجسمه الشريف فى تلك المواطن التى دخلها كلها

(فان قلت) فكم كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل المعراج (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الرابع
عشر وثلثمائة انها كانت أربعين وثلاثين [illegible] والباقي [illegible] وأما قال
وهذا يدلك على أن الاسراء ليلة فرض الصلاة كان بالجسم ما ورد في بعض طرق الحديث
انه صلى الله عليه وسلم استوحش لما زج به في النور ولم ير معه أحدا اذ الارواح لا توصف
بالوحشة ولا بالاستيحاش قال وكذلك مما يدل على ان الاسراء كان بجسمه ما وقع له
من العطش فان الارواح المجردة لا تعطش (قال) وانما سمع صوت أبي بكر تأنيساله وقد
اعطت المعرفة بأن الانس لا يكون الا بالمناسب ولا مناسبة بين الحق تعالى وبين
عبيده وان اضيف الى الحق المؤانسة فانما ذلك على وجه خاص يرجع الى الكون فافهم
قال الشيخ وانما خص أبو بكر بذلك لكونه كان يأنس به في الارض فحن لذلك وأنس به
وتعجب من ذلك الصوت في ذلك الموطن لكونه جاء من العالم وقد تركه في الارض
(فان قلت) فهل ثم في المعراج الى السماء بالجسم أو الروح فائدة اخرى غير رؤية الآيات
(فالجواب) نعم ومنها انه اذا مر على حضرات الاسماء الالهية صار متخلقا بصفاتها فاذا مر
على الرحيم كان رحيما أو على الغفور كان غفورا أو على الكريم كان كريما أو على الحليم كان
حليما أو على الشكور كان شكورا أو على الجواد كان جوادا وهكذا فما يرجع من ذلك
المعراج الا وهو في غاية الكمال ومنها شهود الجسم الواحد في مكانين في آن واحد كما رأى
محمد صلى الله عليه وسلم نفسه في اشخاص بني آدم السعداء حين اجتمع به في السماء
الاولى كما مر وكذلك آدم وموسى وغيرهما فانهم في قبورهم في الارض حال كونهم
ساكنين في السماء فانه قال رأيت آدم ورأيت موسى رأيت ابراهيم وأطلق وما قال
رأيت روح آدم ولا روح موسى فراجع صلى الله عليه وسلم موسى في السماء وهو بعينه
في قبره في الارض قائما يصلي كما ورد فيامن يقول ان الجسم الواحد لا يكون في مكانين
كيف يكون ايمانك بهذا الحديث فان كنت مؤمنا فقلد وان كنت عالما فلا تعترض فان
العلم يمنعك وليس لك الاختبار فانه لا يختبر الا الله وليس لك ان تتأول أن الذي في الارض
غير الذي في السماء لقوله عليه الصلاة والسلام رأيت موسى وأطلق وكذلك سائر من
رآه من الانبياء هنالك فالمسمى موسى ان لم يكن عينه فالاخبار عنه كذب انه موسى هذا
والمعترض يقول رأيتك البارحة في النوم ومعلوم ان المرئي كان في منزله على حالة غير
الحالة التي رآه عليها ولكن في موطن آخر ولا يقول له رأيت غيرك ثم ان المعترض ينكر على
الاولياء مثل هذا في تطوراتهم وقد كان قضيب البان يتطور فيما شاء من الصور
في أماكن متعددة وكل صورة خوطب فيها أجاب ان الله على كل شئ قدير ذكره
الشيخ في الباب الرابع والسبعين ومائتين وقال في الباب السابع واربعمائة اعلم أن العبد
محمول بالقدرة الالهية في جميع أحواله لا استقلال له بشئ ولهذا ما اسرى برسول قط
الا على براق اذا كان الاسراء بالجسم المحسوس فان كان الاسراء به في النوم كما يقع
للاولياء فقد يرى نفسه محمولا على مركب وقد لا يرى نفسه محمولا لكن يعلم انه محمول
في الصورة التي يرى نفسه فيها اذ قد علمنا أن جسمه في فراشه وفي بيته نائم (فان قلت)

وهل

فهل يكون الوارث للأنبياء عليهم الصلاة والسلام له فى هذه المرتبة فيكون مجمولا
بالقدرة على الكشف والشهود فى جميع احواله (فالجواب) نعم .. ولذلك قال تعالى فى حق
سيد العبيد على الاطلاق محمد صلى الله عليه وسلم سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من
المسجد الحرام فأقامه فى العبودية المطلقة ونزع منه الدعوى والربوبية على شىء من العالم
وجرّده عن كل شىء حتى عن الاسراء وجعله يسرى به وما أضاف السرى اليه فانه
لو قال سبحان الذى دعا عبده لان يسرى اليه أو الى رؤية آياته فسرى لكان له ان يقول
ذلك ولكن المقام منعه أن يقول فجعله مجبورا لا حظ له فى الدعوى لفعل من الافعال
ومنها أى من فوائد الاسراء أيضا التنويه بشرف مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومدحه نظير تمدّحه تعالى بالاستواء على العرش والتنبيه بذلك على تقديسه فان العرش
أعظم الاجسام لاحتوائه على جميع الموجودات فما فوقه سقف فى العلو ولا أرض تحت
السفل وانما خص الاستواء به لانه غاية مطمح أبصار المؤمنين وأما العارفون من الانبياء
وكمل اتباعهم فيرون هذا العرش بالنسبة لاتساع الوجود كالذرة الطائرة فى الهواء
ليس لها سقف ترسى عليه ولا أرض تنزل عليها انتهى [illegible]
كلام سيدى على بن وفا رحمه الله يصف حاله

وقد نفذت من الاقطار أجمعها . وقد تجاوزت حدّ الخفض والرفع

وقال أيضا ليس الرجل من يقيده العرش وما حواه من الافلاك والجنة والنار وانما
الرجل من نفذ بصره الى خارج هذا الوجود كله وهناك يعرف قدر عظمة موجده
سبحانه وتعالى انتهى وقال الشيخ فى الباب السادس عشر وثلثمائة اعلم انه لما كان
الاستواء على العرش تمدحا لله عزوجل جعل منه تعالى لنبيه كذلك الاسراء على
طريق التمدّح عليه حيث كان العرش أعلى مقام ينتهى اليه من أسرى به من الرسل
عليهم الصلاة والسلام قال وهذا يدل على ان الاسراء كان بجسمه صلى الله عليه وسلم
ولو كان الاسراء رؤيا رآها لما كان الاسراء ولا الوصول الى هذا المقام تمدحا ولا وقع من
الاعراب فى حقه انكار على ذلك لان الرؤيا يصل الانسان فيها الى مرتبة رؤية الله تعالى
وهى أشرف الحالات ومع ذلك فليس لها ذلك الموقع من النفوس [illegible] كل
حيوان له قوة الرؤيا قال وانما قال صلى الله عليه وسلم على سبيل التمدح حتى ظهرت
لمستوى سمعت فيه صريف الاقلام وفى تحرير الغاية الذى هو حتى اشارة لما ذكرناه من
ان منتهى السير بالقدم المحسوس العرش والله تعالى أعلم (خاتمة) ذكر الشيخ فى الباب
العاشر ومائة ما نصه (فان قيل) ما الفرق بين تنزل الوحى على الانبياء عليهم الصلاة
والسلام وبين تنزله على الاولياء فى المنام على يد ملك الالهام (فالجواب) الفرق بينهما ان
تنزل الوحى على النبى يكون على قلبه وعلى ظاهره لكونه نزل به مشهودا [illegible]
الاولياء فيكون بين جنبيهم من وراء حجبهم لان مرتبتهم مستورة [illegible]
لا فى الظهور والى ذلك الاشارة بقول بعض العارفين [illegible]
القرآن أى من الله تعالى فيه تقوم معانيه كلها من طريق الالهام بحكم الارث لرسول الله

صلى الله عليه وسلم ومن استظهر القرآن هكذا فقد أدرجت النبوة بين جنبيه وأطال في ذلك وسيأتي بسط ذلك زيادة على ذلك في مباحث الولاية ان شاء الله تعالى والله تعالى أعلم

(المبحث الخامس والثلاثون في كون محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين كما صرح به القرآن)

اعلم ان الاجماع قد انعقد على انه صلى الله عليه وسلم خاتم المرسلين كما انه خاتم النبيين وان كان المراد بالنبيين في الآية هم المرسلين وعبارة الشيخ محيي الدين في الباب الثاني والستين واربعمائة من الفتوحات قد ختم الله تعالى بشرع محمد صلى الله عليه وسلم جميع الشرائع فلا رسول بعده يشرع ولا نبي بعده يرسل اليه بشرع يتعبد به في نفسه انما يتعبد الناس بشريعته الى يوم القيامة (قلت) وأما اجتهاد الائمة وتشريعهم في الاحكام فذلك باذنه مع ان مادتهم في الاستنباط انما هو شرعه صلى الله عليه وسلم الثابت كتابا كان أو سنة وأعني بالسنة هنا الحديث ويلحق بالسنة كل حكم صدر عن المجتهد من قياس فرع على أصل فانه من السنة أيضا وهو المراد بالاستنباط وأما قياس فرع على فرع فلا يقول به الا المقلدون للائمة فانهم جعلوا قياس الفرع على الاصل أصلا رابعا كما جعلوا الاجماع أصلا ثالثا وقالوا ان الائمة لا تجمع على امر الا وهم يعرفون له دليلا وان لم يذكروه لنا فنحن نقطع بتحريم خرق اجماع الائمة سواء اعلمنا لهم دليلا في ذلك أم لم نعلم والله أعلم (وقال) في الباب الرابع عشر من الفتوحات اعلم ان حقيقة النبي الذي ليس برسول هو شخص يوحى الله اليه بأمر يتضمن ذلك شريعة يتعبد بها في نفسه فان بعث بها الى غيره كان رسولا أيضا وأطال في ذلك ثم قال واعلم ان الملك يأتي النبي بالوحي على حالين تارة ينزل بالوحي على قلبه وتارة يأتيه في صورة جسدية من خارج فيلقي ما جاء به الى ذلك النبي على اذنه فيسمعه او يلقيه على بصره فيبصره فيحصل له من النظر مثل ما يحصل له من السمع سواء قال وهذا باب أغلق بعد موت محمد صلى الله عليه وسلم فلا يفتح لاحد الى يوم القيامة ولكن بقي للاولياء وحي الالهام الذي لا تشريع فيه انما هو بفساد حكم قال بعض الناس بصحة دليله ونحو ذلك فيعمل به في نفسه فقط (قال) ولو ان الوحي على لسان جبريل عليه السلام كان باقيا بعد محمد صلى الله عليه وسلم لكان عيسى عليه السلام اذا نزل لا يحكم بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم وانما يحكم بشرعه الذي يوحى به اليه جبريل وأطال في ذلك (وقال) في الباب العاشر وثلثمائة (اعلم) ان الوحي لا ينزل به الملك على غير قلب نبي أصلا ولا يأمر غير نبي بأمر الهي جملة واحدة فان الشريعة قد استقرت وتبين الفرض والواجب والمندوب والحرام والمكروه والمباح فانقطع الامر الالهي بانقطاع النبوة والرسالة وما بقي أحد من خلق الله تعالى يأمره الله بأمر يكون شرعا يتعبد به أبدا فانه ان امره بفرض كان الشارع أمره به وأخطأ هو في ادعائه نبوة قد انقطعت او نهاه عن حرام كان الشارع نهاه عنه او أمره بمندوب كان الشارع ندبه اليه او نهاه عن مكروه كان الشارع كرهه له

فان

فان قال ان الله أمرني بفعل المباح قلنا له لا يخلو أن يرجع ذلك المباح واجبا في حقك أو مندوبا وذلك عين نسخ الشرع الذي أنت عليه حيث صيرت بالوحي الذي زعمته المباح الذي قرّره الشارع مباحا مأمورا به يعصي العبد بتركه وان أبقاه مباحا كما كان في الشريعة فأي فائدة لهذا الامر الذي جاء به ملك وحي هذا المدّعي فان قال لم يجئني بذلك ملك وانما أمرني الله تعالى به من غير واسطة قلنا له هذا أعظم من الاول فانك اذن ادعيت ان الله تعالى كلمك كما كلم موسى عليه الصلاة والسلام ولا قائل بذلك لا من علماء النقل ولا من علماء الذوق ثم انه تعالى لو كلمك أو قال لك ما كان يلقي اليك في كلامه الا علوما واخبارا لا أحكاما ولا شرعا ولا يأمرك بأمر جملة واحدة انتهى * وقال الشيخ ايضا في الباب الحادي والعشرين من الفتوحات من قال ان الله تعالى أمره بشئ فليس ذلك بصحيح انما ذلك تلبيس لان الامر من قسم الكلام وصفته وذلك باب مسدود دون الناس فانه ما بقي في الحضرة الالهية أمر تكليفي الا وهو مشروع فما بقي للاولياء وغيرهم الاسماع أمرها ولكن لهم المناجاة الالهية وتلك لا أمر فيها وانما هو حديث وسمر وكل من قال من الاولياء انه مأمور بأمر الهي في حركاته وسكناته مخالف لأمر شرعي محمدي تكليفي فقد التبس عليه الأمر وان كان صادقا فيما قال انه سمعه فليس ذلك عن الله وانما هو عن ابليس فظنّ انه عن الله لان ابليس قد أعطاه الله تعالى ان يصوّر عرشا وكرسيا وسماء ويخاطب الناس منه كما مرّ في مبحث خلق الجنّ انتهى وسيأتي بسط ذلك في مبحث الولاية ان شاء الله تعالى فتمهد بان لك ان ابواب الاوامر الالهية والنواهي قد سدّت وكل من ادعاها بعد محمد صلى الله عليه وسلم فهو مدّع شريعة أوحي بها اليه سواء وافق شرعنا أو خالف فان كان مكلفا ضربنا عنقه والا ضربنا عنه صفحا (فان قيل) فهل كان قبل بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم تحجيرا في ادعاء النبوّة (فالجواب) لم يكن في ادعائها تحجير ولذلك قال العبد الصالح خضر عليه الصلاة والسلام وما فعلته عن أمري فانّ زمانه أعطى ذلك وهو على شريعة من ربه اوحي اليه بها على لسان ملك الالهام وقيل بلا واسطة وقد شهد له الحق تعالى بذلك عند موسى وعندنا وزكاه وأما اليوم فالياس والخضر عليهما الصلاة والسلام على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم اما بحكم الوفاق أو بحكم الاتباع وعلى كل حال فلا يكون لهما ذلك الا على سبيل التعريف لا على طريق النبوّة وكذلك عيسى عليه الصلاة والسلام اذا نزل الى الارض لا يحكم فينا الا بشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم يعرّفه الحق تعالى بها على طريق التعريف وان كان نبيا انتهى واعلم ان أمر الحق عز وجل حكمه العموم الا ان يخصه دليل وقد قال تعالى اطيعوا الله واطيعوا الرسول فلم يجعل لاحد بعد بعثة محمد صلى الله عليه وسلم ان يخالف شرعه انما أوجب عليه الاتباع وجعل لمحمد صلى الله عليه وسلم ان يشرع فيأمر وينهى وأما قوله تعالى وأولو الامر منكم فالمراد بطاعتنا لهم فيما اذا أمرونا بمباح أو نهونا عنه لا انهم يشرعون لنا شريعة تخالف شرع محمد الثابت فاذا أمرونا بمباح أو نهونا عنه فاطعناهم فقد أجرنا في ذلك اجر من اطاع أمر الله تعالى فيما

أوجبه من أمر ونهي وهذا من كرم الله تعالى بنا ولا يشعر به غالب الناس بل ربما استهزؤا به والله أعلم * وقال الشيخ في الباب الثامن والثلاثين من الفتوحات لما اغلق الله باب الرسالة بعد محمد صلى الله عليه وسلم كان ذلك من اشد ما تجرعت الاولياء مرارته لانقطاع الوحي الذي كان به الوصلة بينهم وبين الله تعالى فانه قوت أرواحهم انتهى (وقال) في الجواب الخامس والعشرين من الباب الثالث والسبعين اعلم ان النبوة لم ترتفع مطلقا بعد محمد صلى الله عليه وسلم وانما ارتفع نبوة التشريع فقط فقوله صلى الله عليه وسلم لا نبي بعدي ولا رسول بعدي أي ما ثم من يشرع بعدي شريعة خاصة فهو مثل قوله صلى الله عليه وسلم اذا هلك كسرى فلا كسرى بعده واذا هلك قيصر فلا قيصر بعده ولم يكن كسرى وقيصر الا ملك الروم والفرس ومازال الملك في الروم ولكن ارتفع هذا الاسم فقط مع وجود الملك فيهم وسمي ملكهم باسم آخر غير ذلك وقد كان الشيخ عبد القادر الجيلي يقول أوتي الانبياء اسم النبوة وأوتينا اللقب أي حجر علينا اسم النبي مع ان الحق تعالى يخبرنا في سرائرنا بمعاني كلامه وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم ويسمى صاحب هذا المقام من انبياء الاولياء فغاية نبوتهم التعريف بالاحكام الشرعية حتى لا يخطئوا فيها لا غير انتهى (فان قلت) فما الحكم في تشريع المجتهدين (فالجواب) ان المجتهدين لم يشرعوا شيئا من عند أنفسهم وانما شرعوا ما اقتضاه نظرهم في الاحكام فقط من حيث انه صلى الله عليه وسلم قرر حكم المجتهدين فصار حكمهم من جملة شرعه الذي شرعه فانه صلى الله عليه وسلم هو الذي أعطى المجتهد المادة التي اجتهد فيها من الدليل ولو قدر ان المجتهد شرع شرعا لم يعطه الدليل الوارد عن الشارع رددناه عليه لانه شرع لم يأذن به الله والله أعلم (خاتمة) مما يؤيد كون محمد صلى الله عليه وسلم أفضل من سائر المرسلين وانه خاتمهم وكلهم يستمدون منه ما قاله الشيخ في علوم الباب الاحد والتسعين واربعمائة من انه ليس لاحد من الخلق علم يناله في الدنيا والآخرة الا وهو من باطنية محمد صلى الله عليه وسلم سواء الانبياء والعلماء المتقدمون على زمن بعثته والمتأخرون عنها وقد اخبرنا صلى الله عليه وسلم بانه أوتي علم الاولين والآخرين ونحن من الآخرين بلا شك وقد عمم محمد صلى الله عليه وسلم الحكم في العلم الذي أوتيه فشمل كل علم منقول ومعقول ومفهوم وموهوب فاجهد يا اخي ان تكون ممن يأخذ العلم بالله تعالى عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فانه اعلم خلق الله بالله على الاطلاق واياك ان تخطئ احدا من علماء امته من غير دليل وهذا سر نبهتك عليه فاحتفظ به ولا تقل حجرت واسعا وتقول قد يعطي الله تعالى عبده من الوجه الخاص الذي بين كل مخلوق وبين ربه عز وجل من غير واسطة محمد صلى الله عليه وسلم ما شاء من العلوم بدليل قصة الخضر عليه السلام مع موسى الذي هو رسول زمانه لانا نقول نحن ما حجرنا عليك ان لا تعلم مطلقا وانما حجرنا عليك ان لا يكون لك علم ذلك الا من باطنية محمد صلى الله عليه وسلم شعرت بذلك ام لم تشعر قال الشيخ ووافقنا على ذلك الامام أبو القاسم بن قسي في كتابه خلع النعلين وهو من روايتنا عن ابنه عنه بتونس

سنة تسعين وخمسمائة والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب

(المبحث السادس والثلاثون في عموم بعثة محمد صلى الله عليه وسلم الى الجن والانس وكذلك الملائكة على ماسيأتي فيه وهذه فضيلة لم يشركه فيها أحد من المسلمين)

وقد ورد في صحيح مسلم وغيره وارسلت الى الخلق كافة وفسروه بالانس والجن كما فسروا بهما ايضا من بلغ في قوله تعالى واوحى الى هذا القرآن لانذركم به ومن بلغ أى بلغه القرآن وكما فسروا بذلك ايضا العالمين في قوله تعالى تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا قاله الجلال المحلى رحمه الله (فان قلت) فهل تكليف الجن بالشرائع المنزلة من عند الحق تعالى تكليف الزمهم به الحق تعالى ابتداء أو الزموا به انفسهم ايشاركونا في الفضائل فألزمهم الحق تعالى به كالنذر (فالجواب) قد أورد هذا السؤال الشيخ في الباب السادس والستين وثلثمائة وقال لا أدرى انتهى فمن ظفر في ذلك بنقل فليلحقه بهذا الموضع من هذا الكتاب واختلفوا في الملائكة هل أرسل اليهم محمد صلى الله عليه وسلم أم لا فنقل البيهقي في الباب الرابع من شعب الايمان عن الحليمي انه صرح بأنه صلى الله عليه وسلم لم يرسل الى الملائكة ثم انه نقل عن الحليمي أيضا في الباب الخامس عشر بانفكاكهم عن شرعه وفي تفسير الرازى والبرهان النسفي حكاية الاجماع في تفسير الآية الثانية السابقة آنفا على انه صلى الله عليه وسلم لم يكن رسولا اليهم* قال الشيخ كمال الدين بن أبى شريف في حاشيته وفي نقل البيهقي ذلك عن الحليمي اشعار بالتبرى من عهدته وبتقدير أن لا اشعار فيه فلم يصرح بأنه مرضى عنده قال واما الحليمي فانه وان كان من أهل السنة فقد وافق المعتزلة في تفضيل الملائكة على الانبياء وما نقل عنه هنا أى من انه لم يرسل الى الملائكة موافق لقوله بأفضلية الملائكة فلعله بناه عليه واطال الشيخ كمال الدين في ذلك ثم قال ومع ذلك فالا ليق بالعلماء الوقف عن الخوض في هذه المسئلة على وجه يتضمن دعوى القطع في شئ من الجانبين انتهى (قلت) والحاصل ان كلام الاصوليين يرجع الى قولين الاول انه ارسل الى الملائكة والثانى لم يرسل اليهم والذى صححه السبكى وغيره انه ارسل اليهم وزاد البارزى رحمه الله انه ارسل الى الحيوانات والجمادات والشجر والحجر ذكره الجلال السيوطى في أوائل كتاب الخصائص ونقل فيها أيضا عن السبكى انه كان يقول ان محمدا صلى الله عليه وسلم نبى الانبياء فهو كالسلطان الاعظم وجميع الانبياء كامراء العساكر ولو أدركه جميع الانبياء لوجب عليهم اتباعه اذ هو مبعوث الى جميع الخلق من لدن آدم الى قيام الساعة فكانت الانبياء كلهم نوابه مدة غيبة جسمه الشريف وكان كل نبى يبعث بطائفة من شرعه صلى الله عليه وسلم لا يتعداها انتهى* وكان سيدى على الخواص رحمه الله يقول كان صلى الله عليه وسلم مبعوثا الى الخلق أجمعين في عالم الارواح والاجسام من لدن آدم الى قيام الساعة (وسمعته) يقول الملائكة على ثلاثة أقسام

(قسم) ارسل اليهم محمد صلى الله عليه وسلم بالامر والنهي معا وهم الملائكة الارضيون وما بين الارض والسماء الاولى (وقسم) ارسل اليهم بالامر فقط وهم ملائكة السموات فانهم لا يذوقون للنهي طعما انما هم في الامر فقط قال تعالى لا يعصون الله ما أمرهم و يفعلون ما يؤمرون (وقسم) لم يرسل اليهم أصلا لا بأمر ولا نهي وهم الملائكة العالون المشار اليهم بقوله تعالى لابليس استفهام انكار أستكبرت أم كنت من العالين فان هؤلاء الملائكة عابدون لله تعالى بالذات التي جبلهم عليها لا يحتاجون الى رسول بل هم مهيمون في جلال الله تعالى لا يعرفون ان الله تعالى خلق آدم ولا غيره انتهى فليتأمل القسم الاول ويحرر فانه غريب في كلامهم والله أعلم (وسمعته) مرة اخرى يقول ملائكة الارض الى السماء الاولى غير معصومين لان محمدا صلى الله عليه وسلم ارسل اليهم بالنهي ولا يرسل نبي لى أحد بالنهي الا ان كان يتصور وقوعه فيه فان المعصوم لا يحتاج الى رسول ولذلك لم يرسل قط نبي الى نبي ومن سمى ملائكة الارض جنا فهو صحيح لاستتارهم عن العيون قال تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا فقالوا انها بنات الله تعالى عن ذلك قال ومما يؤيد عدم عصمة ملائكة الارض وقوع النزاع منهم في قصة آدم عليه الصلاة والسلام بقولهم أتجعل فيها من يفسد فيها و يسفك الدماء فانهم لم يقولوا ذلك الا عن ذوق وقع لهم في الارض قبل آدم ولولا ذوقهم لذلك ما اهتدوا للاعتراض عليه انتهى وعلم من كلامه سابقا ولاحقا ان من قال انه ارسل الى الملائكة مطلقا بالامر والنهي معا فما حقق الامر ومن قال لم يرسل اليهم مطلقا كذلك فما حقق الامر ومن فصل في ذلك كما تقدم أصاب وهو كلام منزعه الكشف ولم أجده لغيره رحمه الله وقد ذكر القاشاني ما يؤيد القول بعدم عصمة الملائكة الارضية فقال ان قيل كيف وقع من الملائكة نزاع واعتراض في قصة آدم مع عصمتهم وقول الله تعالى صدق قطعا (فالجواب) ان هذا النزاع لم يقع من ملائكة الجبروت والسموات لعصمتهم وانما وقع ذلك من ملائكة الارض وما بينها و بين السماء لكونهم لا عصمة عندهم فان ملائكة الجبروت والسموات لغلبة النورانية عليهم واحاطتهم بالمراتب يعرفون شرف مقام الانسان الكامل وعلو رتبته عليهم عند الله تعالى ولم يأت لنا في كتاب ولا سنة تصريح بأن هذا النزاع وقع من الملائكة السماوية والارضية وانما اخذنا ذلك من معرفة العناصر حين رأينا أهل كل عنصر تحت حكم عنصرهم من نور أو ظلمة فقلنا ان النزاع وقع من ملائكة الارض لغلبة الظلمة عليهم والطبيعة الموجبة للحجاب قال و يؤيد ذلك الاشارة بتخصيص الارض بالذكر في قوله اني جاعل في الارض خليفة فما وقع منهم النزاع الا من علمهم بأحوال أهل الارض فان الملائكة السماوية لا يفسدون ولا يسفكون الدماء بل ليس لاحدهم دم في جسمه يسيل أبدا وأطال في ذلك ثم قال فقد بان لك أن الاعتراض والطعن في آدم لم يصدر من ملائكة الجبروت اذ النزاع لا يكون الا ممن ركب من الطبائع الاربع لما فيها من التضاد اذ المتكون منها لا يكون الا على حكم الاصل انتهى قال بعضهم ولعل مراده بهؤلاء الملائكة

القاطنين بين السماء والارض نوع من الجن سماهم ملائكة اصطلاحا له *(فان قيل) قد وصف الله تعالى الملأ الاعلى بالخصام في قوله ما كان لي من علم بالملأ الاعلى اذ يختصمون وفي قوله في الحديث قلت يارب فيم يختصم الملأ الاعلى الحديث (فالجواب) كما قاله الشيخ في الفتوحات ان خصام هؤلاء ليس هو في الاعتراض على أحكام الله وتقديره في خلقه وانما خصامهم في بيان الافضل من الاعمال كما صرح به الحديث وذلك حتى انهم يتبادرون الى بني آدم يدعونهم بلسانهم ويرغبونهم في فعل ما فيه الاجر العظيم من الاعمال حتى يقدموه على غيره من غير التفات الى غيره مما أجره يسير فهم كالرجلين المتناظرين في مسائل الحيض التي لا نصيب فيها للرجال *(فان قيل) فهل هم في هذا الخصام مسبحون لله تعالى به لكونهم قد وصفهم الله تعالى بأنهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون وذلك لزوال الملل (فالجواب) نعم *هم مسبحون لله تعالى بذلك الخصام وهو من جملة تسبيحهم كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله على كل أحيانه ومعلوم انه كان يتحدث مع الاعراب ويمزح مع الاطفال والعجائز وهو في ذلك ذاكر لله تعالى لا يتحرك ولا يسكن الا في أمر مشروع (فان قلت) فهل ذلك المقام لكل كامل بعده صلى الله عليه وسلم (فالجواب) نعم *لان الله تعالى ما شرع لعباده أمرا الا ليشهدوه تعالى حال العمل بذلك الامر فمنهم من وفى بذلك المقام ومنهم من أتى بعباداته مع الغفلة (فان قلت) فهل يلحق خصام ارباب المذاهب بخصام الملائكة المذكورين في الاجر والثواب (فالجواب) نعم *لكن بشرط أن يكون الجدال والخصام بصريح السنة لا بالفهم وان يكونوا مخلصين في عملهم لا يشوبهم غرض نفساني فان قصدوا مغالبة الخصوم ورد أقوال مذاهبهم فذلك مذموم شرعا فان الله تعالى يقول أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ومن سعى في تفرقة الدين ولو باللازم فقد ضيعه من قيامه وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الجدال في دين الله بغير نص وقال عند نبي لا ينبغي التنازع وحكم تقرير العلماء شرعه من بعده في الادب كحكم حضورهم عنده سواء كما يعلم ذلك العلماء بالله تعالى والله سبحانه وتعالى أعلم

(المبحث السابع والثلاثون في بيان وجوب الاذعان والطاعة لكل ما جاء به صلى الله عليه وسلم من الاحكام وعدم الاعتراض على شيء منه)

اعلم أنه يجب على كل مؤمن ان ينشرح لكل ما شرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما وقد ذكر الشيخ محيي الدين أواخر الحج من الفتوحات ما نصه اياك أن ترى أمورا قد أباحها الشارع صلى الله عليه وسلم فتكره ذلك ويقع في نفسك من فعلها حزازة وتقول لو أن الحكم لي فيها لحجرتها وحرمتها على الناس فترجح نظرك في ذلك على نظر الشارع وتجعل نفسك أرجح ميزانا منه وتنخرط في سلك الجاهلين قال وهذا واقع كثيرا من بعض الناس الذين لم يمارسوا الادب مع الشارع صلى الله عليه وسلم فيغضب على الناس اذا فعلوا بعض المباحات التي أباحها الشارع

ويقول اذا عجز عن كف الناس عنها أى شئ أصنع هذا قد أباحه الشارع ومن يقدر يتكلم فتراه يصبر على حنق وكره فى نفسه على استعمال الناس شرع ربهم وهذا من أعظم ما يكون من سوء الادب وصاحبه ممن أضله الله على علم قال وقد ظهر ذلك من بعض الناس فى العصر الاول وأما اليوم فقد فشا فى غالب الناس ويقولون لو ادرك ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم لمنع الناس منه ونحن نعلم ان الشارع هو الله تعالى ولا يعزب عن علمه شئ ولو كانت اباحة ذلك الامر خاصة بقوم دون آخرين لبينها تعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم فانه صلى الله عليه وسلم مبلغ عن الله احكامه فيما أراده الله تعالى لا ينطق قط عن هوى نفسه ولا ينسى شيئا مما أمره بتبليغه ان هو الا وحى يوحى وما كان ربك نسيا وما قرر تعالى من الشرائع الا ما تقع به المصلحة فى العالم فلا يزاد فيه ولا ينقص منه ومهما زيد فيه أو نقص منه أو لم يعمل بما قرره الشارع فتمد اختل نظام المصلحة المقصودة للشارع فيما نزله وقدره من الاحكام وقد عاب بعض اكابر الصحابة على عائشة رضى الله تعالى عنها فى قولها لو رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما صنع النساء بعده لمنعهن من المساجد كما منعت نساء بنى اسرائيل لايهام هذا القول الاعتراض على الشارع وانه لم يعلم ان ذلك يقع من الناس وأطال الشيخ محيى الدين فى ذلك ثم قال فعلم ان من سلك كمال الادب لا يجد قط فى نفسه حرجا مما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تمنعوا اماء الله مساجد الله قولا عاما اللهم الا ان يحصل من ذلك ريبة ظاهرة فلا منع من المنع وأما على الظن والتوهم فلا فالعاقل لا ينبغى له ان يغار الا فى مواطن مخصوصة شرعها الحق تعالى له لا يتعداها وكل غيرة تعدت ذلك فهى خارجة عن حكم العقل منبعثة عن حكم الهوى فليس لانسان ان يغار على كشف زوجته وجهها فى الاحرام فان الله تعالى قد شرع لها ذلك وأوجب عليها كشفه مع ان الله تعالى اغير من جميع خلقه كما فى الصحيح انّ سعدا لغيور وأنا أغير من سعد والله أغير منى ومن غيرته انه تعالى حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن فمن زاد على ما جعل الحق تعالى غيرته فيه من الفواحش فكانه ادعى انه أغير من الله تعالى لكونه غار فى أمر ليس هو بفاحشة عند الله تعالى وما احسن قوله تعالى ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ولو عرض الانسان حال ايمانه وأدخله فى هذا الميزان لعلم انه بعيد عن مقام الايمان الذى ذكره الله تعالى فى قوله فلا وربك لا يؤمنون الى آخره فان الله تعالى نفى الايمان عمن هذه صفته وأقسم بنفسه عليه أنه ليس بمؤمن وأطال الشيخ فى ذلك ثم قال ولولا تعلق الاعراض النفسانية ما نزلت آية الحجاب فانها انما نزلت باستدعاء بعض النفوس واهل الله عز وجل يفرقون بين الحكم الالهى اذا نزل ابتداء من الله وبين الحكم الالهى اذا نزل مطلوبا لبعض العباد وكأنه تعالى سئل فى تنزيله فأجاب السائل اذ لولا ذلك ما نزل وفى البخارى عن محمد ابن كعب القرظى التابعى الجليل انه كان يقول ان اعظم المسلمين فى المسلمين جرما من سأل عن شئ لم يحرم فحرم على المسلمين من اجل مسئلته وكان صلى الله عليه وسلم يخاف على

أمّته من كثرة تنزل الاحكام لئلا يعجزوا عنها كما قال لمن سأله عن الحج أكل عام يارسول الله قال لا ولو قلت نعم لوجبت ولم يستطيعوا وأطال فى ذم السؤال ثم قال فعلم ان من كمال العارف ان يعتنى بالامر المنزل ابتداء اشدّ من اعتنائه بما نزل بسؤال فالله تعالى يفهمنا مقاصد الشرع حتى لا نخرج عنه ومارجح احد بهواه شيئا سكت الشارع عن بيانه كخطبة العيد فان الشارع فعلها ولم يخبرنا بكونها واجبة اومندوبة فخلاص العبد من اتباع الهوى ان يفعلها على وجه التأسى به صلى الله عليه وسلم بقطع النظر عن كونها واجبة اومندوبة (وسمعت) سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول مامن عالم يأمر الناس بفعل شئ لم يصرح الشارع بالامر به الا تمنى يوم القيامة انه لم يكن رجح شيئا ثم ان المرجحين بأهويتهم خلاف مارجح الشارع رجلان الواحد يغلب جانب الحرمة والثانى يغلب رفع الحرج عن هذه الامّة رجوعا الى الاصل فهذا عند الله اقرب منزلة من الذى يغلب الحرمة اذ الحرمة أمر عارض عرض للاصل ورافع الحرج دائر مع الاصل واليه يعود حال الناس فى الجنان يتبوّءون من الجنة حيث شاؤا وما اغفل أهل الاهواء وان كانوا مؤمنين عن هذه المسئلة وسيندمون اذا انكشف الحجاب فاياك يااخى وهوس الطبيعة فان العبد فيه ممكور به من حيث لا يشعر قال الشيخ وكم تاسينا فى هذا الباب من المحجوبين حيث غلبت اهواؤهم على عقولهم فانا آخذ بحجزهم عن النار وهم يقتحمون فيها وقد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض الصحابة الى طعامه فقال له النبى صلى الله عليه وسلم وهذه واشار الى عائشة رضى الله تعالى عنها فقال الرجل لا فأبى ان يجيبه الى ان انعم له فيها ان تأتى معه فاقبلا يتدافعان يعنى النبى صلى الله عليه وسلم وعائشة الى منزل ذلك الرجل والله تعالى يقول لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة فأين ايمانك اليوم لو رأيت صاحب منصب من قاض أو خطيب أو وزير أو سلطان يفعل مثل هذا تاسيا برسول الله صلى الله عليه وسلم هل كنت تنسبه الا الى سفساف الاخلاق ولو أن هذه الصفة لم تكن من مكارم الاخلاق مافعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه بعث ليتمم مكارم الاخلاق ونظير هذه الواقعة نزوله صلى الله عليه وسلم من فوق المنبر وهو يخطب حتى أخذ الحسن والحسين وصعد بهما المنبر لما رآهما يعثران فى اذيالهما ثم عاد الى خطبته أترى ذلك كان من نقص حال لا والله بل كان من كمال معرفته بربه عزوجل لان ذلك من الشغل بالله لا عن الله وقد عاب العارفون على الشبلى لما سمع قارئا يقرأ ان أصحاب الجنة اليوم فى شغل فاكهون هم وازواجهم فقال انه شغلهم بالجنة عنه تعالى اللهم لا تجعلنى منهم وقالوا للشبلى ان الله تعالى قد ذكر الشغل عن أصحاب الجنة وانهم هم وأزواجهم فى ذلك الشغل وماعرفنا تعالى بمن تفكهوا هم وازواجهم فيماذا يحكم الشبلى عليهم بأنهم اشتغلوا بذلك عن الله عزوجل قال الشيخ محيى الدين وقد عدّ راهذا من قصور نظر الشبلى حيث جرح اهل الجنة ببادى الرأى ولعل ذلك كان فى بدايته واطال فى ذلك ثم قال فعليك يااخى بالغيرة الايمانية الشرعية ولا تزد عليها فتشقى فى الدنيا والآخرة أما فى الدنيا فلا تزال متعوب النفس

فيما لا ينبغي الاعتراض عليه واما في الآخرة ولانه يؤدي الى سؤال الحق تعالى لك عن ذلك وعما ينسحب عليه ومعه من الاعتراض بالمحال على الله تعالى في احكامه وحصول الكراهية في النفس مما أباحه الله تعالى انتهى وقال أيضا في الكلام على صلاة العيدين من الباب الثامن والستين اعلم ان الله تعالى قد شرع الزينة والشغل بأحوال النفوس من أكل وشرب وبعال في يوم العيد فمن ادب المؤمن ان لا يشتغل في هذا اليوم الا بما ذكره الشارع فجميع ما يفعله العبد من المباحات فيه يشبه سنن الصلاة في الصلاة وجميع ما يفعله فيه من النوافل في ذلك اليوم يشبه الاركان في الصلاة فلا يزال العبد في يوم العيدين في افعال تشبه افعال المصلي ولهذا سمي بيوم العيد أي لانه يعود على العبد بالاجر في كل مباح يفعله وهذا أحسن من قول بعضهم انما سمي عيدا لعود السرور فيه كل سنة فانه ربما انتقض بالصلوات الخمس فانها تعود بالسرور كل يوم لوقوف العبد فيها بين يدي الله ولا يقال فيها عيد (فان قلت) ان العيد مرتبط بالزينة قلنا والزينة مشروعة في كل صلاة قال تعالى خذوا زينتكم عند كل مسجد وأيضا فان الصوم في يوم العيد حرام فصار الفطر فيه عبادة مفروضة بعد أن كان مباحا ثم لما كان يوم العيد يوم فرح وسرور وزينة واستيلاء للنفوس على طلب حظوظها من الشهوات ابدلها الشرع في ذلك تحريم الصوم فيه وشرع للناس فيه اباحة اللعب والزينة واقر الحبشة على لعبهم في المسجد يوم العيد ووقف صلى الله عليه وسلم هو وعائشة ينظران الى لعبهم وعائشة خلفه وفي هذا اليوم أيضا دخل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مغنيتان فغنتا في بيته صلى الله عليه وسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع ولما أراد أبو بكر أن يمنعهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعهما يا أبا بكر فانه يوم عيد واطال الشيخ في ذلك ثم قال ولما كان هذا اليوم يوم حظوظ النفوس شرع أيضا تكرار التكبير في الصلاة ليتمكن من قلوب الناس ما ينبغي للحق تعالى من الكبرياء والعظمة لئلا يشغلهم حظوظ نفوسهم عن كمال مراعاة حقه جل وعلا قال وبما قررنا يعرف حكمة ترك التنفل قبل صلاة العيد اذ المقصود في هذا اليوم فعل ما كان مباحا على جهة الندب خلاف ما كان عليه ذلك الفعل في سائر الايام فلا يتنفل في ذلك اليوم سوى بصلاة العيد خاصة لان الحكم اذا كان مربوطا بوقت غلب على ما لم يكن مربوطا بوقت وأيضا فانه انما ندب اللعب والفرح والزينة في هذا اليوم تذكيرا بسرور أهل الجنة ونعيمهم فلا يدخل مع ذلك مندوب آخر يعارضه ثم اذا زال زمان ذلك الحكم المربوط فحينئذ يبادر العبد الى سائر المندوبات ويرجع ما كان مندوبا اليه في ذلك اليوم مباحا فيما عداه من الايام وهذا كله من فعل الحكيم العادل في القضايا فان لنفسك عليك حقا واللهو واللعب والطرب في هذا اليوم من حق النفس فلا تكن يا أخي ظالما لنفسك وأعطها حقها انتهى (فان قلت) فهل يلحق بالسنة الصحيحة في وجوب الاذعان لها ما ابتدعه المسلمون من البدع الحسنة (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثاني والستين ومائتين انه يندب الاذعان لها ولا يجب كما اشار اليه قوله تعالى رهبانية ابتدعوها

ماكتبناها عليهم وكما اشار اليها قوله صلى الله عليه وسلم من سن سنة حسنة فقد
أجاز لنا ابتداع كل ما كان حسنا وجعل فيه الاجر لمن ابتدعه ولمن عمل به مالم يشق ذلك
على الناس واخبر أن العابد لله تعالى بما يعطيه نظره اذا لم يكن على شرع من الله معين
يحشر امة وحده يعني بغير امام يتبعه فجعله خيرا والحقه بالاخيار كما قال في حكيم بن
حزام اسلمت على ما أسلفت من خير وكان سأله عن امور تبررها في الجاهلية من عتق
وصلة رحم وكرم وامثال ذلك وقال أيضا في حق ابراهيم عليه الصلاة والسلام ان ابراهيم
كان امة قانتا لله وذلك قبل ان يوحى اليه وفي الحديث بعثت لاتمم مكارم الاخلاق
فمن كان على مكارم الاخلاق فهو على شرع من ربه وان لم يعلم هو ذلك والله أعلم (فان
قلت) فما المراد بحقيقة قوله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا
فالجواب كما قاله الشيخ في الباب الثالث وأربعين وخمسمائة ان المراد به بيان ما جاء
من الوحي على لسان الرسول وما جاء منه تعالى الى عباده ولكل من الحالتين ميزان
يخصه فما جاءنا على أيدي الرسل وجب علينا أخذه بغير ميزان وما جاءنا من غير
واسطة بيننا وبين الله تعالى أعني من الوجه الخاص بطريق الالهام وجب علينا
أخذه بالميزان فان الله تعالى قد نهى أن نأخذ منه كل عطاء وهو قوله وما نهاكم عنه
فانتهوا فصار أخذك من الرسول أنفع لك وأحصل لسعادتك لعصمته فعلم ان أخذك من
الرسل واجب على الاطلاق وأخذك من الله بطريق الالهام واجب على التقييد لعدم
عصمتك فيما أخذته بغير واسطة فانظر ما أعجب هذا الامر ما تأخذه من الرسول مطلق
مع ان الرسول مقيد وما تأخذه من الله تعالى مقيد مع انه تعالى مطلق فان في هذا ظهور
الاطلاق والتقييد في الجانبين وايضاح ذلك ان تعلم ان الله تعالى ما ارسل رسوله ليمكر بنا
وانما أرسله ليبين لنا ما نزل الينا فلهذا أطلق لنا الاخذ عن الرسول والوقوف عند
قوله من غير تقييد فنحن آمنون فيه من مكر الله عز وجل بخلاف الاخذ من الوجه الذى
بيننا وبين الله تعالى من طريق الالهام ليس أحد على أمان من المكر فيه فربما مكر
الحق تعالى بالعبد من حيث لا يشعر فان له تعالى في عباده مكرا خفيا قال تعالى ومكرنا
مكرا وهم لا يشعرون وقال وهو خير الماكرين ولم يبح للرسل هذه الصفة ولم يجعل لهم
فيها قدما لانهم بعثوا مبينين فبشروا وأنذروا وكل ذلك صدق وأعطى رسوله الميزان
الموضوع فمن أراد السلامة فلا يضع ذلك الميزان من يده فكل ما جاءه من عند الله من غير
واسطة وضعه في ذلك الميزان فان قبله أخذه وعمل به وان لم يقبله أهمله تعالى ومن
عزم على الاخذ عن الله ولا بد فليقل لا خلابة فاذا قال ذلك فان كان من عند الله ثبت
وأخذه وان كان مكرا من الله ذهب من بين يديه بارادة الله فلم يجده عند قوله لا خلابة
اذ الامر كالبيع والشراء وان كان الحق تعالى لا يدخل تحت الشرط هذا يقتضيه مقام
الحق تعالى بالذوق وانما يشترط على الله تعالى من يجهل الله أو يدل عليه حين ظن به خيرا
كما في حديث فليظن بي خيرا واطال الشيخ في ذلك بكلام نفيس وقال في الباب الثامن
والاربعين أيضا في قوله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا أي لا في

جعلت له ان يأمر وينهى زائدا على تبليغ صريح أمرنا ونهينا الى عبادنا وقال فيه أيضا في قوله تعالى أطيعوا الله وأطيعوا الرسول واولى الامر منكم اعلم انه انما لم يكتف بقوله أطيعوا الله عن قوله وأطيعوا الرسول مع انه تعالى قال من يطع الرسول فقد اطاع الله لانه تعالى ليس كمثله شئ فلذلك استأنف القول وصرح بقوله واطيعوا الرسول بخلاف طاعة اولى الامر لم يستأنف فيها بقوله واطيعوا اولى الامر منكم لانهم لا تشريع لهم انما هو بحكم التبع للشارع واطال في ذلك وقال في باب اسرار الصلاة يجب على العبد اذا وعظه ولى الامر بما لم يعمل هو به ان ينقاد لامره ويعمل ولا يقل لا أعمل بذلك حتى تعمل انت به اذ لا يشترط في الداعى ان يكون عاملا بكل ما يدعوا اليه فقد يدعو بما ليس هو عليه في حاله وهو خير من ترك الدعاء على كل حال (فان قلت) فما الحكمة في سلام المؤمنين على النبى صلى الله عليه وسلم في الصلاة مع انه آمن منهم صلى الله عليه وسلم والسلام انما هو أمان (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثالث والسبعين ان الحكمة في ذلك للمؤمنين هو ان مقام الانبياء عليهم الصلاة والسلام يعطى الاعتراض عليهم ولو بالباطن لامرهم الناس بما يخالف اهواءهم كما ان مقامهم يعطى التسليم لهم أيضا فلذلك شرع لنا ان نسلم على نبينا صلى الله عليه وسلم كأنا نقول له أنت يا رسول الله في امان منا أن نعترض عليك في شئ أمرتنا به أو نهيتنا عنه انتهى (فان قلت) فما المراد بقوله تعالى استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم ولم يكتف تعالى بقوله استجيبوا للرسول اذ الشرع ما عرفناه الا منه (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب التاسع عشر وخمسمائة ان الرسول صلى الله عليه وسلم يدعونا من طريقين فان دعانا بالقرآن فهو مبلغ وترجمان وهو حينئذ من دعاء الله تعالى لا من دعاء الرسول فاجابتنا حقيقة انما هي لله وللرسول الاسماع وان دعانا بغير القرآن فالدعاء حينئذ دعاء الرسول فكانت اجابتنا للرسول وان كان لا فرق بين الاجابتين ولا بين الدعاءين وفي الحديث اني شرعت لكم مثل القرآن أو اكثر رواه الطبراني وغيره فاذن علة اجابة الرسل هو السماع لا من قال انه سمع ولم يسمع كما ذكره الشيخ في الباب العشرين وخمسمائة اذ السمع هو عين العقل لما ادركته الاذن بسمعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى فاذا علم ما سمع كان بحسب ما علم فان العلم حاكم قاهر في حكمه لا بد من ذلك وان لم يكن كذلك فليس بعلم ولذلك لم يقدر أحد يعصى الله تعالى وهو يعتقد مؤاخذته على تلك المعصية أبدا انتهى (فان قلت) فهل تخلف احد عن الاذعان لما جاء به الشارع غير الانس والجن ممن بعث اليهم من الملائكة والحيوانات والجمادات والاشجار على ما مر في مبحث عموم بعثته أم الحلف خاص بالانس والجن فالجواب لم يتخلف أحد من سائر من بعث اليهم صلى الله عليه وسلم سوى من تخلف من الجن والانس وقد قال الشيخ في الباب التاسع والاربعين في قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ان الله تعالى لم يخص بالذلة التي هي العبودية احدا غير الثقلين مع انهم لم يكونوا حين خلقهم اذلاء وانما خلقهم ليذلوا في المستقبل وأما ما سوى الثقلين فانه خلقهم اذلاء من اصل نشأتهم ولذلك لم يقع من احد من خلق الله تكبر على الرسل الا الثقلين (فان قلت) فما

تكبير الثقلين على الرسل دون غيرهما فالجواب كما قاله الشيخ في الباب المذكور انما ان سبب تكبرهم كون المتوجه على ايجادهم من الاسماء اسماء اللطف والحنان والرحمة والشفقة والتنزل الالهي فلما ابرزهم الحق تعالى الى هذا الوجود لم يروا عظمة ولا عزا لغيرهم ولا كبرياء ورأوا نفوسهم قد استندت في وجودها الى لطف وعطف فيكون ان الحق تعالى لم يبد لهم شيئا من عظمته ولا كبريائه ولا جلاله ولا جبروته حين أخرجهم الى الدنيا فقالوا ربنا لم خلقتنا فقال تعالى لهم لتعبدوني أي لتكونوا اذلاء بين يدي فلم يروا صفة قهر ولا عزة تذلهم ورأوا الحق تعالى قد اضاف فعل الاذلال اليهم فتكبروا لذلك ولو انه تعالى قال لهم ما خلقتكم الا اذلاء لكم لرأوا الذلة من نفوسهم خوفا من سطوة هذه الكلمة وقهرها كما قال تعالى للسموات والارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين لاجل قوله أو كرها فافهم قال وأما سبب عدم تكبر غير الثقلين فلان المتوجه على ايجادهم من الاسماء الالهية اسماء الجبروت والكبرياء والعظمة والعزة والقهر فلذلك خرجوا اذلاء تحت هذا القهر الالهي فلم يتمكن لاحد منهم ان يرفع رأسه على أحد من خلق الله تعالى فضلا عن رسل الله ولا ان يجد في نفسه طعما للكبرياء على احد من خلق الله تعالى انتهى فتأمله فانه نفيس لا تجده في كتاب والله تعالى أعلم

(المبحث الثامن والثلاثون في بيان ان أفضل خلق الله بعد محمد صلى الله عليه وسلم الانبياء الذين ارسلوا ثم الانبياء الذين لم يرسلوا ثم خواص الملائكة ثم عوامهم ونسكت عن الخوض في تفاضل المرسلين بعد محمد على التعيين الا بنص صريح)

اعلم انه قد اضطربت نقول العلماء فيمن هو الافضل بعد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من المرسلين والملائكة فتكلم كل بما ظهر له من قرائن الاحوال وظواهر الكتاب والسنة لعدم نص صريح يعتمدون عليه اذا علمت ذلك فلنصدر المبحث بكلام أهل الاصول ثم بكلام محققي الصوفية فنقول وبالله التوفيق * قال الامام صفي الدين ابن أبي المنصور الذي نعتقده ان جميع الرسل بعد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أفضل الملائكة بأسرها على خلاف بيننا وبين المعتزلة وان حقائق الملائكة أفضل من عموم النبيين وان عموم النبيين أفضل من جملة الملائكة وان عموم الملائكة أفضل من عموم المؤمنين كل نوع يعتبر فضله بما يقابله من النوع الآخر وان النبوات فاضلة بالمقام فضلا يشمل واسعهم وضيقهم فليس لاحد معهم مشاركة بالمقام النبوي الا بحكم الارث التبعي وسيأتي في المبحث بعده بيان المراد بعموم الملائكة فراجعه انتهى * وعبارة الشيخ كمال الدين بن أبي شريف في حاشيته على شرح جمع الجوامع الافضل بعد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الانبياء ثم الملائكة العلوية انتهى وعبارة صاحب المواقف لا نزاع في ان الانبياء أفضل من الملائكة السفلية الارضية وانما النزاع في الملائكة العلوية السماوية انتهى وعبارة البرماوي رحمه الله الانبياء من بني آدم كالرسل وغيرهم أفضل من الملائكة وخواصهم كالانبياء أفضل من خواصهم وعوامهم أفضل من عوامهم وبنات آدم أفضل من الحور العين انتهى وعبارة شيخ

السنة الاجماع أي [illegible] البشر افضل من الاولياء من
الملائكة [illegible] البشر افضل من عوام الملائكة يعني الصلحاء من البشر افضل من
[illegible] من الملائكة انتهى وليس المراد بالعوام الفسقة اذ الملائكة ليس فيهم فاسق
قاله ابن أبي شريف انتهى وأما عبارة الشيخ محيي الدين فقال في الباب الثالث
والسبعين من الفتوحات اعلم ان المختار عدم التفاضل بين المرسلين على التعيين
بالعقل مع ايماننا بان بعضهم افضل من بعض عند الله تعالى اذ الخوض في مقام المرسلين
غير محمد صلى الله عليه وسلم من الفضول فعلم انا نعتقد تفاضلهم على الابهام ولا بد
لقوله تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ولم يعين لنا من هو الافضل ومعلوم
انه لا ذوق لنا في مقامات الانبياء حتى نتكلم عليها وغاية امرنا ان نتكلم بحسب الارث
المناسب لمقامنا وأين المقام من المقام فلا ينبغي ان يتكلم في مقام الرسول الا رسول
ولا في مقام الانبياء الا نبي ولا في مقام الوارثين الا رسول أو نبي أو ولي أو من هو منهم
هذا هو الادب الالهي ولولا ان محمدا صلى الله عليه وسلم اخبرنا انه سيد ولد آدم
لما ساغ لنا ان نفضله بعقولنا انتهى وقال في الكلام على صلاة الجمعة من الفتوحات
لقد أطلعني الله تعالى على من هو الافضل بعد محمد صلى الله عليه وسلم من الرسل
على الترتيب ولولا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تفضلوا بين الانبياء لعينت
ذلك ولكن تركته لما يؤدي اليه من تشويش بعض القلوب التي لا كشف عند أصحابها
ولكن من وجد نصا صريحا أو كشفا محققا قال به انتهى وقال في الباب الثاني
والستين وار بعمائة لا تعرف مراتب الرسل والانبياء الا من الختم العام الذي يختم الله
تعالى به الولاية المحمدية في آخر الزمان وهو عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام
فهو الذي يترجم عن مقام الرسل على التحقيق لكونه منهم واما نحن فلا سبيل لنا الى
ذلك انتهى وقال في شرحه لترجمان الاشواق لا ذوق لنا في مقام الانبياء حتى نتكلم
عليه انما نراه كما نرى النجوم في السماء كما سيأتي بسطه ان شاء الله تعالى في مبحث الولاية
وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول الخوض في تفاضل الانبياء على التعيين
من غير كشف فضول فان نحو قوله منهم من كلم الله وقوله واتخذ الله ابراهيم خليلا
لا يؤخذ منه تفضيل احدهما على الآخر على القطع للجهل بأي المقامين افضل الخلة
أو الكلام انتهى وسمعته ايضا يقول من فاضل بين الرسل بعقله فقد صدق عليه انه
فرق بين الرسل وقد قال تعالى لا نفرق بين احد من رسله وان كان المراد بالتفريق عند
المفسرين الايمان ببعض والكفر ببعض فافهم انتهى وذكر نحوه الشيخ محيي الدين
في الباب الثالث والسبعين من الفتوحات (فان قلت) فهل فضل الرسل على بعضهم
بعضا من حيث ما هم رسل او غير ذلك (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثامن
والخمسين ومائتين ان الرسل لم يفضل بعضهم بعضا من حيث ما هم رسل وكذلك
الانبياء لم يفضلوا على بعضهم من حيث كونهم انبياء وانما فضل الانبياء والرسل بأحوال
أخر ليست هي عين ما وقع فيه الاشتراك اذ ما من جماعة يشتركون في مقام

الا وهم

لاوهم على السواء فيما اشتركوا فيه هذا هو الاصل وقد يكون ما وقع به المفاضلة يؤدى الى التساوى كما هو مذهب الامام أبي القاسم بن قسي رحمه الله ومن وافقه من الطائفة فيكون كل واحد من الرسل فاضلا من وجه مفضولا من وجه آخر ففضل كل واحد بأمر لا يكون عند غيره وفضل ذلك المفضول بأمر ليس عند الفاضل فيكون المفضول من ذلك الوجه الذى خص به يفضل على من فضله * قال الشيخ محيي الدين والذى عندنا غير ذلك فيجمع لواحد جميع ما عند الجماعة كمحمد صلى الله عليه وسلم فيفضل الجماعة بجميع ما يفضل به بعضهم على بعض لا بأمر زائد فهو أفضل من كل واحد واحد ولا تفاضل فيكون سيد الجماعة بهذا المجموع فلا ينفرد فى فضله قط بأمر ليس عند آحاد الجنس انتهى ثم ان الشيخ نقل كلام ابن قسي فى الجواب التاسع والعشرين من الباب الثالث والسبعين من الفتوحات ثم قال وصاحب هذا القول الذى قاله ابن قسي ومن تبعه ما حرر القول على ما يقتضيه وجه الحق فيه مع انه معدود من أهل الكشف قال والذى نقول نحن به ان معنى المفاضلة المعقولة من قوله فضلنا بعض النبيين على بعض أى اعطينا هذا ما لم نعط هذا وأعطينا هذا ما لم نعط من فضله ولكن من مراتب الشرف فمنهم من فضله الله بأن خلقه بيديه كما يليق بجلاله وأسجد له ملائكته وهو آدم عليه السلام (ومنهم) من فضله بالكلام كموسى عليه السلام ومنهم من فضله بالخلة كابراهيم ومنهم من فضله بالصفوة وهو يعقوب عليه السلام فهذه كلها صفات مجد وشرف لا يقال ان خلقه أشرف من كلامه ولا كلامه أشرف من صفة خلقه بيديه لان ذلك كله راجع الى ذات واحدة لا تقبل الكثرة ولا العدد وأيضا فان جميع المراتب مرتبطة بالاسماء الالهية والحقائق الربانية ومن فاضل فكانه يقول الاسماء الالهية بعضها أشرف من بعض ولا قائل بذلك لا شرعا ولا عقلا انتهى وأما التفاضل والخلاف المنصوب بين الاشعرية والمعتزلة من قولهم الملك أفضل من خواص البشر وعكسه فقد قال الشيخ محيي الدين فى كتابه لواقح الانوار لم يظهر لى وجه الخلاف فى التفاضل بين خواص البشر والملائكة لان من شرط التفاضل ان يكون بين جنس واحد والبشر والملك جنسان فلا يقال مثلا الحمار أفضل من الفرس وانما يقال هذا الحمار أشرف من هذا الحمار اللهم الا ان يقال ان التفاضل حقيقة انما هو فى الحقائق التى هى الارواح وأرواح البشر ملائكة فالملك اذا جزء من الانسان فذلك كالكل من الجزء والجزء من الكل انتهى فليتأمل هذا وما قبله من كلامه ويحرر وقال فى الباب السابع والاربعين من الفتوحات مما غالط فيه جماعة قولهم انما كان ابن آدم أفضل من الملك لكون ابن آدم له الترقى فى العلم والملك لا ترقى له ولم يقيدوا صنفا ولا مرتبة من المراتب التى يقع بها التفاضل الا كون ابن آدم يترقى بخلاف الملك قال وسبب غلطهم عدم الكشف ولو كشف لهم لرأوا الترقى فى العلم لازما لكل حيوان من الانس والجن والملائكة وغيرهم ممن اتصف بالموت دنيا وبرزخا وآخرة ولو ان الملائكة لم يكن لها ترق فى العلم وحرمت المزيد فيه ماقبلت الزيادة من آدم حين علمها الاسماء كلها فانه زادهم علما

لهيا بالاسماء لم تكن عندهم [illegible] (فان قلت) فالملائكة
مساوون لنا فى الترقى بالعلم (فالجواب) نعم بخلاف الترقى بالعمل فلا أعمال لهم يترقون بها
كما لا نترقى نحن فى الجنة بالاعمال التى نفعلها هناك لزوال التكليف فنحن واياهم فى ذلك
سواء فى الآخرة (فان قلت) فهل ترقينا بالعلوم والاعمال من باب الشرف لنا على غيرنا
أو من باب الابتلاء (فالجواب) كما قاله الشيخ محيى الدين ان ذلك من باب الابتلاء ليبلونا
الحق به تعالى لا غير ولم يفهم ذلك من قال الكامل من البشر أفضل مطلقا من حيث ترقيه
ولو علموا ان ذلك ابتلاء ما فضلوا به انتهى * وقال الشيخ فى اواخر الباب السابع والستين
وثلثمائة مما يؤيد قول الاشعرية ان خواص البشر اشرف من غيرهم كون الحق تعالى
من حين خلق آدم ما رؤى فى المنام قط الا على صورته لشرفها واستقامتها وكان قبل
خلق آدم يتجلى للرائى فى المنام فى كل صورة فى العالم ومن هنا يعلم ان المقصود من
العالم كله انما هو الانسان الكامل فان الله تعالى لما خلقه كانت حقائقه كلها متبددة
فى العالم كله فناداها الحق تعالى من جميع العالم فاجتمعت فكان من جميعها الانسان
فهو الخليفة الاعظم وخزانة علم الله تعالى انتهى (فان قلت) فاذا كان الملك يترقى كالبشر
فما معنى قول جبريل وما منا الا له مقام معلوم وهل جميع الخلق غير الملك لهم كذلك
مقام معلوم او ذلك خاص بالملك (فالجواب) نعم لكل مخلوق فى علم الله تعالى مقام معين
مقدر مغيب عن ذلك المخلوق واليه ينتهى كل شخص بانتهاء نفسه فآخر نفس في شخص
هو مقامه المعلوم الذى يموت عليه ولهذا دعوا الى السلوك فسلكوا اما لموا باجابة الدعوة
المشروعة وشغلا باجابة الامر الارادى من حيث لا يعلمون الا بعد وقوع المراد فكل
شخص من الثقلين ينتهى فى سلوك المقام الذى عين له فمنهم شقى وسعيد فكل مخلوق
سواهما فى مقامه لم ينزل عنه فلم يحتج ان يؤمر بالسلوك اليه لاقامته فيه سواء كان
ذلك ملكا او حيوانا أو معدنا أو نباتا فهو سعيد عند الله تعالى لا شقاء يناله فقد بان لك
ان الثقلين داخلان فى قول الملائكة وما منا الا له مقام معلوم والله أعلم * واعلم يا اخى ان
القول بتفضيل الملائكة على خواص البشر قد نسب للشيخ محيى الدين وهو الذى
رأيته فى نسخ الفتوحات بمصر وقد قدمنا فى الخطبة ان نسخ مصر مما دس فيها على الشيخ
والذى رأيته فى النسخة المقابلة على نسخة الشيخ بقونية المروية عنه بالاسناد ان خواص
البشر أفضل من خواص الملائكة ويؤيده ما قاله الشيخ من الشعر أول الباب الثالث
والثمانين وثلثمائة من تفضيل محمد صلى الله عليه وسلم على خواص الملائكة
بعد كلام طويل *

وليس يدرك ما قلنا سوى رجل * قد جاوز الملأ العلوى والرسلا
ذاك الرسول رسول الله أحمدنا * رب الوسيلة فى اوصافه كملا * انتهى

فاياك أن تنسب الى الشيخ القول بمذهب أهل الاعتزال الشامل لتفضيل الملك على
رسول الله صلى الله عليه وسلم والله يتولى هداك

المبحث

المبحث التاسع والثلاثون في بيان صفة الملائكة واجنحتها وحقائقها وذكر نفائس تتعلق بها لا توجد في كتاب احد ممن صنف في الملائكة فان منزع هذا المبحث الكشف والنقول فيه عزيزة

اعلم انه قد تقدّم في المبحث الثالث والثلاثين نفائس في بيان نزول الملائكة بالوحي فراجعه والذى يخصنا هنا ان تعلم ان الملائكة عند اهل الحق اجسام لطيفة ولهم قوة التشكل والتبدل قادرون على الافعال الشاقة عباد مكرمون مواظبون على الطاعات معصومون من المخالفات والفسق لا يوصفون بذكورة ولا انوثة كما سيأتي ايضاحه في هذا المبحث ان شاء الله تعالى (فان قلت) هل النجوم والشمس والقمر املاك اومنصات املاك (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الستين من الفتوحات ان جميع النجوم والشمس والقمر مراكب للملائكة وذلك لان الله تعالى قد جعل في السموات نقباء من الملائكة وجعل لكل ملك نجما هو مركب له يسبح فيه وجعل الافلاك تدور بهم في كل يوم دورة فلا يفوتهم شئ من احوال المملكة السماوية والارضية واملاك هذه المنصات منهم جنود وامراء ووزراء وملوك وأطال في ذكرهم ثم قال فكل سلطان لا ينظر في احوال رعيته ولا يمشي بالعدل بينهم ولا يعاملهم بالاحسان الذى يليق بهم فقد استحق العزل (فان قلت) فهل بين ولاة السموات وولاة الارض مناسبات ورقائق تمتد بهم الى ولاة اهل الارض بالعدل مطهرة من الشوائب مقدّسة من العيوب فتقبل ارواح هؤلاء الولاة الارضيين من ارواح الملائكة ورقائقها بحسب استعداداتهم فمن كان من ولاة الارض استعداده قويا حسنا قبل ذلك الامر الذى امتدّ اليه من رقائق الملائكة طاهرا مطهرا من الشوائب على صورته من غير تغيير فكان والى عدل وامام فضل واما من كان استعداده رديا فانه يقبل ذلك الامر الطاهر فيرده الى شكله من الرداة والقبح فكان والى جوهر ونائب ظلم فلا يلومن الا نفسه انتهى وقد بسط الشيخ الكلام على ذلك في التنزلات الموصلية (فان قلت) فهل في قوة الملك ان يتطور كيف شاء كالجن (فالجواب) نعم كما مر اول المبحث (فان قلت) فهل في قدرة الكامل من البشر ان يظهر في صورة غيره كالملائكة (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الحادى عشر وثلثمائة ان في قوة الكامل من البشر كقضيب البان وغيره ان يظهر في صورة غيره من البشر وليس في قوة الكامل من الملائكة ان يظهر في صورة غيره من الملائكة فلا يقدر جبريل يظهر في صورة اسرافيل ولا عكسه فعلم ان في قوة الانسان ما ليس في قوة الملك (فان قلت) فأي الملائكة اكبر مقاما على الاطلاق كما هو الحال في محمد صلى الله عليه وسلم (فالجواب) لم نطلع من ذلك على نص ولا ينبغي لاحد أن يفاضل بعقله بين الملائكة السماوية ولا غيرهم فلا يقال جبريل أفضل من اسرافيل ولا أفضل من ميكائيل ولا عزرائيل أفضل من اسمعيل الذى هو ملك السماء الدنيا الا بنص صريح (فان قلت) فهل يوصف الملاء الاعلى بانهم انبياء أو أولياء كالبشر (فالجواب) لا يوصف الملاء الاعلى بانهم انبياء أو أولياء لانهم لو كانوا انبياء أو أولياء ما جهلوا

الاسماء التى علمها الهم آدم عليه السلام اذ معرفة الله تعالى تكون بحسب المعرفة بأسمائه وجهل العبد به يكون بحسب جهله بها (فان قلت) فهل جميع الملائكة من عالم الخير فان قلتم بذلك فكيف قالوا اللهم اعط ممسكا تلفا ودعوا على مال المؤمن بالاتلاف (فالجواب) كما قاله الشيخ فى باب الزكاة من الفتوحات ليس ذلك دعاء على مال المؤمن بالاتلاف الذى يتألم منه المؤمن وانما هو دعاء له بان ينفقه فى مرضاة الله عز وجل فيؤجر عليه كما يؤجر المنفق اختيارا لان الملك من عالم الخير لا يدعو على مؤمن بما يضره فمعنى قوله اللهم اعط ممسكا تلفا أى اجعل الممسك ينفق ماله فى مرضاتك فتخلفه عليه وان كنت يا ربنا لم تقدر فى سابق علمك ان ينفقه باختياره فاتلف ماله عليه حتى تأجره فيه أجر المصاب ليصيب خيرا فهو دعاء له بالخير كامرلا كما يظنه من لا معرفة له بمقام الملائكة فان الملك لا يدعوا بشر لا سيما فى حق المؤمن بوجود الله وتوحيده وبما جاء من عنده قال الشيخ ولا شك ان دعاء الملك مجاب لوجهين الاول لطهارته والثانى كونه دعاء فى حق الغير فهو دعاء لصاحب المال بلسان لم يعص الله به وهو لسان الملك فعلم ان المراد بالاتلاف الانفاق لكنه أى الملك غاير بين اللفظين والله أعلم (فان قلت) فهل فى قوة البشر أن ينزل الملك من السماء بالاقسام عليه بالله تعالى كما يفعله أهل الرصد (فالجواب) ليس فى قوة البشر أن ينزل واحدا من الاملاك من السماء بأقسام عليه أو غير ذلك لقوله تعالى وما نتنزل الا بأمر ربك فلا يؤثر فى مثل هؤلاء الذين لا يتنزلون الا بأمر الرب خاصة نبات ولا اقسام عليهم بالله عز وجل كما ذكره الشيخ فى الباب الخامس والعشرين قال وهذا بخلاف أرواح الكواكب السماوية فانها تتنزل بالاسماء والبخورات واشباه ذلك لانه تنزل معنوى ومشاهدة صور خيالية فان ذات الكواكب لم تبرح فى السماء عن مكانها وانما جعل الله تعالى لمطارح شعاعها فى عالم الكون والفساد تأثيرات عند العارفين بذلك لكن باذن الله تعالى كوجود الرى عند شرب الماء والشبع عند الاكل ونبات الحبة عند دخول الفصل بنزول المطر والصحو حكمة أودعها الحكيم العليم (فان قلت) فما المراد بقوله تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا هل هو الجن أو الملائكة كما هو المشهور من قولهم فى الملائكة انهم بنات الله تعالى عن ذلك فالجواب المراد بالجنة هنا الملائكة وسموا جنة لاستتارهم عن العيون مع كونهم يحضرون معنا فى مجالسنا ولا نراهم لان الله تعالى جعل بينهم وبين اعين الناس حجابا مستورا فكما ان الحجاب مستور عنا فهم كذلك مستورون بالحجاب عنا فلا نراهم الا اذا شاؤا أن يظهروا لنا ذكره الشيخ فى الباب التاسع والستين وثلثمائة قال فيه ولا يخفى ان الجنة من الملائكة هم الذين يلازمون الانسان ويتعاقبون فينا بالليل والنهار ولا نراهم عادة ولكن اذا أراد الله عز وجل لاحد من الانس ان يراهم من غير ارادة منهم لذلك رفع الله الحجاب عن عين الذى يريد الله أن يدركهم فيدركهم وقد يأمر الله الملك بالظهور لنا فنراهم أو يرفع الغطاء عنا فنراهم رأى العين لكن لا يصح كلامهم لنا اذا رأيناهم فان ذلك من خصائص الانبياء وأما الولى فان رأى الملك لا يراه مكلما له وان

كلمه

كله الملك لا يرى شخصه فلا يجمع بين الرؤية والكلام الا نبي (فان قلت) فهل للملك حظ في الشقاء (فالجواب) لا حظ للملك في الشقاء وأما ما نقل عن هاروت وماروت فلا يصح منه شئ فالشقاء والسعادة خاصان بالجن والانس والسلام (فان قلت) فما السبب الذي امرت الملائكة بالسجود لآدم لاجله هل هو لكونه في احسن تقويم أو لتعليمهم الاسماء (فالجواب) كما قاله الشيخ في علوم الباب التاسع والستين وثلثمائة ان سجود الملائكة لآدم ليس لاجل تعليمهم الاسماء وانما ذلك لاجل كونه في احسن تقويم وسيأتي قريبا ان سبب السجود كان عن اغضاب خفي على الملائكة (فان قلت) فلم امروا بالسجود لآدم قبل ان يعرفوا فضله عليهم (فالجواب) انما امروا بذلك قبل ان يعرفوا فضله عليهم بما علمه الله له من الاسماء امتحانا للملائكة ولو أن السجود كان بعد ظهوره بالعلم ما ابى ابليس ولا قال انا خير منه ولا استكبر عليه ولهذا قال اسجد لمن خلقت طينا وقال خلقتني من نار وخلقته من طين والنار اقرب الى اسمك النور من الطين لاضاءتها (فان قلت) فاذن ما كان اعلام الله تعالى الملائكة بخلافة آدم الا بعد ما اخبر الله تعالى عنهم (فالجواب) نعم ولهذا قال في قصته واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فأتى بالماضي من الافعال وبادات اذ وهي لما مضى من الزمان فاجعل بالك من هذه المسئلة لتعلم فضل آدم بعلمه على فضله بالسجود له لمجرد ذاته ولتعلم أيضا لماذا نهى الشرع ان يسجد انسان لانسان فانه سجود الشئ لنفسه فانه مثله والشئ لا يخضع لنفسه وقد نهى الشارع صلى الله عليه وسلم عن الانحنا أيضا وأمرنا بالمصافحة (فان قلت) فهل كان الامر بالسجود لآدم ابتلا للملائكة أولأمر آخر (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الحادي والاربعين وثلثمائة ان ذلك ابتلا من الله للملائكة عن اغضاب خفي لا يشعر به الا العلماء بالله عز وجل لانها اعترضت على الحق تعالى في جعله آدم خليفة في الارض ولو انها ما اعترضت ما ابتليت بالسجود لآدم الذي هو عبد الله عز وجل قال الشيخ وهكذا كل مؤاخذة وقعت بالعالم لا تكون الا بعد اغضاب خفي أو جلي لان الله تعالى خلق العالم بالرحمة المتوجهة على ايجاده وليس من شان الرحمة الانتقام بخلاف الغضب فان من شأنه الانتقام ولكنه على طبقات قال وحيث وقع الانتقام فهو تطهير الا للكفار وهذا من علوم الاسرار فاحتفظ به انتهى (فان قلت) قد ورد صفوا يعني في الصلاة كما تصف الملائكة عند ربها يعني خلف امامها وورد انها تصف خلف امامنا فاذن امامنا عند ربها أيضا (فالجواب) نعم وايضاحه ان الملائكة تصف خلفنا فهي في هذا الحال عند الامام المصلي بها وهي لم تزل عند ربها فالامام لنا مكان آدم فامامنا يسجد لله والله تعالى في قبلة الامام كما يليق بجلاله والامام قبلة الملائكة فما زال سجود الملائكة لآدم وبنيه في كل صلاة كما سجدوا لابيهم آدم فلا تزال الخلافة في بني آدم ما بقي منهم مصل الى يوم القيامة ذكره الشيخ في الباب السابع والاربعين وثلثمائة وقال فيه ان الشأن الالهي والامر اذا وقع في الدنيا لم يرتفع حكمه الى يوم القيامة وقد وقع السجود لآدم من الملائكة

فبقى سجودهم لذريته خلفه كل من يصلى الى يوم القيامة كما نسى آدم فنسيت ذريته
وكما جحد فجحدت ذريته وكما قتل قابيل أخاه هابيل ظلما فمازال القتل فى بنى آدم ظلما الى
يوم القيامة فكل مصل امام للملائكة والملائكة خلفه تسجد الى جهته (فان قلت) فما
الفرق بين السجودين اعنى سجودهم لآدم وسجودهم لاولاده (فالجواب) من الفرق
بين آدم وبنيه ان الملائكة اذا سجدت خلف بنيه انما تسجد لسجود بنى آدم فى القراءة
والصلاة وأما سجودهم لآدم فهو سجود المتعلم للعلم فاجتمعا فى السجود وافترقا فى السبب
والله اعلم (فان قلت) فلم يقف النبى صلى الله عليه وسلم عن يمين جبريل لما صلى
خلفه كما هو شأن المنفرد (فالجواب) انما لم يقف عن يمينه لان النبى صلى الله عليه
وسلم رأى الملائكة خلف جبريل ببصره فوقف فى صفهم ولولا انه لم ير صف الملائكة
لوقف عن يمين جبريل وكذلك ينبغى ان يقال فى الجواب عن الرجل الذى صلى
خلف النبى صلى الله عليه وسلم وامره بالوقوف عن يمينه لو كان يشاهد الملائكة
الذين كانوا يصلون خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أمره بالوقوف عن يمينه
فراعى صلى الله عليه وسلم حكم مقام ذلك المأموم وليس حكم من لم يشاهد الامور مثل
حكم من يشاهدها والمقصود بما ذكرناه كله اعلامك بان السجود من الملائكة
خلف بنى آدم ما ارتفع وان الامامة ما ارتفعت من آدم الى آخر مصل والملائكة تبع لهذا
الامام فنحن عند الله فى حال امامتنا كامر والملائكة تبع لامامنا والملائكة عندنا
بالاقتداء فهى عند ربها لان الامام وهذه الملائكة عنده وكل صف امام لمن خلفه
بالغا ما بلغ (فان قلت) فهل تتقرب الملائكة الى ربها بالنوافل كما يتقرب البشر (فالجواب)
كما قاله الشيخ فى الباب الحادى والعشرين واربعمائة انه ما ثم ملك يتقرب الى الله
تعالى بنافلة ابدا انما هم فى الفرائض دائما ففرائضهم قد استغرقت انفاسهم فلا نفل
عندهم (فان قلت) فإذن هم ناقصون عن مقام البشر لفقدهم المقام الذى اخبر الحق
تعالى انه يكون فيه سمعهم وبصرهم الى آخر النسق كما يليق بجلاله (فالجواب) نعم
فهم عبيد اضطرار ونحن عبيد اضطرار واختيار فنقصوا بذلك عن مقامنا كما نقصوا عنا
أيضا من حيث انه ليس لهم فكرة وانما لهم عقل فقط ففاتهم ثواب الفكر فى مصنوعات
الله وعدموا كون الحق تعالى سمعهم وبصرهم كما فاتهم أيضا ثواب اجتناب النهى
لانهم لا يذوقون له طعما لعصمتهم انتهى (فان قلت) فما المراد بقوله تعالى وان عليكم
لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون وقوله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب
عتيد هل المراد بالرقيب العتيد هما الكاتبات (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب
الرابع والاربعين وخمسمائة ان الملكين الكاتبين هما الرقيب والعتيد من ملائكة
الليل والنهار فهم يكتبون كلما تلفظ به العبد ولا يكتبون غير ذلك فان العبد اذا تلفظ
رمى به فى الهواء وبعد ذلك يتلقاه الملك فان الله تعالى عند قول كل قائل فى حين قوله
فيراه الملك نورا قد رمى به هذا القائل الذى الحق الله تعالى عند لسانه فيأخذه الملك
ادبا مع القول فيحفظه له عنده الى يوم القيامة فعلم ان الحفظة تعلم ما يفعل العبد بنص

القرآن ولكنها لا تكتب له عملا حتى يتلفظ به فاذا تلفظ به كتبته فهم شهود أقوال وسبب ذلك عدم اطلاعهم على مانواه العبد فى ذلك الفعل ولهذا كانت ملائكة العروج بالاعمال تصعد بعمل العبد وهى تستقله فيقبل منها ويكتب فى عليين وتصعد بالعمل وهى تستكثره فيقال لهم اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه فانه لم يرد به وجه الله الحديث بمعناه وقال تعالى وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء فلو علمت الحفظة ما فى نية العبد عند العمل ما ورد مثل هذا الخبر فالنية بالقلب لا يعلمها الا الله ثم صاحبها فالملك يكتب حركة العبد حتى حركة لسانه فاذا تلفظ فالله شهيد لانه تعالى عند قول عبده على الحقيقة بالاعتنا الا عند عبده فهذه السكينونة الالهية هى التى تحدث بحدوث السكون فى الشهود وسبب ذلك انه تكوين والتكوين لا يكون الا عند القول الالهى فى كل كائن فجميع ما يتكون فى الكون فعن القول الالهى فليس بين الحق تعالى وبين العبد مناسبة أعم ولا اتم من مناسبة القول ولهذا اوردان الله عند لسان كل قائل فان الكون الذى هو القول مفارق قائله فان لم يكن الحق تعالى عنده ضاع القول فلابد من كون الحق تعالى عنده لينشئه صورة قائمة الخلقة كما يقبل تعالى الصدقة فيربيها حتى تكون كالجبل العظيم انتهى (فان قلت) قد قال العلماء ان الملائكة يكتبون الاعمال أيضا لكون الله تعالى اخبرانهم يعلمونها وما يعلمونها الا ليكتبوها (فالجواب) لم نعلم لقولهم هذا دليلا من القرآن فمن ظفر بدليل صريح فليلحقه بهذا الموضع والله أعلم (فان قلت) فما المراد بالملائكة المشار اليهم بقوله تعالى له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله هل هم الحفظة أو غير ذلك (فالجواب) المراد بهؤلاء الملائكة ملائكة التسخير الذين يكونون مع العبد بحسب ما يكون العبد عليه فهم تبع له وليس المراد بهم الحفظة والله اعلم (فان قلت) فما المراد بقوله تعالى فى صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بأيدى سفرة كرام بررة (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الستين ومائة ان المراد بالصحف المكرمة هى علم الرسالة والمراد بالسفرة هم الرسل من الملائكة ومعنى بررة أى محسنون فهم سفراء الحق تعالى الى الخلق ورئيسهم الاكبر جبريل عليه الصلاة والسلام فاذا أراد الله تعالى انفاذ أمر فى خلقه أوحى الى الملك الاقرب الى مقام تنفيذ الاوامر وهو الكرسى فيلقى الله تعالى ذلك الامر على وجوه مختلفة ثم يأمره بأن يوحى به الى من يليه ويوحى اليه ان يوحى الى من يليه وهكذا الى سماء الدنيا وينادى ملك الماء فتوضع تلك الرسالة فى الماء وينادى ملائكة الماء وهم ملائكة القلوب فيلقونها فى قلوب العباد فيعرف الشياطين ما جاءت به الملائكة وتأتى بأمثاله الى قلوب الخلق فتنطق الالسنة بما تجده فى القلوب وهى الخواطر قبل التكوين بأنه كان كذا واتفق كذا فما لم يكن فما يكون منه بعد الكلام به فكذلك مما جاءت به الملائكة وما لم يكن فهو مما القته الشياطين ويسمى ذلك فى العالم الارجاف وتقول عنه العامة انه مقدمات التكوين ثم ان ملك الماء اذا ألقى ما أوحى به اليه فى الماء فلا يشرب من ذلك الماء حيوان الا ويعرف ذلك السر الا الثقلين انتهى (فان قلت) فهل للملائكة آخرة كالانس والجن

أم لا (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثامن عشر وخمسمائة انه ليس للملائكة آخرة وذلك انهم لا يموتون فيبعثون وانما هو صعق وافاقة كالنوم والافاقة منه عندنا وذلك حال لا يزال عليه الممكن في التجلي الا في دنيا وآخرة والاجمال هنالك عند الملائكة عين المتشابه عندنا ولهذا يسمعون الوحي كأنه سلسلة على صفوان وعند الافاقة يقع التفصيل الذي هو نظير المحكم فينا فالامر فينا وفيهم آيات متشابهات وآيات محكمات فهم الابتلاء والفتنة بالاجمال والمتشابه المذكورين الملأين الاعلى والاسفل (فان قلت) فهل تتفاضل الملائكة في العلم بالله تعالى (فالجواب) نعم * لكن من غير فرق لانهم على مقامات لا يتعدونها كما مر فالمفضول منهم يستفهم من العالم كما في قولهم ماذا قال ربكم قالوا الحق وايضاح ذلك ان الملائكة ارواح في انوار ولها اجنحة فاذا تكلم الحق تعالى بالوحي على صورة خاصة وتعلقت به اسماعهم كأنه سلسله على صفوان كما مر ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا وتصعق حتى اذا فزع الله عن قلوبهم وهو افاقتهم من صعقتهم قالوا ماذا أي يقول بعضهم لبعض ماذا فيقول بعضهم قال ربكم كذا اعلاما بأن كلام الله عين ذاته فيقول بعضهم لهذا القائل الحق أي الحق يقول وهو العلي الكبير عن هذا التشبيه فانتهى كلام الملائكة الى قوله قالوا الحق فقال الله وهو العلي الكبير نظير قوله ليس كمثله شئ والله اعلم (فان قيل) فهل للعالم البشري التصرف في عالم الصور وعالم الانفس المدبرين لهذه الصور (فالجواب) نعم * كما قاله الشيخ في الباب السادس والستين وثلثمائة قال وماعدا هذين الصنفين فما للعالم البشري عليهم حكم لكن من أراد منهم أن يحكم من شاء على نفسه كعالم الجان فله ذلك فعلم ان العالم النوري من الملائكة خارجون عن أن يكون للعالم البشري عليهم ولاية لان كل واحد منهم على مقام معلوم عينه له ربه فما ينزل عنه الا بأمر ربه فمن أراد أن ينزل واحدا منهم فليتوجه في ذلك الى ربه وربه يأمره ويأذن له في ذلك اسعافا لهذا السائل أو ينزل عليه ابتداء فان قيل فما مقام الملائكة السياحين (فالجواب) مقامهم المعلوم كونهم سياحين يطلبون مجالس الذكر الذي هو القرآن فلا يقدمون على من ذكر الله بالقرآن أحدا من الذاكرين بغير القرآن فاذا لم يجدوا من يذكر الله بالقرآن غدوا على الذاكرين بغيره وذلك رزقهم الذي يعيشون به وفيه حياتهم ولذلك كان المهدي اذا خرج يقيم جماعة يتلون كتاب الله آناء الليل والنهار ذكره الشيخ في الباب السادس والستين وثلثمائة (فان قيل) فهل في الملائكة أحد يجهل صفات الله عزوجل كما يقع لعوام الجن والانس (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الحادي والسبعين وثلثمائة انه ليس في الملائكة بعد تعليم آدم الاسماء من يجهل الحق تعالى بل كلهم علماء بالله عزوجل وكذلك قال تعالى شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة ثم قال في حق الناس واولوا العلم فلم يطلق الامر كما اطلقه في الملائكة وأطال في ذلك ثم قال فالمراد بهذا العلم هو علم التوحيد لا علم الوجود فان العالم كله عالم بالوجود بخلاف التوحيد في الذات أو في المرتبة يجهله بعض الناس (فان قيل) فهل اختصت الملائكة

عن

عن البشر بشئ من العلوم (فالجواب) نعم كما ذكره الشيخ فى الباب الخامس والسبعين وثلثمائة وذلك انهم اختصوا بالعلم الذى لا يعرفه أحد من البشر الا ان تجرد عن بشريته وعن حكم ما فيه للطبيعة من حيث نشأته حتى يبقى الروح المنفوخ فيه على أصله الاول وحينئذ يتخلص للعلم بالله تعالى من حيث يعلمه الملائكة فيقوم فى عبادته لله تعالى مقام الملائكة فى عبادتهم لله تعالى قال وقد ذقنا ذلك ولله الحمد ولولا خوفنا اننا اذا علمنا هذا العلم لا حد يدعيه كذبا لبيناله منها ما تقربه العيون (فان قلت) فهل فطر أحد من الملائكة على الشهوة ولكن يحميه الله تعالى أم لا شهوة له أصلا (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الثامن والسبعين وثلثمائة ليس للملائكة شهوة وانما فطرهم الله على المعرفة بالله وعلى الارادة ولذلك أخبر عنهم بأنهم لا يعصون الله ما أمرهم لما خلق لهم من الارادة ولولا الارادة ما أثنى عليهم بأنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون (فان قلت) فعلى ماذا فطر الحيوان (فالجواب) فطر على العلم بالله وعلى شهوة خاصة بخلاف الجن والانس فانهم فطروا على المعرفة والشهوة وذلك تعلق خاص فى الارادة اذ الشهوة ارادة طبيعية فليس للجن والانس ارادة الهية كالملائكة وفطرهما الله تعالى على العقل لا لاكتساب العلم وانما هو آلة جعلها الحق تعالى للجن والانس ليردعوا به الشهوة فى هذه الدار خاصة وجميع ما استفاده الانسان والجان من العلم من غير طريق الكشف فانما هو من طريق الفكر بالموافقة فعلم ان العلوم التى فى الانسان انما هى بالفطرة والضرورة والالهام وغاية الكشف أن يكشف له عن العلم التى فطر الله عليها لا غير فهو يرى به معلومه واما بالفكر فمحال ان يصل به الى العلم (فان قلت) فمن أين علمت هذا وهو من مدركات الحس فلم يبق الا النظر (فالجواب) علمنا ذلك من طريق الالهام والاعلام الالهى وذلك ان النفس الناطقة تتلقى ذلك العلم من ربها كشفا وذوقا من الوجه الخاص من طريق الالهام فان لكل موجود من الله وجها خاصا فعلم ان الفكر الصحيح غاية أمره ان لا يزيد على الامكان بخلاف ما ذكرناه من علم الله واعلامه كما ان غاية مقام يصل اليه العبد بالنظر الصحيح فى المعرفة بالله تعالى الحيرة فى الله وهذا مبتدا البهائم لانها مفطورة على الحيرة والعبد يريد ان يخرج عنها فلا يقدر أبدا (فان قلت) فكم أصناف الملائكة (فالجواب) هم ثلاثة أصناف كما ذكره الشيخ فى الباب الرابع وخمسين وما ئة الاول الصنف المهيمون فى جلال الله تعالى كما أوجدهم فانه تعالى تجلى لهم فى اسمه الجميل فهيمهم وافناهم عنه فلا يعرفون نفوسهم ولا من هام وافيه هكذا أدركناهم من طريق كشفنا فهم فى الحيرة سكارى وقد أوجدهم الله تعالى من ابنية العماء الذى مافوقه هواء وما تحته هواء بحمل ما ينافيه وهم أرواح فى هيا كل أنوار كسائر الملائكة الا آن وليس لها ولا الملائكة من الولاية الا ولاية الممكنات الثانى ملائكة التسخير كالمسخرين لنا بالعروج ليلا ونهارا من حضرة الحق الخاصة الينا ومن حضرتنا الى الحق وكالملائكة المستغفرين لمن فى الارض والمستغفرين للمؤمنين خاصة وكالملائكة الموكلين بالنبات والموكلين بالارحام والموكلين بالالهام والموكلين بنفخ

الارواح وكالملائكة الموكلين بالارزاق والامطار وكالموكلين بالانسان وكالملائكة الصافات والزاجرات والتاليات والمقسمات والنازعات والمرسلات والناشرات والسابقات والسابحات والملقيات والمدبرات وغيرها وكل من عموم النبيين أفضل من هؤلاء كما مرّ في المبحث قبله واعلم ان رأس ملائكة التسخير هو القلم الاعلى وهو العقل الاول سلطان عالم التدوين والتسطير قال الشيخ وكان وجود هؤلاء مع العالم المهيم غيران الله تعالى حجبهم عن هذا التجلي الذي هام به غيرهم الثالث ملائكة التدبير وهي الارواح المدبرة للاجسام كلها سواء الطبيعية والنورية والفلكية والعنصرية وجميع أجسام العالم وأطال الشيخ في ذلك ثم قال وقد ذكرنا في الباب الرابع عشر وثلثمائة انه ليس للملائكة كسب ولا تعمل في مقام وانما هي مخلوقة في مقامها لا تتعدّاه فلا تكسب قط مقاما وان زادت علوما فليست تلك العلوم عن فكر ولا استدلال لان نشأتهم لا تعطي ذلك مثل ما تعطيه نشأة الانسان (فان قلت) فما المراد بالاجنحة في قوله تعالى جاعل الملائكة رسلا أولي اجنحة مثنى وثلاث ورباع (فالجواب) ان المراد بهذه الاجنحة هو القوى الروحانية وليس لهذه القوى تصرف الا فيما كان من مقامها فلا تتعدّى مقام صاحبها من الافلاك كما مر في مبحث الاسراء ان غاية كل شئ أن يرجع للمحل الذي صدر منه لكن لا يخفى ان الاجنحة المذكورة ما جعلت للملائكة الا لينزلوا بها الى من هو دونهم في العنصر لا ليصعدوا بها الى من فوقهم فيه وهذا بعكس الطائر عندنا فانه يهوى بلا اجنحة ويصعد بها فان اجنحة الملائكة لا تصعد بها فوق مقامها فعلم ان الاصل في اجنحة الطائر أن يكون للصعود والاصل في اجنحة الملائكة ان تكون للهبوط فالطير اذا نزل بطبعه واذا علا علا بجناحه والملك اذا نزل نزل بجناحه واذا علا علا بطبعه كل ذلك ليعرف كل موجود عجزه وان لا يمكن له ان يتصرّف الاعلى قدر ما حدّ له (فان قلت) فما المراد بعروج الملائكة فانه لا يعرج الا من نزل (فالجواب) لا يختص عروج الملائكة بالعلويات كعروج غيرهم بل يسمى نزولهم الينا عروجا أيضا اظهارا الاطلاق الحكم لله رب العالمين فان له تعالى في كل موجود تجليا ووجها خاصا به يحفظه ولاسيما وقد ذكر سبحانه وتعالى ان له جهة العلوّ على الاطلاق أي سواء وقع التجلي في السفليات والعلويات قال تعالى سبح اسم ربك الاعلى وقال وهو الله في السموات وفي الارض فجعل له العلوّ سواء كان في السموات أو في الارض بقرينة حديث أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فافهم فالعلوّ له دائما قال الشيخ وايضاح ذلك أن الله تعالى اعطى الملائكة من العلم بجلاله بحيث انهم اذا توجهوا من مقامهم لا يتوجهون الا الى الله لا الى غيره فلهم نظر الى الحق في كل شئ ينزلون اليه فمن حيث نظرهم الى من ينزلون اليه قال تنزل الملائكة ومن حيث انهم في نزولهم أصحاب عروج قال تعرج الملائكة وبالجملة فكل نظر وقع الى الكون من أي كائن كان فهو نزول وكل نظر وقع الى الحق وقع من أي كائن كان فهو عروج وقد قررنا فيما سبق ان الملك اذا عرج يعرج بذاته لانه رجوع الى أصله واذا عرج الرسول

الى

الى السماء عرج تبعا لذات البراق بحكم التبعية له (فان قلت) فما المراد بقوله تعالى خطابا لابليس مامنعك ان تسجد لما خلقت بيدى استكبرت أم كنت من العالين (فالجواب) المراد به استكبرت أى فى نظرك وكذلك كان الامر فان الله اخبر عنه انه استكبر وظن بنفسه فى باطن الامر انه خير من آدم فههنا جهل ابليس (فان قلت) فهل العالون ارواح اوملائكة (فالجواب) هم ارواح ماهم ملائكة اذ الملائكة هم الرسل من هذه الارواح كجبريل وامثاله فان الالوكة هى الرسالة فى لسان العرب فما بقى ملك الا سجد لانهم هم الذين قال الله لهم اسجدوا لآدم فلم تدخل الارواح المهيمة فيمن خوطب بالسجود فانه ماذكر أنه خاطب الا الملائكة لا الارواح ولهذا قال فسجد الملائكة كلهم اجمعون ونصب ابليس على الاستثناء المنقطع لا المتصل وهذه الارواح المشار اليهم بالعالين لا يعرفون ان الله تعالى خلق آدم ولا غيره لشغلهم بالله تعالى فقول الله تعالى لابليس ام كنت من العالين أى من هؤلاء الذين ذكرناهم فلم تؤمر بالسجود ولا يخفى ان السجود فى اللسان هو التطأطأ لان آدم خلق من تراب وهو اسفل الاركان لا اسفل منه وسمعت بعض اشياخنا يقول انما لم يؤمر العالون بالسجود لآدم لانهم لا يعرفونه حتى يسجدون له وأيضا فلانهم ماجرى لهم ذكر فى تعريف الله ايانا ولولا ماذكر الله تعالى ابليس بالاباية ماعرفنا انه أمر بالسجود ذكره الشيخ فى الباب الحادى والستين وثلثمائة وقال فى الباب السابع والخمسين ومائة ارفع الارواح العلوية العالون وليسوا بملائكة من حيث الاسم فانه موضوع للرسل منهم خاصة اذ معنى الملائكة الرسل وهو من المقلوب وأصله مالكه والالوكة الرسالة فلا تختص بجنس دون جنس ولهذا دخل ابليس فى الخطاب بالامر بالسجود لما قال الله للملائكة اسجدوا لانه كان ممن يستعمل فى الرسالة فى الجملة فالملائكة جنس يعم الارواح البررة السفرة والجنّ والانس فكل صنف فيه من ارسل وفيه من لم يرسل فالنبوّة الملكية المهموزة لا ينالها الا اللطيفة الاولى الحافون من حول العرش يسبحون بحمد ربهم اوالافراد من ملائكة الكرسى والسموات وملائكة العروج قال وآخر نبى من الملائكة اسماعيل صاحب سماء الدنيا وكل واحد منهم على شريعة من ربه من باطنية شريعة محمد صلى الله عليه وسلم فى عالم الارواح مغياة بغاية وذلك قوله تعالى ومامنا الا له مقام معلوم فاعترفوا بأن لهم حدودا يقفون عندها لا يتعدونها ولا معنى للشريعة الا هذا فاذا أوحى الله تعالى اليهم سمعوا كلام الله بالوحى فضربوا باجنحتهم واطال فى ذلك (فان قلت) فما المراد بالاسماء الالهية التى استند اليها الملائكة المشار اليهم بهؤلاء من قوله انبئونى باسماء هؤلاء فى ايجادهم وأحكامهم (فالجواب) هى سائر الاسماء الالهية فكان جهلهم بالاسماء نقصا يستحقون به المواخذة والتوبيخ كأنه تعالى يقول لهؤلاء الملائكة هل سبحتمونى وقدستمونى بهذه الاسماء قط مع انكم ادعيتم تسبيحى وتقديسى وزكيتم نفوسكم وجرحتم الخليفة فى الارض ولم يكن ينبغى لكم ذلك (فان قلت) فهل للملك والحيوان والمعدن والنبات ارادة (فالجواب) ليس لهم ارادة

تتعلق بأمر من الامر الذى هم فيه من عظمة ... عليه من السجود لله والثناء عليه فشغلهم دائما
به تعالى لا يعصون وأما الانسان فقوة التخيل بسعته والمتخيل عنه هو المعبر عنه بالغفلة
والنسيان (فان قلت) فهل فى الارواح قوة مصورة كما فى الانسان (فالجواب) كما قاله
الشيخ فى الباب السابع والستين وثلثمائة ان الارواح لها قوة التصور وما لها القوة المصورة
فان القوة المصورة تابعة للفكر الذى هو صفة للقوة المفكرة وكذلك الارواح التى فوق
الطبيعة لا يشهدون صور العالم ولا يقبلون التصور كالنفس الكلية والعقل والملائكة
المهيمين فى جلال الله والله أعلم وفى هذا القدر من احوال الملائكة كفاية وسيأتى
نبذة صالحة من الكلام على ملائكة الالهام فى مبحث الولاية ان شاء الله تعالى

(المبحث الاربعون فى مطلوبية بر الانبياء عليهم الصلاة والسلام ووجوب الكف عن الخوض فى حكم أبوى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وحكم أهل الفترتين بين نوح وادريس وبين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وبيان أنهم يدخلون الجنة وان لم يكونوا مؤمنين بكتاب ولا سنة رسول)

اعلم أنه يستحب بر الانبياء كلهم والدعاء لهم بأن الله يزيد فى درجاتهم رجاء رضى الله
عزوجل عنا وقد قال الشيخ محيى الدين فى الباب الرابع والخمسين واربعمائة اعلم أنه
ينبغى لكل مؤمن بر اجداده وآبائه المسلمين وغير آبائه من اكابر الاولياء من آدم الى أبيه
الاقرب قال الشيخ ولقد اعتمرت مرة عن ابينا آدم عليه السلام وامرت أصحابى بذلك
فوجدنا ابواب سماء الدنيا التى فيها آدم عليه السلام قد فتحت تلك الليلة وخرجت
ملائكة لا يحصى عددهم الا الله ونزلت ملائكة كذلك وتلقونا بالترحيب والتسهيل
الى ان بهتنا منهم وذهلنا من كثرتهم لاجل صلة ابينا آدم عليه السلام تلك الليلة
وذلك لان رحم آدم عليه السلام مقطوعة عند اكثر الناس قال ولقد الهمنى الله تعالى
صلتها فوصلتها ووصلت بسببى أيضا وكان ذلك عن توقيف الهى ثم لم أر لاحد فى ذلك قدما
امشى عليه وما قال الحق تعالى فى غير موضع من القرآن يا بنى آدم الا ليذكرنا
تعالى بابينا آدم عليه الصلاة والسلام لنصله ومع هذا فلم يتنبه احد لهذه الابوة
ولا للوفاء بحقها وما اشبه هذه الذكرى من الله تعالى بقوله لمريم يا اخت هارون
واين زمن هارون من مريم واما وجوب الكف عن الخوض فى حكم ابوى النبى
صلى الله عليه وسلم فى الآخرة فللشيخ جلال الدين السيوطى رحمه الله فى هذه المسئلة
ست مؤلفات وقد طالعتها كلها فرأيتها ترجع الى ان الادب مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم واجب وان من اذاه فقد اذى الله وقال تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله
لعنهم الله فى الدنيا والآخرة واعدّ لهم عذابا مهينا وفى القرآن العظيم وما كنا معذبين
حتى نبعث رسولا ومن طالع فيما نقله أهل السير من كلام عبد المطلب لما اراد نحر
عبد الله فى قصة حفر بئر زمزم شهد له بالتوحيد وصاحب التوحيد سعيد بأى وجه
كان توحيده كما سيأتى قريبا فى حكم أهل الفترات قال الجلال السيوطى وقد ورد فى
الحديث ان الله تعالى احيى ابويه صلى الله عليه وسلم حتى آمنا به وعلى ذلك جماعة

من الحفاظ منهم الخطيب البغدادي وأبو القاسم ابن عساكر وأبو حفص ابن شاهين
والسهيلي والقرطبي ومحب الدين الطبري وابن المنير وابن سيد الناس والصفدي وابن
ناصر الدمشقي وغيرهم رضي الله عنهم اجمعين ولفظ السهيلي بعد ايراد حديث الحاكم
وصححه عن ابن مسعود قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ابويه فقال
ماسألتهما ربي فيعطيني فيهما واني القائم يومئذ المقام المحمود قال ففي هذا الحديث تلويح
بأنه صلى الله عليه وسلم يشفع فيهما في ذلك المقام ليوفقا للطاعة عند الامتحان الذي
يقع يوم القيامة كما ورد في عدة أحاديث قال المحب الطبري والله تعالى قادر على أن يحيي
ابويه صلى الله عليه وسلم حتى يؤمنا به ثم يموتا ويكون ذلك مما اكرم الله تعالى به
سيد الاولين والآخرين انتهى وقال القرطبي ليس احياؤهما وايمانهما به صلى الله
عليه وسلم بممتنع لا عقلا ولا شرعا فقد ورد في القرآن احيا قتيل بني اسرائيل حتى اخبر
بقاتله انتهى (قلت) وعلى القول بصحة احيائهما بعد موتهما فيكون ذلك الاحياء مثل
احياء من قال لهم الله موتوا ثم احياهم أي الى تكملة اجالهم وعلى ذلك فما آمن ابوا النبي
صلى الله عليه وسلم الا في زمن تكليفهما فكأنهما آمنا به قبل ان يموتا كما قال بعض
المحققين في سجدة أهل الاعراف من ان ميزانهم ترجح بتلك السجدة يوم القيامة ثم
يدخلون بها الجنة فلولا ان هذه السجدة نفعتهم وسعدوا بها لم يدخلوا الجنة مع انها
ماوقعت الا بعد موت فيوم القيامة برزخي له وجه الى الدنيا ووجه الى الآخرة والله
اعلم وكان الامام ابو بكر ابن العربي المالكي الفقيه المحدث يقول ماعندي احد
اشد أذى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ممن يقول ان ابويه في النار وفي حديث مسلم
لا تؤذوا الاحياء بسبب الاموات فيحرم جزما أن يقال ان ابوي النبي صلى الله عليه
وسلم في النار انتهى قال الشيخ جلال الدين السيوطي خاتمة حفاظ مصر رحمه الله وقد
صرح جماعات كثيرة بان ابوي النبي صلى الله عليه وسلم لم تبلغهما الدعوة والله تعالى
يقول وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وحكم من لم تبلغه الدعوة انه يموت ناجيا
ولا يعذب ويدخل الجنة قال وهو مذهبنا لا خلاف فيه بين المحققين من ائمتنا الشافعية
في الفقه والاشاعرة في الاصول ونص على ذلك الامام الشافعي رضي الله عنه وتبعه
على ذلك الاصحاب قال الجلال السيوطي رحمه الله ومما يوضح لك انهما لم تبلغهما الدعوة
انهما ماتا في حداثة سنه صلى الله عليه وسلم وصحح العلائي وغيره ان والد رسول الله
صلى الله عليه وسلم عبد الله عاش من العمر ثمان عشرة سنة ووالدته ماتت في حدود
العشرين ومثل هذا العمر لا يسع الفحص على المطلوب في التوحيد على القول بأن الله
تعالى لم يحيهما حتى آمنا به مع ان ذلك الزمان الذي كانا فيه كان زمانا قد عم فيه
الجهل والفترة انتهى ولنذكر لك جملة من احكام أهل الفترتين ليدخل ابوا النبي صلى الله
عليه وسلم في اشرف أقسامهم فنقول وبالله التوفيق أعلم ان الموحد سعيد باي وجه
كان توحيده وان لم يكن مؤمنا بكتاب ولا رسول ويدخل الجنة وذلك ان متعلق
الايمان انما هو الخبر الذي يأتي به الانبياء عن ربهم عزوجل وليس بين ظهري أهل

الفترتين كتاب ولا رسول حتى يؤمنوا بهما وحينئذ يصح ان يلغز بذلك فيقال لنا شخص مات على غير الايمان ويدخل الجنة وهو من وحد الله بنور وجده فى قلبه ومات على ذلك وقد قسم الشيخ محيي الدين اهل الفترتين فى الباب العاشر من الفتوحات الى ثلاثة عشر قسما وحكم لستة أقسام منهم بالسعادة ولاربعة بالشقا ولثلاثة بانهم تحت المشيئة (فأما) السعداء فقسم وحد الله تعالى بنور وجده فى قلبه كقس بن ساعدة وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل فان قسا كان يقول اذا سئل هل لهذا العالم اله يقول البعرة تدل على البعير واثر الاقدام على المسير الى آخر ما قال وأما سعيد بن زيد فكان يسجد ويقول الهى اله ابراهيم ودينى دين ابراهيم كما فى صحيح البخارى وكان يقول أيضا انى لا ننتظر نبيا من ولد اسماعيل من بنى عبد المطلب ولا أرانى ادركه وانا أومن به واصدقه واشهد انه نبى ومن طالت به مدة ورآه مرة فليقرءه منى السلام انتهى ذكر ابن سيد الناس فى سيرته قال الشيخ محيي الدين ويسمى من وحد الله تعالى مثل قس صاحب دليل ممتزج بفكر وذلك لانه ذكر المخلوقات واعتباره فيها ولذلك كان يبعث امة وحده كما ورد لا تابعا ولا متبوعا (وقسم) وحد الله تعالى بما تجلى لقلبه من النور الذى لا يقدر على دفعه من غير فكر ولا رؤية ولا نظر ولا استدلال فهذا على نور من ربه خالص غير ممتزج بفكر فى كون من الاكوان ويحشر هذا يوم القيامة مع الاصفياء الابريا (وقسم) التى فى نفسه واطلع من كشفه لشدة نوره وصفا سره وخلوص يقينه على منزلة محمد صلى الله عليه وسلم وسيادته وعموم رسالته باطنا من زمن آدم عليه السلام الى زمن هذا المكاشف فآمن به فى عالم الغيب على شهادة منه وبينة من ربه وهو قوله تعالى أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه اى يشهد له فى قلبه بصدق ما كوشف له فهذا يحشر يوم القيامة فى ضيائن من خلقه وفى باطنية محمد صلى الله عليه وسلم (وقسم) اتبع ملة حق ممن تقدمه كمن تهود أو تنصر واتبع ملة ابراهيم أو من كان من الانبياء حين علم واعلم انهم رسل الله تعالى يدعون الى الله تعالى طائفة مخصوصة فتبعهم وآمن بهم وسلك سننهم فحرم على نفسه ما حرم ذلك الرسول وتعبد نفسه بشريعته وان كان ذلك ليس هو بواجب عليه اذ لم يكن ذلك الرسول مبعوثا اليه فهذا يحشر مع من تبع ذلك النبى يوم القيامة ويتميز فى زمرته فى ظاهريته اذا كان شرع ذلك النبى قد تقرر فى الظاهر (وقسم) طالع فى كتب الانبياء فعرف شرف محمد صلى الله عليه وسلم وشرف دينه وثواب من اتبعه فآمن به وصدق على علم وان لم يكن دخل فى شرع نبى قط ممن تقدم لاسيما ان كان قد أتى بمكارم الاخلاق كحكيم ابن حزام واضرابه فهذا يحشر يوم القيامة مع المؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم لا فى العاملين بشريعته ولكن فى ظاهرية محمد صلى الله عليه وسلم (وقسم) آمن بنبيه الذى ارسل اليه وادرك رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وآمن به فله اجران فهؤلاء ستة اقسام كلهم سعداء عند الله يوم القيامة لتوحيدهم وان لم يتصفوا بالايمان (واما) الاشقيا (فقسم) عطل لا عن نظر بل عن تقليد فذلك شقى

مطلق

مطلق (وقسم) اشرك لا عن استقصاء نظر فذلك شقي (وقسم) عطل بعد ما اثبت لا عن استقصاء نظر او تقليد فذلك شقي (وقسم) اشرك عن تقليد محض فذلك شقي (و) اما من هو تحت المشيئة فقسم عطل فلم يقر بوجود عن نظر قاصر ذلك القصور بالنظر اليه لضعف في مزاجه عن قوة غيره فهو تحت المشيئة (وقسم) اشرك عن نظر أخطأ فيه طريق الحق مع بذل المجهود الذي تعطيه قوته فذلك تحت المشيئة (وقسم) آخر عطل بعد ما أثبت عن نظر بلغ فيه اقصى القوة التي هو عليها مع ضعفها بالنسبة لمن فوقه فهو تحت المشيئة (فهذه) اقسام أهل الفترات التي بين ادريس ونوح وبين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم فاياك ان تحكم على أهل الفترات كلهم بحكم واحد من غير هذا التفصيل فتخطئ طريق الصواب فرحم الله تعالى الشيخ محيي الدين ما كان أوسع اطلاعه فان هذا التقسيم لم نجده لغيره والله أعلم

(المبحث الحادي والاربعون في بيان ان ثمرة جميع التكاليف التي جاءت بها الرسل عليهم الصلاة والسلام يرجع نفعها الينا والى الرسل لا الى الله عز وجل فان الله غني عن العالمين وذلك انها كفارة لما نرتكبه من المخالفات فما من فعل منهي عنه الا ويقابله أمر مأمور به يكون كفارة له)

اذا علمت ذلك فاقول وبالله التوفيق نقل بعض العارفين ان سبب مشروعية جميع التكاليف هو الاكلة التي اكلها أبونا آدم عليه الصلاة والسلام من الشجرة فكانت جميع التكاليف في مقابلتها كفارة لها وتطهير المحلها انتهى وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله ينقل ذلك أيضا عن سيدي ابراهيم المتبولي رضي الله عنه ولا يخفى ان اكل آدم من الشجرة لم يكن معصية حقيقة وانما كانت صورة ليرى بنيه كيف يفعلون اذا وقعوا في محظور لان الانبياء عليهم الصلاة والسلام ترقيهم دائم فلا ينتقلون قط من مقام او حال الا الا على منه كما مر بسطه في مبحث الاجوبة عن الانبياء فراجعه فكان حكم هذه الاكلة منسحبا على بنيه بالاصالة الى يوم القيامة الا من شاء الله تعالى لان الشجرة كانت مظهر الارتكاب بنيه النهي فعلا أوهما حراما او مكروها أو خلاف الاولى ولكل أهل وان تفاوتت مراتب الناس فادونهم من يرتكب خلاف الاولى واعلاهم من ارتكب اكبر الكبائر غير الشرك فان الشرك لا كفارة له الا التوبة منه والذي عندنا فيما ورد من اطلاق اسم المعاصي في حق الانبياء فمحمول على خلاف الاولى لانهم لا يتعدون قط مرتبة خلاف الاولى فمعاصيهم كلها من هذا الباب وان فعلوا مكروها فانما يفعلونه لبيان الجواز للامة توسعة من الله عليهم فلهم في ذلك الاجر كما يؤجرون على بيان المباح بفعلهم له واما معاصي غير الانبياء فان كان الولي محفوظا فحظه المكروه مادامت العناية تحفه فان تخلفت عنه العناية فقد يقع في الحرام أيضا واما عامة الناس فربما يقعون في الثلاثة احوال الحرام والمكروه وخلاف الاولى فعلم ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام لا يشاركون غيرهم في ارتكاب حرام ولا مكروه الا لبيان الجواز ولكن لما شرف مقامهم سمى الله تعالى وقوعهم في خلاف الاولى معصية

وخطيئة فافهم فما من المكلفين من الامّة أحد الا وقد وقع في النهي ولو في خلاف الاولى الذي هو كناية عن أكله من الشجرة فكانت جميع التكاليف في مقابلة وقوع بني آدم فيما ذكرنا وكان في أكل آدم من الشجرة ثم توبة الله عليه واجتبائه واصطفائه فتح باب الذلة والانكسار لبنيه وبيان انهم كلهم تحت القضاء والقدر في كلما يتحركون و يسكنون فيه من أمر ونهي ومباح * ولنبين لك احكام التكاليف من حيث انها كفارة من باب الطهارة الى باب امّهات الاولاد فنقول وبالله التوفيق اعلم أن آدم عليه الصلاة والسلام لما اكل من شجرة النهي الذي هو فعل خلاف الاولى بغير اذن صريح من الباري جل وعلا في حال نسيانه وفي حال ظنه انّ ابليس لا يحلف بالله كاذبا سمى الحق تعالى ذلك معصية لعلوّ مقامه ثم بعد التوبة زاد في اعتنائه به بأن جعل له مذكرا من نفسه لما وقع منه وهو البطنة القذرة المنتنة على خلاف ما كان عليه في تلك الجنة فكان آدم عليه السلام كلما اخذته البطنة من بول أوغائط أوريح كريه تذكر ما وقع منه فزاد في الاستغفار اجلالا وتعظيما لله عزوجل ولذلك جاءت شريعتنا بطلب الاستغفار اذا خرجنا من الخلا وهذا حكمته وزادت حوّى وبناتها على آدم وذكور بنيه الحيضة في كل شهر زيادة على البطنة لتزيينها لآدم عليه السلام الاكل من الشجرة وقطعها الثمرة من الشجرة لآدم حتى أكلها وكانت شجرة التين على خلاف في ذلك ولا يخفى ان عقوبة من يأتي المخالفات وهو مستحسن لها أشدّ ممن يأتيها مستقبحا لها اذ التأويل يذهب قبح المعصية واعلم يا اخي ان تلك الجنة التي كان فيها آدم وحوّى ليست محلا للقذر الذي تولد من تلك الاكلة فلذلك انزلا الى الارض التي هي محل العفونات ثم لما انزلا اليها تولد في بطنهما من تلك الاكلة التي اكلها من الشجرة البول والغائط والدم والنوم ولذة اللمس للنساء بجماع أوغيره وتولد في ذريتهما كذلك بسبب أكلهم من شجرتهم الخاصة بهم وبمقاماتهم زيادة على ذلك وهو الجنون والاغما بغير مرض والمخاط والصنان والقهقهة والتبختر والتكبر باسبال الازار والقميص والسراويل والعمامة والغيبة والنميمة والبرص والجذام والكفر والشرك وغير ذلك مما ورد في الاخبار والآثار انه ينقض الطهارة وكل هذه الامور متولدة من الاكل كما ذكرنا ولا يوجد لنا ناقض للطهارة قط الا وهو متولد من الاكل والشرب فان من لا يأكل ولا يشرب حكمه حكم الملائكة في عدم وقوعه في شئ ينقض الطهارة مما ذكرناه ومما لم نذكره فان الملائكة لا تبول ولا تغوّط ولا يجري لها دم أصلا وكذلك لا تشتهي لذة اللمس ولا الجماع ولا تجن ولا يغمى عليها ولا تنام ولا تعصي الله بقول ولا فعل ولا يبرص لها جسم ولا يلحقها جذام ولا يخرج لها صنان ولا مخاط ولا تضحك الا تبسما من غير قهقهة ولا تكفر ولا تشرك بالله ولا ترتدّ عن دينها أبدا وايضاح ذلك ان العبد لا يعصي قط حتى يحجب ولا يحجب الا حتى يأكل ويشرب فلولا انه حجب بالاكل والشرب ما وقع في معصية قط فصح قول الامام علي رضي الله عنه من مس ابرص أو اجذم أو يهوديا أونصرانيا أوصليبا فليتوضا ولما كانت هذه النواقض كلها من لازمها سوء الادب مع الله تعالى

والغفلة

والغفلة عنه وكان ذلك مضعفا للبدن والقلب حتى ربما الحقه بالمريض امرنا الشارع صلى الله عليه وسلم وأتباعه المجتهدون بالتطهر بالماء المطلق المنعش للبدن وأمرونا بالتنزه عن كل شئ تولد من الاكل والشرب وحرموا علينا الصلاة ونحوها مع وجوده حتى نتطهر بالماء أو التراب بل امرنا الشارع صلى الله عليه وسلم بالتنزه عن مس المحل الخارج منه البول والغائط حتى ان الشارع صلى الله عليه وسلم امرنا بنضح السراويل التي يمسها الفرج وقال بذلك أمرني جبريل عليه السلام فكان صلى الله عليه وسلم ينضح سراويله بالماء كلما توضا وليس النضح المذكور دفعا للوسواس في حقه صلى الله عليه وسلم كما يتوهمه بعضهم لعصمته عن مثل ذلك اذ قيل انه نوع من الجنون والحق ان ذلك انما هو لملامسة السراويل للفرج كما قررنا ذلك وقد أورد على الولد عبد الرحمن هنا سؤالا فلم يفتح الله تعالى لي فيه بجواب وهو انه اذا حكم الشارع بنقض الوضوء من لمس الفرج لكونه محلا للخارج فلم لا يأمرنا بالوضوء اذا مسسنا الغائط الذى هو أقبح من محله انتهى فقد علمت ان القول بالنقض بمس الذكر والدبر وفرج المرأة ليس لذاتها وانما هو لكونها محلا لخروج الناقض وملامسته اذ لو كان النقض بذلك لذات الفرج من حيث كونه متولدا من الاكل لكان حكم جميع اعضاء البدن كذلك ولا قائل به فان جميع الاعضاء قد تولدت من الاكل ونمت به وقد جاءت اقوال المجتهدين على وفق الادلة الواردة في النقض تخفيفا وتشديدا فمنهم المشدد ومنهم المخفف ومنهم المتوسط في الناقض وفي الماء الذى يتطهر به فمما اتفقوا على النقض به البول والغائط والجماع والجنون ومما اختلفوا في النقض به لمس المحارم ومس الفرج بباطن الكف ولمس العجوز الشوهاء وخروج الدم من البدن والغيبة والقهقهة ومس الابط الذى فيه صنان ومس المشركين والاوثان والصلبان وقد جمع بعضهم بين قولي النقض بمس الفرج وعدمه فجعل النقض به خاصا بالاكابر من العلماء وجعل عدم النقض به خاصا بالعوام من أهل الضرورات كالموسوسين في ايام البرد الشديد فليس للاكابر الترخص في ترك الوضوء من مس الذكر والمرأة الا لعذر شديد وكذلك القول في كل ما جاء فيه تخفيف وتشديد من الشارع كما سيأتي بسطه ان شاء الله تعالى في مبحث ان سائر أئمة المسلمين على هدى من ربهم فعلم ان الناقض حقيقة انما هو الطبيعة المتولدة من الاكل حتى القول بنقض الطهارة بخروج حصاة أو عود مثلا انما الناقض حقيقة ما على الحصاة أو العود من الطبيعة لا نفس الحصاة والعود فان الطبيعة هي التي تحركت الشهوة بها حتى حجبت العبد عن شهوده لربه عز وجل وليس في الحصاة والعود اثارة شهوة ولو بلعهما المكلف ثم خرجا منه واما بطلان الصوم ببلعهما فانما حكم به العلماء سدا لباب الاكل من باب تحريم الحريم كما منعوا الاستمتاع بما بين السرة والركبة فرارا من القرب من الفرج الذى هو المقصود بالنهي وكما حكموا ببطلان الصوم بأكل مقدار سمسمة مع ان ذلك لا يثير شهوة وكما حرموا شرب قطرة خمر مع ان أصل علة التحريم هي الاسكار وقس على ذلك دخول الميل في ذكر الصائم أو دبره مثلا فانهم حكموا على

فاعل ذلك بالافطار مع انه لا يسمى اكلا ولا شربا لا شرعا ولا لغة ولا عرفا فان قيل فلم وجب علينا تعميم البدن بالغسل من خروج المني مع انه دون الغائط في الاستقذار بيقين (فالجواب) انه انما وجب علينا تعميم البدن في الغسل من الجنابة بخروج المني لانه فرع أقوى لذة من أصله فما وجب تعميم البدن في ذلك الا من حيث اللذة لا من حيث الاستقذار فان المجامع لما كان يحس باللذة انها قد عممت بدنه كله حتى انه لا يكاد يتعقل شيأ معها أمر بتعميم بدنه بالماء لينعشه من ذلك الفتور الذي حصل للبدن عقب خروج المني فكانت الغفلة عن الله تعالى فيه اكثر من الغائط والبول ولذلك قال ابو حنيفة رضي الله عنه ان القهقهة في الصلاة تنقض الوضوء لما كانت لا تقع الا من قلب غافل غير حاضر مع ربه عز وجل ومعلوم ان حضرة الرب منزهة عن وقوع القهقهة فيها من أحد من أهل حضرتها انما شأنهم الادب والبهت والذبول (فان قيل) فما وجه وجوب تعميم البدن على الحائض والنفسا (فالجواب) ان وجه ذلك زيادة القذر الحاصل من دم الحيض والنفاس وكثرة انتشار الدم في محلات البدن بواسطة العرق وغيره وأيضا فلبعد الزمن المتخلل بين الحيضات فلا يشق عليها الغسل كلما حصل موجبه بخلاف الحدث الاصغر لقرب زمنه من بعضه بعضا عادة فلذلك خفف الامر علينا فيه بغسل الاعضاء المفروضة والمسنونة فقط لكثرة تكرر سبب حدثها وأيضا فان اعضاء الوضوء آلة لغالب المعاصي الواقعة من العبد فاذا غسل المتوضي الحاضر القلب مع الله تعالى اعضاء الوضوء وتذكر عند غسل كل عضو منها ما جناه من المعاصي واستغفر الله تعالى عند ذلك وندم عليه طهر ذلك العضو ظاهرا او باطنا وخرت خطاياه لان من كان مصرا على المعاصي ربما لا تخر له خطايا بغسل اعضائه بالماء فافهم بخلاف اذا تاب وندم فان خطاياه تخر ان قبلت توبته بنص الحديث مع الماء فيدخل حينئذ حضرة الله تعالى التي هي الصلاة على أكمل حال يليق به فان قيل فما وجه اتفاق العلماء على نجاسة البول والغائط من الآدمي دون البهائم التي تؤكل مع أن الآدمي اشرف من البهائم كلها (فالجواب) انا نقول وما جانا الاتفاق على نجاسة بوله وغائطه الا من جهة شرفه فانه هو المكلف دون البهائم فلما اكل من شجرة النهي بالمعنى السابق أول المبحث بخلاف البهائم فانها لا توصف بطاعة ولا معصية فلذلك خفف في بولها وغائطها والقاعدة ان كل من عظمت مرتبته عظمت صغيرته وكان الاصل من حيث العقل عكس ذلك ليسامح المقرب ويؤاخذ المبعد وكان ينبغي لكل من شرفت مرتبته ان يطهر كل شئ خالطه من المأكل والمشارب لكنه لما غفل عن ربه واشتغل بشهوات طبيعته انعكس حكمه فلذلك صارت المآكل والمشارب الطيبة المبخرة بالمسك والعود نجسة خبيثة قذرة بولا وغائطا ودما ومخاطا وصنانا حين صاحبته نحو يوم وليلة فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فان قيل يفهم من تقريركم هذا ان من كان معصوما ولم يشتغل عن ربه بحكم طبيعته ان يكون بوله وغائطه طاهرا (فالجواب) نعم وهو كذلك كما افتى به شيخ الاسلام البلقيني والسبكي والجلال

السيوطي

السيوطي وغيرهم حتى قال شيخ الاسلام السراج البلقيني والله لو وجدت شيأ
من بول النبي صلى الله عليه وسلم وغائطه لأكلته وشربته وفي الحديث ما يؤيد ذلك
فروى الطبراني وغيره نحن معاشر الانبياء بنيت اجسادنا على اجسام اهل الجنة انتهى
ولذلك كانوا يشمون المسك من موضع برازه صلى الله عليه وسلم وأما دليل من قال
بنجاسة البول والغائط من النبي صلى الله عليه وسلم فهو كونه صلى الله عليه وسلم
كان يتنزه عنه و يغسل ما أصابه منه أو يمسحه بالحجر ولو من حيث الجزء البشري
(فان قيل) فلم تتفق العلماء على نجاسة فضلات الآدمي كلها من مخاط و بصاق وعرق
ابطه لتولده كله من الاكل (فالجواب) انما لم يتفقوا على ذلك لخفة القبح والتقذر فيها
وبعدها عن صورة لون الطعام والشراب بخلاف البول والغائط فانهما يشبهان غالبا
لون اصلهما (فان قيل) فما وجه الامر بالجمع بين الماء والتراب في نجاسة الكلب
(فالجواب) وجهه ان الله تعالى جعل سؤره نجسا يميت القلب اذا اكل أو شرب ومعلوم
أن من مات قلبه صار لا يحن الى موعظة ولا الى خير ولا يهتدي لتوبة اذا وقع في ذنب
وما كان يؤثر أكله أو شربه ما ذكر صح التعبير عنه بالرجس والنجس كما قال تعالى
انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فكما سماها تعالى
رجسا من حيث ما تورثه من الصد عن ذكر الله وعن الصلاة فكذلك صح تسمية سؤر
الكلب نجسا بالنظر لما يورثه من القساوة في الانسان ووجب علينا التباعد عنه فلذلك
أمرنا الشارع بالجمع بين الماء والتراب في الغسل من سؤره أو غير ذلك من فضلاته لكون
الماء والطين اذا اجتمعا انبتا الزرع بخلاف أحدهما بمفرده اذا وضع على الحب لا ينبت
ثمره ولا يتم له نتاج فكذلك من غسل النجاسة الكلبية بالماء فقط أو التراب فقط بأن
مسحها به لا يزيل ذلك الاثر الذي يميت القلب (فان قلت) فأي المذهبين أولى بالعمل
من يقول بطهارته أو من يقول بنجاسته (فالجواب) القائل بنجاسته أولى وأحوط
في الدين وان لم يصرح الشارع بنجاسته لفظا وقد تتبع الامام البيهقي الادلة على التصريح
بنجاسة الكلب فلم يجده فاستدل على نجاسته بأنه صلى الله عليه وسلم نهى عن اكل ثمن
الكلب وقال لولا نجاسته لما حرم الله تعالى علينا اكل ثمنه انتهى * ومما وقع ان سيدي
عليا الخواص رحمه الله نهى شخصا من المالكية عن شرب لبن شرب منه الكلب
فقال الفقيه مذهبي انه طاهر فقال له الشيخ ان شربت فضلته يميت قلبك فلم يسمع
للشيخ فقسي قلبه تسعة شهور وصار يجيء للشيخ و يقول يا سيدي تبت الى الله تعالى
فان قلبي صار لا يحن الى قراءة قرآن ولا علم ولا يستلذ بعبادة فقال له الشيخ قد نهيتك
فلم تسمع فلولا ان هذا الفقيه ذاق العلة في نفسه لما آمن بكلام الشيخ وما رأيت أحدا انبه
على هذه العلة غيره رضي الله عنه (فان قيل) فما الوجه الجامع بين أقوال الائمة في التطهير
بالماء المطلق والمستعمل وما ملحظهم في ذلك (فالجواب) ان ملحظهم الاعمال
الواقعة من المكلفين فمن كان ملحظه عظمة الذنوب وقبحها اشترط في الطهارة الماء المطلق
ومن كان ملحظه غلبة الرحمة على الخلق جوز الطهارة بالماء المستعمل بشرطه لبقاء

الروحانية في الماء ولو تكررت الطهارة بسبيل ابناته الزرع فكلما كانت ذنوب العبد اقبح واكثر طولبنا باستعمال الماء الذى لم يستعمل قط الا ان يكون مستبحرا ولا شك ان الماء الذى لم يستعمل انعش لبدن العاصى ومن شك فليجرب (وللامام أبي حنيفة في الماء المستعمل ثلاث روايات) (احدها) ان المستعمل في الحدث حكمه حكم الماء المتغير بالنجاسة (ثانيها) انه كبول البهائم سواء (ثالثها) انه طاهر في نفسه غير مطهر لغيره كقول الشافعية وهذه أعدل الروايات (وأما الامام مالك) فجوز الطهارة بالماء متكررا ما لم يتغير جدا على ما بلغنا فهو أوسع الائمة قولا في ماء الطهارة ولكل من روايات أبي حنيفة الثلاثة وجه فوجه الرواية الاولى الاخذ بالاحتياط فيجعل غسالة تلك الطهارة كأنها غسالة الكبائر من زنا ولواط وشرب خمر ومرافعة في الناس وغيبة في العلماء العاملين والاولياء والصالحين وغسالة هذه الكبائر اذا خرجت في ماء قذرته ضرورة وغيرته والناس بين مقل ومكثر في ارتكابه هذه الذنوب ومن الناس من يجمع بين فعلها كلها في يوم أو جمعة (فان قيل) ان الحكم بنجاسة غسالة طهارة الناس يلزم منه سوء الظن بهم (فالجواب) لا يلزم من ذلك سوء ظن انما ذلك احتياط فيعامل الناس كمعاملة من يسئ بهم الظن من غير سوء ظن فلا يلزم من الحكم بنجاسة الماء المستعمل اثبات المعاصى في حقهم * وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول مرارا انما قال الامام أبو حنيفة بنجاسة غسالة ماء الطهارة لانه كان من أهل الكشف فكان اذا رأى في الماء عرف غسالة كل ذنب وميزه عن غسالة غيره وصاحب هذا الكشف لا يقدر على الخروج عن حكم مشهده لانه يشاهد الماء قذرا منتنا فكيف يتوضأ منه أو يغتسل وكان سيدى على رحمه الله يقول من كشف الله عن بصيرته رأى غسالة الكبائر أقذر وأنتن من بول الكلب والحمار أو جيفتهما انتهى واما وجه الرواية الثانية فهو ان غالب معاصى العباد الذين يتطهرون منها صغائر والاصل عدم وقوعهم في الكبائر أو ندور ذلك بالنسبة لوقوعهم في الصغائر ومعلوم ان الصغائر حالة متوسطة بين الكبائر والمكروهات فيكون على قياسه حكم الماء المستعمل حكم النجاسة المتوسطة بين المغلظة والمعفو عنها واما وجه الرواية الثالثة من قول الامام أبي حنيفة ومن وافقه رضى الله عنه فهو ان أحسن الظن بالمسلمين واجب بالاصالة ولان الاصل عدم ارتكاب المتطهرين للكبائر والصغائر أو أنهم ارتكبوها وكفرت عنهم باعمال اخر فما أتوا الماء للطهارة الا وليس عليهم خطيئة اللهم الا ان يشاهد انسانا زنى مثلا ولم يتب فورا ولم يعمل اعمالا تكفر عنه ما جناه فهذه ربما يندب للمتورع ان يجتنب ماء طهارته لان ماءه كماء أهل الرواية الاولى فرضى الله تعالى عن الامام أبي حنيفة ما ادق نظره وما انصحه لدين الله ولعباده ورضى الله عن بقية المجتهدين امين * ثم لا يخفى ان التراب قائم مقام الماء عند فقده فلا يقال انا اسقطنا الكلام على التيمم كما لا يقال انا اسقطنا الكلام على مسح الخف لانه لا بد من غسل الرجلين او مسح الخفين والله تعالى اعلم فقد بينا لك وجه تعلق الحدث والطهارة بالاكل فتأمله فانه نفيس * وأما وجه تعلق

مشروعية

مشروعية الصلاة بأنواعها بالاكل من شجرة النهى كل أحد بما يليق بحاله من ارتكابه محرما أو مكروها أو خلاف الاولى فهو أن تعلم ان الصلاة ماشرعت الا توبة واستغفارا وتقربا الى الله تعالى وفتحا لباب رضاء الحق سبحانه وتعالى عنا حين أكلنا من شجرة النهى او هممنا به فشرع تعالى لنا الصلاة فرضها ونفلها تكفيرا لذلك وفى الحديث تقول الملائكة عند دخول وقت الصلاة يابنى آدم قوموا الى ناركم التى أوقدتموها فاطفئوها وقد جمع لنا الحق تعالى فى الصلاة جميع عبادات الملاالاعلى والاسفل لمن يعقلها (فان قلت) فما وجه تكرارها فى الليل والنهار (فالجواب) وجهه حتى يتذكر العبد ماجناه من المعاصى والشهوات والغفلات من الصلاة الى الصلاة كلما توضأ وصلى فيتوب ويستغفر داخل الصلاة وخارجها فلو كشف للمصلى لرأى ذنوبه تحدر يمينا وشمالا عنه فى حال قيامه وركوعه فلا يصل الى حضرة السجود التى هى أقرب مايكون العبد من شهود ربه وعليه خطيئة واحدة فيناجى ربه عزوجل فى سجوده وهو طاهر مطهر من الذنوب (فان قلت) فاذا كان لا يصل الى السجود حتى لا يبقى عليه خطيئة الا كفرت بالافعال والاقوال التى فى الصلاة فأى فائدة للوضوء قبلها (فالجواب) انّ الوضوء شرط من شروط الصلاة حتى ان الصلاة تصح فتكفر الذنوب فانه اذا انتفى الوضوء انتفت الصحة الا لعذر شرعى كفاقد الطهورين فمغفرة الذنوب فى الصلاة لاتكون الا باجتماع الوضوء والصلاة وذلك ان من الناس من يموت بدنه بالمعاصى او يضعف أو يفتر ومن الناس من يموت بدنه بخلاف الاولى أو يضعف أو يفتر ومنهم من يموت قلبه بتوالى الغفلات أو يضعف أو يفتر فاذا تطهر بذلك الماء المنعش لذلك البدن حيى ثم انه يقوم فيدخل حضرة الحق تعالى فى صلاته فيعبد الله تعالى كأنه يراه فهو مابين تكبير لله عزوجل وتحميد له وثناء عليه بما هو أهله وسؤال ان الله تعالى يعينه على اداء ما كلف به فى هذه الدار حتى الصلاة التى هو فيها وهدايته الى الصراط المستقيم وموافقة الامام فى قوله آمين فيغفر له ماتقدم من ذنوبه اى الخاصة بالصلاة والا فقد ورد أن من توضأ كما امره الله خرت خطايا اعضائه كلها حتى يخرج نقيا من الذنوب ثم يكون مشيه الى صلاة الجماعة رفع درجات فمرادنا بالذنوب التى تبقى الى الدخول فى الصلاة الذنوب الخاصة بها كما مر فعلم انه لا يخرج مع الوضوء الا المعاصى الخاصة به لا بالصلاة ولو كان المراد بالذنوب التى تخرج فى الوضوء جميع الذنوب بحكم العموم ولم يبق لغيره من الصلاة والصيام والزكاة والحج وغير ذلك مما ورد فى الشريعة شئ يكفر فافهم * وقد قدمنا ان كل منهى له مأمور يكفره هذا اذا أتى بالمأمورات على التمام والا احتاجت نفس المأمورات الى مكفرات كما بسطنا الكلام على ذلك فى كتاب اسرار العبادات وهو كتاب نفيس ماوضع مثله فيما أظنّ ومما يؤيد ماقررناه ماقاله المفسرون فى قوله تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات ان المراد بالسيئات هنا الصغائر دون الكبائر اذ الكبائر لا يكفرها الا التوبة النصوح هذا فى احكام الدنيا وأمّا أحكام الآخرة فقد يكفر الزنا صدقة الزانى برغيف على مسكين

كما ورد في قصة العابد [illegible] ثم زنى فحبطت عبادته كلها فرجحت
الزنية عليها ثم تصدق برغيف فرجح على تلك الزنية فافهم (فان قيل) فاذا كانت
الصلوات الخمس كفارات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر فلم امرنا بالنوافل (فالجواب) انما
أمرنا النوافل جبرا لما يقع في فرائضنا من الخلل والنقص فان تأدية الفرائض بلا
خلل ولا نقص من خصائص نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وغيره من الانبياء قال تعالى
ومن الليل فتهجد به نافلة لك فتأمّل قوله لك تعثر على ما قلناه ولا نفل الا بعد كمال فرض
ومن ذلك أيضا سجود السهو فانه يجبر خلل النقص الواقع بترك الابعاض كما ورد وكما
قيس (فان قلت) فما كيفية تكملة الفرائض بالنوافل (فالجواب) كيفيتها ان يكمل الخلل
الذي في اركان الفرائض باركان النوافل والخلل الذي في نوافل الفرائض كالاذكار
المستحبة بالسنن التي في النوافل فلا يكمل واجب بسنة ولا عكسه هكذا قال الشيخ
محيي الدين في الفتوحات والله أعلم (فان قيل) فما وجه تأكيد الشارع بعض النوافل
دون بعض (فالجواب) وجهه انه صلى الله عليه وسلم فعل ذلك توسعة على أمّته
اذ لو أكدها كلها لربما شق ذلك عليهم وقد كان صلى الله عليه وسلم يحب التخفيف على
أمّته ويقول اتركوني ما تركتكم وصلى ركعتين مرة في جوف الكعبة ثم خرج وقال لعلي
شققت على امّتي انتهى أي اذا تأسوا بي في ذلك فان طلوع البيت الغالب فيه المشقة من
الزحمة وغيرها وصلى ركعتين قبل المغرب وقال لمن شاء انتهى أي كراهة ان يشدد
أحد من أمّته على نفسه بالمواظبة عليها (فان قيل) فما وجه تعلق مشروعية صلاة
الجماعة وصلاة السفر وصلاة الجمعة وصلاة الخوف بالاكل من شجرة النهي (فالجواب)
وجهه ان من شأن من يأكل الحجاب فاذا حجب تكاسل عن العبادات ومل منها وثقل
عليه الخروج لصلاة الجماعة في المسجد البعيد والقريب وخرج عن كمال طاعة
الشارع ولو كان في ذلك ذهاب شعار دينه فلذلك أمرنا بصلاة الجماعة في المسجد
لئلا يذهب نظام ديننا أو يضعف ولو علم الشارع ان نظام الدين في الصلاة يحصل
بلا جماعة ما امرنا بها في الجمعة والصلوات الخمس وما الحق بذلك من العيدين والتراويح
والنوافل وانما خفف عنا الشارع في صلاة السفر والمرض وجعل للمسافر القصر
والجمع تقديما وتأخيرا وللمريض الجمع دون القصر رحمة بنا لما يحصل عادة للمسافر
والمريض من المشقة في تأدية الفرائض ومعلوم ان أصل ذلك كله الاكل فان من
لا يأكل لا يحصل عنده ملل من عباداته كما قال تعالى في الملائكة يسبحون الليل والنهار
لا يفترون وكذلك من لا يأكل لا يحصل عنده كسل عن عبادة ولا يأنف من طاعة
امامه وكذلك من لا يأكل لا يخاف من عدو ابدا فان الخوف انما حصل من حجاب
العبد عن ربه بالاكل فمن لا يأكل لا يخاف أحدا من خلق الله كما هو شأن الملائكة فان
من يجوع كثيرا ولا يأكل أصلا يصير الغالب عليه الروحية والارواح ملائكة لا تخاف
من بعضها بعضا وكذلك من لا يأكل لا يتبختر في مشيته ولا يلبس حريرا ولا ذهبا للتفاخر
فتأمّل ذلك (فان قيل فما وجه مشروعية النوافل المؤكدات التي شرعت فيها الجماعة

كالعيدين

كالعيدين والصلوات ذوات الاسباب كالكسوف والاستسقاء وصلاة الجنازة وما وجه مشروعية قتل تارك الصلاة جحدا أو كسلا (فالجواب) وجه مشروعيتها انها شرعت لحكم ومصالح للعباد وأصل ذلك كله حجابهم بالاكل من شجرة النهى فانهم لما أكلوا منها بحسب مقاماتهم من الحرام الى خلاف الاولى قل خوفهم من الله تعالى فخوفهم الله تعالى بالآيات العظام من كسوف الشمس والقمر والقحط والغلاء فلولا حجابنا بالاكل ما احتجنا الى التخويف بالآيات ولا غفلنا عن ما خلقنا له لاسيما من يأكل الحرام والشبهات فانه ربما يحجب بالكلية عن مصالح الدنيا والآخرة فلذلك شرعت هذه الصلوات مشحونة بالدعاء والاستغفار والتكبير لله تعالى عن جميع وجوه صفات التعظيم التى يبلغها عقولنا أو تكبيره عن أن يخرج شئ فى الوجود عن ارادته ومعلوم ان من يأكل الشهوات لا يؤدى حق اخوانه لا احياء ولا أمواتا لحجابه فلذلك شرعت لنا صلاة الجنازة تكملة لوفاء حقوق اخواننا التى أخللنا بهم فى حال حياتهم فننفعهم بصلاتنا عليهم وطلبنا من الحق تعالى ان يغفر لهم وان يسامحهم (وأما) الحكمة فى مشروعية جماعة العيدين فهى تأليف القلوب المتنافرة من كثرة المزاحمة على الاغراض النفسانية والمشاحة فيها حتى ربما تعلق الشخص بما ليس هو من رزقه ليكون رزقه فلا يكون وأصل ذلك كله الحجاب بالاكل وكذلك الحكمة فى مشروعية مصالحة الاعداء قبل الخروج لطلب السقيا من الله تعالى انما ذلك لكون التشاحن يرفع نزول الرحمة فاذا اتصالحوا وتصافحوا وائتلفت قلوبهم نزلت عليهم الرحمة وناسبهم اذ ذاك الفرح فى العيدين والسرور ولبس الثياب النفيسة والحلى للغلمان والنساء والبنات فلا ينبغى لمؤمن أن يفارقه العيد وفى قلبه كراهية لاحد من المسلمين الا بطريق شرعى وهذا وان كان مطلوبا فى كل وقت ففى العيد آكد لاسيما الحجاج فى الحرم المكى فان الله تعالى توعد بالعذاب من اراد فيه بأحد سوءا ولو لم يفعله (وأما) وجه تعلق حكم تارك الصلاة جحدا وكسلا بالاكل من الشجرة فهو لكونه لما أكل حجب عن تأدية حقوق الله تعالى وحقوق نفسه بتعريضها للقتل فأمرنا الشارع باقامة الحد عليه وان ادى الى قتله كفارة لذلك الفعل الا ان يترك الصلاة جحدا لوجوبها فانه يقتل كفرا فهذا كان سبب مشروعية الصلاة بأنواعها وتعلقها بالاكل من شجرة النهى والله تعالى أعلم * واما وجه تعلق الزكاة بأنواعها بالاكل من شجرة النهى فظاهر وذلك اننا لما اكلنا ما لا ينبغى لنا شرعا اما من حيث الزيادة على الحاجة واما من حيث الحرام والشبهات حجبنا عن كون الملك لله تعالى فى الاموال والاقوات فادعينا الملك فيها لانفسنا دون الله تعالى غفلة وشحنا بما دخل تحت يدنا فلم تسمح نفوسنا ان تعطى منه شيئا لمحتاج بل صار أحدنا يجمع ويمنع ويتخذ الحلى الذى لم يشرع ومنع حق الله تعالى من المواشى والنقود ومن المعدن والركاز ومن ربح مال التجارة ونسيت نفسه كون الحق تعالى الزمها باخراج الزكاة على الحكم المشروع فيها حتى انها لم تخرج زكاة فطرها فحصل بذلك ضيق على الفقراء والمساكين وابن السبيل وغيرهم من الاصناف فلما حصل الضيق المذكور امرنا الشارع باخراج

نصيبه [illegible] عن الرجس [illegible]
[illegible] ونقص الريب وقلة البركة في الرزق وما سماها الله تعالى زكاة
الا لتنظيف المؤمن الكامل على كثرة نمو أمواله اذا أخرج حق الله تعالى منها وعدم
نقصها بذلك الاخراج قال تعالى وما انفقتم من شئ فهو يخلفه وهو خير الرازقين وقال صلى
الله عليه وسلم ما نقص مال من صدقة * ولما وجه تعلق نوافل الزكاة بالاكلة
المذكورة فهو أن العبد اذا اكل مالا ينبغي حجب واذا حجب لم تطب نفسه باخراج الزكاة
فاخراجها كارها لها أو ناقصة العدد أو رديئة فأمرنا الشارع بصدقة النافلة جبرا لذلك
الخلل كما تقدم نظيره في نوافل الصلاة * واما زكاة الفطر فانما امرنا بها ليصعد
صومنا الى محل القبول فقد ورد في الحديث صوم رمضان معلق بين السماء والارض
حتى تؤدى زكاة الفطر وما عوقه عن الصعود الا الخلل الواقع في الصوم من حجاب
الاكل في الليل ولولا اكل مانقص للمكلف عمل ولكان يأتي به كاملا من غير ان يخرقه
بغيبة أو نميمة اوشتم او اكل حرام او نظر الى محرم عليه ونحو ذلك والله تعالى اعلم * واما وجه
تعلق مشروعية صوم رمضان وغيره بالاكلة المذكورة فهو أن الله تعالى جعل
الصوم تطهير النفوس وتقوية للاستعداد والتوجه الى الله تعالى في قبول توبتنا من
سائر الذنوب التي وقعنا فيها لما حجبنا بالاكل وذلك ان الصوم يورث رقة القلب وزوال
الحسد ويسد مجاري الشياطين التي اتسعت بالاكل في سائر البدن حتى صار البدن
كطاقات شبكة الصياد فان العبد اذا جاع ثم تعشى بقدر السنة وتسحر بقدر السنة فقط
ولم يزد في السحور على ثلاث تمرات مثلا ضاقت على الشيطان المجاري حتى لا يجد له
مسلكا يدخل منه الى بدن الصائم ليوسوس له بما يريد منه ولذلك ورد الصيام جنة يعني
على البدن مالم يخرقه بغيبة ولا نميمة فلو فرض أن عبدا صام الصوم الشرعي ولم يخرق
صومه بشئ لكان محفوظا من الشيطان من رمضان الى رمضان (فان قيل) فلم كان
رمضان ثلاثين يوما او تسعا وعشرين يوما بحسب تمام الشهر ونقصه (فالجواب)
قد ورد أن تلك الاكلة التي اكلها آدم عليه الصلاة والسلام من الشجرة مكثت
في بطن آدم شهرا والشهر يكون تارة ثلاثين وتارة تسعا وعشرين ثم خرجت فاستمر
حكم تلك المدة في بنيه فلولا اكله عليه السلام من الشجرة التي هي مظهر
خلاف الاولى كما مر ما فرض صوم رمضان عليه وعلى بنيه لا سيما من اكل من الحرام
والشبهات (فان قيل) فلم شرع صوم النفل (فالجواب) شرع جبرا للخلل الواقع في صوم
الفرض نظير الصلاة والزكاة فلما علم الشارع من امته انهم لا يؤدون عبادة صومهم
على وجه الكمال شرع لهم زيادة على صوم رمضان صوم الاثنين والخميس وثلاثة أيام
من كل شهر وغير ذلك وقد ورد ان آدم عليه السلام لما اكل من الشجرة اسود
جسده امابا عتبار البنية في نظر أهل الحجاب واما اظهارا لحصول سيادته بذلك في نظر
العارفين اذ الانبياء لا ينتقلون قط من حالة الا الاعلى منها لدوام ترقيهم في المقامات
لعصمتهم كما مر بسطه في مبحث عصمة الانبياء فأمره الله تعالى لما اسود جسده ان يصوم

ثلاثة

بالاثنتايام الليالى البيض فزال بكل يوم ثلث سواد بدنه وذلك واقع لكل من وقع فى مخالفة
لامر من بغيبعبده ولكن لا يشعر بذلك الا من كشف الله عن بصيرته ومامنا الا من
وقع ولو فى مكروه وقد وقع لشخص من تلامذة الجنيد رضى الله عنه انه نظر الى امرد
جميل فاسود وجهه فى الحال حتى صار كالزفت الاسود فلم يزل حتى استغفر له الجنيد
ثلاثة أيام ومن الحكمة فى صوم هذه الثلاثة أيام أيضا ان كل شهر يرد على العبد فهو
ضيف نزل به من قبل الحق جل وعلا وحق الضيف ثلاثة أيام فاذا استوفى قراه ذهب
شاكرا صنيع العبد معه لله تبارك وتعالى (فان قيل) فلم خص الشارع الثلاثة
المذكورة بالثالث عشر وتالييه (فالجواب) انما خصها بذلك لان من جملة اكرام الضيف
تعجيل اكرامه سواء كان قبل اطالة الجلوس أو فى وسط المدة أو قبل انصرافه ولذلك شرع
صوم ثلاثة أيام من آخره أيضا ليفارق الشهر ذلك العبد على اثر الاكرام (فان قيل) هل
تحصل السنة بصيام الثلاثة ايام متفرقة فى غير الثالث عشر وتالييه (فالجواب) نعم
لكن يفوته كمال السنة (فان قيل) فلم شرعت الكفارة لمن جامع فى نهار رمضان
بشرطه (فالجواب) ان الكفارة شرعت لتكون حجابا بين العبد وبين ما عرض نفسه له
من حلول البلايا وهى للعقوبات بارتكاب المخالفة وأصل ذلك كله الاكل فانه لما أكل
ما لا ينبغى له حجب فاتم لك حرمة رمضان بالجماع فشرعت له الكفارة كما شرعت
للظاهر والقاتل والحالف فان البلاء اذا اراد ان ينزل من حضرة الاسم المنتقم مثلا يجد
الكفارة قد سترت ذلك العاصى فى ظل جناحها واكتنفته وصارت عليه جنة ووقاية
فرجع البلاء غير نافذ كل ذلك لسبق الرحمة الغضب على من عصى الله تعالى فهذا كان
سبب مشروعية الصوم فرضا ونفلا * واما وجه تعلق مشروعية الاعتكاف عقب الصوم
وكلما دخل المسجد فى أى وقت شاء بالا كيفية المذكورة فهو ان العبد اذا اكل حجب فنقص
من مراقبته الله عز وجل فوقع فى المخالفات فشرع الشارع للعبد كل قليل ان يعتكف
بقلبه وبدنه فى بيت الله الخاص مستشعرا بانه بين يدى الله تعالى ليجبر ذلك الخلل
الحاصل بالغفلة عن الله عز وجل المؤذنة بارخاء العنان فى تناول الشهوات ولذلك حرم
عليه الشارع ان يباشر امرأته أو حليلته فى المسجد لاسيما حال الاعتكاف خروجا عن
مقام الادلال فى حضرة الحق فان الادلال فيها يجر الى العطف فلا يناسبها الا الخوف
المحض والهيبة والجلال لا الترفه بالجماع ومقدماته فان ذلك ينافى الادب ولو انه وقع
فى شئ من ذلك لتعدى حدود الله ومن هنا أوجب بعض الائمة الصوم فى الاعتكاف
سدا لباب الترفه جملة واحدة ادبا مع الله تعالى وقالوا لا ينبغى للمعتكف ان يعود مريضا
ولا يشهد جنازة لانه فى حضرة الله الكبرى والعيادة وصلاة الجنازة تفرقه وتخرجه
من تلك الحضرة وثم مقام رفيع وارفع والله اعلم * واما وجه تعلق مشروعية الحج والعمرة
بالاكل من الشجرة فهو ان الله تعالى شرع الحج تكفيرا للذنوب العظام التى لا يكفرها
شئ الا الحج وقد تقدم فى الكلام على مشروعية الوضوء والصلاة ان لكل مأمور شرعى
تكفيرا خاصا المنهى خاص وأصل وقوعنا فى الذنوب حتى احتجنا الى المكفرات

هو الاكل فلولا الاكل لما احتجنا الى مكفر وكان الحج آخر ما وجب على آدم من المكفرات فانه صلى الله عليه وسلم تلقى الكلمات من ربه في تلك الاماكن فتاب عليه وهدى قال ابن عباس والكلمات هي قوله ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وقد تقدم في مبحث عصمة الانبياء ان ذنب آدم عليه السلام لم يكن ذنبا في الحقيقة وانما ذلك صورة ذنب ليعلم بنيه اذا وقعوا في مخالفة كيف يتوبون فلذلك أمره الحق تعالى بالحج تكفيرا لتلك الاكلة التي صورتها صورة المخالفة فافهم (فان قيل) فلم كان الحج على الناس مرة واحدة في العمر فقط ولم يتكرر كالصلاة والصوم وغيرهما (فالجواب) انما كان مرة واحدة تخفيفا من الله عز وجل علينا الضعفنا ولكثرة المشقة علينا في السفر للحج كل سنة لا سيما في حق أهل البلاد البعيدة وقالوا من ورد حضرة الله عز وجل الخاصة مرة واحدة في عمره لم تمسه النار أبدا (فان قيل) فما حكمة التجرد عن لبس المخيط (فالجواب) ذلك اشارة الى ان من ادب كل داخل لحضرة الالهية ان يدخل مفلسا متجردا عن شهود حسناته السابقة وتائبا من جميع زلاته اذ الامداد الالهية انما هي الخاصة بالفقراء والمساكين غالبا وقد اجمع اهل الله قاطبة على انه لا يصح دخول حضرة الله قط لغني ولا متكبر قال تعالى انما الصدقات للفقراء والمساكين فلما تجرد المحرمون مما ذكرنا استحقوا مواهب الله تعالى وفضله عليهم وفي الحديث من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه فكأن المحرم يولد هناك ولادة جديدة ثم لا يخفى ان سبب دعوى الغنا والتكبر انما هو الاكل فانه لما أكل تجبر فنازع الصفات الالهية في الكبرياء والعظمة ودعوى الغنا فحرم بركة امداده تعالى (فان قيل) فما وجه تعلق بعض الناس بأستار الكعبة (فالجواب) ان ذلك نظير تعلق الرجل بثوب صاحبه اذا كان بينه وبينه جناية ليصفح عنه ويسامحه والا فمن أدب الاكابر عدم التعلق بأستار بيت الله الخاص لما لا يخفى فقد كمل لآدم عليه السلام بالحج كمال مقام التوبة من اكله من الشجرة على ما قررناه وكذلك كمل لذريته بحكم التبع كمال توبتهم فمن لم يحج لم يحصل له كمال التوبة من حيث الذنوب الخاصة بالحج التي لا يكفرها الا هو كما مر في الكلام على الوضوء والصلاة وانما قلنا كمال التوبة ولم نقل لم تحصل له التوبة من اجل ان الندم وقع من آدم لما أكل من الشجرة وكذلك الحكم في كل مؤمن من ذريته لا بد من ندمه عقب المعصية امرا لازما لكل من رد اليه عقله بعد الزلة ومعلوم ان الندم هو معظم اركان التوبة لاستلزامه عادة وجود بقية الاركان وقد ورد أن آدم عليه السلام لما حج البيت قال يا رب اغفر لي ولذريتي فقال الله عز وجل اما أنت فقد غفرت لك ذنبك حين ندمت واما بنوك فمن اتاني لا يشرك بي شيئا غفرت له ذنوبه فهذا كان اصل مشروعية الحج وتعلقه بالاكل من شجرة النهي كل حاج بما يناسبه يكفر عنه الحج ذنوبه كلها من الكبائر الى خلاف الاولى * وأما وجه تعلق البيع والشراء وسائر المعاملات وتوابعها بالاكلة المذكورة فهو ان الانسان اذا أكل تجبر واذا تجبر خاف في البيع والشراء وغش وجار وظلم فشرع له البيع على

الميزان الشرعي دفعا للخوف والجور فان الانسان اذا حجب ربما اكل اموال الناس بالباطل ضرورة وشرهت نفسه وكثر ظلمه واشتدت ظلمة باطنه ومن لازم ذلك كثرت محبة الدنيا حتى انه يصير يتلقى الركبان ويبيع الناس بالربا ويمتنع من قرض المحتاجين الا ان رابا هم وربما باع وندم أواشترى وندم فشرع له الخيار وربما غصب الاموال واحتكر الطعام على الناس فجاءت الشريعة بالنهي عن الاحتكار والغصب وربما جحد البيع او الشراء فشرع التحالف قطعا للنزاع وربما اشترى الثمرة قبل التأبير فادعاها المشتري أواشترى عقارا فقط فادعى مافيه من المنقولات وهكذا فشرع له احكام باب بيع الاصول والثمار وامر باعطاء كل ذي حق حقه على يد شهود عدول ليرجع اليهم عند التنازع كما هو الغالب على اهل الدنيا وسبب مشروعية ذلك كله انما هو الاكل فانه لما اكل حجب عن جميع الحقوق التي ذكرناها ثم ان الشارع صلى الله عليه وسلم لما علم حجاب امته بالاكل عن ارفاق بعضهم بعضا على حكم المسامحة اللائقة باخوة الاسلام وسع صلى الله عليه وسلم على الناس بالسلم والرهن وضرب الحجر على من عليه ديون الناس ولا يجد لها قضاء حتى ان المفلس لا يحبس ويحجر على السفيه حتى لا يتلف ماله في غير طريق شرعي فان الله تعالى قد جعلها له قياما واصل وجود السفه في الانسان انما هو من الاكل وكذلك وسع صلى الله عليه وسلم على الناس بالعارية والوديعة والشركة والوكالة والشفعة والحوالة وامرهم ان يقروا بما عليهم من الحقوق في هذه الدار قبل الدار الآخرة واصل ذلك كله حجابهم بالاكل عن شهود مصالحهم ومصالح اخوانهم وكذلك شرع لامته ان يضمنوا بعضهم بعضا ويصالحوا ببعض ديونهم اذا عجز المديون عن الوفاء وكذلك نفس صلى الله عليه وسلم عن امته بالمساقاة والقراض والاجارة ووسع عليهم في احياء الموات وامرهم برد اللقطة واللقيط واعطاء الجعالة من رد الآبق لما حجبوا عن فعل ذلك مع اخوانهم واصل حجابهم الاكل فلولا الاكل لكان الناس كلهم يتعاونون على البر والتقوى من غير مخالفة فيكونون كالملائكة لا يتصرفون قط الا في خير ولا يقعون في شر البتة وتأمل الملائكة تجدهم منزهين عن الوقوع في شئ من هذه الامور لعدم حجابهم واما الهبة والهدايا والوقف فانما شرع ذلك شكر النعمة الحاصلة بالبيع والشراء فهي نوع آخر معدود من مكارم الاخلاق وانما كان الوقف لا يصح الا على التأبيد مبالغة في دوام المعروف والصدقة بعد الموت وجبر الخلل الواقع من صاحب المال طول مدة كون المال في يده فلو كان كل من وجده محتاجا اعطاه حاجته أولا فاولا ما شدد عليه في تأبيد الوقف وكان يكفيه أن يقدر له مدة معلومة انتهى (فان قيل) فما وجه تعلق باب الفرائض وبيان قسمتها بالاكل من الشجرة (فالجواب) ان وجهه انه لما اكل حجب فشرهت نفسه عن ان يعطي غيره من مال مورثه شيئا فجعل الله تعالى لكل وارث نصيبا مفروضا دفعا للفساد وكانت الوصية في مرض الموت أوغيره كالنافلة مع الفريضة ليجبر خلل ما اخل به من المعروف مدة عمره ولذلك ورد أفضل الصدقة ان تصدق وانت صحيح شحيح تؤمل البقاء

وتخاف الفقر وليست الصدقة الثابتة الريبية القوم فقلت لفلان كذا ولفلان كذا الحديث بالمعنى في بعضه أي فان ذلك قليل الثواب بالنسبة لصدقة الانسان حال صحته فالحمد لله رب العالمين فهذا كان سبب مشروعية ربع البيع كله وتعلقه بالا كلة المذكورة والله اعلم (واما وجه تعلق مشروعية النكاح وتوابعه بالا كلة المذكورة فظاهر) وذلك ان شهوة النكاح مانشأت الا من الا كل فلولا الا كل لما وجد في الناس شهوة وكان الناس كالملائكة وانما امرنا الشارع صلى الله عليه وسلم بالنكاح وقال شراركم عزابكم ولم يكتف فيه بالوازع الطبعي شفقة علينا وتقوية لقلب من يستحي من فعل ذلك بل اكثر الناس يستحيون من ذكره فضلا عن فعله وأيضا فانما امرنا بالنكاح لنكون بذلك تحت طاعة الشارع وممتثلين لامره لا تحت طاعة نفوسنا فنثاب بذلك بل بعض الاولياء ربما يحضر مع الله تعالى في حال جماعه كما يحضر معه في حال صلاته من حيث جامع المشروعية من كل منهما وايضا فان حثه صلى الله عليه وسلم لنا على التزويج يورث الاكثار منه فيكثر بذلك نسلنا وذرارينا ليستغفروا لنا ولتكون اعمالهم الصالحة من جملة حسناتنا فاننا كنا محلا لوجودهم في [illegible] وما وليس علينا من أوزارهم شئ كما انه ليس على آدم عليه السلام [illegible] ر اولاده المخالفين لامر الله عزوجل شئ و نرجو من فضل ربنا قبول استغفار ذرية [illegible] وان يعفو عنا ربنا ويصلح بذلك حالنا هذا هو الاصل في الغرض بالنكاح [illegible] كدفع شهوة لزنا ومقدماته فانما ذلك بحكم التبع لتلك المنافع الحاصلة لخلاص [illegible] واما وجه تعلق محرمات النكاح بالنسب والمصاهرة بالا كلة المذكورة فهو ان [illegible] كل ما لا ينبغي اظلم قلبه فقل حياؤه فربما اشتهى وطء محارمه فحرم الله تعالى [illegible] ما حرم من المحارم ومن النساء من لا كتاب لهم من المشركين ولولا بيان الشارع لنا صلى الله عليه وسلم لذلك لنكحنا محارمنا * (واما وجه تعلق باب الخيار والاعفاف ونكاح العبد بالا كلة من الشجرة) فلان نفرة احد الزوجين من الآخر بعاهة من العاهات انما سببه الشهوة الطبيعية الناشئة من الا كل فلولا الا كل ما حصل لاحدهما جنون ولا جذام ولا برص ولا عنة ولا نفر من الرتقاء ولا القرناء كما لا ينفر منها الملك لعدم الشهوة الى وطئها وكذلك لولا حجابه بالا كل ما خفي عليه وجوب اعفاف والده اذا تاقت نفسه الى النكاح ولا كان امتنع من تزويج عبده مع استخدامه في مهماته ليلا ونهارا وأما وجه تعلق هدايا الاصهار قبل التزويج ووزن الصداق بالا كلة المذكورة فانما شرع ذلك استجلابا لميل خاطر الولي والزوجة الى اجابة الخاطب فان خاطر الولي والمرأة اذا كان مائلا الى الزوج بالمحبة اسرع بالحمل وجاء الولد نجيبا وكثر النسل لعدم الامر المنغص للخاطر من كراهة المرأة واهلها للزوج واصل وقوع المنغصات كلها من الا كل فانه اذا اكل حجب واذا حجب عمي عن اكرام اصهاره ومن أمره الله تعالى بموالاتهم من المسلمين وكذلك القول في سبب مشروعية القسم والنشوز ووجود الشقاق بين الزوجين اصله كله الا كل فلولا الا كل لما حجب الزوج ولما خاف ولما ظلم ولكان يعدل بين زوجاته لانتفاء الاغراض

النفسانية حينئذ وكذلك لولا الاكل لما اخلت المرأة بحق زوجها ولما كفرت نعمته ولوان الزوجين اكلا ماينبغي لم يقع منهما خوف ولا جوركما هوشأن الانبياء والاولياء (وأما وجه تعلق الخلع والطلاق والرجعة والايلاء والظهار بالاكلة المذكورة) فسببه أيضا الاكل وذلك انه اذا شبع من الحلال فضلا عن الحرام وبطر جاعت جوارحه فخاصم وفجر وكان من اقرب الناس اليه في ذلك زوجته فضاجرها وغايرها بالضرائر والسراري حتى سألته الطلاق بعوض منها لتستريح من سوء خلقه فخلعها أوطلقها هوابتداء من غير عذر بطرا وطلب أن يتزوج أعلا منها وحلف ان لا يطأها فظاهر منها ثم اذا راقت نفسه من ذلك التكدير والخصام ربما طلب مراجعتها أولم يطلب وكانت العدة والاستبراء والرضاع من توابع النكاح عند حصول فراق أوطلاق أوزوال فراش أووجود ولد رضيع ذكر أوانثى أوموت فبين لنا الشرع حدود ذلك كله حتى لا ينزع الولد ممن هو احق به ولئلا يتزوج الانسان اخته من الرضاع ويشح على المرضعة باجرتها كل ذلك لحجابه بالاكل (واما وجه مشروعية نفقة الزوجة والاولاد والوالدين) فانما كان ذلك لحجابنا بالاكل فانا لما اكلنا حجبنا عن تأدية حقوق زوجاتنا وأولادنا ووالدينا وأقاربنا ورقيقنا وبهائمنا وغفلنا عن تأدية حقوقهم للحجاب الحاصل لنا من الاكل فلولا الحجاب ما احتجنا الى أن نؤمر بذلك لعظم حق الوالدين وبيان فضل صلة رحمهم ومن الحق بهم من القرائب ويزيد الوالدان في الحق علينا لكونهما كانا سببا في ايجادنا مع تحملهما همومنا وغمومنا وخدمتنا في حال طفوليتنا وشبابنا ورجوليتنا وفي حال صحتنا ومرضنا واما وجه نفقة رقيقنا فهو مكافأة لهم على خدمتهم لنا وصبرهم على تحجيرنا عليهم ليلا ونهارا في شئ لا يستطيع أحدنا الاقامة عليه وأما البهائم فلكثرة نفعها لنا بالحرث والدراس والطحن وحملنا وامتعتنا الى البلاد البعيدة التي لا يستطيع احدنا أن يمشي اليها بنفسه فضلا عن حملنا متاعنا عليها وهل جزاء الاحسان الا الاحسان ثم ان اصل حجابنا عن تأدية جميع هذه الحقوق انما هو الاكل والله تعالى اعلم* (واما وجه تعلق مشروعية جميع الحدود بالاكلة المذكورة ومايذكر معها فهو ظاهر) فان الانسان اذا اكل الشهوات ربما فسق وتعدى حدود الله تعالى فقتل النفس بغير حق وقطع العضو أوجرحه أوشج الرأس وقلع العين وكسر السن والعظم وسرق أمتعة الناس وقطع الطريق وشرب الخمر وزنى وقذف الناس بالباطل وصال على البضع والمال وجار في القسمة ولم يقر بما جناه فاحوج الناس الى ان تحلف الناس خمسين يمينا وصار يحلف الايمان الكاذبة ويكثر من الصادقة ويبخل بالطعام والمال على المحتاجين ولم تسمح نفسه أن يعطيه لاحد من عباد الله الاان شفى الله تعالى مريضه أورد ضالته أوأخذ بيده في الشدائد فلذلك عاهد الله بالنذر حتى قدر على نفسه انها تسمح به كل ذلك لعظم محبته ورغبته في الدنيا الناشئ ذلك كله من حجاب الاكل ولوانه ترك الاكل جملة أوجاع واكل نسد الرمق أوالاكل الشرعي لضعفت جوارحه عن تعدي هذه الحدود التي قدمناها كلها بل ربما يكلمه أخوه اذا جاع

فيثقل عليه الكلام ولا يرد عليه الا بتكلف من شدة الجوع وكذلك لولا الاكل ما تجبب العبد حتى ادعى الدعاوى الباطلة التى يقول الله له فيها كذبت ولا تحمل الشهادة على غير علم ولا قضى بين الناس بغير علم ولو أنه كان لا يأكل طعاما أو اكل الاكل المشروع فقط لما وقع منه شئ من ذلك فلذلك أمر الله تعالى اصحاب هذه الصفات ان ينقادوا لاصحاب الحقوق ليقتصوا منهم وتقام عليهم هذه الحدود وحفظا لنظام الوجود عن الفساد الحاصل بالاكل وانما شرع فى بعض الحدود الكفارة بعتق أو اطعام أو كسوة أو صوم لزيادة القبح فى ذلك الذنب ولتكون الكفارة حجابا مانعا من وقوع البلاء على ذلك العاصى كما مرت الاشارة اليه فى الكلام على صوم رمضان والله أعلم *(واما وجه تعلق عتق الرقبة وكتابته وتدبيره وتحريم بيع امهات الاولاد بالاكلة المذكورة) فهو أن سبب العتق والكتابة والتدبير مقابلة العبد بنظير ما فعل مع سيده من الخدمة ولولا ان الشارع أمر السيد بذلك لما اهتدى لتلك المقابلة لحجابه بالاكل عن ادراك قبح تحمل من الخلائق اذ ملكه للعبد ليس ملكا حقيقيا وانما الملك فيه لله رب العالمين ولو ان الله عزوجل جعل الرقيق خفيف العقل ما دخل تحت تحجير عبد آخر فكان حكم العبد مع سيده كحكم الطفل فى يد وليه لولاه لضاعت مصالحه فافهم ويؤيد ماقلناه حديث اخوانكم خولكم اطعموهم مما تطعمون والبسوهم مما تلبسون ولا تكلفوهم من العمل مالا يطيقون فان كلفتموهم فاعينوهم *وأما وجه تعلق مشروعية تحريم بيع امهات الاولاد بالاكلة المذكورة فهو ان السيد لما اكل مالا ينبغى حجب ونسى حقوق ام ولده عليه حين كانت له فراشا مع ان ماءها اختلط بمائه فى الولد فكان عتقها كفارة لذلك الجهل الحاصل بحجاب الاكل والله اعلم (واما وجه تعلق مشروعية نصب الامام الاعظم وسائر نوابه بالاكلة المذكورة من الشجرة فظاهر فانه لولا الامام الاعظم ونوابه مانفذ شئ من الاحكام ولا اقيم شئ من الحدود ولا قام لدين الاسلام شعار وكان يفسد نظام العالم كله واصل الاخلال بذلك كله حجاب الخلق بالاكل فلولا الاكل ما تعدى أحد حدود الله ولا احتاج الناس الى امام ولا حاكم ولا قاض وكان الانسان يعطى الحقوق التى عليه لاربابها قبل المطالبة كما عليه طائفة الاولياء الذين كشف الله حجابهم لكن لما كان الخلق كلهم لا يقدرون على المشى على الطريقة المذكورة احتاجوا ضرورة الى الحاكم ليحموا نفوسهم وأموالهم وحريمهم من الفسقة والمتمردين وأيضا فلولا الامام الاعظم ونوابه ما انتظم لبيت المال حال ولا قدر أحد على تخليص خراج يصرف على عساكر الاسلام فكانت تضيع مصالح الخلق اجمعين فالحمد لله رب العالمين فهذا ما حضرني الآن فى حكمة وجود التكاليف التى جاءت بها الشرائع كلها والله تعالى اعلم

(المبحث الثانى والاربعون فى بيان ان الولاية وان جلت مرتبتها وعظمت فهى آخذة عن النبوة شهودا ووجودا فلا تلحق نهاية الولاية بداية النبوة أبدا ولو ان وليا تقدم الى العين التى يأخذ منها الانبياء لاحترق)

وغايه

وقضية أمر الاولياء انهم يتعبدون بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم قبل الفتح عليهم وبعده ومتى ماخرجوا عن شريعة محمد صلى الله عليه وسلم هلكوا وانقطع عنهم الامداد فلا يمكنهم ان يستقلوا بالاخذ عن الله ابدا وقد تقدم في المباحث السابقة ان جميع الانبياء والاولياء مستمدون من محمد صلى الله عليه وسلم ويؤيد ذلك انه صلى الله عليه وسلم كان يتعبد قبل رسالته بشريعة ابراهيم عليه السلام أو غيره على خلاف في ذلك فلما جاءه الوحي انقطع عن ذلك التعبد واتبع ما اوحي به اليه وكذلك القول في الولي غايته الالهام الموافق لشريعة محمد صلى الله عليه وسلم بعد الفتح فلا يعمل به مستقلا لان نبوة التشريع قد انقطعت بموت رسول الله صلى الله عليه وسلم فيصير ملك الالهام يفهم ذلك الولي شريعة محمد صلى الله عليه وسلم و يطلعه على اسرارها حتى كأنه أخذها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بلا واسطة فاذا صح للولي قدم الاخذ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير واسطة فهنالك يصح ان يرشد الامة المحمدية و يتصدر لدعائهم الى الله عزوجل بحكم النيابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعالى قل هذه سبيلي ادعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني الآية فقد بان لك ان الولاية لا تلحق النبوة ابدا ومن قال من العارفين ان مقام الولاية أكمل واتم من مقام الرسالة فمراده كما قاله الشيخ محيي الدين في الفتوحات ان مقام ولاية النبي في نفسه اتم واكمل من مقام رسالته وذلك لشرف المتعلق ودوامه فان الولاية يتعلق حكمها بالله تعالى ولها الدوام في الدنيا والآخرة والرسالة يتعلق حكمها بالخلق وينقطع بزوال زمن التكليف فليس مراد احد من القوم بما قالوه نصب الخلاف بين مطلق الولاية ورسالة الانبياء فان هذا لا يقوله الا الجاهلون بالله تعالى الذين لم يقربوا من حضرته ولم يعرفوا أهلها وحاشا الاولياء من ذلك وقد سئل بعضهم عن ولاية غير النبي هل يصح انها تفضل ولاية نبي فقال لم يرد لنا في ذلك شئ والذي نميل اليه ان ولاية كل نبي فاضلة على ولاية اعظم الاولياء وهو الذي يليق بمقامهم لان الولاية آخذة عن النبوة كما مر واعلم ان من جملة ما اشيع عن الشيخ محيي الدين انه يقول مقام الولاية اتم من مقام الرسالة على الاطلاق والشيخ رضي الله عنه برىء من ذلك فقد قال في الباب الرابع عشر من الفتوحات اعلم ان الحق تعالى قصم ظهور الاولياء بانقطاع النبوة والرسالة بعد موت محمد صلى الله عليه وسلم وذلك لفقدهم الوحي الرباني الذي هو قوت ارواحهم ولو ان احدا من الاولياء كان في مقام نبي فضلا عن كونه قد فضله ما قصم ظهره ولا احتاج الى وحي على لسان غيره وانما غاية لطف الله تعالى بالاولياء انه ابقى عليهم وحي المبشرات في المنام ليستأنسوا برائحة الوحي انتهى وقال أيضا في الكلام على التشهد من الفتوحات اعلم ان الله تعالى قد سد باب الرسالة عن كل مخلوق بعد محمد صلى الله عليه وسلم الى يوم القيامة وانه لا مناسبة بيننا وبينه صلى الله عليه وسلم لكونه في مرتبة لا ينبغي ان تكون لنا انتهى وقال في شرحه لترجمان الاشواق اعلم أن مقام النبي ممنوع لنا دخوله وغاية معرفتنا به من طريق

الارث النظر اليه كما ينظر من هو في اسفل الجنة الى من هو في اعلى عليين وكما ينظر اهل الارض الى كوكب السماء وقد بلغنا عن الشيخ أبي يزيد انه فتح له من مقام النبوة قدر خرم ابرة تجليا لا دخولا فكاد ان يحترق وقال في الباب الثاني والستين واربعمائة من الفتوحات اعلم انه لا ذوق لنا في مقام النبوة لنتكلم عليه وانما نتكلم على ذلك بقدر ما اعطينا من مقام الارث فقط لانه لا يصح لاحد منا دخول مقام النبوة وانما نراه كالنجوم على الماء وقال في الباب السابع والستين وثلثمائة لقد أعطيت من مقام العبودية التي اختص بها رسول الله صلى الله عليه وسلم مقدار الشعرة الواحدة من جلد الثور فما استطعت القيام به انتهى فهذه نصوص الشيخ محيي الدين رحمه الله تكذب من افترى عليه انه يقول الولاية اعظم من النبوة والله تعالى أعلم

(المبحث الثالث والاربعون في بيان ان افضل الاولياء المحمديين بعد الانبياء والمرسلين أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم اجمعين)

وهذا الترتيب بين هؤلاء الاربعة الخلفاء قطعي عند الشيخ أبي الحسن الاشعري ظني عند القاضي أبي بكر الباقلاني ومما تشبث به الروافضة في تقديمهم عليا رضي الله عنه على أبي بكر رضي الله عنه حديث انه صلى الله عليه وسلم أتى بطير مشوي فقال اللهم ائتني باحب خلقك اليك يأكل معي من هذا الطير فأتاه علي رضي الله عنه وهذا الحديث ذكره ابن الجوزي في الموضوعات وافرد له الحافظ الذهبي جزاء وقال ان طرقه كلها باطلة واعترض الناس على الحاكم حيث ادخله في المستدرك ودليل أهل السنة في تفضيل أبي بكر على علي رضي الله عنهما الحديث الصحيح ما فضلكم أبو بكر بكثرة صوم ولا صلاة ولكن بشيء وقر في صدره وهو نص صريح في أنه افضلهم وفي البخاري عن ابن عمر قال كنا نقول خير الناس بعد النبي صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ولا ينكر ذلك علينا وقال الشيخ أبو الحسن الاشعري ومما فضل به أبو بكر رضي الله عنه انه ما زال بعين الرضى من الله عز وجل أي بحالة غير مغضوب فيها عليه اذ لم يثبت عنه حالة كفر كما ثبت عن غيره ممن آمن وان لم يكن موصوفا بالايمان قبل بعثة النبي صلى الله وسلم اذ حكم السعادة دائر مع حكم التوحيد لا مع الايمان اذ متعلق الايمان انما هو الخبر الذي جاء به الصادق عن الله عز وجل ولا خبر ولا كتاب في زمن الفترة التي قبل النبوة حتى يتعلق به ايمان أبي بكر رضي الله عنه أو ايمان غيره فصح حينئذ قولهم ان ابا بكر ما زال بعين الرضى قد اطبق السلف الصالح من الصحابة والتابعين على احترام هؤلاء الاربعة الخلفاء عند الله وتعظيمهم على هذا الترتيب الذي ذكرنا اما الصحابة فلانهم شاهدوا افضل أبي بكر بقرائن الاحوال المقترنة بقوله صلى الله عليه وسلم و بفعله المنبئين عن الافضلية عند الله تعالى واما التابعون فلانهم خير القرون بعد الصحابة ولانهم أعرف بعقائد الصحابة في أبي بكر وغيره قال العلماء وانما كان أبو بكر يدعى بخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه خليفة في أمر الرعية واستخلفه للصلاة بالناس في مرض وفاته صلى الله عليه وسلم فابو بكر افضل الاولياء المحمديين وقالت الشيعة وكثير من المعتزله الافضل

بعد النبي صلى الله عليه وسلم على ابن أبي طالب رضي الله عنه ودخل في قولنا ان أبا بكر
أفضل الاولياء المحمديين أولياء الامم السالفة فأبو بكر أفضل منهم بناء على عموم
رسالته صلى الله عليه وسلم في حق من تقدمه وفي حق من تأخر عنه بالزمان وخرج
بقولنا في الترجمة بعد الانبياء والمرسلين يعني الاحياء والاموات غير عيسى عليه
السلام فانه أفضل من أبي بكر بيقين وكذلك خرج الخضر عليه السلام فان مقامه برزخي
بين الولاية والنبوّة كما ذكره الشيخ في الفتوحات وعبارته ومقام الخضر عليه السلام
دون النبوّة وفوق الصدّيقية كما اخبرنا بذلك عليه السلام عن نفسه مشافهة قال
و يسمى مقام القربة وانكر الامام الغزالي هذا المقام انتهى * قلت وذكر النووي في
تهذيب الاسماء واللغات مانصه الخضر عليه السلام نبي واختلف في رسالته وشذ
بعض الصوفية فقال بولايته انتهى والله اعلم وعبارة الشيخ في الباب الثالث والتسعين
من الفتوحات اعلم انه ليس في امة محمد صلى الله عليه وسلم من هو أفضل من أبي بكر
غير عيسى عليه السلام وذلك انه اذ نزل بين يدى الساعة لا يحكم الا بشرع محمد صلى الله
عليه وسلم فيكون له يوم القيامة حشران حشر في زمرة الرسل بلواء الرسالة وحشر
في زمرة الاولياء بلواء الولاية انتهى * وقال الشيخ كمال الدين بن أبي شريف في حاشيته
الذي يتجه ان عيسى عليه السلام لا يعدّ من امّة محمد صلى الله عليه وسلم لانه غير داخل
في دعوته فلم يكن في أمّة الدعوة ولا من أمّة الملة انتهى * وقال الشيخ تقي الدين ابن
أبي المنصور في عقيدته و يعتقد ان أبا بكر رضي الله عنه أفضل من سائر الامّة المحمدية
وسائر أمم الانبياء واصحابهم لانه كان ملازما لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالصدّيقية
لزوم الظل للشاخص حتى في ميثاق الانبياء ولذلك كان أوّل من صدّق رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقال الشيخ في الباب الثالث وثلثمائة من الفتوحات اعلم ان السر الذي وقر
في صدر أبي بكر رضي الله عنه وفضل به على غيره هو القوّة التي ظهرت فيه يوم موت
رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت له كالمعجزة في الدلالة على دعوى الرسالة فقوى
حين ذهلت الجماعة لانه لا يكون صاحب التقدم والامامة الا صاحيا غير سكران
فكان رضي الله عنه هو الحقيق بالتقدّم ولا يقدح في كونه واستحقاقه الخلافة كراهة
بعض الناس فان ذلك مقام الهي * قال تعالى ولله يسجد من في السموات والارض طوعا
وكرها فاذا كان بعض الناس يسجد لمن بيده ملكوت السموات والارض كرها لا طوعا
فكيف بحال ابي بكر أو غيره فعلم انه لا بدّ من طائع وكاره ولو كان يدخل في الامر على كره
لاجل شبهة تقوم عنده اذا كان ذا دين وكل الصحابة كذلك فبتقديم بعضهم على بعض كما
وقع به الترتيب في خلافتهم لا بد منه لكونه سبق ذلك في حكم الله وأمّا من حيث قطعنا
بتفضيل بعضهم على بعض فذلك مصروف الى الله تعالى فهو العالم بمنازلهم عنده ولم
يعلمنا سبحانه وتعالى بما في نفسه من ذلك فالله تعالى يحفظنا من الفضول ومن مخالفة
أهل السنة والجماعة آمين * وقال الشيخ صفي الدين بن أبي المنصور كان ترتيب الخلفاء
الاربعة كما ذكرنا متعينا لترتيب الحكمة وسر كمال دائرة الامّة وقال الشيخ كمال الدين بن

أبي شريف في حاشيته على المسايرة ان أفضل الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر فعمر فعثمان فعلي رضي الله عنهم أجمعين والادلة على ذلك من السنة كثيرة يتظافر دلالة مجموعها على تقديم أبي بكر حتى يظهر ذلك للواقف عليها كفلق الصبح وكانت امارة عثمان بالعهد من عمر أن يكون الامر شورى بين ستة يختار خمسة منهم السادس ليكون خليفة فوقع الاختيار على عثمان والوفاق على امارته وكانت امارة علي رضي الله عنه باجتماع كبراء المهاجرين والانصار والتماسهم منه قبول مبايعتهم اياه فبايعوه رضي الله عنهم انتهى كما قال الشيخ كمال الدين رحمه الله تعالى وقال الشيخ محيي الدين في الباب التاسع والستين وثلثمائة مما يدل على فضل أبي بكر رضي الله عنه على غيره كونه كان مع النبي صلى الله عليه وسلم كالمريد الصادق اذا كمل فتحه مع شيخه وبذلك استحق الخلافة فلما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تجرد أبو بكر الى جانب الحق جل وعلا ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم عبدا مخلصا ليس له مع الله تعالى حركة ولا سكون الا باذن من الله تعالى وقال أبو السعود ابن الشبلي رحمه لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صار أبو بكر متعهدا على الله تعالى دون رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان يأخذ كل شئ يأتيه من الاحكام من الله على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولذلك لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يتأثر كل ذلك التأثر كما وقع لغيره فانه ما من أحد من الصحابة الا واضطرب ذلك اليوم وقال ما لا ينبغي سماعه وشهد على نفسه في ذلك اليوم بقصوره وعدم معرفته بحال رسوله الذي اتبعه وأما أبو بكر فكان يعلم حقائق الامور ولذلك صعد المنبر وقرأ وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الآية فتراجع من كان حكم عليه وهمه وعرف الناس حينئذ فضله على الجماعة حينئذ فاستحق الامامة والتقدم فما بايعه من بايعه سدى وما تخلف عن بيعته الا من جهل منه ما كان يجهل من رسول الله صلى الله عليه وسلم أو من كان في محل نظر من ذلك اومتأولا فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد شهد له في حياته بفضله على الجماعة بالسر الذي وقر في صدره فظهر حكم ذلك السر يوم موته صلى الله عليه وسلم وليس السر الا ما ذكرناه من استيفائه مقام العبودية بحيث انه لم يخل منه شئ في حقه ولا في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد علم من أبي بكر انه صار مع الله لا مع رسوله صلى الله عليه وسلم الا بحكم انه كان يرى ما يخاطبه به الحق تعالى على لسان محمد صلى الله عليه وسلم في كل خطاب سمعه منه وكان لابي بكر ميزان في نفسه يعلم ما يقبل من خطابه في حقه وما لا يقبل * قال الشيخ محيي الدين وقد تحققت بمقام العبودية الصرف الخالصة وبلغت فيه الغاية فانا العبد المحض الخالص الذي لا يشوبني بشئ من دعوى الربوبية على شئ من العالم قال ولا اعلم أحدا ممن تقدمني بالزمان ورث مقام العبودية على التمام كما ورثته الا ما بلغني عن رجل من رجال رسالة القشيري انه قال لو اجتمع الناس على ان ينزلوا نفسي منزلتها التي هي عليها من الخشية والتواضع لم يستطيعوا فانا وان

كان الناس يستفيدون من العلوم فانا في نفسي عن ذلك بمعزل انتهى (فان قلت) فما حقيقة الصديقية (فالجواب) كما قاله الشيخ في كتاب لواقح الانوار ان الصديقية عبارة عن ايمان صاحبها بجميع ما اخبر به الرسل فتصديقه لذلك هو صديقيته (فان قلت) فهل في الصديقية تفاضل (فالجواب) كما قاله الشيخ محيي الدين انه لا تفاضل في الصديقية لانها كلها حقيقة واحدة فاذا رأيت بين الصديقين تفاضلا فليس هو من باب الصديقية وانما هو من باب آخر وسر آخر كالذى وقر في قلب أبي بكر ففضل به على جميع الصديقين لا بنفس الصديقية كما مر وقال في الباب التاسع وثلثمائة اعلم ان رأس الاولياء الملامية هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه (فان قلت) ما المراد بالملامية (فالجواب) هم قوم لا يزيدون على الصلوات الخمس الا الرواتب ولا يتميزون عن المؤمنين المؤدين فرائض الله تعالى بحالة زائدة يمشون في الاسواق ويتكلمون مع الناس لا يتميزون عن العامة بعبادة ظاهرة قد انفردوا بقلوبهم مع الله تعالى راسخون في العلم وفي العبودية لا يتزلزلون عنها طرفة عين فهم لا يعرفون للرياسة طعما لاستيلاء سلطان الربوبية على قلوبهم ولتحقق الامام أبي بكر رضي الله عنه بتمام العبودية لم ينقل عنه ما نقل عن غيره من الاكثار من نوافل العبادات لكثرة ما كان يخفي من أحواله فكانت أعماله قلبية مع ان كل ذرة ظهرت من أعماله لا يعادلها قناطير من عمل غيره رضي الله عنه قال الشيخ رضي الله عنه ومما يدل على تفضيل أبي بكر على عمر رضي الله عنهما من وقائع الاحوال ما ثبت في الاحاديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابي بكر ما أصبح اليوم عند آل محمد شئ يقوتهم فاتاه أبو بكر بجميع ماله حتى وضعه بين يديه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تركت لاهلك يا أبا بكر فقال الله ورسوله فسمع عمر رضي الله عنه بذلك فاتاه بشطر ماله فقال له صلى الله عليه وسلم ما تركت لاهلك يا عمر فقال الشطر يا رسول الله فقال بينكما ما بين كلمتيكما الحديث * وقال الشيخ في الباب الثامن والاربعين ومائتين وجه التفضيل انه صلى الله عليه وسلم لم يحدد لهما في مالهما حدا بل عمى الامر عليهما ليفعل كل واحد قدر عزمه والا فلو انه صلى الله عليه وسلم كان حد لهما حدا ما تعدياه فكان فضل أبي بكر على عمر لا يظهر فما أراد صلى الله عليه وسلم بابهام الامر الا بيان ظهور فضيلة أبي بكر على عمر رضي الله عنهما قال وفي قول أبي بكر تركت لاهلي الله ورسوله غاية الادب حين قرن رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الله تعالى فتحا الباب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قدر أنه رد على أبي بكر شيأ من ماله لكان قبله من يده صلى الله عليه وسلم لكونه رضي الله عنه ترك رسول الله لاهله يعولهم فما حكم أبو بكر في ماله الا من استنابه رب المال فانظر يا اخي ما اشد معرفة أبي بكر بمراتب الامور وبذلك فضل على عمر وكان قد تخيل انه يسبق أبا بكر ذلك اليوم فلما وقع له ما وقع من اتيانه بشطر ماله قال لا اسبق ابا بكر بعد اليوم وسلم له المقام * ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يرد على أبي بكر شيأ من ماله وذلك ليتنبه الحاضرين على ما علمه من

صدق أبي بكر في المحبة فانه لورد على أبي بكر شيئا من ماله لتطرق الاحتمال في حق أبي بكر انه خطر له الرفق برسول الله صلى الله عليه وسلم وانه انما عرض على أبي بكر ذلك مكافاة له لما علم من عدم طيب نفسه باعطائه ماله كله كما وقع لعبد الرحمن بن عوف فانه جاء مرة الى رسول صلى الله عليه وسلم بماله كله فرده عليه ولو علم صلى الله عليه وسلم منه انه لا يرى له معه ملكا كما كان أبو بكر لم يرده عليه انتهى وقال الشيخ في بعض كتبه اعلم ان استحقاق الامامة لشخص واحد يعرف باموور ومنها نص من يجب قبول قوله من نبي او امام عادل ومنها اجتماع المسلمين على امامته وكان الامام بالاجماع بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر ثم عمر بنص أبي بكر رضي الله عنه عليه ثم عثمان بنص عمر عليه ثم علي بنص جماعة جعل الامر شورى بينهم فانه لم يستخلف احدا وقد أجمع المعتبرون من الصحابة على امامة عثمان ثم علي المرتضى فهؤلاء الاربعة هم الخلفاء الراشدون ثم ان المخالفة وقعت بين الحسن ومعاوية وصالحه الحسن فاستقرت الخلافة على معاوية ثم على من بعده من بني أمية وبني مروان حتى انتقلت الخلافة الى بني العباس وأجمع أهل الحل والعقد عليهم وانساقت الخلافة منهم الى ان جرى ما جرى وقول بعض الروافض ان ابا بكر غصب الخلافة وتقدم كرها على الامام علي رضي الله عنهما باطل ويلزم منه اجماع الصحابة على الظلم حيث مكنوا ابا بكر من الخلافة وحاشا جماة الدين رضي الله عنهم من ذلك وكان الشيخ محيي الدين رضي الله عنه يقول تقديم أبي بكر في الفضل على عمر قطعي وتقديم عمر على غير ظني قال والذي أطلعنا الله تعالى عليه من طريق كشفنا ان تقدم شخص بالامامة على آخر انما هو تقدم بالزمان ولا يلزم منه التقدم بالفضل فان الله تعالى قد أمرنا باتباع ملة ابينا ابراهيم وليس ذلك لكونه أحق بها من محمد صلى الله عليه وسلم وانما هو لتقدمه بالزمان فان للزمان حكما في التقدم من حيث هو زمان لا من حيث المرتبة وذلك كالخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فان من حكمة الله تعالى ترتيبها بحسب الآجال والاعمال التي قدرها الله عز وجل ايام ولاية كل واحد على التعيين مع ان كل واحد اهل لها حال ولاية الآخر وقد سبق في علم الله انه لا بد من ولاية كل واحد من الخلفاء الاربعة على الترتيب الذي وقع حتى لو قدر ان المتأخر تقدم فلا بد من خلعه حتى يلي أحدهم من لا بد له من الولاية عند الله تعالى فكان في ترتيب ولايتهم بحكم اعمارهم عدم وقوع خلع احدهم مع الاستحقاق اذ الصحابة كلهم عدول ذكره الشيخ في الباب الثامن والخمسين وخمسمائة في الكلام على اسمه تعالى المعطي وقال في هذا الباب أيضا في الكلام على اسمه تعالى الآخر اعلم ان الخلفاء الاربعة لم يتقدموا في الخلافة الا بحسب اعمارهم فان الاهلية للخلافة موجودة فيهم من جميع الوجوه فكان سبقهم لا يقتضي التفضيل بمجرده وانما ذلك بوجود نص قاطع قال ولما سبق في علم الله تعالى ان ابا بكر يموت قبل عمر وعمر يموت قبل عثمان وعثمان يموت قبل علي والكل لهم حرمة عند الله وفضل قدم الله في الخلافة من علم ان اجله يسبق أجل غيره من هؤلاء الاربعة قال وفي الحديث

اذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما فلو قدران الناس بايعوا أحدا من الثلاثة دون ابى بكر مع كونه لا بدلا بى بكر من الخلافة فى ذلك الزمان فخليفتان لا يجتمعان وقتل الآخر من هؤلاء الخلفا لا يجوزوان قدر خلع أحد من الثلاثة وولى أبو بكر الخلافة كان فى ذلك عدم احترام فى حق المخلوع ونسبة من خلعه الى الجور والظلم فانه خلع من الخلافة من يستحقها ثم ان قدران من قدم لم يخلع كان أبو بكر يموت أيام خلافة من تقدمه من غير ان يلى الخلافة وقد سبق فى علم الله انه لا بد له أن يليها ومخالفة سبق العلم محال وأطال الشيخ فى ذلك ثم قال وبالجملة فلا ينبغى الخوض فى مثل ذلك الا مع وجود نص صريح مع انا قائلون بترتيب هؤلاء الخلفا الاربعة كما عليه الجمهور وانما خالفناهم فى علة التقديم فهم يقولون هى الفضل ونحن نقول هى تقدم الزمان ولو ان كل من تأخر كان مفضولا لكان من تقدم محمدا صلى الله عليه وسلم افضل منه ولا قائل بذلك من المحققين انتهى فليتأمل ويحرر قالوا وافضل الناس بعد الخلفاء الاربعة بقية العشرة المشهود لهم بالجنة وما زاد على العشرة فالادب الوقف عن الخوض فى تفضيلهم مع محبتهم وتعظيمهم ورفع درجتهم على سائر الاولياء وقال المحدثون أفضل الناس بعد العشرة أهل بدر ثم أهل احد ثم أهل بيعة الرضوان ثم السابقون من المهاجرين والانصار من أهل بدر أو من أهل أحد او ممن صلى للقبلتين فى ذلك اقوال ذكره الحافظ ابن حجر رضى الله عنه *(خاتمة)* ذكر الشيخ محيى الدين فى الباب السادس والاربعين وثلثمائة ان أهل القرن الاول ما فضلوا على غيرهم الا بقوة الايمان فانهم كانوا فيه أتم وكان التابعون أتم من غالب الصحابة فى العلم وكان تابع التابعين أتم من غالب التابعين فى العمل (فان قيل) فما الحكمة فى كون الصحابة أقوى فى الايمان مع انهم عاصروه صلى الله عليه وسلم ورأوا معجزاته واخلاقه والقاعدة ان الايمان بالغيب أشد فى حق صاحبه من الايمان بالحاضر (فالجواب) ان قوة الايمان انما جاءت للصحابة من حيث ان الانسان فطر على الحسد فاذا بعث الى أمة رسول من جنسها ثار الحسد فى الناس فلم يؤمن به الا من قوى على دفع ما فى نفسه من الحسد وحب الشعوف ولا سيما اذا كان الحاكم عليها من جنسها فكان ايمان الصحابة أقوى بهذا النظر لمشاهدة تقدم جنسهم عليهم اقوى الاسلام وكان اشتغالهم بما يدفع سلطان الحسد ان يقوم بهم مانعا لهم من ادراك غوامض العلوم والاسرار لنا فما قوينا بقوة الايمان وجبر الله نقصنا بان أعطانا التصديق بما نقل لنا عنهم فحصل لنا درجة الايمان بالغيب فى شأن محمد صلى الله عليه وسلم الذى لا درجة للصحابة فيه ولا قدم لانهم شاهدوا الشارع وشهدوا أحواله ووقائعه فآمنوا وصدقوا على الشهود فما فضلونا الا بقوة الايمان والسبق وأما العلم والعمل فقد يساويهم غيرهم فى ذلك فالحمد لله الذى جاء بنا فى الزمن الاخير وجبر قلوبنا بالتصديق وعدم الشك والتردد فيما وجدناه منقولا فى أوراق سواد فى بياض ولم نطلب على ذلك دليلا ولا ظهور آية ولو اننا جئنا فى عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كنا نعرف كيف يكون حوالنا عند مشاهدته هل كان يغلب علينا داء الحسد فلا نطيعه ام نغلب نفوسنا ونطيعه فكفى الله

المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا وقال الامام الشافعي رضي الله عنه في رسالته القديمة والصحابة رضي الله عنهم فوقنا في كل علم وايمان وآراوهم عندنا اجل من آرائنا لانفسنا انتهى

(المبحث الرابع والاربعون في بيان وجوب الكف عما شجر بين الصحابة ووجوب اعتقاد أنهم مأجورون)

وذلك لانهم كلهم عدول باتفاق اهل السنة سواء من لابس الفتن ومن لم يلابسها كفتنة عثمان ومعاوية ووقعة الجمل كل ذلك وجوبا بالاحسان الظن بهم وحملا لهم في ذلك على الاجتهاد فان تلك امور مبناها عليه وكل مجتهد مصيب أو المصيب واحد والمخطىء معذور بل مأجور قال ابن الانباري وليس المراد بعدالتهم ثبوت العصمة لهم واستحالة المعصية منهم وانما المراد قبول رواياتهم لنا احكام ديننا من غير تكلف بحث عن اسباب العدالة وطلب التزكية ولم يثبت لنا الى وقتنا هذا شيء يقدح في عدالتهم ولله الحمد فنحن على استصحاب ما كانوا عليه في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يثبت خلافه ولا التفات الى مايذكره بعض اهل السير فان ذلك لا يصح وان صح فله تأويل صحيح وما احسن قول عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه تلك دماء طهر الله تعالى منها سيوفنا فلا نخضب بها السنتنا وكيف يجوز الطعن في حملة ديننا وفيمن لم يأتنا خبر عن نبينا الا بواسطتهم فمن طعن في الصحابة فقد طعن في نفس دينه فيجب سد الباب جملة واحدة لا سيما الخوض في امر معاوية وعمرو بن العاص واضرابهما ولا ينبغي الاغترار بما نقله بعض الروافض عن أهل البيت من كراهيتهم فان مثل هذه المسألة منزعها دقيق ولا يحكم فيها الا رسول الله صلى الله عليه وسلم فانها مسألة نزاع بين أولاده واصحابه قال الكمال بن أبي شريف وليس المراد بما شجر بن علي ومعاوية المنازعة في الامارة كما توهمه بعضهم وانما المنازعة كانت بسبب تسليم قتلة عثمان رضي الله عنه الى عشيرته ليقتصوا منهم لان عليا رضي الله عنه كان رأى ان تأخير تسليمهم اصوب اذ المبادرة بالقبض عليهم مع كثرة عشائرهم واختلاطهم بالعسكر يؤدي الى اضطراب امر الامامة العامة فان بعضهم كان عزم على الخروج على الامام علي وعلى قتله لما نادى يوم الجمل بان يخرج عنه قتلة عثمان ورأى معاوية ان المبادرة الى تسليمهم للاقتصاص منهم اصوب فكل منهما مجتهد مأجور فهذا هو المراد بما شجر بينهم انتهى *(خاتمة)* قال العلماء ويجب اعتقاد براءة عائشة ام المؤمنين رضي الله عنها قطعا من جميع ماقاله المحدون في حقها لنزول القرآن العظيم ببراءتها في سورة النور وكذلك يجب اعتقاد وجوب جميع محبة ذرية نبينا محمد صلى الله عليه وسلم واكرامهم واحترامهم وهم الحسن والحسين وأولادهما من فاطمة وغيرها الى يوم القيامة ونسكت عن المفاضلة بين الحسن والحسين وبين أحد من الصحابة غير من ثبت فيهم النص وننكره كل من أذى شريفا ونهجره ولو كان من أعز أصحابنا وفاء بقوله تعالى قل لا اسئلكم عليه أجرا الا المودة في القربى والمودة هي ثبات الحب لا مجرد الحب هذا

مقالهم سواء ثبت نسب ذلك الشريف او طعن فى نسبه اكراما لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما بسطنا الكلام على ذلك فى كتاب العهود فراجعه والله تعالى أعلم

(المبحث الخامس والاربعون فى بيان ان أكبر الاولياء بعد الصحابة رضى الله عنهم القطب ثم الافراد على خلاف فى ذلك ثم الامامان ثم الاوتاد ثم الابدال رضى الله عنهم أجمعين)

فاما القطب فقد ذكر الشيخ فى الباب الخامس وخمسين ومائتين انه لا يتمكن القطب أن يقوم فى القطابة الابعد أن يحصل معانى الحروف التى فى أوائل السور المقطعة مثل ألم والمص ونحوها فاذا أوقفه الله تعالى على حقائقها ومعانيها تعينت له الخلافة وكان أهلا لها (فان قلت) فما علامة القطب فان جماعة فى عصرنا قد ادعوا القطبية وليس معنا علم برد دعواهم (فالجواب) قد ذكر الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه ان للقطب خمسة عشر علامة ان يمد بمدد العصمة والرحمة والخلافة والنيابة ومدد حملة العرش العظيم ويكشف له عن حقيقة الذات واحاطة الصفات ويكرم بكرامة الحكم والفصل بين الموجودين وانفصال الاول عن الاول وما انفصل عنه الى منتهاه وما ثبت فيه وحكم ما قبل وما بعد وحكم من لا قبل له ولا بعد وعلم الاحاطة بكل علم ومعلوم ما بدأ من السر الاول الى منتهاه ثم يعود اليه انتهى * وقال فى الفتوحات فى الباب السابعين ومائتين ان اسم القطب فى كل زمان عبد الله وعبد الجامع المنعوت بالتخلق والتحقق بمعانى جميع الاسماء الالهية بحكم الخلافة وهو مرآة الحق تعالى ومجلى النعوت المقدسة ومحل المظاهر الالهية وصاحب الوقت وعين الزمان وصاحب علم سر القدر وله علم دهر الدهور ومن شأنه ان يكون الغالب عليه الخفاء لانه محفوظ فى خزائن الغيرة ملتحف باردية الصون لا يعتريه شبهة فى دينه قط ولا يخطر له خاطر يناقض مقامه كثير النكاح راغب فيه محب للنساء يوفى الطبيعة حقها على الحد المشروع له ويوفى الروحانية حقها على الحد الالهى يضع الموازين ويتصرف على المقدار المعين الموقت له لا يحكم عليه وقت انما هو لله وحده حاله دائما العبودية والافتقار يقبح القبيح ويحسن الحسن يحب الجمال المقيد فى الزينة والاشخاص تأتيه الارواح فى احسن الصور يذوب عشقا يغار لله عز وجل ويغضب له تعالى له الاطلاق فى المظاهر من غير تقييد لا تظهر روحانيته الا من خلف حجاب الشهادة والغيب لا يرى من الاشياء الا محل نظر الحق فيها يضع الاسباب ويقيمها ويدل عليها ويجرى بحكمها ينزل اليها حتى يحكم عليه ويؤثر فيه لا يكون فيه رياسة على أحد من الخلق بوجه من الوجوه مصاحب لهذا الحال دائما ان كان صاحب دنيا وثروة تصرف فيها تصرف عبد فى مال سيد كريم وان لم يكن بيده دنيا وكان على ما يفتح الله تعالى له به لم تستشرف له نفس بل يقصد بنفسه عند الحاجة بيت صديق ممن يعرفه يعرض عليه ما تحتاج اليه طبيعته كالشافع لها عنده فيتناول لها منه قدر ما تحتاج اليه ثم ينصرف

لا يجلس عن حاجته الا لضرورة فان لم يجد حاجته الا الى الله تعالى في حاجة طبيعته
لانه مسئول عنها ومتوكل عليها ثم ينتظر الاجابة من الله فيما سأل فان شاء تعالى
أعطاه ما سأل عاجلا أو آجلا فمرتبته الالحاح في الدعاء والشفاعة في حق طبيعته
بخلاف أصحاب الاحوال فان الاشياء كلها تتكون عن هممهم لان الله تعالى يجعل لهم
نصيبا من أحوالهم في الجنة فهم ربانيون والقطب منزه عن الحال ثابت في العلم فان
اطلعه الله على ما يكون اخبر بذلك على وجه الافتقار لله لا على وجه الافتخار لا تطوى
له ارض ولا يمشي في هواء ولا على ماء ولا يأكل من غير سبب ولا يطرأ عليه شئ من خرق
العوائد الا في النادر لامر يراه الحق تعالى فيفعله باذن الله من غير أن يكون ذلك
مطلوبا له وكذلك من شأنه أن يجوع اضطرارا لا اختيارا و يصبر عن النكاح كذلك
لعدم الطول يعلم من تجلي النكاح ما يحرضه على طلبه والتعشق به لا يتحقق قط
بالعبودية في شئ أكثر مما يتحقق به في النكاح لا يرغب في النكاح للنسل وانما يرغب
فيه لمجرد الشهوة واحضار التناسل في نفسه لامر مشروع فنكاحه لمجرد اللذة كنكاح
اهل الجنة وقد غاب عن هذه الحقيقة أكثر العارفين لما فيه من شهود الضعف وقهر
اللذة المغيبة له عن احساسه فهو قهر لذيذ وذلك من خصائص الانبياء ولعلو مراقي هذا
المقام جهله أكثر الاولياء وجعلوا النكاح شهوة حيوانية ونزهوا نفسهم عن الاكثار
منها واعلم ان من مقام القطب أن يتلقى أنفاسه اذا دخلت واذا خرجت بأحسن الادب
لانها رسل الله اليه فترجع منه الى ربها شاكرة له لا يتكلف لذلك وأطال الشيخ في ذلك ثم
قال فاذن القطب هو الرجل الكامل الذي حصل الاربعة دنانير التي كل دينار منها خمسة
وعشرون قيراطا وبها توزن الرجال والاربعة هم الرسل والانبياء والاولياء والمؤمنون
فهو وارثهم كلهم رضي الله عنه وقال الشيخ في الباب الحادي والخمسون وثلثمائة من
شأن القطب الوقوف دائما خلف الحجاب الذي بينه وبين الحق جل وعلا فلا يرتفع
حجابه حتى يموت فاذا مات لقي الله عز وجل فهو كالحاجب الذي ينفذ أوامر الملك وليس
له من الله تعالى الا صفة الخطاب لا الشهود انتهى (فان قلت) فهل يحتاج القطب
في توليته الى مبايعة في دولة الباطن كما هي الخلافة في الظاهر (فالجواب) نعم كما قاله
الشيخ في الباب السادس والثلاثين وثلثمائة وعبارته اعلم ان الحق تعالى لا يولي
قط عبدا مرتبة القطابة الا وينصب له سريرا في حضرة المثال يقعده عليه ينبي صورة ذلك
المكان عن صورة المكانة كما ينبي صورة الاستواء على العرش عن صورة احاطته تعالى
علما بكل شئ ولله المثل الاعلى فاذا نصب له ذلك السرير فلا بد ان يخلع عليه جميع الاسماء
التي يطلبها العالم وتطلبه فيظهر بها حللا وزينة متوجا مستورا مدملجا لتعمه الزينة علوا
وسفلا ووسطا وظاهرا وباطنا فاذا قعد عليه قعد بصورة الخلافة وامر الله العالم ببيعته على
السمع والطاعة في المنشط والمكره دخل في تلك البيعة كل مامور من أدنى واعلى
الا العالون وهم المهيمون في جلال الله عز وجل العابدون لله تعالى بالذات لا بأمر الهي
ظاهر على لسان رسول واعلم ان أول من يدخل عليه الملاء الاعلى على مراتبهم الاول

فالاول

فالاول فيأخذون بيده على السمع والطاعة ولا يتقيدون بمنشط ولا مكره لانهم لا يعرفون هاتين الصفتين فيهم اذلا يعرف شئ الا بضده فهم في منشط لا يعرفون لها طعم العدم ذوقهم للمكره ومامنهم روح يدخل عليه للمبالغة الا ويسأله عن مسألة من العلم الالهي فيقول له ياهذا أنت القائل كذا وكذا فيقول له نعم فيقول له في هذه المسألة وجهان يتعلقان بالعلم بالله تعالى أحدهما اعلى من الذى كان عند ذلك الشخص فيستفيد منه كل من بايعه علما ليس عنده ثم يخرج قال الشيخ وقد ذكرنا جميع سؤالات القطابة في جزء مستقل ماسبقنا أحد اليه وليست هذه المسائل معينة يتكرر السؤال بها لكل قطب وانما يخطر الله تعالى ذلك لمن يسأل القطب حال السؤال بعد ان جرى ذلك على خاطره فيما مضى من الزمان قال الشيخ وأول من بايعه العقل الاول ثم النفس ثم المقدمون من عمار السموات والارض من الملائكة المسخرة ثم الارواح المدبرة للهياكل التى فارقت أجسامها بالموت ثم الجن ثم المولدات ثم سائر ماسبح الله تعالى من مكان ومتمكن ومحل وحال فيه الا العالون من الملائكة كما مر وكذلك الافراد من البشر لا يدخلون تحت دائرة القطب وماله فيهم تصرف اذهم كل مثله مؤهلون لما ناله هذا الشخص من القطبية لكن لما كان الامر يقتضى أن لا يكون في الزمان الا واحد يقوم بهذا الامر تعين ذلك الواحد لكن لا باولية وانما هو يسبق العلم فيه بأن يكون هو الوالى وفي الافراد من يكون أكبر منه في العلم بالله تعالى وحده * قال الشيخ في الباب الخامس والخمسين ومائتين ومن خصائص القطب ان يختلى بالله تعالى وحده ولا تكون هذه المرتبة لغيره من الاولياء أبدا ثم اذا مات القطب الغوث انفرد تعالى بتلك الخلوة لقطب آخر لا ينفرد قط بالخلوة لشخصين في زمان واحد ابدا وهذه الخلوة من علوم الاسرار وأما ماورد في الآخرة من ان الحق تعالى يخلو بعبده ويعاتبه فذلك من باب انفراد العبد بالحق تعالى لا من باب انفراد الحق بالعبد فافهم واكتم انتهى ثم اعلم انه لما كان نصب الامام واجبا لاقامة الدين وجب ان يكون واحدا لئلا يقع التنازع والتضاد والفساد فحكم هذا الامام في الوجود حكم القطب قال وقد يكون من ظهر من الائمة بالسيف أيضا قطب الوقت كابى بكر وعمر في وقته وقد لا يكون قطب الوقت فتكون الخلافة لقطب الوقت الذى لا يكون الا بصفة العدل ويكون هذا الخليفة الظاهر من جملة نواب القطب في الباطن من حيث لا يشعر فان الجود والعدل يقع من أئمة الظاهر ولا يكون القطب الا عادلا واعلم ان القطبية كما انها قد تكون لولاة الامور كذلك قد تكون في الائمة المجتهدين من الاربعة وغيرهم بل هي فيهم اظهر ويكون تظاهرهم بالاشتغال بالعلم الكسبي حجابا عليهم لكون القطب من شأنه الخفاء رضى الله عنهم أجمعين * قال الشيخ محيي الدين وقد اجتمعت بالخضر عليه السلام وسألته عن مقام الامام الشافعي فقال كان من الاوتاد الاربعة فسألته عن مقام الامام احمد فقال هو صديق وأطال في ذلك ثم قال في قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول واولى الامر منكم المراد بأولى الامر الاقطاب والخلفاء

والولاة لكن فيما [illegible] فهو المباح الذى لا أجر فيه ولا وزر فان
الواجب والمندوب والحرام والمكروه من طاعة الله ورسوله فما بقى لاولى الامر الا المباح
فاذا أمرك الامام الذى بايعته على السمع والطاعة بمباح من المباحات وجب عليك
طاعته فى ذلك وحرمت عليك مخالفته وصار حكم تلك الاباحة الوجوب فيحصل لمن عمل
بذلك اجر الواجب لارتفاع حكم الاباحة منه بأمر هذا الامام الذى بايعته واطال الشيخ
فى ذكر مبايعة النبات وسائر الحيوانات للقطب فراجعه (فان قلت) فما المراد بقولهم
القطب لا يموت (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الثالث والسبعين من الفتوحات
أن المراد به أن العالم لا يخلو زمانا واحدا من قطب يكون فيه كما هو فى الرسل عليهم الصلاة
والسلام ولذلك ابقى الله تعالى من الرسل الاحياء باجسادهم فى الدنيا أربعة ثلاثة
مشرعون وهم ادريس والياس وعيسى وواحد حامل العلم اللدنى وهو الخضر عليه
السلام وايضاح ذلك ان الدين الحنيفى له اربعة اركان كاركان البيت وهم الرسل
والانبياء والاولياء والمؤمنون والرسالة هى الركن الجامع للبيت واركانه فلا يخلو زمان
من رسول يكون فيه وذلك هو القطب الذى هو محل نظر الحق تعالى من العالم كما يليق
بجلاله ومن هذا القطب يتفرع جميع الامداد الالهية على جميع العالم العلوى والسفلى
قال الشيخ محيى الدين ومن شرطه أن يكون ذا جسم طبيعى وروح ويكون موجودا فى
هذه الدار الدنيا بجسده وحقيقته فلابد أن يكون موجودا فى هذه الدار بجسده
وروحه من عهد آدم الى يوم القيامة ولما كان الامر على ما ذكرناه ومات رسول
الله صلى الله عليه وسلم بعد ما قرر الدين الذى لا ينسخ والشرع الذى لا يتبدل دخلت
الرسل كلهم فى شريعته ليقوموا بها فلا تخلو الارض من رسول حى بجسمه اذ هو
قطب العالم الانسانى ولو كانوا فى العدد ألف رسول فان المقصود من هؤلاء هو
الواحد فادريس فى السماء الرابعة وعيسى فى السماء الثانية والياس والخضر فى
الارض ومعلوم ان السموات السبع من عالم الدنيا لكونها تبقى ببقاء الدنيا وتفنى
بفناء صورتها فهى جزء من دار الدنيا بخلاف الفلك الاطلس فانه معدود من الآخرة فان
فى يوم القيامة تبدل الارض غير الارض والسموات يعنى يبدلن بغيرهن كما تبدل هذه
النشأة الترابية منا أيها السعداء بنشأة اخرى ارق واصفى والطف فهى نشأة طبيعية
جسمية لا يبول أهلها ولا يتغوطون كما وردت بذلك الاخبار وقد ابقى الله فى الارض
الياس والخضر وكذلك عيسى اذا نزل وهم من المرسلين فهم القائمون فى الارض
بالدين الحنيفى فما زال المرسلون ولا يزالون فى هذه الدار لكن من باطنية شرع
محمد صلى الله عليه وسلم ولكن اكثر الناس لا يعلمون فالقطب هو الواحد من
عيسى وادريس والياس والخضر عليهم السلام وهو احد اركان بيت الدين وهو كركن
الحجر الاسود واثنان منهم هما الامامان واربعتهم هم الاوتاد فبالواحد يحفظ الله الايمان
وبالثانى يحفظ الله الولاية وبالثالث يحفظ الله النبوة وبالرابع يحفظ الله الرسالة
وبالمجموع يحفظ الله الدين الحنيفى فالقطب من هؤلاء واحد لا بعينه قال الشيخ ولكل

واحد

واحد من هؤلاء الاربعة من هذه الامة في كل زمان شخص على قلبه نائبا عنه مع وجودهم واكثر الاولياء لا يعرفون القطب والامامين والاوتاد الا النواب ولا هؤلاء المرسلون الذين ذكرناهم ولهذا يتطاول كل أحد لنيل هذه المقامات ثم اذا خصوا بها عرفوا عند ذلك انهم نواب لذلك القطب فاعرف هذه النكتة فانك لا تراها في كلام أحد غيرنا ولولا ما ألقي في سرى من اظهارها ما اظهرتها انتهى (فان قلت) فما المراد بقولهم فلان من الاقطاب على مصطلحهم (فالجواب) مرادهم بالقطب في عرفهم كل من جمع الاحوال والمقامات وقد يتوسعون في هذا الاطلاق فيسمون القطب في بلادهم او بلدهم كل من دار عليه مقام ما من المقامات وانفرد به في زمانه على ابناء جنسه فرجل البلد قطب ذلك البلد ورجل الجماعة قطب تلك الجماعة وهكذا ولكن الاقطاب المصطلح عليهم فيما بين القوم لا يكون منهم في الزمان الا واحد وهو الغوث (فان قلت) فهل يكون القطب الغوث أحدا من مشايخ سلسلة القوم كالشيخ يوسف العجمي وسيدى أحمد الزاهد وسيدى مدين واضرابهم (فالجواب) كما قاله سيدى على الخواص رحمه الله لا يلزم أن يكون أحدهم قطبا فان مقام القطبانية عزيز جل أن يلحق سناه كل أحد ولكن المسلكون المذكورون كالحجاب على باب الملك يعلمون كل من أراد دخول حضرة الملك الاداب اللائقة به وما ظهر على يديهم من الكرامات والخوارق انما هو لشدة صفاء نفوسهم وكثرة مراقبتهم لله تعالى وكثرة اخلاصهم ومجاهداتهم قال وقد ذكر الشيخ عبد القادر الجيلي ان للقطابة ستة عشر عالما احاطيا الدنيا والآخرة عالم من هذه العوالم وهذا امر لا يعرفه الا من اتصف بالقطبية (فان قيل) هل يكون محل اقامة القطب بمكة دائما كما هو مشهور (فالجواب) هو بجسمه حيث شاء الله لا يتقيد بالمكث في مكان بخصوصه ومن شأنه الخفا فتارة يكون حدادا وتارة تاجرا وتارة يبيع الفول ونحو ذلك والله أعلم (فان قيل) فهل كان قبل محمد صلى الله عليه وسلم أقطاب وكم عددهم (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الرابع عشر من الفتوحات ان الاقطاب لا يخلو عصر منهم قال وجملة الاقطاب المكملين من الامم السالفة من عهد آدم الى محمد عليهما الصلاة والسلام خمسة وعشرون قطبا اشهدنيهم الحق تعالى في مشهد قدسي في حضرة برزخية وانا بمدينة قرطبة وهم الفرق ومداوى الكلوم والبكاء والمرتفع والشفاء الماضى والماحق والعاقب والمنحور وشجر الماء وعنصر الحياة والشريد والصايغ والراجع والطيار والسالم والخليفة والمقسوم والحي والراق والواسع والبحر والمنصف والهادى والاصلح والباقي فهؤلاء هم الاقطاب الذين سموا لنا من آدم الى محمد عليهما الصلاة والسلام وأما القطب الواحد الممد لجميع الانبياء والرسل والاقطاب من حين النشء الانساني الى يوم القيامة فهو روح محمد صلى الله عليه وسلم * قال الشيخ محيي الدين في الباب الثاني والستين واربعمائة واعلم ان لكل بلد وقرية أو اقليم قطبا غير الغوث به يحفظ الله تعالى تلك الجهة سواء كان اهلها مؤمنين اوكفارا وكذلك القول في الزهاد والعباد والمتوكلين وغيرهم لا بد لكل صنف منهم من قطب يكون مدارهم عليه * قال الشيخ وقد اجتمعت

بقطب المتوكلين فرأيت مقام المتوكل يدور عليه دوران الرحى حين تدور على قطبها وهو عبد الله ابن الأستاذ ببلاد الاندلس وصحبته زمانا طويلا وكذلك اجتمعت بقطب الزمان سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة بمدينة فاس وكان اشل اليد فتكلمت على مقام القطبية في مجلس كان فيه فأشار على ان استره عن الحاضرين ففعلت (فان قلت) فهل مدة معينة للقطبية اذا وليها صاحبها لا يعزل منها حتى تنقضي (فالجواب) ليس للقطبية مدة معينة فقد يمكث القطب في قطبيته سنة أو اكثر أو اقل الى يوم الى ساعة فانها مقام ثقيل لتحمل صاحبها اعباء الممالك الارضية كلها ملوكها ورعاياها وذكر الشيخ في الباب الثالث والستين واربعمائة ان كل قطب يمكث في العالم الذى هو فيه على حسب ما قدر الله عز وجل ثم تنسخ دعوته بدعوة اخرى كما تنسخ الشرائع بالشرائع واعنى بالدعوة ما لذلك القطب من الحكم والتأثير في العالم فمن الاقطاب من يمكث في قطبيته الثلاث والثلاثين سنة وأربعة اشهر ومنهم من يمكث فيها ثلاث سنين ومنهم ومنهم كما يؤيد ذلك مدة خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وعلى فانهم كانوا اقطابا بلا شك انتهى * وقال في الباب الثالث والثمانين وثلثمائة اعلم ان بالقطب يحفظ دائرة الوجود كله من عالم الكون والفساد وبالامامين يحفظ الله تعالى عالم الغيب والشهادة وهو ما ادركه الحس وبالاوتاد يحفظ الله تعالى الجنوب والشمال والمشرق والمغرب وبالابدال يحفظ الله الاقاليم السبعة وبالقطب يحفظ الله جميع هؤلاء لانه هو الذى يدور عليه أمر عالم الكون كله فمن علم هذا الامر علم كيف يحفظ الله الوجود على عالم الدنيا ونظيره من الطب علم تقويم الصحة (فان قلت) فهل للقطبية تصريف في ان يعطى القطبية لمن شاء من أصحابه أو أولاده (فالجواب) ليس له تصريف في ذلك وقد بلغنا ان بعض الاقطاب سأل الله ان تكون القطبية من بعده لولده فاذا بالهاتف يقول له ذلك لا يكون الا في الارث الظاهر واما الارث الباطن فذلك الى الله وحده الله اعلم حيث يجعل رسالته انتهى فعلم انه ما حفظ من حفظ من الاولياء وغيرهم من جهاته الاربع الا بالاوتاد الذين كان منهم الامام الشافعي رضي الله عنه وما حفظ من حفظ في صفاته السبع الا بالابدال السبعة فكل صفة لها بدل يحفظها على صاحبها من حياة وعلم وقدرة وارادة وسمع وبصر وكلام انتهى وقال الشيخ أيضا في الباب الخامس عشر اعلم ان لكل بدل من الابدال السبعة قدرة تمده من روحانية الانبياء الكائنين في السموات فينزل مدد كل بدل من حقيقة صاحبه الذى في السماء قال وكذلك امداد الايام السبعة تتنزل من هؤلاء لابدال لكل يوم مدد يختص به من ذلك البدل (فان قلت) فهل يزيد الابدال وينقصون بحسب الشؤون التي يبدلها الحق تعالى أم هم على عدد واحد لا يزيدون ولا ينقصون (فالجواب) هم سبعة لا يزيدون ولا ينقصون وبهم يحفظ الله الاقاليم السبعة ومن شأنهم العلم بما أودع الله تعالى في الكواكب السيارة من الامور والاسرار في حركاتها ونزولها في المنازل المقدرة (فان قلت) فلم سموا ابدالا (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثالث والسبعين انهم سموا ابدالا لان كل واحد منهم اذا فارق مكانه خلفه فيه شخص على صورته لا يشك الرائي انه ذلك

البدل

البدل (فان قلت) فهل ترتيب الاقاليم السبعة على صورة ترتيب السبع سموات بحيث يكون ارتباط الاقليم الاول بالسماء السابعة والثاني بالسماء السادسة وهكذا (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثامن والتسعين ومائة نعم يكون روحانية كل اقليم مرتبطة بالسماء المشاكلة له فالاقليم الاول للسماء السابعة وهكذا (وايضاح ذلك) ان تعلم يا أخي ان الله تعالى جعل هذه الارض التي نحن عليها سبعة اقاليم واصطفى من عباده المؤمنين سبعة سماهم الابدال وجعل لكل بدل اقليما يمسك الله وجود ذلك الاقليم به فالاقليم الاول ينزل الامر اليه من السماء الاولى التي هي السابعة وينظر اليه روحانية كوكبه والبدل الذي يحفظه هو على قلب الخليل ابراهيم عليه السلام والاقليم الثاني ينزل الامر اليه من السماء الثانية وينزل اليه روحانية كوكبها الاعظم والبدل الذي يحفظه على قلب موسى عليه السلام والاقليم الثالث ينزل اليه الامر الالهي من السماء الثالثة وينظر اليه روحانية كوكبها والبدل الذي يحفظه على قلب هارون ويحيي بتأييد محمد صلى الله عليه وسلم والاقليم الرابع ينزل اليه الامر والنهي الالهي من السماء الرابعة قلب الافلاك كلها وينظر اليه روحانية كوكبها الاعظم والبدل الذي يحفظه على قلب ادريس عليه السلام وهو القطب الذي لم يمت الى الآن والاقطاب فينا نوابه كما مر والاقليم الخامس ينزل اليه الامر من السماء الخامسة وينظر اليه روحانية كوكبها والبدل الذي يحفظ الله به هذا الاقليم على قلب يوسف عليه السلام بتأييد محمد صلى الله عليه وسلم والاقليم السادس ينزل الامر اليه من السماء السادسة وينظر اليه روحانية كوكبها والبدل الذي يحفظه على قلب عيسى روح الله ويحيي عليهما السلام والاقليم السابع ينزل الامر اليه من السماء الدنيا وينظر اليه روحانية كوكبها والبدل الذي يحفظه على قلب آدم عليه السلام * قال الشيخ وقد اجتمعت بهؤلاء الابدال السبعة بمكة خلف حطيم الحنابلة حين وجدتهم يركعون هناك فسلمت عليهم وسلموا علي وتحدثت معهم فما رأيت أحسن منهم سمتا ولا اكثر شغلا منهم بالله عز وجل وما رأيت مثلهم الا سقيط الرفرف ابن ساقط العرش بقونية وكان فارسيا رضي الله عنه وقد اطال الشيخ الكلام على أصحاب الدوائر من الاولياء في الباب الثالث والسبعين من الفتوحات فراجعه والله أعلم

(المبحث السادس والاربعون في بيان وحي الاولياء الالهامي والفرق بينه وبين وحي الانبياء عليهم الصلاة والسلام وغير ذلك)

اعلم ان وحي الانبياء لا يكون الا على لسان جبريل يقظة ومشافهة وأما وحي الاولياء فيكون على لسان ملك الالهام وهو على ضروب كما قاله الشيخ في الباب الخامس والثمانين ومائتين فمنه ما يكون متلقى بالخيال كالمبشرات في عالم الخيال وهو الوحي في المنام فالمتلقي حينئذ خيال والنازل كذلك والموحى به كذلك ومنه ما يكون خيالا في حس على ذي حس ومنه ما يكون معنى يجده الموحى اليه في نفسه من غير تعلق حس ولا خيال ممن نزل عليه قال وقد يكون ذلك كتابة ويقع هذا كثيرا للاولياء

وبه كان يوحى لابي عبدالله قضيب البان وغيره كتقى ابن مخلد تلميذ الامام أحمد رضى الله عنه لكنه كان اضعف الجماعة فى ذلك فكان لا يجده الا بعد القيام من النوم مكتوبا فى ورقة انتهى (فان قلت) فما علامة كون تلك الكتابة التى فى الورقة من عند الله عز وجل حتى يجوز للولى العمل بها (فالجواب) ان علامتها كما قاله الشيخ فى الباب الخامس عشر وثلثمائة ان تلك الكتابة تقرأ من كل ناحية على السواء لا تتغير كلما قلبت الورقة انقلبت الكتابة لانقلابها قال الشيخ وقد رأيت ورقة نزلت على فقير فى المطاف بعتقه من النار على هذه الصفة فلما رآها الناس علموا انها ليست من كتابة المخلوقين فان وجدت تلك العلامة فتلك الورقة من الله عز وجل لكن لا يعمل بها الا ان وافقت الشريعة التى بين اظهرنا قال وكذلك وقع لفقيرة من تلامذتنا انها رأت فى المنام ان الحق تعالى أعطاها ورقة فانطبق كفها حين استيقظت فلم يقدر أحد على فتحها فالهمنى الله تعالى انى قلت لها انوى بقلبك انه اذا فتح الله كفك ان تبتلعيها فنوت وقربت يدها الى فمها فدخلت الورقة فى فيها قهرا عليها فقال الوالى بم عرفت ذلك فقلت الهمت ان الله تعالى لم يرد منها ان يطلع احدا عليها قال وقد اطلعنى الله تعالى على الفرق بين كتابة الله تعالى فى اللوح المحفوظ وغيره وبين كتابة المخلوقين وهو علم عجيب رأيناه وشاهدناه انتهى (فان قلت) فما حقيقة الوحى (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الثالث والسبعين من الفتوحات ان حقيقته هو ما تقع به الاشارة القائمة مقام العبارة فى غير عبارة اذ العبارة يتوصل منها الى المعنى المقصود منها ولهذا سميت عبارة بخلاف الاشارة التى هى الوحى فانها ذات المشار اليه والوحى هو المفهوم الاول والافهام الاول ولا عجب من ان يكون عين الفهم عين الافهام عين المفهوم منه فان لم يحصل لك يا أخى معرفة هذه النكتة فليس لك نصيب من معرفة علم الالهام الذى يكون للاولياء الاترى ان الوحى هو السرعة ولا اسرع مما ذكرناه انتهى (فان قلت) فما صورة تنزل وحى الالهام على قلوب الاولياء (فالجواب) صورته ان الحق تعالى اذا أراد ان يوحى الى ولى من أوليائه بأمر ما تجلى الى قلب ذلك الولى فى صورة ذلك الامر فيفهم من ذلك اولى التجلى بمجرد مشاهدته ما يريد الحق تعالى ان يعلم ذلك الولى به من تفهيم معانى كلامه أو كلام نبيه صلى الله عليه وسلم فهنالك يجد الولى فى نفسه علم ما لم يكن يعلم من الشريعة قبل ذلك كما وجد النبى صلى الله عليه وسلم العلم فى الضربة باليد الالهية كما يليق بجلاله تعالى وكما وجد العلم فى شربة اللبن ليلة الاسراء ثم أن من الاولياء من يشعر بذلك ومنهم من لا يشعر بل يقول وجدت كذا وكذا فى خاطرى ولا يعلم من أتاه به ولكن من عرفه فهو أتم لحفظه حينئذ من الشيطان وأطال فى ذلك فى الباب الثانى عشر وثلثمائة وقال فى الباب الثالث والخمسين وثلثمائة اعلم انه لم يجئ لنا خبر الهى ان بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وحى تشريع أبدا انما لنا وحى الالهام قال تعالى ولقد أوحى اليك والى الذين من قبلك ولم يذكر ان بعده وحيا أبدا وقد جاء الخبر الصحيح فى عيسى عليه السلام وكان ممن أوحى اليه قبل

رسول

رسول الله صلى الله عليه وسلم انه اذا نزل آخر الزمان لا يؤمنا الا بنا أى بشريعتنا وسنتنا مع ان له الكشف التام اذا نزل زيادة على الالهام الذى يكون له كالخواص هذه الامة (فان قلت) فاذن الالهام خبر الهى (فالجواب) نعم * وهو كذلك اذ هو اخبار من الله تعالى للعبد على يد ملك مغيب عن الملهم (فان قلت) فهل يكون الالهام بلا واسطة أحد (فالجواب) نعم * قد يلهم العبد من الوجه الخاص الذى بين كل انسان وبين ربه عزوجل فلا يعلم به ملك الالهام لكن علم هذا الوجه يتسارع الناس الى انكاره ومنه انكار موسى على الخضر عليهما الصلاة والسلام وعذر موسى فى انكاره ان الانبياء ما تعودوا أخذ أحكام شرعهم الا على يد ملك لا يعرف شرعا من غير هذه الطريق فعلم أن الرسول والنبى يشهدان الملك ويريانه رؤية بصر عندما يوحى اليهما وغير الرسول يحس باثره ولا يراه فيلهمه الله تعالى بواسطته ما شاء أن يلهمه أو يعطيه من الوجه الخاص بارتفاع الوسائط وهو أجل الالقاء واشرفه اذا حصل الحفظ لصاحبه ويجتمع فى هذا الرسول والولى أيضا (فان قلت) فما محل الالهام من العبد (فالجواب) محله من العبد هو النفس قال تعالى فألهمها فجورها وتقواها أى ان الله تعالى ألهم النفس فجورها لتجتنبه وتعلمه لا لتعمل به وألهمها تقواها لتعمل به وتعلمه فهو الهام اعلام لا كما يظنه من لا علم له بالحقائق ولذلك قال تعالى وقد خاب من دساها والدس هو الحاق خفى بازدحام فقد الحق هذا الجاهل العمل بالفجور بالعمل بالتقوى وما فرق فى مواضع التفريق فاخطأ قال وسبب خطائه رميه ميزان الشريعة من يده ولو ان الميزان كانت فى يده لرأى انه مأمور بالتقوى منهى عن الفجور فتبين له الامران معا (فان قلت) قد ذكر الغزالى فى بعض كتبه ان من الفرق بين تنزل الوحى على قلب الانبياء وتنزله على قلوب الاولياء نزول الملك فان الولى يلهم ولا ينزل عليه ملك قط والنبى لا بدله فى الوحى من نزول الملك به فهل ذلك صحيح (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الرابع والستين وثلثمائة ان ذلك غلط والحق ان الكلام فى الفرق بينهما انما هو فى كيفية ما ينزل به الملك لا فى نزول الملك اذ الذى ينزل به الملك على الرسول أو النبى خلاف ما ينزل به الملك على الولى التابع فان الملك لا ينزل على الولى التابع الا بالاتباع لنبيه وبافهام ما جاء به مما لم يتحقق له علمه كحديث قال العلماء بضعفه مثلا فيخبره ملك الالهام بانه صحيح فللولى العمل به فى حق نفسه بشروط يعرفها أهل الله عزوجل لا مطلقا وقد ينزل الملك على الولى ببشرى من الله بأنه من أهل السعادة كما قال تعالى فى الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا وهذا وان كان انما يقع عند الموت فقد يعجل الله تعالى به لمن يشاء من عباده * قال الشيخ وسبب غلط الغزالى وغيره فى منع تنزل الملك على الولى عدم الذوق وظنهم انهم قد عموا بسلوكهم جميع المقامات فلما ظنوا ذلك بأنفسهم ولم يروا ملك الالهام نزل عليهم أنكروه وقالوا اذ ذلك خاص بالانبياء فذوقهم صحيح وحكمهم باطل مع ان هؤلاء الذين منعوا قائلون بان زيادة الثقة مقبولة وأهل الله كلهم ثقاة قال ولو ان أبا حامد وغيره اجتمعوا فى زمانهم بكامل من اهل الله واخبرهم

بتنزل الملك على الولي لقبلوا ذلك ولم ينكروه قال وقد نزل علينا ملك الالهام بما لا يحصى من العلوم وأخبرنا بذلك جماعات كثيرة ممن كان لا يقول بقولنا فرجعوا الينا فلله الحمد (فان قلت) فهل ينزل ملك الالهام على أحد من الاوليا بأمر أونهى (فالجواب) ان ذلك ممتنع كما قاله الشيخ فى الباب العاشر وثلثمائة فلا ينزل ملك الالهام على غير نبي بأمر ونهي أبدا وانما للاولياء وحي المبشرات وهو الرؤيا الصالحة يراها الرجل أوترى له وهي حق ووحي غالبا الا انها غير معصومة (فان قلت) فهل يكون وحي المبشرات في غير النوم كما هو في النوم (فالجواب) نعم انتهى وعلى كل حال فهي رؤيا بالخيال وبالحس لا في الحس والمتخيل قد يكون من دخل في القوة وقد يكون من بخار تمثيل روحاني أوهو التجلي المعروف عند القوم اذا كان المزاج مستقيما مهيأ للحق وهو خيال حقيقي وأطال الشيخ في ذلك (فان قلت) ان بعضهم يقول اذا اعترضوا عليه في فعله أمرا من الامور ما فعلت ذلك لا بأمر من الله تعالى كما نقل عن سيدي عبد القادر الجيلي رضي الله عنه انه ما قال قدمي هذه على عنق كل ولي لله تعالى الا بعد أمر الحق له بذلك فهل ذلك صحيح (فالجواب) الامر بذلك غير صحيح ولعل الناقل لذلك اشتبه عليه الاذن بالامر اذ الاذن يطلق على المباح شرعا بخلاف الامر فانه تشريع جديد يقتضي عصيان من خالفه فافهم * وقد قال الشيخ محيي الدين في الباب الثاني والعشرين من الفتوحات من قال من الاولياء ان الله تعالى أمره بشئ فهو تلبيس لان الامر من قسم الكلام وصفته وهذا باب مسدود دون الاولياء من جهة التشريع (وايضاح ذلك) انه ليس في الحضرة الالهية أمر تكليفي الا وهو مشروع فما بقي للاولياء الاستماع أمرها فاذا أمرهم الانبياء بشئ كما ان لهم المناجاة واللذة السارية في جميع وجودهم لا غير ومعلوم ان المناجاة لا امر فيها ولا نهي انما هو حديث وسمر وكل من قال من أهل الكشف انه مأمور بأمر الهي مخالف لامر شرعي محمدي تكليفي فقد التبس عليه الامر وان كان صادقا فيما قال انه سمعه قال ويمكن ان بعض الاولياء يكشف الله عن قلبه الحجاب ويقيم الله تعالى له مظهرا محمديا فيسمع فيه أمر الحق ونهيه لمحمد صلى الله عليه وسلم فيظن أن الحق تعالى كلمه هو وانما كلم روح محمد صلى الله عليه وسلم فيكون ذلك من باب التعريف بالاحكام الشرعية لا تشريعا جديدا فان ذلك باب قد اغلق بموت رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى (فان قلت) فاذن وحي البشائر هو الاعم الاغلب (فالجواب) نعم * اذ هو الوحي الخاص الذي بين كل انسان وبين ربه عز وجل فيناجيه منه في سره حال تجرده وغيره فلا يجد أحدا أقرب اليه من الله تعالى وذلك تأييد من الله تعالى لبعض الصادقين وقد يكون وحي البشائر أيضا بواسطة ملك ولكن النبوة من شأنها الواسطة فلابد من الملك فيها والمبشرات ليست كذلك فالعارف لا يبالي بما فاته من الامر مع بقاء المبشرات عليه وأطال الشيخ في ذلك في الباب الثالث والعشرين وثلثمائة * وقال في الباب الثامن والستين ومائتين اعلم أن الفرق بين وحي الاولياء ووحي الانبياء عليهم الصلاة والسلام أن الاولياء يشاهدون تنزل الارواح على قلوبهم لكن لا يرون

الملك المنزل بخلاف النبي والرسول فان شهد الولي الملك لا يشهد القاءه عليه حال شهوده وان شهد الالقاء لا يشهد الملك فيعلم انه من الملك من غير شهود له فلا يجمع بين رؤية الملك والالقاء منه اليه الا نبي أو رسول وبهذا يفرق بين الرسول والولي وقد اغلق الله تعالى باب التنزل بالاحكام الشرعية وما اغلق باب التنزل به بالعلم بها على قلوب أوليائه الذي هو التنزل الروحاني بالعلم وذلك ليكون الاولياء على بصيرة في دعائهم الى الله بها كما كان موروثهم صلى الله عليه وسلم ولذلك قال تعالى قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني فهو أخذ لا يتطرق اليه تهمة قال الجنيد في معرض الثناء على علم أهل الله تعالى فاظنك بعلم علم الناس فيه تهمة فان علم غيرهم لا يكون صاحبه على بصيرة لا في الفروع ولا في الاصول أما في الفروع فللاحتمال في التأويل وأما في الاصول فلما يتطرق الى النظر في الدليل من الدخل عليه فيه من نفسه وغيره فهو يتهم دليله لهذا الخلل وقد كان يقطع به قبل ذلك وأهل الله تعالى كلهم أهل بصائر وعلمهم كله من حق اليقين أي حق استقراره في القلب فلا يزلزله شئ عن مقره يقال قر الماء في الحوض اذا استقر وهو ما يحصل له السكون والاستقرار ويزول التردد والاوهام والظنون وهذا السكون والاستقرار ان اضيف الى النفس والعقل يقال له علم اليقين وان اضيف الى الروح الروحاني يقال له عين اليقين وان اضيف الى القلب الحقيقي يقال له حق اليقين وان أضيف الى السر الوجودي يقال له حقيقة حق اليقين انتهى * وقال في الباب الثامن والثلاثين لما اغلق الله تعالى باب الرسالة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ذلك من أشد ما تجرعت الاولياء مرارته لانقطاع الوصلة بينهم وبين من يكون واسطتهم الى الله تعالى فرحمهم الحق تعالى بان ابقى عليهم اسم الولي الذي هو من جملة اسمائه تعالى جبرا لمصيبتهم قال ولذلك نزع الله تعالى هذا الاسم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وسماه بالعبد والرسول اللذين لا يلتقيان بالله شرفا له صلى الله عليه وسلم أن يزاحم الحق تعالى في التسمية وأما وصفه صلى الله عليه وسلم برؤف رحيم فذلك خلعة من الله تعالى بيانا لشرفه من الله على وجه خاص ليغبط به قوما خاصين قال ولما علم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في امته من تجرع كأس انقطاع الوحي والرسالة جعل لخواص امته نصيبا من الرسالة ليكونوا بذلك عبيدا تبعا له صلى الله عليه وسلم اذ اشرف مقام يضاف الى العبد كونه عبد الله عز وجل فقال ليبلغ الشاهد الغائب فأمرهم بالتبليغ ليصدق عليهم اسم الرسل اذ الرسالة مخصوصة بالعبد وقال صلى الله عليه وسلم رحم الله أمرأ سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها يعني حرفا بحرف من غير تصرف فيما يبلغه كما تبلغ الرسل كلام ربها باللفظ الذي يلقيه الله اليهم بواسطة أو بغيرها وما فاز بهذه الدرجة وبدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم له بالرحمة الا الذين يروون أحاديثه بالالفاظ التي سمعوها من غير زيادة لفظ فان من يروي الحديث بالمعنى انما ينقل الينا صورة فهمه هو فكأنه رسول

قوله على علم تأمله اه

نفسه ولا يحشر يوم القيامة في صفوف الرسل الا من بلغ الوحي من كتاب أو سنة بلفظه كما سمعه فالصحابة اذا نقلوا الوحي على لفظه رسل رسول الله والتابعون رسل الصحابة وهكذا جيلا بعد جيل الى يوم القيامة فان شئنا قلنا في المبلغ الينا انه رسول رسول الله وان شئنا اضفناه لمن بلغ عنه وانما جوزنا حذف الواسطة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخبره جبريل أو ملك من الملائكة ولا تقول فيه رسول جبريل ولا رسول ذلك الملك وأطال في ذلك ثم قال فعلم ان تسمية العبد بالولي ينقص من عبوديته بقدر هذا الاسم فمن أراد ان لا ينقص وليا من مقام عبوديته فليسمه محدثا بفتح الدال المهملة فانه أولى له من اسم الولي انتهى (فان قلت) فهل جميع الاولياء يعرفون الروح النازل عليهم (فالجواب) ليس كل الاولياء يعرفون ذلك فيرى أحدهم العلوم النازلة على قلبه ولا يدري عمن جاءته كما يقع للكهنة واصحاب الزجر واصحاب الخواطر وأهل الافهام فكل هؤلاء يجدون العلم في قلوبهم ولا يعرفون من جاءهم به حقيقة والخواص يعرفون من جاءهم ولذلك يتلقونه بالادب و يأخذون عنه الادب رضي الله عنهم أجمعين * وقد قال الشيخ في الباب الثالث والسبعين في الاجوبة عن اسئلة الحكيم الترمذي اعلم ان مما اختص به المحدثون من أهل الله كونهم يعرفون حديث الحق تعالى معهم في نفوسهم لما هم عليه من الصفاء وغيرهم لا يعرف ذلك قال ورأس المحدثين عمر بن الخطاب رضي الله عنه والناس كلهم من الامة ورثته في ذلك (فان قلت) فبم يحفظ الولي من التلبيس عليه فيما يأتيه من وحي الالهام (فالجواب) يعرف ذلك بالعلامات فمن كان له في ذلك علامة بينه وبين الله عرف الوحي الحق الالهامي الملكي من الوحي الباطل الشيطاني فحفظ من التلبيس ولكن أهل هذا المقام قليل * قال الشيخ في الباب الثالث والثمانين ومائتين مما غلط فيه جماعة من أهل الله عز وجل كأبي حامد الغزالي وابن سيدلون رجل بوادي اشت قولهم اذا ارتقى الولي عن عالم العناصر وفتح لقلبه أبواب السماء حفظ من التلبيس قالوا وذلك لانه حينئذ في عالم الحفظ من المردة والشياطين فكل ما يراه هناك حق قال الشيخ محيي الدين وهذا الذي قالوه ليس بصحيح وانما يصح ذلك ان لو كان المعراج بأجسامهم مع أرواحهم ان صح ان أحدا يرث رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا المعراج وأما من عرج به بخاطره وروحانيته بغير انفصال موت وجسده في بيته مثلا فقد لا يحفظ من التلبيس الا أن يكون له علامة في ذلك كما مر وأطال في ذلك ثم قال واعلم ان الشيطان لا يزال مراقبا لقلوب أهل الكشف سواء كان أحدهم من أهل العلامات أم لم يكن لان له حرصا على الاغواء والتلبيس لعلمه بأن الله تعالى قد يخذل عبده فلا يحفظه فيعيش ابليس بالترجي و يقول لعل وعسى فان رأى ابليس باطن العبد محفوظا وأنوار الملائكة قد حفت به انتقل الى جسد ذلك العبد فظهر له في صورة الحس امورا عسى يأخذه بها فاذا حفظ الله تعالى قلب ذلك العبد ولم ير له على باطنه سبيلا جلس تجاه قلبه فينتظر غفلة نظرا عليه فاذا عجز عن أن يوقعه في شئ يقبله منه بلا واسطة نظر في حال ذلك

الولى فان رأى ان من عادته الاخذ للمعارف من الارض أقام له أرضا متخيلة ليأخذ منها فان ايد الله تعالى ذلك العبد ردّه خاسئا لاطلاعه حينئذ على الفرق بين الارضين المتخيلة والمحسوسة وقد يأخذ الكامل من ابليس بما القاه اليه من الله لا من ابليس فيرده أيضا خاسئا وكذلك ان راى ابليس ان حال ذلك الولى الاخذ من السماء اقام له سماء متخيلة مثل السماء التى يأخذ منها ويدرج له فيها من السموم القاتلة ما يقدر عليه فيعامله العارف بما قلناه فى شأن الارض المتخيلة والاصلية وان راى ان حال ذلك الولى الاخذ من سدرة المنتهى أو من ملك من الملائكة خيل له سدرة مثلها اوصوره ملك مثل ذلك الملك وتسمى له باسمه والقى اليه ما عرف ان ذلك الملك يلقيه اليه من ذلك المقام فان كان ذلك الشخص من أهل التلبيس فقد ظفر به عدوّه وان كان محفوظا حفظ منه فيطرد عنه ابليس ويرمى ما جاء به أو يأخذ ذلك عن الله تعالى لا عن ابليس كما مرّ ويشكر الله تعالى على ذلك وان رأى الشيطان ان حال ذلك الولى الاخذ من العرش أو العما أو الاسماء الالهية التى اليه الشيطان بحسب حاله ميزانا بميزان وأطال الشيخ فى ذلك فى الباب الثالث والثمانين ومائتين (فان قلت) فهل يصح ان الحق تعالى يمكر بابليس فيجعله طريقا لوصول الخير لبعض العباد (فالجواب) نعم يصح ان الله تعالى يمكر بابليس كما ذكره الشيخ فى الباب الثامن والستين وعبارته واعلم ان من مكر الله تعالى بابليس ان يلهمه ما به يكون فعل الخير مع العباد من حيث لا يشعر ابليس وذلك انه يوسوس فى قلب العبد بلمته فيخالفه العبد ويعمل بخلافه فيحصل له بمخالفته ابليس الاجر فلو علم ابليس ان ذلك العبد يسعد بوسوسته تلك ما القى اليه شيئا قال وما رأيت احدا من أهل الله نبه على هذا المكر ابدا انتهى (فان قلت) فما صورة وصول الاولياء الى العلم باحوال السموات (فالجواب) يصل الاولياء الى ذلك بانجلاء مرآة قلوبهم كما يكشفون عن أحوال أهل الجنة وأهل النار الآن بحكم الارث لرسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى الجنة والنار فى صلاة الكسوف ورأى فى النار عمر ابن لحى الذى سيب السوائب وصاحب المحجن وصاحبة الهرة التى حبستها حتى ماتت وفى بعض طرق الحديث رأيت الجنة والنار فى عرض هذا الحائط انتهى والله تعالى اعلم

(المبحث السابع والاربعون فى بيان مقام الوارثين للرسل من الاولياء رضى الله عنهم أجمعين)

اعلم ان عدد منازل الاولياء فى المعارف والاحوال التى ورثوها من الرسل عليهم الصلاة والسلام مائتا الف منزل وثمانية وأربعون ألف منزل وتسعمائة تسعة وتسعون منزلا لا بدّ لكل من حق له قدم الولاية أن ينزلها جميعها ويخلع عليه فى كل منزل من العلوم ما لا يحصى قال الشيخ محيى الدين وهذه المنازل خاصة بهذه الامّة المحمدية لم ينلها أحد من الامم قبلهم ولكل منزل ذوق خاص لا يكون لغيره ذكره فى الباب الثالث والسبعين من الفتوحات وقال فى الباب التاسع والاربعين وثلثمائة كنت أظن قبل أن

يطلعني الله تعالى على مقامات الانبياء من حيث كوني وارثا لهم ان من الادب أن يقال فلان على قدم الانبياء ولا يقال انه على قلبهم لان الاولياء على آثار الانبياء مقتدون ولو أنهم كانوا على قلوب الانبياء لنالوا ما نالته الانبياء أصحاب الشرائع فلما أطلعني الله على مقامات الانبياء علمت أن للاولياء معراجين أحدهما يكونون فيه على قلوب الانبياء ما عدا محمدا صلى الله عليه وسلم كما سيأتي لكن من حيث هم أولياء وملهمون فيما لا تشريع فيه والمعراج الثاني يكونون فيه على اقدام الانبياء أصحاب التشريع فيأخذون معاني شرعهم بالتعريف من الله ولكن من مشكاة نور الانبياء فلا يخلص لهم الاخذ عن الله تعالى ولا عن الروح القدس وما عدى ذلك فانه يخلص لهم من الله تعالى ومن الروح القدس من طريق الالهام انتهى * وقال في الباب الثامن والثلاثين واربعمائة اعلم ان ورثة الانبياء هم العلماء والاولياء فالاولياء حفاظ الاحوال والاحكام الباطنة التي تدق عن الافهام والعلماء حفاظ الاحكام الظاهرة التي تفهم ببادى الرأى وقد يرث هؤلاء ايضا الانبياء في الاحوال الباطنة كما كان عليه السلف الصالح فكانوا أولياء علماء فلما تخلف الناس عن العمل بكل ما يعلمون سموا علماء فقط وسلبوهم اسم الولى والا فالعلماء حقيقة هم الاولياء فعلى ما عليه الناس اليوم كل ولى عالم عامل بلا شك وليس كل عالم وليا الا انه قد يتخلف عن مقام العمل بما علم فالفقهاء على الحقيقة هم الاولياء لزيادتهم بعلم الاحوال على علم المقال (فان قلت) فما الفرق بين الوارث المحمدى والوارث لغيره من الانبياء عليهم السلام (فالجواب) ان الفرق بينهما ان ورثة الانبياء آياتهم في الافاق من خرق العوائد وغيرها وآية الوارث المحمدى في قلبه فلذلك كان الوارث المحمدى مجهولا في العموم معروفا في الخصوص لا غير لان خرق العادة انما هو حال وعلم في قلبه فهو في كل نفس يزداد علما بربه علم حال وذوق لا يزال كذلك كما مرت الاشارة اليه أول مبحث المعجزات * وقال في الباب التاسع والثلاثين واربعمائة من علامة الوارث المحمدى ان يشهد نفسه خلف كل نبي ولو كانوا مائة ألف نبي لرأى نفسه في اماكن على عددهم فان جميع الانبياء والرسل قد جمعت حقائقهم وشرائعهم في محمد صلى الله عليه وسلم فمن آمن به وصدق فكأنه آمن بجميع الانبياء حقيقة ثم انه اذا تعددت صورته خلف جميع الانبياء يصير يعلم انه هو وليس غيره في كل صورة وأطال في ذلك * وقال في الباب الثالث والسبعين في الجواب الثامن والخمسين اعلم ان هذه الدولة المحمدية جامعة لاقدام النبيين والمرسلين فأى ولى رأى قدما امامه في حضرة الحق فذلك قدم النبي الذى هو له وارث واما قدم محمد صلى الله عليه وسلم فلا يطأ أثره أحد كما لا يكون أحد على قلبه وكما لا يكون أحد وارثا له على الكمال ابدا الا انه لو ورثه على الكمال لكان رسولا مثله أو نبيا بشريعة تخصه يأخذها عن من أخذ منه محمد صلى الله عليه وسلم ولا قائل بذلك فنعوذ بالله من التلبيس انتهى (فان قلت) فما المراد بقوله صلى الله عليه وسلم العلماء ورثة الانبياء هل هم المحدثون أو مطلق العلماء (فالجواب) المراد بهم كل من كان علمه لا تستقل به العقول ولا الحواس بل تحيله

العقول

العقول من حيث نظرها وليس المراد بهم ما يستقل العقول والحواس بادراك علمهم فان ذلك لا يكون وارثه فافهم واعلم انه لا يصح ميراث لاحد الا بعد انتقال الموروث الى البرزخ لان كلما حصل للعبد بغير انتقال لا يسمى ارثا وانما يسمى هبة وعطية ومنحة يكون العبد فيها نائبا وخليفة لا وارثا * قال فى الباب الثمانين والثلثمائة ولا يخفى ان الارث كله يرجع الى نوعين معنوى ومحسوس فالمحسوس هو الاخبار المتعلقة بافعاله صلى الله عليه وسلم واقواله وأحواله وأما المعنوى فهو تطهير النفس من مذام الاخلاق وتحليتها بمكارمها وكثرة ذكر الله عز وجل على كل حال بحضور ومراقبة (فان قلت) فمن هو أعظم الورثة للانبياء عليهم الصلاة والسلام (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الجواب الثالث عشر من الباب الثالث والسبعين ان أعظم الورثة الختمان وأحدهما أعظم من الآخر فواحد يختم الله به الولاية على الاطلاق وواحد يختم الله به الولاية المحمدية فاما خاتم الولاية على الاطلاق فهو عيسى عليه السلام فهو الولى بالنبوة المطلقة فى زمان هذه الامة وقد حيل بينه وبين التشريع والرسالة فينزل آخر الزمان وارثا وخاتما الاولى بعده بنبوة مطلقة كما ان محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم النبوة لا نبوة تشريع بعده فيعلم ان عيسى عليه السلام وان كان بعده ومن اولى العزم وخواص الرسل فقد زال حكمه من هذا المقام بحكم الزمان عليه الذى هو لغيره فيرسل وليا ذا نبوة مطلقة ويلهم بشرع محمد صلى الله عليه وسلم ويفهمه على وجهه كالاولياء المحمديين فهو منا وهو سيدنا فكان آخر الامر نبيا كما كان آدم أول الامر نبيا فختمت النبوة بمحمد والولاية بعيسى * قال الشيخ وأما خاتم الولاية المحمدية فهو رجل من العرب من أكرمها أصلا ويدا وهو فى زماننا اليوم موجود وقد اجتمعت به فى سنة خمس وتسعين وخمسمائة ورأيت العلامة التى اخفاها الحق تعالى فيه عن عيون عباده وكشفها الى بمدينة فاس حتى رأيت خاتم الولاية المحمدية منه ورأيته مبتلى بالانكار عليه فيما يتحقق به فى سره من العلوم الربانية وأطال فى ذلك ثم قال واعلم ان الاولياء كثيرا ما يتكلمون بالخوارق فينبغى التسليم لهم ما لم يخرج أحدهم عن الشرع كان زعم أحدهم ان الله تعالى كلمه كما كلم موسى عليه السلام فان ذلك يبطل اختصاص موسى واصطفاه على الناس بالكلام وفى القرآن العظيم وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب الآية (فان قلت) فلم سمى الانسان بشرا (فالجواب) سمى بشرا لمباشرته للامور التى تعوقه عن اللحوق بدرجة الروح فلو انه خلص من العوائق لكلمه الله تعالى من حيث كلم الارواح وارتفاع بشريته محال لان جزءها يدق ولا ينقطع فلا يصح مكالمة الله تعالى كفاحا لاحد من الامة ولو ارتفعت رتبته (فان قلت) فما الفرق بين الكلام والمحادثة والمناجاة فان أهل الله يمنعون المكالمة دون المحادثة والمناجاة (فالجواب) الفرق بينهما ان مقام الكلام لا بد ان يسمع صاحبه كلام الحق والمحادثة والمناجاة ليس فيهما سماع كلام الحق فهم كالمجتهدين فى الاسحار يناجون الحق ويسامرونه ويلهمهم الفهم عنه وبعض أهل الله يمنع المحادثة مع الحق أيضا لاحد من الاولياء ويقول المراد بحديث ان يكن من امتى

محدثون فهم معهم والمناجاة (فان قلت) فما الفرق بين المحدثين من الاولياء والنبيين (فالجواب) الفرق بينهما التكليف وذلك ان النبوة لا بد فيها من علم التكليف وحديث المحدثين لا تكليف فيه جملة واحدة وانما يقع لهم الحديث فيما تنتجه الاحوال والمقامات وأطال الشيخ في ذلك في الباب الثالث والسبعين (فان قلت) فما المراد بحديث ان لله عبادا ليسوا بانبياء يغبطهم النبيون بمقامهم وقربهم من ربهم (فالجواب) المراد بهم ارباب العلوم وارباب السلوك الذين اهتدوا بهدى انبيائهم ولكن ليس لهم اتباع لعلو مقامهم فهم مستريحون يوم القيامة لا يحزنهم الفزع الاكبر ولا يخافون على انفسهم لما عندهم من الاستقامة ولا على غيرهم لانهم ليس لهم اتباع ذكره الشيخ في الباب المذكور ايضا (فان قلت) قد رأينا في كلام بعضهم تكفير الاولياء المحدثين بفتح الدال المهملة لكونهم يصححون الاحاديث التي قال الحفاظ بضعفها (فالجواب) تكفير الناس للمحدثين المذكورين عدم انصاف منهم لان حكم المحدثين حكم المجتهدين فكما يحرم على كل واحد من المجتهدين ان يخالف ما ثبت عنده فكذلك المحدثون بفتح الدال وكلاهما شرع بتقرير رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الشيخ محيي الدين في الباب الثالث والسبعين من الجواب السابع والخمسين وقد وقع لنا التكفير مع علماء عصرنا لما صححنا بعض احاديث قالوا بضعفها قال ونحن نعذرهم في ذلك لانه ما قام عندهم دليل على صدق كل واحد من هذه الطائفة وهم مخاطبون بغلبة الظن ولو انهم وفوا النظر معهم حقه لسلموا لهم حالهم كما يسلم الشافعي للحنفي حكمه ولا ينقض حكم من حكم به من الحكام ومما اعتذروا به قولهم لو صدقت القوم في كل ما يدعونه من نحو ذلك لدخل الخلل في الشريعة لعدم العصمة فيهم فلذلك سددنا الباب وقلنا ان الصادق من هؤلاء لا يضره سدنا هذا الباب قال الشيخ محيي الدين ونعم ما فعلوه ونحن نسلم لهم ذلك ونصوبهم فيه ونحكم لهم بالاجر التام على ذلك ولكن اذا لم يقطعوا بان ذلك الولي مخطئ في مخالفتهم فان قطعوا بخطئه فلا عذر لهم فان اقل الاحوال ان ينزلوا الاولياء المذكورين منزلة أهل الكتاب لا يصدقونهم ولا يكذبونهم انتهى وكذلك قال الشيخ أيضا في اواخر الباب الثالث والستين وثلثمائة ولفظه اعلم ان من عدم الانصاف من الناس ايمانهم بما جاء من اخبار الصفات على لسان الرسل وعدم ايمانهم بها اذا اتى بها احد من خواص اتباعهم من العلماء والاولياء فان البحر واحد ويا ليتهم اذ لم يؤمنوا بها اذا جاءت على يد الاولياء يأخذونها على وجه الحكاية فان الانبياء كما جاؤا بما تحيله العقول وآمن الناس به كذلك ينبغي الايمان به اذا جاء على لسان الاولياء فكثيرا ما تهب نفحة من نفحات الانبياء على قلوب أتباعهم تؤديهم الى الموافقة في الالفاظ التي جاءت بها الرسل من صفات البارى جل وعلا فكما سلمنا في الاصل فكذلك نسلم في الفرع بجامع الموافقة فاياك والكفران فانه خسران انتهى وقال ايضا في الباب الاحد وثلثمائة كثيرا ما يرد على أهل الكشف من الاولياء أمور لا يقبلها العقول وترمى بها واذا قالها النبي صلى الله عليه وسلم قبلت ايمانا وتأويلا ولا يقبل من غيره وهذا من عدم الانصاف فان الاولياء

اذا عملوا بما شرع لهم هبت عليهم من تلك الحضرة نفحات جود الهى تكشف لهم عن ما شاء الله من اعيان تلك الامور الالهية التى قبلت من الانبياء فاذا جاء بها ولى كفروه مع انهم يؤمنون بها عينها اذا جاء بها النبى فما اعمى بصيرة هؤلاء المكفرين واقل الاموران يقولوا له ان كان ما تقول حقا وانك خوطبت به أو كشف لك عنه فتأويله كذا وكذا ان كان ذلك من أهل التأويل وان كان ظاهريا يقول قد ورد فى الخبر النبوى ما يشبه هذا فان ذلك ليس هو من شرط النبوة ولا حجره الشارع فى كتاب ولا سنة انتهى (فان قلت) فان سلمنا للاولياء ما جاؤا به فما حكمه اذا خالف ما جاءت به الرسل (فالجواب) حكمه الرد فان الولى اذا أتى فى كشفه بما يخالفه ما كشف للرسل وجب علينا الرجوع الى كشف الرسل وعلمنا ان ذلك الولى قد طرأ عليه فى كشفه خلل لكونه زاد على كشفه نوعا من التأويل بفكره فلم يقو مع كشفه فهو كصاحب الرؤيا يخبر عما رأى وكشفه صحيح ولكن أخطأ فى التعبير فان الكشف لا يخطئ أبدا وانما المتكلم فى مدلول ذلك يخطئ و يصيب الا ان كان يخبر عن الله تعالى فى ذلك انتهى *قال الشيخ أبو تراب النخشبى رحمه الله اذا ألف القلب الاعراض عن الله صحبته الوقيعة فى أولياء الله قال ولما علم العارفون من المجادلين بغير علم انهم لا بد لهم من الانكار على الطائفة عدلوا الى الاشارات كما عدلت مريم عليها السلام من أجل أهل الافك والالحاد الى الاشارة فكل آية أو حديث له عندهم وجهان وجه يرونه فى نفوسهم ووجه يرونه فيما خرج عنهم قال تعالى سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم فيسمون ما يرونه فى نفوسهم اشارة ليؤنسوا بذلك المنكرين عليهم ولا يسمونه تفسيرا وقاية لشرهم وتشنيعهم عليهم وذلك لجهلهم بمواقع خطابات الحق تعالى واقتدوا فى ذلك بسنن من قبلهم فان الله تعالى كان قادرا على ان ينص ما تأوله أهل الله وغيرهم فى كتابه ومع ذلك فما فعل بل أدرج فى تلك الكلمات الالهية التى نزلت على لسان العامة علوم معانى الاختصاص الخاص فهمها بالخاص قال ولو ان هؤلاء المنكرين ينصفون لاعتبروا فى نفوسهم اذا نظروا فى الآية بالعين الظاهرة التى يسلمونها فيما بينهم فيرون انهم يتفاضلون فى ذلك و يعلو بعضهم على بعض فى الكلام فى معنى تلك الآية مثلا و يقر الفاضل منهم بفضل الافضل والقاصر بفضل غير القاصر فيها وكلهم فى مجرى واحد ومع هذا الفضل المشهود لهم فيما بينهم ينكرون على أهل الله اذا جاؤا بشئ مما يغمض عن ادراكهم وذلك لانهم يعتقدون فيهم انهم ليسوا بعلماء وان العلم لا يحصل الا على يد المعلم المعتاد فى عرفهم وصدقوا فان أصحابنا ما حصل لهم العلم الا بالاعلام الروحانى الربانى فهم عاكفون على حضرته ينتظرون ما يفتح الله به على قلوبهم قال تعالى خلق الانسان علمه البيان وقال تعالى علم الانسان ما لم يعلم وقال فى حق الخضر وعلمناه من لدنا علما فصدق المنكرون فيما قالوا ان العلم لا يكون الا بالتعلم وأخطأوا فى اعتقادهم ان الله تعالى لا يعلم من ليس بنبى ولا رسول قال تعالى يؤتى الحكمة من يشاء والحكمة هى العلم

وجاءهم من وهي نكره ولكن لما آثر هؤلاء المنكرون الدنيا على الآخرة وآثروا ما يتعلق بجناب الخلق على ما يتعلق بجناب الحق وتعودوا أخذ العلم من الكتب وأفواه الرجال الذين من جنسهم ورأوا في زعمهم أنهم من أهل الله تعالى بما علموا وامتازوا عن العامة حجبهم ذلك عن ان يعلموا أن الله عبادا تولى تعليمهم في سرائرهم على يد ملك الالهام فعلمهم معاني كلامه وكلام رسله وهو تعالى هو العالم الحقيقي وأطال في ذلك ثم قال فلهذا صان أهل الله تعالى نفوسهم بتسميتهم الحقائق اشارات فان المنكرين لا يرون الاشارات وأين هؤلاء المنكرون من قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه لو تكلمت لكم في تفسير الفاتحة لحملت لكم سبعين وقرا فهل هذا العلم الا من العلم اللدني الذي أعطاه الله تعالى في القرآن اذ الفكر لا يصل الى ذلك وقد كان أبو يزيد البسطامي رضي الله عنه يقول خطابا للمنكرين عليه في زمانه قد أخذتم علمكم ميتا عن ميت وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت وكان الشيخ أبو مدين اذا سمع احدا يقول نقل فلان عن فلان لا تطعمونا القديد أطعمونا اللحم الطري يرفع بذلك همة اصحابه كانه يقول لا تحدثونا بفتوح غيركم وحدثونا بفتوحكم الجديد في فهمكم لكلام الله او كلام رسوله فعلم ان أهل الله تعالى ما وضعوا الاشارات التي اصطلحوا عليها فيما بينهم لا نفسهم فانهم يعلمون الحق الصريح في ذلك وانما وضعوها للدخيل بينهم حتى انه لا يعرف ما هم فيه شفقة عليه أن يسمع منهم شيئا لا يصل الى عقله القاصر فينكر عليهم فيحرم ذلك العلم فانه قد جرب انما أحد أنكر شيئا على أحد من العارفين الا وحرم ذلك الشئ عقوبة له وأطال في ذلك ثم قال وأصل الانكار كله الحسد المشتمل عليه النوع البشري ولو ان الناس تركوا الحسد لنارت قلوبهم وأدركوا علوم أهل الله تعالى وقد بسطنا الكلام على ذلك في المقدمة أول هذا الكتاب وأطال الشيخ محيي الدين الكلام على ذلك في الباب الثلاثين من الفتوحات المكية والله أعلم

(المبحث الثامن والاربعون في بيان ان جميع أئمة الصوفية على هدى من ربهم وان طريقة الامام أبي القاسم الجنيد رضي الله عنه اقوم طرق القوم كلها لتحريرها على الشريعة تحرير الجوهر)

اعلم رحمك الله ان حقيقة الصوفي فقيه عمل بعلمه لا غير فأورثه الله تعالى بعلمه الاطلاع على دقائق الشريعة وأسرارها حتى صار أحدهم مجتهدا في الطريق والاسرار كما هو شأن الائمة المجتهدين في الفروع الشرعية ولذلك شرعوا في الطريق واجبات ومحرمات ومندوبات ومكروهات وخلاف الاولى زائدا على ما صرحت به الشريعة كما استنبط المجتهدون نظير ذلك وابطلوا أي مجتهدو القوم العبادات والعقود بالاخلال بما أوجبوه وشرطوه أو بارتكاب ما حرموه وهذا شأنهم رضي الله عنهم فما من أحد منهم حق له قدم الولاية الا وهو مجتهد في الطريق ليس عنده تقليد الا لما صرحت به الشريعة أو أجمع عليه الائمة فقط فمن ادعى مقام الكمال وهو مقلد لعالم فهو غير صادق وقد سمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول مرارا لا يكمل الرجل عندنا في الطريق حتى يأخذ

الصلم من حيث أخذه المجتهدون انتهى ثم مما اختص به الصوفية عن غيرهم علمهم بالطريق الموصلة لهم الى العمل بالكتاب والسنة فاذا قلت لهم ان مقصودى أن أزهد فى الدنيا بحيث لا يبقى عندى ميل عادى لها يقولون للشأ كثر من ذكر الله تعالى ليلا ونهارا حتى يرق حجابك فتدرك الآخرة بعين بصيرتك وتنظر ما لمن يزهد فى الدنيا من الدرجات والنعيم كما وقع لابراهيم بن أدهم رضى الله عنه فاذا رأيت ذلك نزهدت لا محالة فى الدنيا ولو قال لك جمهور الناس أرغب فى الدنيا لا تصغى لهم ولوانك يا أخى قلت ذلك لعالم لقال لك ان الله تعالى أمرك أن تزهد لا غير ولا يهتدى للطريق الى ذلك فحكمه حكم طبيب يحفظ كتابا فى الطب ولا يعرف علاج المرض فعلم ان سبب انكار بعض الناس على الصوفية انما هو لدقة مداركهم ولوأن المنكر لزم الادب لسلم للقوم كلما خالف فهمه مما لم يعارض كتابا ولا سنة ولا اجماعا وقد رأيت فى كتاب الرعاية للشيخ عزالدين ابن عبد السلام سلطان العلماء بمصر فى عصره ما نصه كل الناس قعدوا على رسوم الشريعة وقعد الصوفية على قواعدها التى لا تتزلزل قال ويؤيد ذلك ما يقع على يدهم من الكرامات والخوارق ولا يقع ذلك قط على يد عالم ولو بلغ فى العلم ما بلغ الا ان سلك طريقهم انتهى وقد بلغنا أنه كان يقول قبل ذلك وهل ثم طريق للشريعة غير ما بأيدينا من النقول ثم يقول من زعم أن ثم علما باطنا للشريعة غير ما بأيدينا فهو باطلى يقارب الزنديق فلما اجتمع بالشيخ أبى الحسن الشاذلى بمصر المحروسة وأخذ عنه صار يمدح طريق القوم كل المدح ويقول انها طريق جمعت أخلاق المرسلين وكان يقول حجة الاسلام الغزالى رحمه الله مثل ما كان يقول الشيخ عزالدين أولا فلما اجتمع بالصوفية وذاق طريقهم صار يقول ضيعنا عمرنا فى البطالة أى لما فى الاشتغال بالعلم على طريق أهل الجدال من غلبة القول على العمل والحق ان الاشتغال بالفقه ليس هو بطالة انما هو أساس للطريق فان من شأن أهل الطريق أن يكون جميع حركاتهم وسكناتهم محررة على الكتاب والسنة ولا يعرف ذلك الا بالتبحر فى علم الحديث والفقه والتفسير فقول الغزالى ان الاشتغال بالفقه بطالة انما هو كلام صدر حال عشقه فى طريق القوم والعاشق حكمه حكم السكران ولو أنه تأمل فى حاله لعرف ما قلناه من ان الفقه أساس الطريق وان غاية الصوفى انه عالم عمل بعلمه لا غير (وقد كان) سيدى ابراهيم الدسوقى رحمه الله يقول لو أن الفقيه أتى العبادات والمأمورات الشرعية بغير علة كما أمره الله تعالى لا ستغنى عن الشيخ ولكنه أتى العبادات بعلل وأمراض فلذلك احتاج الى طبيب يداويه حتى يحصل له الشفاء ومن هنا استغنى التابعون عن الخلوة والرياضة كما عليه تلامذة الاشياخ ولم ينقل عن أحد منهم انه دون شيأ فى علاج الامراض الباطنة لعدمها فى عصرهم أوقلتها جدا حتى لا تكاد توجد وكان معظم اجتهادهم انما هو فى جميع أحاديث الشريعة والمطابقة بينها وبين الكتاب العزيز وهذا أهم بيقين من اشتغالهم بعلاج أمراض لعلها لا توجد وقد حصل بذلك الجواب عن قول من قال لأى شئ لم يدون الائمة المجتهدون شيأ فى علم التصوف أو يشتغلوا بالذكر

لتجلى قلوبهم كما يفعل الصوفية فانه لا يقول عاقل قط عن أحد يعني من الائمة انه يعلم من نفسه عجبا أو ريا أو علا أو حقدا أو مكرا أو خديعة ولا يجاهد نفسه أبدا ولو انهم علموا ان فيهم شيئا من ذلك لقدموا علاجه على سائر الاعمال من باب ما لا يتم الواجب الا به فهو واجب وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة فافهم فقد بان لك أن سائر أئمة الصوفية على هدى من ربهم كالائمة المجتهدين وانه لا ينبغي لاحد أن ينكر عليهم كلامهم الا بعد ان يدخل طريقهم ويعرف مصطلحهم وجميع من شطح عن ظاهر الشريعة انما هو دخيل فيهم أو غلب عليه حال أو كان مبتدئا في الطريق واما الكاملون كالجنيد واضرابه فطريقهم محررة على الادب تحرير الذهب اذهم حماة الدين رضي الله عنهم أجمعين وانما خصصنا كغيرنا طريق الشيخ أبي القاسم الجنيد بمزيد التقويم وان كل من سلكها نجا لانها كما قال الجلال المحلي وغيره طريق خال عن البدع دائر على التسليم والتفويض لله تعالى والتبري من حظوظ النفس وهذا من أصح الطرق فهي كطريق الشيخ أبي الحسن الاشعري في العقائد الدينية ولذلك قالوا ونعتقد ان طريق الشيخ أبي الحسن الاشعري في العقائد الدينية لكونها طريق مثلى بين التفريط والافراط قال الجلال المحلي ولا التفات الى من تكلم في الشيخ أبي الحسن من أهل الزيغ ويكفينا في امامته وجلالته اكباب علماء الاسلام من أهل التفسير والحديث والفقه والاصول على الاعتماد على قوله في العقائد وكذلك يكفينا في امامة أبي القاسم الجنيد رحمه الله اجماع الناس كلهم على جلالته وقولهم انه سيد الطائفة كلها علما وعملا وهو جدير بذلك وقد كان يقول علمنا هذا مشيد بالكتاب والسنة انتهى وانما لم يذكر القياس والاجماع لان القياس والاجماع انما تعم دلالتهما اذا وافقا قواعد الكتاب والسنة فاستغنى الجنيد عن القياس والاجماع بذكر الكتاب والسنة وكان يقول أيضا اذا رأيتم شخصا متربعا في الهوى فلا تلتفتوا اليه الا ان رأيتموه مقيدا بالكتاب والسنة وكان يقول الطرق كلها مسدودة على الخلق الا على المقتفين آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يقول لو كنت حاكما لضربت عنق من سمعته يقول لا موجود الا الله أوليس لي فعل مع الله لان ظاهر كلامه نفي غير الله وهدم أحكام التكاليف كلها قال الجلال المحلي وغيره ولا التفات الى من رمى الشيخ الجنيد في جملة من رمى بالزندقة من الصوفية عند الخليفة جعفر المقتدر بالله تعالى حتى انه أمر بضرب أعناقهم وقد بلغنا أنهم كلهم أمسكوا الا الجنيد مع انه شيخ الجماعة وذلك لانه كان يستر كلام أهل الطريق عن من ليس منهم وكان يتستر بالفقه والافتاء على مذهب ابي ثور وكان اذا تكلم في علوم القوم أغلق باب داره وجعل مفتاحه تحت وركه وكذلك بلغنا عن الحسن البصري رضي الله عنه وكانا يقولان أتحبون ان يرمى اولياء الله بالزندقة زورا وبهتانا عند من لا يعرف اصطلاحهم ولم يبلغنا قط عن الجنيد انه تكلم بشئ من الشطح كما نقل عن أبي يزيد وغيره كل ذلك لكماله قال الجلال المحلي ولما بسط النطع

اضرب أعناق الصوفية الذين امسكوا فتقدم من أخرهم الشيخ أبو الحسن الثوري وقال
للسياف اضرب عنقي قبل أصحابي فقال له السياف لم ذلك فقال لاوثر أصحابي بحياة
ساعة فبهت السياف وانهى الامر الى الخليفة فردهم الى القاضي اسماعيل بن اسحاق
المالكي فسأل الثوري عن مسائل فقهية فأجابه عنها ثم قال وبعد فان لله عبادا اذا
قاموا قاموا بالله واذا انطقوا انطقوا بالله فقبل القاضي قوله وأرسل يقول للخليفة ان كان هؤلاء
زنادقة فليس على وجه الارض مسلم فخلى الخليفة سبيلهم رضي الله عنهم اجمعين * وحكى
ابن أيمن في رسالته عن الامام أحمد رضي الله عنه انه كان في اول أمره ينهى ولده عن
مجالسة الصوفية حتى نزل عليه جماعة منهم في الليل من الهواء فسألوه عن مسائل في
الشريعة حتى اعجزوه ثم صعدوا في الهواء فمن ذلك الوقت وهو يقول لولده عليك
بمجالسة الصوفية فانهم ادركوا من خشية الله واسرار شريعته مالم ندركه وكان اذا عجز
عن جواب مسئلة يقول للشيخ ابي حمزة البغدادي ماتقول في هذا يا صوفي فاذا أجابه
بشئ أخذ به * وحكى القشيري عن ابن شريح انه كان ينكر على الجنيد فتنكر يوما
وحضر مجلس الجنيد وهو لا يشعر فلما انصرف الجنيد قالوا لابن شريح ماذا رأيت في
كلام هذا الرجل فقال لم أفهم من كلامه شيئا الا ان صولة الكلام ليست بصولة
مبطل فعلم ان الانكار لم يزل في العلماء على الصوفية في كل عصر لدقة مداركهم
لا لخروجهم عن الشريعة في نفس الامر معاذ الله ان تتبع الاولياء في ذلك وان جاز ذلك
في حقهم وقد بسطنا الكلام على ذلك في مقدمة الطبقات الكبرى والله تعالى أعلم

*(المبحث التاسع والاربعون في بيان ان جميع الائمة المجتهدين على هدى
من ربهم من حيث وجوب العمل بكل ما ادى اليه اجتهادهم واثبات الاجر لهم
من الشارع وان أخطأوا)*

على ماسيأتي بيانه ان شاء الله تعالى واعلم يا اخي ان مبحث الجواب عن الائمة يكتفي فيه
بأي وجه كان واما التحقيق فله مكان آخر فلا يذبغي الاعتراض علينا اذا بينا هذا المبحث
على القول المرجوح بان كل مجتهد مصيب وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول
اعملوا على الجمع بين أقوال العلماء جهدكم فان اعمال القولين اولى من الغاء احدهما وبذلك
يقل تناقض اقوال العلماء ومن وصل الى مقام الكشف وجد جميع الائمة المجتهدين
لم يخرجوا عن الكتاب والسنة في شئ من اقوالهم وشهدها كلها مقتبسة من شعاع نور
الشريعة لانهم على آثار الرسل سلكوا فكما انه يجب عليك يا اخي الايمان والتصديق
بصحة كل ما جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام مما يخالف شريعتك ظاهرا فكذلك
يجب عليك الايمان والتصديق بصحة ما استنبطه المجتهدون وان خالف مذهب امامك
انتهى وقد تتبعت بحمد الله ادلة المجتهدين فلم اجد فرعا من فروع مذاهبهم الا وهو
مستند الى دليل اما آية او حديث او اثر او قياس صحيح على اصل صحيح لكن من اقوالهم
ماهو مأخوذ من صريح الحديث أو الآية أو الاثر مثلا ومنه ماهو مأخوذ من المفهوم

أو مأخوذ من ذلك المأخوذ وهكذا فمن أقوالهم قريب وأقرب وبعيد وأبعد وكلها مقتبسة من شعاع نور الشريعة التي هي الاصل ومحال أن يوجد فرع من غير أصل (وايضاح ذلك) ان نور الشريعة المطهرة هو النور الوضاح ولكن كلما اقرب الشخص منه يجده أضوأ من غيره وكلما بعد عنه في سلسلة التقليد يجده أقل نورا بالنسبة لما هو أقرب من عين الشريعة وهذا هو سبب تفاوت أقوال علماء المذاهب وتضعيف بعضهم كلام بعض الى عصرنا هذا فان بيننا الآن وبين الشارع نحو خمسة عشر دورا وأين من يخرق بصره هذه الادوار كلها حتى يشهد اتصال أقوال جميع الادوار بعين الشريعة وكان سيدى على الخواص رحمه الله يقول مثال عين الشريعة المطهرة التى يتفرع منها كل قول من أقوال المجتهدين ومقلديهم مثال العين الاولى من شبكة الصياد ومثال أقوال علمائها مثال العيون المنتشرة منها في سائر الادوار فمن كشف الله تعالى عن بصيرته وأدرك العين الاولى وما تفرع منها أقر جميع أقوال علماء الاسلام بحق وشاهدها كلها مرتبطة بالعين الاولى من العيون كارتباط الظل بالشاخص أو كارتباط الاصابع بالكف ومن لم يكشف الله تعالى عن بصيرته أخطأ ضرورة كل ما زاد عن مطمح بصره وأخرجه عن الشريعة قال وعلى ماقررناه ينزل القولان من ان كل مجتهد مصيب أو المصيب واحد والباقى مخطئ وبالاول قال جماعة من الاصوليين ومن المالكية أبو بكر بن العربى وغيره وبالثانى قال الجمهور انتهى وقد كنت وضعت بحمد الله تعالى ميزانا أوضحت فيها ادلة هذين القولين ثم لما رأيت الغالب على أهل المذاهب الاكباب على قول امامهم وعدم التدين بأقوال غيره الا لضرورة رجعت عنه وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول ماثم لنا قول الا وأصله مجمل فى الكتاب والسنة ولولا ذلك ماقال الله لمحمد صلى الله عليه وسلم لتبين للناس مانزل اليهم بل كان يكتفى بتبليغه للقرآن من غير بيان قال ولما كان من المعلوم انه لا يفصل العبارة الا العبارة نابت الرسل عليهم الصلاة والسلام عن الحق تعالى فى تفصيل ما اجمله تعالى فى كتابه العزيز وناب المجتهدون مناب الرسل عليهم الصلاة والسلام فى تفصيل ما اجملوه فى كلامهم وناب اتباع المجتهدين مناب المجتهدين فيما اجملوه من كلامهم وهكذا القول فى كلام أهل كل دور ممن بعدهم الى وقتنا هذا يفصل أهل كل دور ما أجمله الدور الذى قبلهم ولولا ان حقيقة هذا الاجمال سارية فى العالم ماشرحت الكتب ولا ترجمت من لسان الى لسان ولا وضع الناس على تفسير بعضهم وشروحه حواشى بل ربما وضعوا على الحواشى حواشى والسر فى ذلك ان غير الشارع صلى الله عليه وسلم اذا تكلم على حكم شرعى لا يمكنه أن يستحضر جميع مايرد عليه تلك العبارة من الاسئلة والاحكام حتى يفصح عنها فى تلك العبارة بل ينسى اكثر الاحكام بخلاف الشارع صلى الله عليه وسلم فانه لايتكلم الا بوحى من ربه عز وجل معصوم من الخطأ ونقص المعانى وصحة الايرادات عليه وما كان ربك نسيا وغير الشارع بالعكس قال تعالى ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا فعلم ان اهل كل دور رحمة على من بعدهم

كما ان للتابع من الخلق المنة على متبوعه من السلف من حيث علمه بعلم متبوعه وكتابة ثواب ذلك فى صحائفه فعلوم جميع الامة المحمدية وعلمهم فى صحائف سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لكن من غير منة عليه صلى الله عليه وسلم بخلاف غيره من المجتهدين وغيرهم فافهم فلمحمد صلى الله عليه وسلم المنة على المجتهدين ومقلديهم الى يوم القيامة باعطائهم المادة التى يستنبطون منها الاحكام وليس للمجتهدين منة عليه صلى الله عليه وسلم انما لهم المنة على من قلدهم الى يوم القيامة فلولا التابع ماظهر كمال المتبوع من الخلق فى كل دور بحسبه فافهم وكذلك لولا بيان الشارع صلى الله عليه وسلم ما اجمل فى القرآن باحاديث شريعته لبقى القرآن على اجماله الى وقتنا هذا وما كنا عرفنا كيفية تأدية الصلاة ولا الطهارة ولا عرفنا نواقض الطهارة ولا عرفنا انصبة الزكاة ولا شروطها ولا واجبات الصوم والحج ولا مفسدهما ولا كيفية العقود ولا المعاملات ولا غير ذلك مما هو معلوم وكذلك لولا بيان المجتهدين ما اجمل فى الشريعة لمقلديهم لبقيت السنة على اجمالها وهكذا الكلام فى كل دور بعدهم الى يوم القيامة يفصل كل دور ما اجمل فى كلام من قبله ومن زعم ان المجتهدين عرفوا المجمل من القرآن بلا واسطة بيان السنة له فليأتنا بمثال ذلك ولعله لا يجده (وايضاح ذلك) انه ليس لتابع علم من غير دائرة علم متبوعه أبدا كما ان كشف الاولياء لا يتعدى كتاب نبيهم وسنته أبدا وبتقديرانه يأتينا بعلم من طريق كشفه لا يجوز لنا العمل به الا بعد عرضه على الكتاب والسنة وموافقته لهما وفى سنن البيهقى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما ولى شريحا القضاء قال له انظر فما تبين لك فى كتاب الله عزوجل صريحا فلا تسألن عنه أحدا ومالم يتبين لك فى كتاب الله تعالى فاتبع فيه سنة محمد صلى الله عليه وسلم ومالم يتبين لك فى السنة فاجتهد فيه رأيك وان شئت فأمرنى ولا ارى مؤامرتك اياى الا اسلم لك انتهى وقد تبرأ المجتهدون كلهم من القول فى دين الله بالرأى كما أوضحنا ذلك فى مقدمة كتابنا المسمى بالمنهج المبين فى بيان ادلة المجتهدين وهو كتاب ما صنف فى الاسلام مثله فراجعه وملخص أقوالهم فى ذلك ان البيهقى روى بسنده عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه كان يقول اذا افتى الناس وهذا رأى عمر فان كان صوابا فمن الله وان كان خطأ فمن عمر ويقول استغفر الله وروى البيهقى أيضا عن عبد الله بن عباس وعطاء ومجاهد ومالك بن انس رضى الله عنهم انهم كانوا يقولون مامن أحد الا ومأخوذ من كلامه ومردود عليه الا رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى عن أبى حنيفة رضى الله عنه انه كان يقول لا ينبغى لمن لم يعرف دليلى أن يفتى بكلامى وكان رضى الله عنه اذا أفتى يقول هذا رأى النعمان بن ثابت يعنى نفسه وهو أحسن ماقدرنا عليه فمن جاء باحسن منه فهو أولى بالصواب وكان الامام مالك يقول مامن أحد الا ومأخوذ من كلامه ومردود عليه الا رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى الحاكم والبيهقى عن الامام الشافعى رضى الله عنه انه كان يقول اذا صح الحديث فهو مذهبى وفى رواية اذا رأيتم كلامى يخالف الحديث فاعملوا بالحديث واضربوا بكلامى

الحائط وقال يوما للمزني يا ابراهيم لا تقلدني في كل ما أقول وانظر في ذلك لنفسك فانه دين وكان رضي الله عنه يقول لا حجة في قول أحد دون رسول الله صلى الله عليه وسلم وان كثروا الا في قياس ولا في شئ وما ثم الا طاعة الله ورسوله بالتسليم وقد نقلنا جميع ما نقل عنه من التبري من الرأي في كراسة وكان الامام احمد رضي الله عنه يقول ليس لاحد مع الله تعالى ورسوله كلام (قلت) ولذلك لم يدون له كتابا أبدا في الفقه وجميع مذهبه الآن انما هو ملفق من صدور الرجال رضي الله عنه وبلغنا انه وضع في الصلاة ثلاثين ألف مسألة وسأله رجل مرة عن مسألة فقال لا تقلدني ولا تقلدن مالكا ولا الاوزاعي ولا النخعي ولا غيرهم وخذ الاحكام من حيث أخذوا من الكتاب والسنة انتهى وهو محمول على من أعطى قوة الاجتهاد أما الضعيف فيجب عليه التقليد لاحد من الائمة والا هلك وضل (فان قلت) فما دليل المجتهدين في استنباطهم الاحكام وهل لا وقفوا على حد صريح ما ورد (فالجواب) دليلهم في الاجتهاد ما وقع من اجتهاده صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج في شأن الصلوات من المراجعة بين موسى عليه السلام وبين ربه عز وجل قال الله تعالى لما فرض على أمة محمد الخمسين صلاة نزل بها الى موسى ولم يقل شيأ ولا اعترض ولا قال هذا كثير فلما قال له موسى عليه السلام راجع ربك بقي صلى الله عليه وسلم متحيرا من حيث ان شفقته على أمته تطلبه بالتخفيف عنهم لئلا يقعوا في الضجر والسآمة والكراهية من تحمل تلك التكاليف فلما بقي حائرا أخذ يطلب الترجيح أي الحالين أولى وهذا هو الاجتهاد فلما ترجح عنده انه يراجع ربه رجع الى قول موسى وامضى ذلك في امته باذن من ربه عز وجل وكان في تشريع امته الاحكام باذن الله تأنيسا لمحمد صلى الله عليه وسلم بما جرى منه لئلا يستوحش مع ان ما جرى من امة محمد صلى الله عليه وسلم من التشريع فيه جبر لقلب موسى عليه السلام أيضا فان موسى لابد اذا رجع الى نفسه وخف عنه الحال الذي كان عليه من وفور الشفقة يجد الله تعالى الذي كلف امة محمد بالخمسين صلاة ارحم بهم من موسى ويرى ان الخمسين كانت من أقل ما ينبغي لجلال الله عز وجل في العبادة ولم يستكثرها على العبيد وعلم أيضا ان الله تعالى لو امضى عليهم الخمسين صلاة فلابد أنه كان يقويهم على فعلها فان القوة بيد الله ولا يكلف نفسا الا وسعها ثم ان موسى عليه السلام لما ندم على قوله في شأن المراجعة جبر الله تعالى قلبه بقوله تعالى ما يبدل القول لدي في آخر رجعة وآنسه باطلاعه على ان القول قبل ذلك كان معروضا يقبل التبديل ولذلك سر بهذا القول وعلم ان من القول الالهي ما يقبل التبديل ومنه ما لا يقبله وعلم ان كلامه الذي كان ندم عليه من حيث معارضته لما فرضه الحق تعالى العليم الخبير ما وقع منه الا حين كان القول معروضا لا حين حق القول منه تعالى فعلم ان في تشريع الاجتهاد للائمة المجتهدين جبر القلب محمد صلى الله عليه وسلم بالاجتهاد فصار له اسوة بهم وصار لهم اسوة به فهذا كان منشأ الاجتهاد للمجتهدين (قلت) ومما اجرئ الائمة على استنباط الاحكام قوله

صلى

صلى الله عليه وسلم من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها فافهم (فان قلت) فهل يجوز لاحد الطعن فى قول مجتهد (فالجواب) لا يجوز لاحد الطعن فى حكم المجتهد لان الشارع قد قدر حكم المجتهد فصار شرعا لله بتقدير الله اياه فمن خطأ مجتهدا بعينه فكأنه خطأ الشارع فيما قدره حكما وهذه مسئلة يقع فى محظورها كثير من اصحاب المذاهب لعدم استحضارهم لما نبهنا هم عليه مع كونهم عالمين به ذكره الشيخ فى باب مسح الخف من الفتوحات وقال فى باب الوصايا منها اياكم والطعن على أحد من المجتهدين وتقولون انهم محجوبون عن المعارف والاسرار كما يقع فيه جهلة المتصوفة فان ذلك جهل بمقام الائمة فان للمجتهدين القدم الراسخ فى علم الغيوب فهم وان كانوا يحكمون بالظن فالظن علم وما بينهم وبين أهل الكشف الا اختلاف الطريق وهم فى مقامات الرسل من حيث تشريعهم للامة باجتهادهم كما شرعت الرسل لاممهم انتهى وقال فى الباب التاسع والستين وثلثمائة بعد كلام طويل فى مدح المجتهدين فعلم ان المجتهدين هم الذين ورثوا الانبياء حقيقة لانهم فى منازل الانبياء والرسل من حيث الاجتهاد وذلك لانه صلى الله عليه وسلم اباح لهم الاجتهاد فى الاحكام وذلك تشريع عن أمر الشارع فكل مجتهد مصيب من حيث تشريعه بالاجتهاد كما ان كل نبى معصوم قال وانما تعبد الله المجتهدين بذلك ليحصل لهم نصيب من التشريع ويثبت لهم فيه القدم الراسخة ولا يتقدم عليهم فى الآخرة سوى نبيهم صلى الله عليه وسلم فتحشر علماء هذه الامة حفاظ الشريعة المحمدية فى صفوف الانبياء والرسل لا فى صفوف الامم فما من رسول الا وبجانبه عالم من علماء هذه الامة أو اثنان أو ثلاثة أو اكثر وكل عالم منهم له درجة الاستاذية فى علم الاحكام والاحوال والمقامات والمنازلات الى أن ينتهى الامر فى ذلك لخاتم الائمة المجتهدين المحمديين الذى هو المهدى عليه السلام انتهى * وقال أيضا فى باب الجنائز من الفتوحات انما أمرنا الشارع صلى الله عليه وسلم بالصلاة على آله العلماء بقوله لنا قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم ليكون لآله الذين هم المجتهدون من الوحى مثل ما كان لآل ابراهيم الذين هم اسحاق ويعقوب ويوسف من التشريع بالاجتهاد وان تفاوتت المقامات قال وقد حقق الله تعالى له رجاه صلى الله عليه وسلم وجعل وحى المجتهدين فى اجتهادهم اذ المجتهد لم يحكم الا بما أراه الله تعالى فى اجتهاده ولذلك حرم الله على المجتهد أن يخالف ما أدى اليه الاجتهاد كما حرم على الرسل أن تخالف ما أوحى به اليهم فعلم ان الاجتهاد نفحة من نفحات التشريع ما هو عين التشريع وان معنى اللهم صل على آل محمد كما صليت على آل ابراهيم أى كما جعلت آل ابراهيم انبياء ورسلا فى المرتبة عندك بما أعطيتهم من التشريع والوحى فارحم آل محمد ومن رحمتك أن تجعل خواص امتى مشرعين بالاجتهاد وقد وقع ذلك ولله الحمد فقد أشبه المجتهدون الانبياء من حيث تقرير الشارع لهم كلما اجتهدوا فيه وجعله حكما شرعيا انتهى * وقال فى الباب الحادى والستين ومائة * اعلم أن جميع المجتهدين لهم فى مقام الارث النبوى القدم الراسخة

لكنهم لا يعرفون انهم فى ذلك المقام ولذلك تناظر بعضهم بعضا لسريان الامداد الالهية بالعلوم اليهم من هذا المقام فطلب كل واحد من صاحبه أن يرجع الى ما ظهر له من الادلة من وجوب أو تحريم أو ندب أو كراهة وكما انهم لا يعرفون انهم فى ذلك المقام كذلك لا يعرفون ممن يستمدون كشفا ومشاهدة وانما يعرفون ذلك بواسطة الادلة فكل مجتهد على حق لاستمدادهم كلهم من عين الشريعة كما أن كل نبى تقدم على زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم على حق والايمان بذلك واجب فعلم أن المجتهدين من هذه الامة ورثة الانبياء فى التشريع لكن لا يستقلون بشرع لانه لولا المادة التى أعطاها لهم الشارع من شرعه ما قدروا على التشريع المذكور فقد قامت لهم ادلتهم مقام الوحى للانبياء وكان اختلاف اجتهادهم كاختلاف شرائع الرسل الا انهم لا يلحقون بالرسل لعدم الكشف اليقينى فان أحدهم يحكم بحكم ثم يبدو له خلافه فيرجع عنه بخلاف الانبياء لا يتركون الحكم الاول الا بأمر جديد ورد عليهم من الله تعالى ينسخ حكمه فهم فى حال علمهم وفى حال تركهم تابعون لامر الشارع خارجون عن رأى نفوسهم كما اشار اليه قوله تعالى لتحكم بين الناس بما اراك الله وقال فى خلافة داود ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله فخص سبحانه وتعالى حكم محمد وغيره بما اراه الله تعالى لنبيه ولم يقل له احكم بما رأيت بل عتبه لما حرم باليمين ما حرم على نفسه فى قصة عائشة وحفصة تشريعا لنا فقال يا ايها النبى لم تحرم ما احل الله لك تبتغى مرضات ازواجك فكان هذا من جملة ما ارته نفسه الشريفة وتبين ان المراد بقوله بما أراك الله اى ما يوحى به اليك لا ما تراه من رأيك فلو كان الدين بالراى لكان رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم اولى من كل رأى وأطال الشيخ محيى الدين فى ذلك فى الباب الثمانين وثلثمائة ثم قال واذا كان العتب وقع على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ارته نفسه فكيف برأى من ليس بمعصوم والخطأ اقرب اليه من الاصابة وأطال فى ذلك ثم قال وقد دل هذا على أن المراد بالاجتهاد الذى ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الاجتهاد فى طلب الدليل على نفس الحكم فى المسئلة الواقعة لا فى تشريع حكم فى النازلة من قبل نفس المجتهد فان ذلك شرع لم يأذن به الله (فان قلت) فما اشتق الاجتهاد (فالجواب) انه مأخوذ من الجهد وهو بذل الوسع لا يكلف الله نفسا الا وسعها ومن هنا عمم بعضهم الحكم فى حصول الاجر للمجتهد اذا اخطأ ولو فى الاصول ولكن الجمهور خصصوا الاجر بمن أخطأ فى الفروع دون الاصول مع ان تخصيص الخطا بالفروع هو من الاجتهاد أيضا وقد قرر الشارع كل علم حصل بواسطة الاجتهاد وجعله حكما شرعيا فى حق المجتهد يحرم عليه مخالفته (فان قلت) فهل تقرير الشارع حكم المجتهد باق بعده الى يوم القيامة (فالجواب) نعم لا يجوز لاحد نقضه وقد أرسل الامام الليث بن سعد سؤالا للامام مالك يطلب جوابه فكتب اليه الامام مالك اما بعد فانك يا أخى امام هدى وحكم الله فى هذه المسئلة ما ادى اليه الاجتهاد انتهى (فان قلت) فاذا كان كل مجتهد مصيبا عندكم فما الجواب عن حديث اذا اجتهد

الحاكم واخطأ فله اجر وان أصاب فله اجران (فالجواب) ان المراد بالخطأ فى هذا الحديث عدم مصادفة المجتهد الدليل الوارد فى تلك المسئلة من الكتاب أو السنة فهذا له اجر واحد وهو اجر التتبع ولو انه كان وجد الدليل لكان له اجران اجر التتبع واجر مصادفة الدليل هكذا أجاب ابن حزم الظاهرى وغيره * وقد قال الشيخ محيي الدين فى الكلام على صلاة الكسوف من الفتوحات اعلم ان الخطا الواقع للمجتهد بمنزلة الكسوف الواقع للشمس ليلا أو للقمر نهارا فكما لا اعتبار بذلك كذلك لا وزر على المجتهد اذا اخطأ فى الحكم بل هو مأجور هذا على ان المراد بخطاء المجتهد خطأه فى نفس الحكم كما هو المتبادر الى الاذهان اما على ما قاله ابن حزم الظاهرى فلا يصح خطا المجتهدين فى الحكم لانه لو صح خطأه فى الحكم يخرج عن الشرع واذا خرج عن الشرع فلا أجر فافهم (فان قلت) فهل الاجتهاد خاص بهذه الامة المحمدية ام هو فيها وفى غيرها وهل هو باق الى يوم القيامة ام لا (فالجواب) هو خاص بهذه الامة كما صرح به الشيخ فى الفتوحات وهو باق الى يوم القيامة حتى يخرج المهدى عليه السلام فله اجر مجتهد قال الشيخ محيي الدين فى كتاب الجنائز من الفتوحات * واذا بلغ المريد مرتبة الاجتهاد المطلق حرم عليه الرجوع الى قول شيخه الا ان يكون دليل شيخه أوضح من دليله (فان قلت) فهل الاولى ان يسمى ما شرعه المجتهد سنة أو يقال بدعة حسنة (فالجواب) الاولى ان يقال سنة حسنة واما قول عمر بن الخطاب فى التراويح نعمت البدعة فلا يقدح فى ذلك فان قوله ونعمت البدعة هى مدح لها فرجعت الى أنها حسنة (فان قلت) ما قررتموه من ان الاجتهاد خاص بهذه الامة يشكل عليه قوله تعالى رهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فانه كالصريح فى ان الاجتهاد كان فى الامم قبلنا لانه من جملة ما تعبد الله به عباده وذلك يقتضى العموم (فالجواب) ليس اجتهاد الامم كاجتهادنا لعدم تقرير نبيهم لهم على ذلك بخلاف نبينا صلى الله عليه وسلم فانه قررنا على ذلك فصار اجتهادنا من شرعه بتقريره فلم يشبه اجتهادنا اجتهادهم لان اجتهادهم من باب القوانين العقلية بخلاف اجتهادنا وقال بعضهم لا فرق بين اجتهادنا واجتهاد الامم قبلنا لانهم ما ابتدعوا تلك الرهبانية الا باجتهاد منهم وطلب مصلحة عامة أو خاصة يقتضيها ادلة شريعتهم ويؤيد ذلك كون الحق تعالى اثنى على من رعاها حق رعايتها وما اثنى عليه الا لحسن القصد والنية فى ذلك مع انهم انما شرعوها لا نفسهم لا للناس قال وعلى هذا ففى الآية تقديم وتأخير تقديره فما رعوها حق رعايتها الا ابتغاء رضوان الله فما ذموا الا من حيث قلة مراعاتهم لما ابتدعوه لا غير انتهى وذكر نحو ذلك الشيخ محيي الدين فى الباب الثامن والتسعين ومائة فليتأمل ويحرر (فان قلت) فما حكم من قلد مجتهدا من علماء الامة هل يكون بذلك معدودا من ورثة الانبياء ام هو وارث لذلك المجتهد فقط (فالجواب) هو وارث لذلك العالم فقط وهو مع ذلك معدود من اتباع النبى صلى الله عليه وسلم أيضا لان ذلك من جملة شرعه وكلامنا فيما لم يكن فيه نص عن الشارع أما ما فيه نص فلا يدخله الاجتهاد

ابدا كما اذا نص الشارع على تحريم شئ أو وجوبه أو استحبابه، ولو رعيه فلا سبيل لاحد الى مخالفته انما هو السمع والطاعة والتسليم فلو قدران مجتهدا خالف النص باجتهاده حرم علينا العمل بقوله وتأمل قوله صلى الله عليه وسلم لما خطب فى قصة تزويج على على فاطمة ابنة ابى جهل ان فاطمة بضعة منى يسوءنى ما يسوءها ويسرنى ما يسرها وانه ليس لى تحريم ما احل الله ولا تحليل ما حرم الله ولكن ان أراد ابن ابى طالب ذلك يطلق ابنتى فوالله ما تجتمع بنت عدو الله مع بنت رسول الله تحت رجل واحد ابدا انما طلب صلى الله عليه وسلم مع معرفته بهذا الوجه الالهى الا ابقاء ما هو محرم على تحريمه وما هو محلل على تحليله فلم يحرم على نكاح ابنة أبى جهل اذا كان ذلك حلالا له وانما قال ان أراد ابن أبى طالب ذلك الى آخره فرجع ابن أبى طالب عن ذلك فلو انه كان لاحد من المجتهدين ان يحرم ما احل الله باجتهاده لكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اولى بذلك وما فعل مع انه له الكشف الاتم والحكم الاعم صلى الله عليه وسلم ذكره الشيخ فى الباب الثانى والمائتين من الفتوحات (فان قلت) فمن المراد بحديث العلماء ورثة الانبياء هل هم الاولياء ام الفقهاء (فالجواب) المراد بهم العلماء العاملون بجمعهم فى الارث بين القال والحال كما كان عليه علماء السلف فى الزمن الماضى فان حقيقة الصوفية هم علماء عملوا بعلمهم وتبعوا النبى صلى الله عليه وسلم فى الاخلاق فلما تخلف غالب الناس عن العمل سماهم الناس فقهاء لا صوفية وانما قال ورثة الانبياء ولم يقل ورثة نبى خاص لان كل عالم على قدم نبى ممن تقدم محمدا ومن ورث محمدا صلى الله عليه وسلم نال الحظ الاوفر من ارث جميع الانبياء ودليل ما قلناه قوله تعالى ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فانه ذكر أن الارث على قسمين وزادهم قسما ثالثا وهو الظالم لنفسه والمراد به من ظلم نفسه لمصلحة دينه وطلب الثواب فحملها مشاق التكاليف التى لم يوجبها الله تعالى عليه حتى يسعد بها فى الآخرة وذلك كحال أبى الدرداء وأمثاله من الرجال الذين صاموا فلم يفطروا وقاموا الليل فلم يناموا واخذوا بالعزائم دون الرخص فعلم ان الشريعة تشمل هذا القسم الثالث لتقرير الشارع لصاحبه على فعله وان كان ثم فوقه مقام اكمل منه كما اشار اليه حديث ان لنفسك عليك حقا الى آخره فان من ذكر فى الآية ما ظلم نفسه الا ابتغاء مرضات الله فاحتقر عملها فى جانب ما عليه من حقوق الربوبية وكذلك تشمل الشريعة الظالم لنفسه بالمعاصى اذا مات على الاسلام لانه مصطفى فى العلوم بالنسبة للكفار قلنا مصطفى فى الخصوص ومصطفى فى العموم فافهم انتهى وسمعت سيدى عليا الخوّاص رحمه الله يقول اكمل الورثة للانبياء هم المجتهدون رضى الله عنهم لظهور قيامهم بالارث بتعليم شريعته للناس والفتوى بها بخلاف الصوفية عرفا انما هم معدّون لتعليم الاخلاق الباطنة فى الغالب انتهى وسمعته أيضا يقول المجتهد المطلق هو الوارث الحقيقى للشارع لكون الشارع أمره ان يعمل بكل ما أدّى اليه اجتهاده وسمعته أيضا يقول الاجتهاد وان كان مبناه على الظنّ فقد يكون منتهاه الى علم اليقين أو عين اليقين وحق

اليقين

اليقين (فان قلت) فما حقيقة هذه العلوم الثلاثة (فالجواب) حقيقة علم اليقين انه هو لذى أعطاه الدليل الصحيح الذى لا يقبل الدخل ولا الشبهة وحقيقة عين اليقين هو ما اعطته المشاهدة والكشف وحقيقة حق اليقين هو كلما حصل فى القلب من العلم بباطن ذلك الامر المشهود مثال علم اليقين علم العبد بان لله تعالى بيتا يسمى الكعبة بقرية تسمى مكة يحج الناس اليه فى كل سنة و يطوفون به فاذا وصل العبد اليه وشاهده فهو عين اليقين الذى كان قبل الشهود علم يقين لانه حصل فى النفس عند رؤيته مالم يكن عندها قبل رؤيته ذوقا ثم ان الله تعالى لما فتح عين بصيرة هذا العبد حتى شهد وجه اضافة ذلك البيت الى الله وخصوصيته على غيره من البيوت علم باعلام الله تعالى تلك الخصوصية فكان علمه حق اليقين لكن ذلك ليس هو بنظره واجتهاده فان حق اليقين هو الذى حق استقراره فى القلب فلم يكن يزول بعد ذلك بدليل آخر فما كل علم يقين أو عين يقين يحق له هذا الاستقرار والا فان يقين الانبياء من يقين آحاد الامة يقال يقن الماء فى الحوض اذا استقر (فان قلت) فهل يقدح فى علم اليقين وجود اضطراب من قبل الاسباب (فالجواب) ان كان الاضطراب من الوقوف مع الاسباب دون الله قدح ذلك فى علم اليقين وان كان هبوب النفس فى ازالة ذلك الاضطراب الى جناب الحق دون الاسباب فلا يقدح ذلك فى علمه لاعتقاده ان الحق تعالى هو الفاعل فان شاء ازال ذلك الامر بالاسباب أى عندها وان شاء ازاله بغير ذلك فصار متعلق اليقين الاعتماد على الجناب الالهى دون الاعتماد على الاسباب ذكره الشيخ فى الباب الثانى والعشرين ومائة * فقد بان لك بهذا التقرير ان أبا حنيفة ومالكا والشافعى واحمد والسفيانى والاوزاعى وداود وسائر أئمة المسلمين على هدى من ربهم وأن مذاهب الائمة كلها منسوخة من الكتاب والسنة سداها ولحمتها منهما ووجب عليك حينئذ أن تعتقد جزما أن سائر أئمة المسلمين على هدى من ربهم اما كشفا و يقينا واما نظرا واستدلالا واما ادبا و تسليما وما بقى لك عذر فى تخلفك عن هذا الاعتقاد فان بعض الناس يقول ذلك بلسانه فقط دون قلبه ومصداق ذلك انه اذا اضطر الى العمل بقول احد غير امام مذهبه يلحقه بذلك حصر وضيق حتى كانه قد خرج عن الشريعة فاين دعواه انه يعتقد ان سائر ائمة المسلمين على هدى من ربهم فان من فعل الرخصة بشرطها فهو على هدى من ربه فيها أيضا و بالجملة فلا يصل الى اعتقاد ان سائر أئمة المسلمين على هدى من ربهم جزما و يقينا الا من سلك طريق القوم وقطع منازلها حتى وقف على العين التى يستمد منها جميع المجتهدين وقد وضعت فى تقرير مذاهب جميع المجتهدين ميزانا عظيمة تعلمتها من مولانا أبى العباس الخضر عليه السلام فمن شاء فليراجعها والله عليم حكيم

(المبحث الخمسون فى ان كرامات الاولياء حق اذ هى نتيجة العمل على وفق الكتاب والسنة فهى فرع المعجزات وان من لا حال له لا كرامة له وان كل من لم يخرق العادة فى العلوم والمعارف والاسرار واللطائف والمجاهدات وكثرة العبادات لم تخرق له العادات)

اعلم انه قد تقدّم في مبحث المعجزات ان كرامات الاولياء ثابتة شائعة بين أهل السنة والجماعة وانما انكرها اكثر المعتزلة لعدمها فيما بينهم وذلك من ادل دليل على انهم أهل بدعة كما تقدم بسطه في المبحث المذكور ومن شبه المعتزلة في انكارها قولهم لو جوّزنا وقوعها على يد الاولياء لعجز الناس عن الفرق بينها وبين المعجزة والجواب لا تعجيز لان المعجزة هي التي تظهر وقت الدعوى بخلاف الكرامة فان صاحبها لا يتحدى بها ولو أظهرها وقت الدعوى كانت شعبذة ثم ان ذلك يؤدي الى انكار كرامة السيدة مريم ونقل عرش بلقيس ونحوهما مما ثبت في الكتاب والسنة وكان أبو منصور الماتريدي رحمه الله يقول من الفرق بين المعجزة والكرامة ان صاحب المعجزة مأمون من الاستدراج وصاحب الكرامة لا يأمن ان يكون حاله كحال بلعام بن باعورا قال وانما انكرت المعتزلة الكرامة بناء منهم على ان الفعل انما يكون معجزة لخرق العادة فحسب وليس كذلك بل ينضم الى خرق العادة التحدي بالنبوة والاقتران بدعوة النبي الاترى ان آيات الساعة خارقة للعادة وليست بمعجزة انتهى وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول الكمل يخافون من وقوع الكرامات على أيديهم ويزدادون بها وجلا وخوفا لاحتمال ان تكون استدراجا ومعجزات الانبياء تزيد قلوبهم تثبيتا لعصمتهم عن وقوع الاستدراج لهم وأيضا فان الانبياء يحتجون بالمعجزات على المشركين والاولياء يحتجون بالكرامات على نفوسهم لتصلح ولنفوسهم لتطمئن واجمع القوم على ان كل من خرق العادة بكثرة العبادات والمجاهدات لا بدّ له أن يخرق له العادة اذا شاءها وكان الشيخ عزالدين بن عبد السلام رحمه الله يقول من اصدق دليل على صحة طريق الصوفية واخلاصهم في أعمالهم ما يقع على أيديهم من الكرامات والخوارق قال ومن أدل دليل على اثبات جواز وقوع الكرامات كونها افعالا خارقة للعادة فاذا لم تؤد الى سد باب النبوة جاز ظهورها على ايدي الاولياء كجريان النيل بكتاب عمر بن الخطاب رضي الله عنه ورؤيته جيشه وهو أي الجيش بنهاوند العجم وهو على المنبر بالمدينة المشرفة حتى قال لامير الجيش ياسارية الجبل محذرا له ممن وراء الجبل لمكر العدو به هنالك وفي ذلك كرامتان احديهما رويته سارية مع بعد المسافة والثانية اسماع سارية كلامه كذلك وكشرب خالد بن الوليد السم من غير تضرر به وكقلب العصى ثعبانا واحياء الموتى باذن الله ونحو ذلك من الخوارق وقال الاستاذ أبو اسحاق القشيري رحمه الله ولا ينتهون الى نحو ولد دون والد ولا الى قلب جماد بهيمة قال ابن السبكي وهذا حق فخصص به قول غيره ما كان معجزة لنبي جاز أن يكون كرامة لولي أي فلا فارق بينهما الا التحدي فقط وتقدم في مبحث المعجزات تقييد قولهم ما كان معجزة لنبي جاز أن يكون كرامة لولي بما اذا اظهر الولي الكرامة بحكم التبع لا بحكم الاستقلال من غير اتباع للشرع وبما اذا لم يقل النبي هذه المعجزة لا تكون لاحد بعدي فراجعه وبالجملة فمن عاشر الصالحين بالصدق وخالطهم رأى كراماتهم عيانا وعرف صدقهم (فان قلت) فهل يجب على الانسان الايمان بالكرامة اذا وقعت على يده كما يجب عليه الايمان اذا وقعت على يد غيره (فالجواب) نعم كما صرح به اليافعي

رحمه الله وقال لا فرق بين وقوعها على يده أو يد غيره (فان قلت) فهل يستحب للولى أن يخفى نفسه وأصحابه بالحال والكرامة (فالجواب) نعم يستحب له ذلك كما صرح به سيدى ابراهيم المتبولى رضى الله عنه وقال ان كان ذلك نقصا فى المقام فهو كمال فى العلم انتهى (فان قلت) فاذا ادعى شخص غريب لا يعرف له اب انه خلق من تراب كما وقع لآدم عليه السلام هل لنا تصديقه (فالجواب) نعم نصدقه لان غايته انه ادعى ممكنا لم يرد لنا نفى وقوعه ولا انه خاص بآدم عليه السلام هكذا أجاب بعضهم فليتأمل (فان قلت) ان الكرامات قد تشبه السحر فما الفارق بينهما (فالجواب) كما قاله الشيخ اليافعى رحمه الله وغيره من المحققين الفارق بينهما كون السحر يظهر على يد الفساق والزنادقة والكفار الذين هم على غير شريعة ومتابعة وأما الكرامة فلا تقع الا على يد من بالغ فى الاتباع للشريعة حتى بلغ الغاية فهذا هو الفارق بينهما قال اليافعى والناس فى انكار الكرامات على أقسام فمنهم من ينكرها مطلقا وهم أهل مذهب مشهور ومنهم من يصدق بكرامات من مضى ويكذب بكرامات أهل زمانه فهؤلاء كبنى اسرائيل فانهم صدقوا بموسى حيث لم يروه وكذبوا بمحمد صلى الله عليه وسلم حيث راوه حسدا وعدوانا ومنهم من يصدق بأن الله تعالى أولياء فى عصره ولكن لا يصدق بأحد معين فهذا محروم من جميع الامداد فى عصره وبعضهم اذا رأى احدا من اولياء زمانه متربعا فى الهواء قال هذا استخدام للجن لا ولاية واطال اليافعى فى ذلك ثم قال وبالجملة فلا ينبغى لاحد التوقف فى الايمان بكرامات الاولياء لانها جائزة عقلا وواقعة نقلا اما جوازها عقلا فلانها من جملة الممكنات التى لا تستحيل على القدرة الالهية وبذلك قال اهل السنة والجماعة من المشايخ العارفين والنظار والاصوليين والفقهاء والمحدثين رضى الله عنهم اجمعين * واما وقوعها نقلا فمن ذلك قصة مريم عليها السلام فى قوله تعالى كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا الآية وفى قوله تعالى لها ايضا وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا وكان ذلك فى غير اوان الرطب * ومن ذلك كلام كلب أهل الكهف معهم وقصة آصف ابن برخيا مع سليمان عليه السلام فى عرش بلقيس واتيانه به قبل أن يرتد الطرف وكل هؤلاء ليسوا بانبياء * ومن ذلك كلام الطفل لجريج الراهب حين قال من ابوك قال فلان الراعى * ومن ذلك قصة اصحاب الغار والثلاثة الذين دعوا الله عزوجل بصالح اعمالهم فانفرجت عنهم الصخرة الذى لا يستطيع الجم الغفير ان يزحزحوها عن فم الغار * ومن ذلك كلام البقرة التى حمل عليها صاحبها المتاع وقولها انى لم اخلق لهذا وانما خلقت للحرث كما فى الصحيحين * ومن ذلك ان ابا بكر الصديق رضى الله عنه اكل مع ضيفه فكان كلما اكل لقمة من تلك القصعة يربو من أسفلها اكثر منها حتى شبع الضيوف وهى اكثر مما كانت قبل الاكل بثلاث مرات * ومن ذلك استجابة دعوة سعد بن أبى وقاص فى الرجل الذى كذب عليه كما فى الصحيحين وكان يقول اصابتنى دعوة سعد * ومن ذلك مارواه ابو نعيم فى الحلية ان عون بن عبد الله بن عتبة كان اذا نام فى الشمس اظلته الغمام * ومن ذلك حديث البخارى فى قصة خبيب حين

كان أسيرا موثقا بالحديد وكانوا يجدون عنده العنب وما بأرض مكة حينئذ عنب *ومن ذلك قصة الرجل الذى سمع صوتا فى السحاب يقول أسق حديقة فلان كما فى الصحيح *ومن ذلك قصة العلاء الحضرمى حين ارسله النبى صلى الله عليه وسلم فى غزاة وحال بين الجيش و بين عدوهم قطعة من البحر فدعى الله تعالى ومشوا كلهم بخيلهم ودوابهم على الماء * ومن ذلك تسبيح القصعة التى أكل منها سلمان الفارسى وأبو الدرداء حتى سمع تسبيحها الحاضرون روى هذا والذى قبله الحافظ أبو نعيم وغيره * ومن ذلك ان عمران بن الحصين كان يسمع تسليم الملائكة عليه * ومن ذلك ما رواه أبو نعيم عن عبد الله ابن شقيق انه كان اذا مرت عليه سحابة يقول لها أقسمت عليك بالله الا مطرت علينا فتمطر فى الحال * ومن ذلك ان عامر بن عبد قيس كان يعطى عطاءه فيضعه فى حجره و يسير يقبض منه و يعطى الناس حتى يصل الى داره فيعده فيجده لم ينقص منه شئ * ومن ذلك ان عبد الرحمن بن أبى نعيم بلغ الحجاج انه يمكث خمسة عشر يوما لا يأكل ولا يشرب فحبسه الحجاج خمسة عشر يوما ثم فتح الباب فوجده قائما يصلى بالوضوء الذى دخل به الحبس * ومن ذلك ان حارثة بن النعمان الصحابى كان يقول لعياله فى كل شئ احتاجوا اليه ارفعوا الفراش تجدوا حاجتكم فيرفعونه فيجدونها ولم يكن تحت الفراش شئ قبل ذلك * وبالجملة فقد ورد عن السلف من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الكرامات ما يبلغ حد الاستفاضة * وقد سئل الامام احمد رضى الله عنه لم لم يشتهر عن الصحابة من كثرة الكرامات كما وقع لمن بعدهم من الاولياء فقال انما لم يشتهر عن الصحابة كثرة كرامات لان ايمانهم كان فى غاية القوة بخلاف ايمان من بعدهم فكل ما ضعف ايمان قوم كثرت كرامات أولياء عصرهم تقوية ليقين الضعفاء منهم ويؤيد ذلك قول ابى الحسن الشاذلى رضى الله عنه ان مريم عليها السلام كان يعرف لها فى بدايتها بخرق العوائد بغير سبب تقوية لايمانها وتكميلا ليقينها فكانت كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا فلما قوى ايمانها ويقينها ردّت الى السبب لعدم وقوفها معه فقيل لها وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا انتهى (فان قيل) اذا كان الحق تعالى خلاقا على الدوام يوجد كوائن بعد كوائن فما ثم عوائد تخرق انما هو خلق جديد (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الستين وثلثمائة والامر كذلك ونقله عن المحققين من أهل الكشف ولفظه علموا انه ليس عند المحققين عوائد تخرق ابدا وانما هو ايجاد كوائن وما ثم فى نفس الامر عوائد تخرق لعدم التكرار فى الوجود فما ثم هنالك ما يعود وانما هى خرق العوائد فى ابصار العامة فقط والى ذلك الاشارة بقوله تعالى بل هم فى لبس من خلق جديد أى فى الصفات لا فى الذوات فافهم انتهى * وقال فى الباب الثانى والخمسين وثلثمائة اعلم ان أكابر الاولياء يشهدون كونهم فى حال خرق العادة فى عين العادة فلا يشهدهم الناس الا وهم آخذون من الاسباب ولا يفرقون بينهم و بين العامة وليس لاصحاب خرق العوائد

الظاهرة من هذا المقام شمة لانهم آخذون من الاسباب مع الوقوف معها فما زالت الاسباب عنهم وانما خفيت عليهم لانه لا بد لصاحب خرق العادة الظاهرة من حركة حسية هي سبب عين وجود ذلك المطلوب فيغرق أو يقبض بيده من الهواء ذهبا أوسكرا ونحوهما فلم يكن الا عن سبب من حركة يده وقبض وفتح فما خرج عن سبب لكنه غير معتاد فسموه خرق عادة انتهى (فان قلت) فهل كرامة كل ولي تكون تبعا المعجزة من هو وارثه من الانبياء أم هي غير متوقفة على ارث (فالجواب) لا يكون قط كرامة لولي الا تبعا لمن هو وارثه من الانبياء ولذلك كان خواص هذه الامة يمشون في الهواء وخواص قوم عيسى يمشون على الماء دون الهواء فكل وارث لا يتعدى كرامة مورثه فلا يقال كيف قال صلى الله عليه وسلم عن عيسى عليه السلام لو ازداد يقينا لمشى على الهواء مع ان عيسى عليه السلام أقوى يقينا من خواص هذه الامة الذين مشوا على الهواء بما لا يتقارب لانا نقول ان الخواص منا ما مشوا على الهواء الا بحكم التبعية لنبيهم صلى الله عليه وسلم فانه أسرى به محمولا في الهواء فما كان مشي الخواص منا على الهواء لزيادة يقينهم على يقين عيسى عليه السلام وانما كان لصدق التبعية لمحمد صلى الله عليه وسلم فنحن مع الرسل في خرق العوائد التي اختصوا بها وورثنا هم فيها بحكم صدق التبعية لا غير ألا ترى ان المماليك الذين يمسكون نعال أساتيذهم من الامراء يدخلون مع أساتيذهم على السلطان وغيرهم من الامراء واقف على الباب حتى يؤذن لهم بالدخول ومعلوم ان الامراء أرفع مقاما عند السلطان من المماليك فما دخل المماليك الا بحكم التبعية لاساتيذهم لا لشرفهم على الامراء انتهى ذكره الشيخ في الباب السادس والثلاثين من الفتوحات (فان قلت) فما المراد بقولكم في ترجمة المبحث ان الكرامات فرع المعجزات (فالجواب) مرادنا انها فرع الحال النبوي فلا تقع كرامة لولي الا ان كان صحيح الحال والحال هو ما يرد على القلب من غير تعمل ولا اجتلاب ومن علامته تغير صفات صاحبه فهو الى الوهب أقرب من الكسب ولذلك يقتل صاحب الحال بالهمة و يعزل ويولي كما عليه بعض الطوائف بافريقية (فان قلت) فهل هذا الحال خاص بأهل الاسلام (فالجواب) نعم * هو خاص بأهل الاسلام وان وقع لبعض المشركين انه مشى في الهواء أوقتل بالهمة فذلك باستعمال عقاقير على اوزان معلومه فيفعل بها ما أراد وهذا بخلاف حال أهل الله عز وجل والفارق بين الحالين هو ان اهل الله عز وجل لا يحصل لهم هذا الحال الا بعد المبالغة في اتباع الشريعة بخلاف الكفار فان حكم حالهم حكم من شرب الدواء المسهل في فعل ما وضع له بالخاصية لا بالمكانة عند الله عز وجل فلا يسمى بالكرامة الا من كان صاحبه على شرع الاسلام (فان قلت) فهل القتل بالهمة والولاية والعزل الذي يقع من بعض الاولياء كمال فيهم أم نقص (فالجواب) هو نقص بالنسبة لما فوقه من المقامات وقد اعطى الشيخ ابو السعود ابن الشبل مقام التصريف في الوجود فتركه وقال نحن قوم تركنا الحق تعالى يتصرف لنا فكان أكمل من الشيخ عبد القادر الكيلاني مع انه تلميذه هكذا ذكره الشيخ في الباب الثاني والتسعين ومائة

وايضا فان الكامل لا يجد في الوجود شيئا حقيرا حتى يرسل كصر يقه عليه أو ينفذ همته فيه ومن شرط نفوذ الهمة ان تكون على حقير فيرى صاحب الحال نفسه كبيرا وغيره حقيرا فيجمع حقارته في قلبه ثم يتوجه بقلبه اليه فيؤثر فيه القتل أو المرض ونحو ذلك وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول الكامل من الاولياء هو من مات عن التصريف والتدبير اكتفاء بفعل الله تعالى له فيسرق الناس ماله حال حياته و يسرقون ستره وشمعه بعد مماته فلا يقابل أحدا بسوء بخلاف الولى الناقص كل من تعرض له عطبه وذلك علامة على بقايا بخل عنده ومن شرط الكامل الكرم حيا وميتا انتهى (فان قلت) فما الفرق بين الكرامة والمعجزة (فالجواب) الفرق بينهما ان الرسول يجب عليه اظهار المعجزة من أجل دعواه اذا توقف ايمان قومه عليها بخلاف الولى لا يجب عليه اظهار الكرامة انما الواجب عليه سترها هذا ما عليه الجماعة وذلك الولى تابع والتابع غير مشرع فهو يدعو الى شرع قد ثبت وتقرر على يد رسوله فلا يحتاج الى اظهار كرامة على ان يتبعه الناس على مادعاهم اليه * وقال الشيخ فى الباب الحادى والثلاثين ومائتين انما كان الاولياء يجب عليهم ستر الكرامات دون الرسل عليهم الصلاة والسلام لان الولى متبع فهو يدعو الى الله بحكاية دعوة الرسول التى ثبت عنده رسالته بلسانه لا بلسان يحدثه من قبل نفسه وقد صار الشرع كله مقررا عند العلماء فلا يحتاج ولى الى آية ولا بينة على صدقه بل لو فرض انه قال ما يخالف شرع رسوله لم يتبع عليه بخلاف الرسول يحتاج الى آية لانه ينشئ التشريع ويريد نسخ بعض الشرائع المقررة على يد غيره من الرسل فلذلك كان لا بدله من اظهار آية تدل على صدقه وانه يخبر عن الله تعالى انتهى وكان يقول قد وضع الله تعالى ميزان الشرع بيد العلماء أهل التقوى فهم أرباب التعديل والتجريح فما وقع على يد من ظهرت أمارات اتباعه للشرع سموه كرامة وما وقع على يد غيره سموه سحرا وشعبذة وغير ذلك ذكره الشيخ فى الباب الخامس والثمانين ومائة قال ولا يخفى ان الكرامة عند أكابر الرجال معدودة من جملة رعونات النفس الا ان كانت لنصرة دين أو جلب مصلحة لان الله تعالى هو الفاعل عندهم لا هم هذا مشهدهم وليس وجه الخصوصية الا وقوع ذلك الفعل الخارق على يدهم دون غيرهم فاذا أحيى كبشا مثلا أو دجاجة فانما ذلك بقدرة الله لا بقدرته واذا رجع الامر الى القدرة فلا تعجب فتأمل (فان قلت) فهل التطور الذى يقع للاولياء كمال أم نقص (فالجواب) هو كمال يدل على فناء بشريتهم وقوة أرواحهم حتى صاروا كاهل الجنة يلبسون من الصور ما شاؤا فان من غلبت بشريته على روحانيته فهو كثيف لا يصح له تطور اذ التطور من خصائص الارواح، وقد ذكر الشيخ محيى الدين فى الباب الثالث والستين وأربعمائة ان الحلاج كان يدخل بيتا عنده سمه بيت العظمة فكان اذا دخله ملاه كله بذاته فى عين الناظرين حتى ان بعض الناس نسبه الى علم السيميا لجهله بأحوال الفقراء فى تطوراتهم ولما دخلوا عليه ليأخذوه للصلب كان فى ذلك البيت فما قدر أحد يخرجه من ذلك البيت لان الباب ضيق عنه فجاء الجنيد وقال سلم

الله تعالى واخرج لما قضاه وقدره فرجع الى حالته المعهودة وخرج فصلبوه وكان ينشد وهو يرفل فى قيوده حال ذهابهم به الى الصلب

حبيبى غير منسوب * الى شئ من الحيف
سقانى ثم حيانى * كفعل الضيف بالضيف
فلما دارت الكاسات * دعى بالنطع والسيف
وذاك جزاء من يشرب * مع التنين فى الصيف

(فان قلت) فما دليل القوم فى تسميتهم ما وقع على يد المتبعين للشرع كرامة دون المخالفين (فالجواب) دليلهم فى ذلك ان الكرامة صادرة من حضرة اسمه تعالى البر فلا يكون الا للابرار من عباده جزاء وفاقا اذ المناسبة تطلبها وان لم يطلبها صاحبها ذكره الشيخ فى الباب الرابع والثمانين ومائة وأطال فى ذلك ثم قال واعلم ان الكرامة على قسمين حسية ومعنوية ولا تعرف العامة الا الحسية مثل الكلام على الخاطر والاخبار بالمغيبات الآتية والاخذ من الكون والمشى على الماء واختراق الهواء وطى الارض والاحتجاب عن الابصار واجابة الدعوة فى الحال ونحو ذلك فهذا عند العامة هو الولى (وأما) الكرامة المعنوية فهى التى بين الخواص من أهل الله تعالى وأجلها وأشرفها أن يحفظ الله على العبد آداب الشريعة فيوفق لفعل مكارم الاخلاق واجتناب سفسافها وان يحافظ على أداء الواجبات والسنن فى أوقاتها مطلقا والمسارعة الى الخيرات وازالة الغل والحقد والحسد وطهارة القلب من كل صفة مذمومة وتحليته بالمراقبة مع الانفاس ومراعاة حقوق الله تعالى فى نفسه وفى الاشياء ومراعاة انفاسه فى دخولها وخروجها فيتلقاها بالادب ويخرجها وعليها حلة الحضور مع الله تعالى لانها رسل الله اليه فترجع شاكرة من صنيعه معها فهذه عند المحققين هى الكرامات التى لا يدخلها مكر ولا استدراج بخلاف الكرامات التى يعرفها العامة فانه يمكن أن يدخلها المكر والاستدراج فالكامل من قدر على الكرامة وكتمها ثم اذا فرضنا كرامة فلابد أن تكون نتيجة عن استقامة فلا يبعد ان يجعلها الله عز وجل هى حظ جزاء أعمال ذلك الولى فيذهب الى الآخرة صفر اليدين من الخير وانما قلنا ان الكرامات المعنوية لا يدخلها مكر ولا استدراج لان العلم يصحبها والحدود الشرعية لا تنصب حبالة للمكر الالهى بل هى عين الطريق الواضحة الى نيل السعادة وسمعت سيدى عليا الخوّاص رحمه الله يقول اذا وقع على يد الكامل شئ من الكرامات المحسوسة خاف وضج الى الله تعالى وسأل الله ستره بالعوائد وان لا يتميز عن العامة بأمر يشار اليه فيه ما عدا العلم فان العلم هو المطلوب وبه تقع المنفعة ولو لم يعمل أحد به قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون وسمعته أيضا يقول أسنى ما اكرم الله تعالى به العلماء هو العلم خاصة فهو الكرامة التى لا يعادلها كرامة اذا عمل به وذلك لان موطن الدنيا انما هو للعلم والعمل وأما النتائج من خرق العوائد ونحو ذلك فمحل موطنه الدار الآخرة انتهى وقد ذكر الشيخ فى الباب السابع والسبعين ومائة ان أعظم الكرامات أن يصل

العبد الى حدّ لو غفل العالم كله عن الله عزوجل لقام ذكر ذلك الولى مقام ذكر الجميع فاذا قال سبحان الله مثلا انتقش فى جوهر نفسه جميع ما كان يقوله ذلك العالم كله لو ذكر الله تعالى وذلك لان الله تعالى اذا جازى ذلك الولى أعطاه مثل ثواب جميع العالم انتهى (فان قلت) فما الذى يحفظ الولى من المكر الخفى الذى فى الكرامات الحسية (فالجواب) يحفظه من ذلك عدم رمى ميزان الشريعة من يده ليزن بها حاله فى كل نفس لان فى الكرامات مكرا خفيا لا يشعر به الا العارفون قال تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون *قال الشيخ فى الباب الحادى والثلاثين ومائتين وأكثر ما يقع المكر الخفى للمتأولين آيات الصفات وأخبارها وفيمن يبقى على حاله مع وقوعه فى المخالفات وفيمن يرزق العلم الذى يطلب العمل ويحرم العمل به أو يرزق العمل ويحرم الاخلاص فيه فاذا رأيت يا أخى هذا الحال من نفسك أو من غيرك فاعلم ان المتصف بذلك ممكور به وأطال فى ذلك ثم قال فعلم ان الله تعالى ما أخفى المكر الا عن الممكور به خاصة دون غير الممكور به فان الله تعالى ما أعاد الضمير فى يعلمون الا على الضمير فى سنستدرجهم *وقال أيضا ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون فضمير قوله هم هو المضمر فى مكروا فكان مكر الله تعالى بهؤلاء هو عين مكرهم الذى اتصفوا به وهم لا يشعرون وأطال فى ذلك ثم قال وكل من لا يدعو الى الله على بصيرة وعلم يقينى فهو غير محفوظ من المكر وان كان هو صاحب اتباع والله تعالى أعلم

(المبحث الحادى والخمسون فى بيان الاسلام والايمان وبيان انهما متلازمان الا فيمن صدّق ثم اخترمته المنية قبل اتساع وقت التلفظ فان الايمان وجدهنا دون الاسلام كما سيأتى ايضاحه ان شاء الله تعالى)

واعلم أن الاسلام الشرعى هو أعمال الجوارح من الطاعات كالتلفظ بالشهادتين والصلاة والزكاة وغير ذلك كما بينه حديث الشيخين بقوله الاسلام أن تشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا ثم ان هذه الأعمال الاسلامية لا يخرج الانسان بها عن عهدة التكليف بالاسلام الا مع الايمان وحقيقته تصديق القلب بما علم مجىء الرسول به من عند الله ضرورة كما بينه سؤال جبريل فى حديث الصحيحين السابق بقوله فيه الايمان ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره والمراد بتصديق القلب بما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم الاذعان لما جاءت به الرسل والقبول له قال أئمة الأصول والتكليف بذلك تكليف بأسبابه كالقاء الذهن وصرف النظر وتوجيه الحواس وصرف الموانع والا فذلك ليس من الافعال الاختيارية التى هى مناط التكليف وانما هو من الكيفيات النفسانية وأشاروا بقولهم والتكليف بذلك تكليف بأسبابه الى سؤال وجوابه تقرير السؤال أن التصديق أحد قسمى العلم وهو من الكيفيات النفسانية دون الافعال الاختيارية فكيف يتعلق التكليف بتحصيله وتقرير الجواب ان تحصيل تلك الكيفية اختيارا

يكون باختيار مباشرة الاسباب وصرف النظر وما ذكر معهما والتكليف بها معناه التكليف بذلك لا يتمال وانشراح الصدر الذي هو أول المبادي في النظر ليس هو باختيار العبد أيضا الا انا نقول مارقي فوق ذلك فهو من علم سر القدر الذي نهى العلماء عن افشائه والايضاح عنه (فان قلت) فهل الايمان مخلوق أو غير مخلوق (فالجواب) الايمان من حيث هو هداية من الله تعالى غير مخلوق لان الهداية صفة من صفاته تعالى وصفات الله قديمة وأما من حيث هو اقرار من العبد واذعان فهو مخلوق لانه معدود حينئذ من اعمال العبد والله خلقكم وما تعملون قال أئمتنا ولا يعتبر التصديق المذكور في خروج العبد به عن عهدة التكليف بالايمان الا مع التلفظ بالشهادتين للقادر عليه وذلك لان الشارع جعل التلفظ بالشهادتين علامة لنا على التصديق الخفي عنا حتى يكون المنافق مؤمنا فيما بيننا كافرا عند الله تعالى قال تعالى ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا * قال الشيخ كمال الدين بن أبي شريف في حاشيته وحاصل هذه المسئلة كما قاله بعضهم ان جمهور المحدثين والمعتزلة والخوارج ذهبوا الى ان الايمان ليس هو التصديق فقط بما علم مجيء الرسول به في أحكام الدنيا والبرزخ والآخرة وانما هو مجموع ثلاثة أمور اعتقاد الحق والاقرار به والعمل بمقتضاه فمن اخل بالاعتقاد وحده فهو منافق ومن أخل بالاقرار فهو كافر ومن اخل بالعمل فهو فاسق وفاقا وكافر عند الخوارج وخارج عن الايمان غير داخل في الكفر عند المعتزلة ورأيت على حاشية الحاشية بخطه أيضا مانصه حاصل الكلام في هذه المسئلة أن الايمان شرط للاعتداد بالعبادات فلا ينفك الاسلام المعتبر عن الايمان وان كان الايمان قد ينفك عنه فلا يوجد اسلام معتبر بدون الايمان وقد يوجد الايمان المعتبر بدون الاسلام كمن صدق ثم اخترمته المنية قبل اتساع وقت التلفظ ومن قال ان الايمان والاسلام واحد فسر الاسلام بالاستسلام والانقياد الباطن بمعنى قبول الاحكام فمن حقق النظر ظهر له ان الخلاف في انهما مترادفان أم لا خلاف في مفهوم الاسلام وقد قال بالترادف كثير من الحنفية وبعض الشافعية انتهى * قال الشيخ تاج الدين ابن السبكي وهنا سؤال وهو انه هل التلفظ بالايمان الذي هو الشهادة شرط للايمان او شطر منه فيه تردد للعلماء قال الجلال المحلي وكلام الغزالي يقتضي أنه ليس بشرط ولا شطر وانما هو واجب من واجباته قال الكمال في حاشيته على شرح جمع الجوامع وايضاح ذلك ان يقال التلفظ هل هو شرط لاجراء أحكام المؤمنين في الدنيا من التوارث والمناكحة وغيرهما فيكون غير داخل في مسمى الايمان أو هو شطر منه أي جزء من مسماه قال والذي عليه جمهور المحققين الاول وعليه فمن صدق بقلبه ولم يقر بلسانه مع تمكنه من الاقرار كان مؤمنا عند الله تعالى قال وهذا أوفق باللغة والعرف وذهب شمس الائمة السرخسي وفخر الاسلام البزدوي من الحنفية وكثير من الفقهاء الى الثاني وألزمهم الاولون بأن من صدق بقلبه فاخترمته المنية قبل اتساع وقت الاقرار كان كافرا وهو خلاف الاجماع على مانقله الامام الرازي وغيره (فان قلت) فهل الايمان يتجزأ أي يتبعض (فالجواب) ان

الايمان واجد لا يتبعض حتى يكون جزء منه في مكان في البدن وجزء منه في مكان آخر بل نوره منتشر في جميع الاعضاء حتى انه اذا قطع عضو منه ذهب الايمان في القلب لكونه لا يتجزأ والله أعلم هذا ملخص ما وجدته عن أئمة الاصول * وأما عبارات الشيخ محيي الدين فقال في الباب الستين وأربعمائة من الفتوحات المكية اعلم ان الاسلام عمل والايمان تصديق والاحسان روية أو كالروية فالاسلام انقياد والايمان اعتقاد والاحسان اشهاد فمن جمع هذه النعوت لم ينكر شيئا من تجليات الحق تعالى حيث يتجلى في الاخرة وينكره بعضهم كما في حديث مسلم فكان الحق تعالى يتجلى له في سائر التجليات وحده ومن لم يجمع في أعتقاده بين هذه النعوت أنكره ضرورة في كل مالم يذقه في دار الدنيا انتهى * وقال ايضا في الباب الحادي والخمسين وثلثمائة اعلم ان الصدق محله الخبر والخبر محله الصادق وليس هو بصفة لاصحاب الادلة وانما هو نور يظهر على قلب العبد يصدق به المخبر عن الله تعالى أو عن غيره ويكشف له ذلك النور عن صدق المخبر ويرجع عنه برجوع المخبر لان نور الصدق تابع للخبر حيث مشي والمصدق بالدليل ليس هذا حكمه ان رجع المخبر لم يرجع لرجوعه فهذا هو الفارق بين الرجلين قال وهذه المسئلة من اشكل المسائل في الوجود فان الاحكام المشروعة أخبار الهية يدخلها النسخ والتصديق تبع الحكم فيثبته مادام المخبر يثبته ويرفعه مادام المخبر يرفعه ولا يتصف الحق تعالى بالبدي في ذلك وهذا هو الذي جعل بعض الطوائف ينكرون النسخ للاحكام وأما الصادق فما أكذب نفسه في الخبر الاول وانما هو اخبر بثبوته وأخبر برفعه وهو صادق في الحالين فعلم ان صدق الايمان نور كشفي لا يقبل صاحبه دخول الشبه عليه اصلا انتهى (فان قلت) فهل ثم فرق بين الصدق والحق أم هما بمعنى واحد (فالجواب) انهما شيئان لان الحق ما وجب فعله والصدق ما أخبر به على الوجه الذي هو عليه وقد يجب فيكون حقا وقد لا يجب فيكون صدقا لا حقا فلهذا قال تعالى ليسأل الصادقين عن صدقهم يعني فان كان وجب عليهم فعله نجوا وان لم يجب عليهم بل منعوا منه هلكوا ذكره الشيخ في الباب الرابع والسبعين وثلثمائة وأطال في ذلك ثم قال واعلم ان من الحقوق ما يقتضي الثناء الجميل على من لا يقيمه كالمحرم المستحق للعقاب باجرامه يعفى عنه فهذا حق قد أبطل وهو محمود كما ان الغيبة والنميمة وفشاء سر الزوجة صدق وهو مذموم فكل حق صدق وما كل صدق حقا لان الصادق يسأل عن صدقه ولا يسأل ذو الحق اذا قام به عنه فالغيبة واشباهها صدق لا حق والسلام (فان قلت) فكم ينقسم نور الايمان على قسم (فالجواب) هو على قسمين كما ان أهله على قسمين * القسم الاول من امن من نظر واستدلال وبرهان فهذا لا يوثق بتغيير ايمانه لدورانه مع الدليل ومثل هذا لا يخالط بشاشة نور ايمانه القلوب لانه لا ينظر الا من خلف حجاب دليله وما من دليل من ادلة أصحاب النظر الا وهو معرض لحصول الدخل فيه والقدح ولو بعد حين فلهذا كان لا يمكن صاحب البرهان ان يخالط الايمان بشاشة قلبه للحجاب الذي بينه وبينه * القسم الثاني من كان برهانه

حين حصول الايمان فى قلبه لامر آخر ضرورى وهذا هو الايمان الذى يخالط بشاشة القلوب ولا يتصوّر فى حق صاحبه شك لان الشك لا يجد محلا يعمره فان محله الدليل وما ثم دليل فما ثم ما يرد عليه الدخل ولا الشك ذكره الشيخ فى الباب الثالث والسبعين وقال قبله فى الباب الخامس من الفتوحات اعلم ان الايمان على خمسة اقسام ايمان عن تقليد * وايمان عن علم * وايمان عن عيان وايمان عن حق وايمان عن حقيقة فالتقليد للعوام والعلم لاصحاب الادلة والعيان لاهل المشاهدة والحق للعارفين والحقيقة للواقفين وأما حقيقة الحقيقة الزائدة على الخمسة اقسام فهى للمرسلين وقد منعنا الحق تعالى من كشفها فلا سبيل الى بيانها انتهى وتقدّم فى المقدمة أول الكتاب ان من اخذ ايمانه تقليدا جزما للشارع فهو اعصم واوثق ممن يأخذ ايمانه عن الادلة وذلك لما يتطرق اليها من الدخل والحيرة (فان قلت) فأى الناس بعد الانبياء عليهم الصلاة والسلام على ايمانا (فالجواب) اعلى الناس ايمانا وتصديقا الصحابة على اختلاف طبقاتهم ثم من يؤمن بالغيب على الكمال كاهل زماننا رأينا سوادا فى بياض فآمنا به وصدقناه ولم نقل كما قال غيرنا هذا اساطير الاولين فالحمد لله رب العالمين (فان قلت) فما الوجه الجامع بين قول بعضهم الايمان لا يزيد ولا ينقص وبين قول الجمهور انه يزيد وينقص (فالجواب) الوجه الجامع بينهما ان يحمل قول من قال انه لا يزيد ولا ينقص على ايمان الفطرة ويحمل قول من قال انه يزيد وينقص على ما بين الفطرة الى طلوع الروح فان كل انسان لا يموت الا على ما فطر عليه وايضاح ذلك كما قاله الشيخ فى الباب الاحد وثمانين ومائتين ان يقال الايمان الاصلى الذى لا يزيد ولا ينقص هو الفطرة التى فطر الله الناس عليها وهو شهادتهم له تعالى بالوحدانية فى الاخذ للميثاق فكل مولود يولد على ذلك الميثاق ولكنه لما حصل فى حصر الطبيعة فى هذا الجسم الذى هو محل النسيان جهل الحالة التى كان عليها مع ربه ونسيها فافتقر الى النظر فى الادلة على وحدانية خالقه اذا بلغ الى الحال التى يعطيها النظر وان لم يبلغ الى هذا الحد كان حكمه حكم والديه فما نظر العبد فى الادلة الا ليرجع الى الحالة التى كان عليها عند أخذ الميثاق كالذى يكون مسافر والسماء مصحية وهو يعرف جهة القبلة وصوب مقصده فحصل لها سحاب وغيم حتى صار لا يعرف جهة مقصده ولا القبلة ومثل هذا يجب عليه الاجتهاد فافهم وسيأتى قريبا ايضاح ذلك (فان قلت) فما حكم من تقدم ايمانه بتوحيد الله شرك ورثه عن أبويه أو عن نظره أو عن الامة التى هو فيها (فالجواب) حكمه حكم من لم يغير ولم يبدّل لان التوبة تجبر ما قبلها فكان ذلك الايمان هو عين ايمانه الميثاقى لا غيره فان المشرك مقر بوجود الله لكنه اشرك به حين حال بينه وبين توحيده الحجاب فلما ارتفع الحجاب رجع لحالته عند الميثاق (فان قلت) فأيهما قرب الى الايمان المشرك او المعطل (فالجواب) كما قاله الشيخ ابو طاهر القزوينى المعطل قرب الى الايمان من المشرك فانه لا بدّ لكل انسان أن يجد فى نفسه مستندا فى وجوده الى امر ما لا يدرى ما هو فيقال له ذلك الذى يدرى ما هو هو الله الذى خلقك ورزقك فربما آمن به وصدق فان حدث له بعد ذلك هل هو

واحدا واكثر كان فى محل النظر الذى فى ذلك او يقلد من يعتقده من الموحدين فسائم على هذا الايمان محدث بل هو مكتوب فى قلب كل مؤمن على ماهو التحصيل أوائل المبعوث (فان قلت) فاذن بالتوحيد تعلق السعادة وبنفيه يتعلق الشقاء المؤبد (فالجواب) نعم * والى ذلك الاشارة بقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا يعنى فى العهد الميثاق آمنوا أى لقول رسولنا لكم آمنوا فلولا ان الايمان كان موقورا عندهم ماوصفوا به فقد بان لك بهذا التقرير ان ايمان الفطرة هو الذى يموت عليه العبد وهذا لا يزيد ولا ينقص وان المراد بزيادته ونقصه هو فيما طرأ فى العمر والله أعلم * وقال فى الباب الثالث والسبعين من الفتوحات اعلم ان المراتب التى تعطل السعادة للانسان أربعة الايمان والولاية والنبوة والرسالة ثم ان العلم من شرائط الولاية وليس من شرط الولاية الايمان لان متعلق الايمان الخبر وقد يوجد ولى لله تعالى من غير ايمان كقس بن ساعدة فانه موحد لا مؤمن وهو سعيد بلا شك فاول مرتبة للعلماء بالله تعالى توحيدهم ثم ايمانهم ثم علمهم وما اتخذ الله من ولى جاهل به أبدا وقد تقدم فى مبحث أهل الفترات انه يصح ان يلغز فيقال لنا شخص يدخل الجنة وهو غير مؤمن وهو من وحد الله تعالى بنور وجده فى قلبه ولم يكن فى زمنه شرع يؤمن به وهى مسئلة عظيمة اغفلها العلماء فانه يدخل تحت فلك الولاية كل موحد لله باى طريق كان توحيده (فان قلت) فما المراد بقوله تعالى وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون وكيف صح الايمان مع الشرك (فالجواب) ماقاله الشيخ فى الباب السابع والتسعين واربعمائة ان المراد بهذا الشرك هو شرك النفس فان المؤمن الكامل هو من آمن بالله لا بنفسه ويؤيد ذلك قوله تعالى وليؤمنوا بى أى لا بنفوسهم فيرون لها مدخلا فى الايمان بل الواجب ان يروا حصول الايمان محض فضل من الله تعالى واطال فى ذلك ثم قال وهذه الآية لا تعطى الايمان بتوحيد الله وانما تعطى مشاهدة ميثاق الذرية حين أشهدنا الحق تعالى على انفسنا بقوله الست بربكم وقلنا بلى ولم يكن هناك الا التصديق بالملك والوجود لا بالايمان والتوحيد وان كان هناك توحيد فهو توحيد الملك فمعنى قوله تعالى الا وهم مشركون أى حين خرجوا الى الدنيا لان الفطرة انما كانت على ايمانهم بوجود الحق والملك كما مر فلما احتجب التوحيد عن الفطرة ظهر الشرك فى الاكثر ممن يزعم انه موحد وما أداهم الى ذلك الا التكليف فانه لما كلفهم تحقق أكثرهم ان الله ما كلفهم الا وقد علم ان لهم اقتدارا نفسيا على ايجاد ما كلفهم به من الافعال فلم يخلص لهم توحيد ولو انهم علموا ان الله تعالى ما كلفهم الا لما فيهم من الدعوى فى نسبة الافعال اليهم لكانوا تجردوا عنها بنفوسهم كما فعل أهل الشهود فعلم انه لو كان المراد بالايمان فى الآية التوحيد لم يصح قوله الا وهم مشركون فدل على انه تعالى لم يرد الايمان بالتوحيد وانما اراد الايمان بالوجود انتهى (فان قلت) فمن اين شقى الكفار (فالجواب) شقوا بحكم القضاء الذى لا مرد له فلم يرجعوا الى حالة الميثاق أبد الآبدين ودهر الداهرين وأيضا فان الربوبية لله تعالى فلم ينكرها أحد مطلقا وانما أشركوا معها ربوبية اخرى

وزادوا على ذلك تكذيب الرسل فشقوا اشقاء الابد نسأل الله حسن الخاتمة من فضله واحسانه * وقال الشيخ في الباب الرابع وأربعين وأربعمائة في قوله تعالى الا لله الدين الخالص المراد بهذا الدين هو الدين الذى خلص لنفسه في وفاء العهد به وليس المراد به ما استخلصه العبد من الشيطان أو من الباعث عليه من خوف من نار أو رغبة في جنة فانه قد يكون الباعث للمكلف على اخلاصه مثل هذه الامور فيكون العبد من المخلصين ويكون الدين بهذا الحكم مستخلصا من يد من يعطى المشاركة فيه فيميل العبد به عن الشريك ولهذا قال تعالى حنفاء لله أى غير مائلين به الى جانب الحق الذى شرعه وأخذه على المكلفين من جانب الباطل اذ قد سماهم الحق تعالى مؤمنين في كتابه فقال في طائفة انهم آمنوا بالباطل وكفروا بالله فكساهم خلعة الايمان فعلى هذا ليس اسم الايمان خاصا بالسعداء ولا الكفر خاصا بالاشقياء من حيث الالفاظ وانما ذلك من حيث المعانى فان قرائن الاحوال هى التى تميز فالعهد الخالص هو الذى أخذه الله من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم ثم ان كل بنى آدم ولدوا على الفطرة وهذا هو الميثاق الخالص لنفسه الذى ملكه احد غصبا فاستخلص منه بل لم يزل خالصا لنفسه في نفس الامر طاهرا مطهرا ومن هنا كان أبو يزيد البسطامى وسهل ابن عبد الله التسترى واضرابهما يقولون ما نقصنا من ميثاق الحق تعالى شيئا بل عهده باق عندنا سالما خالصا وهذا هو الدين الخالص لا المخلص بفتح اللام المشددة لانه قام في العبد من غير استخلاص ولم يزل محفوظا من النقص قبل تكليف صاحبه وبعده فمثل هؤلاء لم يؤمروا بأن يعبدوا الله مخلصين له الدين اذ لا فعل لهم في الاستخلاص هكذا ذكره الشيخ محيى الدين في بعض نسخ الفتوحات والذى يظهر لى ان لسان الامر بالاخلاص عام في كل مقام بحسبه حتى مقام الانبياء عليهم الصلاة والسلام قال تعالى لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم فاعبد الله مخلصا له الدين وقال تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما وعلى ما قرره الشيخ محيى الدين يكون المخاطب بالاخلاص للدين حقيقة امته صلى الله عليه وسلم لا هو فهو المخاطب بالاخلاص والمراد به غيره لانه اذا كان خواص أمته لا يصح منهم تغيير للعهد الميثاقى فكيف به صلى الله عليه وسلم الذى هو صاحب جميع المقامات فتأمل والله أعلم (فان قلت) فهل يقدح في الايمان عدم ايماننا بحياة الجماد (فالجواب) نعم * يقدح ذلك في ايمان كل مؤمن وقد ذكر الشيخ في الباب السابع والخمسين وثلثمائة انه يجب على كل مؤمن حفظ ايمانه مما ينقصه كان لا يؤمن بحياة كل شئ أخبر الحق تعالى انه يسبح بحمده فان الله تعالى ما نفى حياة كل شئ وانما نفى كوننا نفقه تسبيحه لا غير فأهل الكشف يشهدون ذلك عيانا وأهل الايمان الكامل يقبلون ذلك ايمانا وعبادة قال وانما عقب ذلك بقوله انه كان حليما غفورا الذين هما سما الحجاب والستر وتأخير المؤاخذة الى الاجل وعدم حكمها في العاجل لما علم ان في عباده من حرم الكشف والايمان الكامل وهو عبيد الافكار من العقلاء وأطال في ذلك ثم قال فأهل الكشف يقولون سمعنا نطق الجمادات

ورأيناه وأهل الايمان يقولون آمنا بذلك وصدقنا وعبيد الافكار من المحجوبين يقولون ماسمعنا ولا رأينا قال وتأمل في قوله تعالى اخرجنالهم دابة من الارض تكلمهم كيف عقبها بقوله ان الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون لما علم ان طائفة من الناس لا يؤمنون بذلك ويخرجونه بالتأويل عن آخره ومعنى لا يوقنون أى لا يستقر الايمان بالآيات التى هذه الآية منها فى قلوبهم بل يقبلون ذلك على غير وجهه الذى قصد له فالله يرزق جميع اخواننا الايمان ان لم يكونوا من أهل العيان آمين وسيأتى فى مبحث عذاب القبر وسؤال منكر ونكير بيان أدلة تسبيح الجمادات بلسان المقال فراجعه (فان قلت) فهل يجب التحفظ من قبول هدية من امرنا الله تعالى بمعاداته (فالجواب) نعم يجب علينا ذلك فان فى الحديث تهادوا تحابوا وللعطاء أثر قادح فى الايمان اذ المحسن محبوب للنفس قهرا عليها وهذه مسئلة خطرة فى حق كل محجوب عن شهود العطاء من الله عز وجل فكيف يطلب من يرى العطاء من الخلق ان لا يحب الكفار والظلمة المصرين على المعاصى اذا قبل برهم واحسانهم هذا أمر عسر على غالب الخلق الا من شاء الله لانه خروج عن الطبع فهو وان لم يكن له أثر فى الظاهر فله أثر فى الباطن انتهى (فان قلت) فأوضح لنا مثالا نعرف به المؤمن الكامل (فالجواب) المؤمن الكامل من صار الغيب عنده كالشهادة فى عدم الريب وقد بلاه الله تعالى بالايمان الذى هو القول والعمل والاعتقاد الصحيح فكان قوله وفعله مطابقا للاعتقاده فى ذلك الفعل ولهذا قال تعالى يسعى نورهم بين أيديهم وبايمانهم يريد ماقدموه من الاعمال الصالحة عند الله قال صلى الله عليه وسلم المؤمن من أمنه الناس على أنفسهم وأموالهم وفى رواية المؤمن من أمن جاره بوائقه وسمعت أخى أفضل الدين رحمه الله يقول من شرط كمال الايمان ان يصير الغيب عند المؤمن كالشهادة سواء ويسرى منه الأمان فى نفس العالم كله فيأمنه المؤمنون الكاملون عن القطع على أنفسهم وأموالهم وأهاليهم من غير ان يتخلل ذلك الأمان تهمة فى أنفسهم من هذا الشخص فمن لم يكن فيه هاتان العلامتان فلا يغالط ولا يدخل نفسه فى كمل المؤمنين وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول من ادعى كمال الايمان بما وعده الله عليه فليمتحن نفسه فيما وعده الله به من مضاعفة الصدقة مثلا الى سبعين ضعفا وأكثر فان وجدها لا تتوقف فى اعطاء أحد من المحتاجين شيئا ولو نفقت جميع مابيدها فليعلم ان ايمانه بذلك كامل فيجب عليه الشكر لله عز وجل وان توقفت عن العطاء مع وجود قوت يومها وليلتها فليعلم انه ناقص الايمان بما وعده الله تعالى ولو أن يهرديا جالس بشكارة ذهب وقال كل من اعطى فقيرا نصفا اعطيته دينارا لتزاحم الناس على العطاء واعطوا الفقراء كل ما بأيديهم من الغفلة نسأل الله تعالى اللطف وسمعته يقول أيضا فى قوله تعالى وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين اذا رأيت يا اخى من يدعى كمال الايمان ويذكره الناس فلا تنفعه الذكرى فاعلم انه فى ذلك الحال ناقص الايمان بمرة فان شهادة الله حق وهو صادق وقد أعلمنا ان المؤمن ينتفع بالذكرى وقد رأينا هذا لم ينتفع بالذكرى فلا بد ان نقول ان ايمانه توارى

عنه تصديقا لله ولا معنى للنفع الا وجود العمل منه وبالجملة فلا ترى احدا يتوقف عن العمل بما امر به الا وفى نفسه احتمال ومن قام له فى شئ اخبره الصادق به احتمال فليس هو بكامل الايمان مع انك لو سألته اتقال لا اشك فى صدق ما اخبر الله به ورسوله فتنبه يا أخي لنفسك فانك لان تأتى الله تعالى وأنت كامل الايمان من غير كثير عمل خير لك من ان تأتيه بأعمال الثقلين وفى ايمانك ثلمة ونقص فاعلم كما قاله الشيخ فى الباب التاسع والخمسين ومائتان ان الايمان علم ضرورى يجده المؤمن فى قلبه لا يقدر على دفعه وكل من آمن عن دليل فلا وثوق بايمانه كما ذكرناه فى مقدمة هذا الكتاب وذلك لان صاحب الدليل معرض للشبه القادحة فى ايمانه اذ هو ايمان نظرى لا ضرورى والنظرى صاحبه اسير الدليل فكل شئ ترجح عنده فى وقت ترك ما كان عليه قبل ذلك ولهذا لا يشترط فى وجود الرسالة اقامة الدليل لمرسل اليه ولذلك لم نجد مع وجود الدليل وقوع الايمان من كل أحد بل من بعضهم فقط فلو كان لنفس الدليل لعم ونراه أيضا يوجد ممن لم ير دليلا فدل على ان الايمان انما هو نور يقذفه الله فى قلب من يشاء من عباده لا بدليل ولذلك قلنا لا يشترط فيه وجود الدليل وقد ذكر نحو ذلك الشيخ محيى الدين فى الباب التاسع والخمسين ومائة قال وقد نبهتك على سر غامض لا يعرفه كل أحد فاحتفظ به والله تعالى أعلم (خاتمة) قال الشيخ فى الباب الرابع والستين وثلثمائة اعلم انه لا يموت أحد من أهل التكاليف الا مؤمنا عن عيان وتحقق لا مرية فيه ولا شك لكن من العلم بالله والايمان به خاصة وما بقى الاهل ينفعه ذلك الايمان ام لا وفى القرآن العظيم فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا الآية وقد حكى الله تعالى عن فرعون انه قال آمنت انه لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين فلم ينفعه هذا الايمان وأطال فى ادلة انه لم ينفعه ايمانه (قلت) فكذب والله وافترى من نسب الى الشيخ محيى الدين انه يقول بقبول ايمان فرعون وهذا نصه يكذب الناقل على انه قال بقبول ايمان فرعون جماعة منهم القاضى أبو بكر الباقلانى وبعض الحنابلة قالوا لان الله حكى عنه الايمان آخر عهده بالدنيا انتهى وجمهور العلماء قاطبة على عدم قبول ايمانه وايمان جميع من آمن فى البأس لان من شرط الايمان الاختيار وصاحب ايمان البأس كالملجأ الى الايمان والايمان لا ينفع صاحبه الا عند القدرة على خلافه حتى يكون المرء مختارا ولان متعلق الايمان هو الغيب وأما من يشاهد نزول الملائكة لعذابه فهو خارج عن موضوع الايمان والله تعالى أعلم

(المبحث الثانى والخمسون فى بيان حقيقة الاحسان)

اعلم ان حقيقة الاحسان ان يعبد العبد ربه كأنه يراه كما صرح به فى حديث سؤال جبريل للنبى صلى الله عليه وسلم عن الاسلام والايمان والاحسان وقال الجلال المحلى رحمه الله حقيقة الاحسان مراقبة الله تعالى فى جميع العبادات لشاملة للايمان والاسلام أيضا حتى تقع عبادات العبد كلها فى حال الكمال من الاخلاص وغيره انتهى وتقدم فى مبحث مسألة خلق الافعال والكسب أن علم العبد بان الله تعالى يراه

أكمل في التنزيه من شهوده هو للحق لانه لا يشهده الا بقدر دائرة عقله هو فقط وتعالى الله عن ذلك بخلاف علمه بان الله يراه وتقدم فيه أيضا ان في الحديث اشارة لطيفة وهو ان صاحب مقام الاحسان اذا عبد الله كانه يراه لم يجد الفعل الا الله وحده وليس للعبد فيه أثر وأعماله حكم فيه لكونه محلا لبروزه من الجوارح لا غير ومن شهد هذا المشهد فهو الذي اخلص عمله لله ولم يشرك فيه نفسه مع الله وتقدم أيضا في المباحث السابقة ان من كمال العبدان يواخي بين العيان والايمان فيكون مؤمنا بما هو مشاهده من غير حجاب وذلك حتى لا يفوته ثواب الايمان بالغيب حال الشهود والمعاينة وان ذلك مقام عزيز* قال الشيخ محيي الدين في باب الاسرار من الفتوحات ولا يخفى ان الايمان والاسلام مقدمتا الاحسان لان الايمان له التقدم والاسلام تال والالم يقبل فهذا شفع قد ظهر والختام للوتر فاوتره الاحسان لانه أول الافراد الثلاثة لا الواحد فافهم * وقال فيه أيضا اعلم ان الايمان تصديق فلا يكون الاعن مشاهدة الخبر في التخيل فلا بدّ من الاحسان والاسلام انقياد والانقياد لا يكون الالمن رأى يد الحق كما يليق بجلاله وهي آخذة بناصيته فانقاد طوعا فان لم يريد الحق التي هي تأييده له ولا تخيلا فما انقاد الا كرها والاحسان ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك (قلت) قد رأيت في كلام سيدي علي بن وفا رضي الله عنه ان وراء مقام الاحسان مقام آخر يسمى مقام الايقان ولم أر ذلك في كلام غيره فليتأمل وقد تقدم في مبحث الاجوبة عن الانبياء أنّ أهل مقام الاحسان لا يتصوّر منهم معصية ماداموا في حضرة الاحسان وان من هنا عصم الانبياء وحفظ غيرهم من الاولياء لعكوف الانبياء والاولياء في حضرة الاحسان أما الانبياء فهم فيها على الدوام وأما الاولياء فهم فيها في أغلب أحوالهم وغاية معصية أهل حضرة الاحسان أن يقعوا في خلاف الاولى لا في حرام ولا مكروه كما مرّ في الجواب عن آدم عليه السلام والله تعالى أعلم

(المبحث الثالث والخمسون في بيان أنه يجوز للمؤمن ان يقول انا مؤمن ان شاء الله خوفا من الخاتمة المجهولة لا شكا في الحال)

قال الجلال المحلي رحمه الله ومنع الامام أبو حنيفة رضي الله عنه ذلك * وحكى في المقاصد المنع عن الاكثرين وعبارة النسفي في عقائده ولا ينبغي أن يقول العبد انا مؤمن ان شاء الله وقد حملها المولى سعد الدين على ان الاولى تركه لا على المنع بمعنى عدم الجواز ثم ذكر المولى سعد الدين انه لا خلاف بين الفريقين حقيقة في المعنى لانه ان أريد بالايمان مجرد حصول المعنى فهو حاصل في الحال وان أريد ما يترتب عليه النجاة والثواب في الآخرة فهو تحت مشيئة الله تعالى ولا قطع بحصوله في الحال فمن قطع بالحصول أراد الاول ومن فوّض الى المشيئة أراد الثاني انتهى وكان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه اذا سئل عن ذلك يقول قول العبد انا مومن ان شاء الله تعالى أولى من الجزم لا يقال ان قول العبد ان شاء الله يوهم الشك في الحال في ايمانه لانا نقول كل مؤمن متحقق بالايمان في الحال جازم باستمراره عليه الى الخاتمة التي يرجو حسنها ويسأل من فضل ربه

تحقيقها انتهى ودليل الامام أبي حنيفة ومن تبعه في عدم جواز الاستثناء في الايمان قول الله تعالى في السحرة قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون ولم يستثنوا وقوله تعالى اولئك هم المؤمنون حقا ولم يستثن وأيضا فان الايمان عقد فالاستثناء يقطعه ويحله واجاب الشافعية بانا لم نوجب الاستثناء وانما جوزناه ومعلوم ان من يستثني منا لا يريد ابطال الاول ولا التردد فيه بالاجماع (خاتمة) اذا اشرك المؤمن في عمله رياء وسمعة فلا أجر له واختاره ابن عبد السلام والزركشي وقال انه الظاهر وأما الامام الغزالي فاعتبر الباعث على العمل فان كان الاغلب الباعث الدنيوي فلا أجر له وان كان الاغلب هو باعثه الديني فله أجره بقدره وان تساويا تساقطا والله أعلم

(المبحث الرابع والخمسون في بيان ان الفسق بارتكاب الكبائر الاسلامية لا يزيل الايمان)

خلافا للمعتزلة في زعمهم انه يزيل يعني انه واسطة بين الايمان والكفر بناء على قولهم ان الاعمال جزء من الايمان قاله الجلال المحلي وقد استند المعتزلة الى ظاهر قوله صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن الحديث وقالوا ظاهر الحديث نفي الايمان * قال الشيخ نجم الدين البكري والحق الذي نعتقده ان المراد بقوله وهو مؤمن أي بان الله يراه أي حاضر القلب مع الله تعالى اذ لو كان حاضر القلب مع الله تعالى لم يستطع ان يعصي حياء من الله عز وجل فلا بد للعاصي من سدل الحجاب عليه حتى يقع في المعصية واقل الحجاب ان يقع في تأويل أو تزيين من النفس كان تقول له نفسه ربك غفور رحيم ولا يكون غفورا رحيما الا للمذنبين وقال النبي صلى الله عليه وسلم شفاعتي لاهل الكبائر من امتي وبعيد ان الله تعالى يؤاخذ مثلك ما دمت تستغفر الله وتقول له نفسه أيضا افعل ما قدر عليك فانك لا تستطيع ان ترد ما قدره الله عليك وتفتح له نفسه باب الرجاء الواسع حتى تهون عليه الذنب * وقد أجمع أهل الكشف على انه لا يصح لعارف ان يعصي الله تعالى على الكشف والشهود ابدا فان علمه بان الله تعالى يراه يمنعه من الوقوع ثم لو فرض ان العاصي يشهد ان الله تعالى يراه حال المعصية فلا بد ان يشهده غير راض عنه في تلك المعصية * وفي حديث الطبراني وغيره مرفوعا اذا أراد الله تعالى انفاذ قضائه وقدره سلب ذوي العقول عقولهم والمراد بهذه العقول التي تسلب العقول التي تشهد نظر الحق تعالى اليها حال معصيتها الا عقول التكليف اذ لو كان المراد بها ذلك ما آخذ الله تعالى احدا لعدم التكليف وقد ثبتت المؤاخذة بالنصوص القاطعة فافهم فان هذا موضع غلط فيه جماعة من المتصوفة فعلم انه لا يلزم من كون العبد يحجب عنه الايمان بان الله تعالى يراه حال المعصية ان ينتفي عنه الايمان بوجود الله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره كما توهمه بعضهم بل هو مؤمن بذلك كله لم يحجب عنه منعدى كون الله تعالى يراه فانه لا بد من حجابه فيه ليقضي الله أمرا كان مفعولا والا كان ذلك في غاية قلة الحياء

مع الله تعالى فاذا فهمت ذلك علمت ان الايمان يتخصص فى كل موطن بما يناسبه بحسب السياق الذى هو فيه وذلك كقوله تعالى وكان حقا علينا نصر المؤمنين أى بأنى انصرهم فانى عند ظن عبدى بى وقس على ذلك هكذا اقرره الشيخ نجم الدين البكرى فى تفسيره (فان قلت) فما معنى حديث نعم العبد صهيب لو لم يخف الله تعالى لم يعصه (فالجواب) معناه كما قاله الشيخ فى الباب الحادى والسبعين وثلثمائة ان الاسباب المانعة للعبد من الوقوع فى المعاصى أربعة أشياء لا خامس لها وهى الحياء من الله تعالى والخوف من عقابه والرجاء فى ثوابه وعدم التقدير فى علم الله تعالى فمعنى الحديث ان صهيبا لم يخف الله تعالى لم يعصه أى لان معه من الاسباب المانعة من الوقوع فى المعصية ثلاثة اشياء وهى الحياء من الله والرجاء لثواب الله وعدم التقدير فى علم الله وكذلك القول فى الثلاثة الباقية كما لو قال صلى الله عليه وسلم نعم العبد صهيب لو لم يستح من الله لم يعصه أو لو لم يرج ثواب الله لم يعصه فان معناه كما قلنا فى الخوف سواء انتهى * وقال فى الباب الثامن والستين اعلم ان الحكمة فى ان الايمان يخرج من صاحبه حال الزنا والسرقة وشرب الخمر مثلا انه يخرج عن صاحبه حتى يحميه من وقوع العذاب الذى عرض نفسه له بالزنا مثلا فان الايمان لا يقاومه شئ وقد اشار الى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم اذا زنى العبد خرج عنه الايمان حتى يصير عليه كالظلة فاذا اقلع رجع اليه الايمان قال وما بعد بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم بيان فعلم ان خروج الايمان ليس هو لدخول صاحبه فى الكفر وانما خرج ليمنع عنه وقوع العذاب عناية بصاحبه واطال الشيخ فى ذلك ثم قال وهنا نكتة جليلة خفية وهى ان العبد المؤمن لا يخلص له قط معصية محضة فلا بد ان يشوبها طاعة وتلك الطاعة هى ايمانه بانها معصية تسخط الله تعالى عليه فهو من الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيأ عسى الله ان يتوب عليهم أى يرجع عليهم بالرحمة * قال العلماء وعسى من الله واجبة الوقوع من حيث ان رحمته بالمسلمين سبقت غضبه عليهم * وقال فى الباب الرابع والخمسين وثلثمائة ايضا فى معنى حديث لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن اى مصدق بالعقاب عليه اذ لو كان معه تصديق بالعقاب ما وقع فى الذنب كما اذا اوقدنا له نارا عظيمة وقلنا له ازن بهذه المرأة لنحرقك بالنار لا يزنى بها قط ولو مكثنا نامره مدى الدهر وذلك لشهوده العقاب فافهم * وقال فى الباب الرابع والثلاثين ومائتين أيضا اعلم ان من لازم المؤمن الكامل انه لا يأتى معصية قط توعد الله عليها بالعقوبة الا ويجد فى نفسه الندم عند الفراغ منها وفى الحديث الندم توبة وقد قام بهذا الندم فهو تائب أى من جهة حقوق الله تعالى لا من جهة حقوق الآدميين فسقط حكم الوعيد بهذا الندم فانه لا بد للمؤمن الكامل ان يكره المخالفة ولا يرضى بها فى حال عمله بها فهو من حيث كونه كارها لها نادم على وقوعه فيها ومؤمن بانها معصية ذو عمل صالح من ثلاثة وجوه وهو من حيث كونه فاعلا لها شرعا ذو عمل سيئ من وجه واحد وهو ارتكابه اياها ومن تأمل فى قوله تعالى ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره عثر على ما قلناه فانه تعالى لم يتعرض للمؤاخذة بذلك الشر وانما ذكر انه

يراه فقط ثم لا يكون من الكريم الا الكرم انتهى هكذا رأيته فى كلام بعضهم وعليه فتكون الحكمة فى الطائفة التى تدخل النار من الموحدين انما هو لبيان اظهار فضله على الذين لم يؤاخذهم كما يؤدب السلطان من شاء أدبه من الغلمان ولا تقبل فيه شفاعة ليعرف الناس مقدار نعمه عليهم والله تعالى اعلم * وقال الشيخ فى الباب السابع والتسعين ومائتين فى معنى حديث لو لم تذنبوا وتستغفرون الله لذهب الله بكم وبجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم اعلم ان من رحمة الله تعالى بخلقه انه أوجد فيهم النسيان والحجاب حال عصيانهم فى دار التكليف فان المعاصى والمخالفات قد سبق تقديرها على العباد فى هذه الدار فلا بد من وقوعها منهم ولو أنها وقعت منهم على الكشف والتجلى لكان ذلك مبالغة فى قلة الحياء مع الله تعالى حيث انه يشهده ويراه فلولا الحجاب لعظم الامر وشق والقدر حاكم بالوقوع فلذلك حجب الله تعالى العاصى عن ذلك المشهد لعظم المصاب انتهى وقال فى اواخر باب الحج من الفتوحات اعلم ان بعض الناس قد ينفعه ذنبه فيرد ابليس خاسئا وذلك كما اذا كان عند العبد عجب بأعماله وكبر على اخوانه ونحو ذلك فيقع فى معصية فيحصل له ذل وانكسار وندم فيزول مرضه ويكتب من التوابين واطال فى ذلك انتهى وفى كلام ابن عطاء الله رب معصية اورثت ذلا وانكسارا خير من طاعة اورثت عزا واستكبارا انتهى وسيأتى فى المبحث عقبه زيادة على ما ذكرناه هنا والله تعالى اعلم

(المبحث الخامس والخمسون فى بيان ان المؤمن اذا مات فاسقا بان لم يتب قبل الغرغرة تحت المشيئة الالهية)

فاما ان يعاقب بادخاله النار ثم يخرج منها لموته على الاسلام واما ان يسامح بان لا يدخل النار فضلا من الله من غير شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم او مع شفاعته او شفاعة من شاء الله تعالى وتردد الامام النووى فى الاخير وهو كلام القاضى عياض * قال الشيخ تقى الدين السبكى وانما تردد النووى فى شفاعة من شاء الله لانه لم يرد فى السنة تصريح بذلك ولا بنفيه ثم قال وهى فى اجازة الصراط بعد نصبه ويلزم منها النجاة من النار قال تعالى فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز وقال تعالى ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا وزعمت المعتزلة ان من مات مصرا على كبيرة يخلد فى النار ولا يجوز العفو عنه ولا الشفاعة فيه ونقل ذلك عن ابن عباس رضى الله عنهما مستندا الى قوله تعالى ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها الآية فانها نزلت بعد قوله تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فهى محكمة غير منسوخة هكذا رأيته فى تفسير الامام سند بن عبد الله الازدى من أقران الامام مالك بن انس رضى الله تعالى عنه وأجاب الجمهور مع تقدير عدم النسخ بأنه لا يلزم من الوعيد بالشر وقوعه كما يقول السيد لعبده اذا خالفه ما جزاؤك الا ان اضربك واحبسك ثم لا يضربه ولا يحبسه هذا كلام أهل الاصول وأما نقول الشيخ محيى الدين فقال فى الباب السابع والاربعين ومائة اعلم ان من قتل انسانا ولم يقتل به فى الدنيا فأمر القاتل الى الله ان شاء عفى عنه وان شاء عذبه

قال وأما قوله في الحديث القدسي فيمن قتل نفسه بادرني عبدي حرمت عليه الجنة قال المراد به انه لا يدخل الجنة مع الوعيد الاول كما في نظائره من الاحاديث الواردة في عذاب الشيخ الزاني ومدمن الخمر وقاطع الرحم والمسبل ازاره خيلا ونحو ذلك ليوافق النصوص الصحيحة نحو قوله صلى الله عليه وسلم من كان آخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة وان زنا وان سرق وقال أيضا في باب صلاة الجنائز من الفتوحات اعلم ان الاخبار الصحيحة والاصول الصريحة تقضي بخروج قاتل نفسه من النار وان النص الوارد بتأبيد الخلود خرج مخرج الزجر أو يحمل على قاتل نفسه من الكفار لانه لم يقيده في الحديث بالمؤمنين فتطرق الاحتمال واذا تطرق الاحتمال رجعنا الى الاصول واذا رجعنا الى الاصول رأينا الايمان قوي السلطان لا يتمكن معه الخلود على التأبيد الى غير نهاية فتعين قطعا ان الشارع انما أخبر بذلك في حق الكفار لكونه لم يخص في الحديث صنفا دون صنف بعينه والادلة الشرعية تؤخذ من جهات متعددة يضم بعضها الى بعض ليقوي بعضها بعضا فكما ان المؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا فكذلك الايمان بكذا يشد الايمان بكذا فيقوي بعضه بعضا واطال في ذلك ثم قال والمراد بقوله فيمن قتل نفسه حرمت عليه الجنة أي حرمت عليه الجنة قبل رؤيتي لا سيما من كان الحامل له على قتل نفسه الشوق الى لقاء الله من العشاق ممن كتم عشقه وعف فمات وهذا هو الاليق ان يحمل عليه لفظ الخبر الا ان يأتي لنا نص صريح بخلاف هذا التأويل واطال في ذلك ثم قال وان ظهر للناظر بعد فيما قررناه فانما هو لبعد الناظر في نظره من الاصول المقررة التي تناقض هذا التأويل بالشقاء المؤبد فاذا استحضرها ووزن الامر بميزان الشريعة عرف ما قلناه وفي الصحيح اخرجوا من النار من كان في قلبه ادنى من مثقال حبة خردل من ايمان فلم يبق الا ما اولناه انتهى (قلت) وفي هذا الكلام وما بعده رد عن الشيخ وتكذيب لمن افترى عليه انه يقول بخروج أهل النار من الكفار والله أعلم وقال في باب الجنائز أيضا بعد كلام طويل اعلم ان الله تعالى انما أوجب علينا الصلاة على الميت لانه يريد ان يقبل شفاعتنا فيه واعلامنا بان سؤال النافيه مقبول وانه تعالى يرضى منا ذلك فان الامر بالشئ يقتضي رضى الشارع به فمن قال من المعتزلة ان قاتل نفسه خالد مخلد في النار فهو محمول على كافر مات على كفره أو على الميت الذي لم يصل عليه فلهذ قلنا بوجوب الصلاة على من قتل نفسه وان صلاتنا عليه تنفعه وتمنعه من تأبيد الخلود في النار على زعمهم وأما على قول اهل السنة والجماعة فلا يخلد في النار مؤمن ولا موحد وفي الحديث ايضا صلوا على من قال لا اله الا الله فدخل فيه اهل الكبائر وجميع اهل الاهواء والبدع الذين لا يكفرون باهوائهم وبدعهم لانه صلى الله عليه وسلم ما فصل ولا خصص بل عمم بقوله من وهي نكرة تعم وما امرنا الشارع بالصلاة على من قال لا اله الا الله الا وهو يريد أن يرحمه اما بعدم دخوله النار أصلا واما باخراجه منها بعد ان أخذت العقوبة حدها. وقال في الباب الخامس والخمسين وثلثمائة في قوله تعالى ام حسب الذين يعملون السيئات ان يسبقونا ساء ما يحكمون اعلم ان في هذه الآية ردا على من يقول

بانفاذ الوعيد فيمن مات على غير توبة من الموحدين وفيها بيان لشمول الرحمة لكل موحد وذلك لان المؤمن اذا عصى فقد تعرض للانتقام والبلاء فهو جار فى شأن الانتقام عما وقع منه والحق تعالى يسابقه فى هذه الحلبة من حيث ما هو غفار وعفو ومتجاوز ورؤف ورحيم فالعبد يسابق ربه بفعل السيأت الى الانتقام والرب سبحانه وتعالى اسبق منه الى الرحمة والمغفرة بالاسم الرحيم أو الغفار مثلا فاذا جاء الاسم المنتقم وجد الاسم الغفار واخواته قد حالوا بينه و بين ذلك العبد العاصى قال ومعنى الآية ام حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا بسيأتهم مغفرتى وشمول رحمتى ساء ما يحكمون بل السبق لى بالرحمة لهم ولكل موحد وهذا غاية الكرم قال وهذا لا يكون الا فيمن مات على غير توبة من عصاة الموحدين فان العاصى منهم اذا مات تلقته رحمة الله فى الموطن الذى يشاء الله ان يلقاه فيه وأما حديث ومن كره لقا الله كره الله لقاءه فذلك فى حق الكافر وأما فى حق عصاة الموحدين ممن لم يحق عليه كلمة العذاب فينبغى تأويله على من كره لقاء الله من كثرة مخالفته فما كره لقاء الله من حيث اللقاء مطلقا وانما هو لما عمله من المخالفات فخاف أن يؤاخذه انتهى فليتأمل *وقال فى الباب السابع والاربعين وثلثمائة لولا ان رحمة الحق تعالى بالمؤمن ممزوجة بغضبه لم يبق للعاصى اثر على وجه الارض فالمؤمن حال مؤاخذات الحق له كالمعذب المرحوم لكونه لا يقع فى معصية الا وهو مؤمن بانها معصية خائف من عاقبتها فلا يخلد فى النار الا كافر والسلام

(المبحث السادس والخمسون فى بيان وجوب التوبة على كل عاص وبيان انها تصح ولو بعد نقضها وانها تصح من ذنب دون ذنب)

أى تصح من ذنب ولو كان صغيرا مع الاصرار على ذنب آخر ولو كان كبيرا كما قاله الجلال المحلى قال واذا تاب ثم عاود الذنب لم تبطل توبته السابقة بل ذلك ذنب يوجب توبة اخرى هذا ما عليه جمهور العلماء ونقل عن القاضى أبى بكر الباقلانى انها لا تصح بعد نقضها وهو عوده الى المتوب منه وقيل انها لا تصح عن ذنب صغير لتكفيره باجتناب الكبير وقيل لا تصح من ذنب مع الاصرار على ذنب كبير قالوا ومن المساعد للعبد على حصول التوبة أن يستحضر ما فيها من المحاسن والوصلة باهل الله تعالى من الانبياء والاولياء وصالحى المؤمنين وانه اذا لم يتب اتصل باعداء الله تعالى من الفسقة والشياطين ثم من الواجب الاتيان بشرائط التوبة كلها ولا يكفى الاستغفار باللسان فقط كما هو شأن اكثر الناس ومعظم شروطها الندم على المعصية أى من حيث انها معصية ليخرج ما لو ندم على شربه الخمر مثلا من حيث اضراره بالبدن فان ذلك ليس بتوبة وعرف بعضهم الندم بأنه تحزن وتوجع لما فعل وتمن لكونه لم يفعل قال الكمال فى حاشيته على شرح جمع الجوامع ولا يجب عندنا استدامة الندم فى جميع الازمنة بل يكفى استصحاب الندم حكما بأن لا يصدر منه ما ينافيه لان الشارع أقام الامر الثابت حكما مقام ما هو حاصل بالفعل كما فى الايمان فان النائم مؤمن بالاتفاق وأيضا فلما فى التكليف بتذكر الندم فى جميع الازمنة من الحرج المنفى فى الدين قال

الجمهور وتتحقق التوبة بالاقلاع عن المعصية وعزم أن لا يعود اليها وتدارك ممكن
التدارك من الحقوق الناشئة عنها كحد القذف مثلا فيتدارك بتمكين مستحقه
من المقذوف أو وارثه ليستوفيه أو يبرئ منه فان لم يمكن تدارك الحق كأن لم يكن مستحقه
موجودا اسقط هذا الشرط كما يسقط أيضا في توبة العبد عن معصية لا ينشأ عنها حق
لادمي قال العلماء وكذلك يسقط شرط الاقلاع في توبة العبد عن معصية بعد الفراغ
منها كشرب الخمر مثلا قال الجلال المحلي فالمراد بتحقق التوبة بهذه الامور انها لا تخرج
عما يتحقق به عنها الا انه لا بد منها في كل توبة انتهى قال الكمال في حاشيته وقولهم
وتدارك ممكن التدارك الى آخره هو المشهور عند اصحابنا والذي جرى عليه الامدي
وصاحب المواقف والمقاصد ان التدارك واجب برأسه فمن قتل وظلم أو ضرب فعليه
أمران التوبة والخروج من المظلمة وهو تسليم نفسه مع الامكان ليقتص منه ومن أتى
بأحد الواجبين لم يكن صحة ما أتى به متوقفة على الاتيان بالواجب الآخر وقال
في المقاصد انه التحقيق الا انه قد لا يصح الندم بدونه كرد المغصوب انتهى قال ابن السبكي
وغيره واذا أحس الانسان من نفسه عدم الصدق في الاستغفار أتى به وان احتاج الى
استغفار آخر لان اللسان اذا ألف ذكرا يوشك أن يألفه القلب فيوافقه فيه وكان الامام
السهروردي يقول اعمل وان خفت العجب مستغفرا قال العلماء ويجب على كل مؤمن
مجاهدة نفسه الامارة بالسوء اذا لم تطاوعه على فعل المأمورات واجتناب المنهيات قالوا
وهي أوجب عليك من مجاهدة عدوك الظاهر لان النفس تريد هلاكك الابدي
باستدراجك من معصية الى معصية اخرى وفي الحديث العاصي بريد الكفر أي مقدمته
فان غلبتك نفسك الامارة بالسوء على فعل مذموم فتب وجوبا على الفور ليرتفع عنك
اثر فعله بالتوبة ان شاء الله تعالى فان لم تقلع نفسك عن فعل ذلك المذموم لكسل
يعتريك عن الخروج منه أو لاستلذاذ به فتذكر هاذم اللذات وهو الموت وفجأته
فربما أخذك على غير توبة كما هو مشاهد في كثير من الناس فتحشر مع الخاسرين
وان كان عدم اقلاعك لقنوط من رحمة الله تعالى وعفوه عنك لشدة الذنب الذي سبق
منك أو لاستحضار عظمة من عصيت فخف عقاب ربك على هذا فانه لا يقنط من رحمة
الله الا القوم الخاسرون واستحضر سعة رحمة الله تعالى التي لا يحيط بها الا هو لترجع
عن قنوطك فان جانب رحمته تعالى لعصاة الموحدين ارجح من جانب عقوبته لهم هذا
آخر كلام ابن السبكي رحمه الله في مبحث التوبة واعلم يا أخي ان التوبة من اعظم
ما من الله تعالى به على عباده فان لم يقع لنا توبة فالواجب علينا التوبة من ترك التوبة
فان لم يصح لنا التوبة من ترك التوبة وجب علينا التوبة من الاصرار على ترك التوبة
من الاصرار وهكذا أبدا ما عشنا وما ثم لنا داء بلا دواء أبدا فان لم يصح لنا شئ من ذلك كله
فلله رحمة خاصة يمن بها على من مات مصرا من أهل الاسلام واعلم ان حقيقة التوبة هي
الرجوع الى شهود ان الله تعالى هو المقدر على العبد ذلك الذنب قبل أن يخلق ومعنى
حديث اذا اذنب العبد فعلم ان له ربا يغفر الذنب و يأخذ به يقول الله عز وجل له في الثانية

والثالثة افعل ما شئت فقد غفرت لك أى افعل ما شئت من المعاصي واندم واستغفرني اغفر لك فلا يكفيه العلم بان له ربا يغفر الذنب من غير ندم فافهم. قال الشيخ محيي الدين في الباب الرابع والسبعين من الفتوحات ومن اعظم دليل على وجوب التوبة فورا قوله تعالى وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون فامر الله تعالى عباده بالتوبة ثم لقنهم الحجة اذا خالفوا باعلامهم بعصيون قوله تعالى ثم تاب عليهم ليتوبوا ليقولوا اذا سئلوا عن ذلك يوم القيامة لو تبت علينا يا ربنا لتبنا اه مثل قوله تعالى يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم ليقول غرني كرمك يا رب فهذا من باب تعليم الكريم الخصم الحجة ليحاجه بها اذا كان محبوبا وليس هذا التعليم الا للسعداء خاصة فافهم قال واعلم ان توبة الله على العبد متطوع بها وتوبة العبد في محل الامكان لما فيها من العلل وعدم العلم باستيفاء حدودها وشروطها والجهل بعلم الله تعالى فيها فكل عارف يسأل ربه أن يتوب عليه وحظهم من التوبة الاعتراف والسؤال لا غير فمعنى قوله وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون أى ارجعوا الى الاعتراف والدعاء كما فعل ابوكم آدم عليه السلام تعليما لكم بالفعل والصورة لا بالمعنى لانه لم يكن قربه من الشجرة عن ميل ولا انتهاك حرمة وانما كان محض نفوذ اقدار لا غير قال وأما الرجوع الى الله تعالى بطريق المعاهدة وهو لا يعلم ما في علم الله تعالى ففيه خطر عظيم فانه ان كان بقي عليه شئ من المخالفات فلا بدّ من نقضه ذلك العهد فينتظم في سلك من قال الله تعالى فيهم الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ولم يكن أحد اكمل معرفة بتمام التوبة من آدم عليه السلام حتى اعترف بذنبه ودعى ربه وما نقل انه عاهد الله تعالى على انه لا يعود كما اشترطه بعضهم في صحة التوبة فالناصح لنفسه من سلك طريق أبيه آدم عليه السلام فان في العزم المصمم عند أهل الكشف ما لا يخفى من ادعاء القوّة ومقاومة الاقدار الالهية الا أن يقصد بذلك انه لا يعود ان وكل الامر اليه استقلالا وذلك محال انتهى فليتأمل ويحرر وقد وقع لبعض الاكابر من عباد بني اسرائيل انه قال يا رب لو فرغتني لعبادتك ووكلتني الى نفسي لاريتك من العبادة ما لم يفعله أحد من العبيد ففتح التوراة ذلك اليوم وأمر ان لا يدخل عليه أحد يشغله عن ربه فما جاء نصف العصر حتى وقع في الخطيئة وما قص الله تعالى علينا وقايع الاكابر الا لنتادب بما ادبهم الله به فعلم ان العبد لم يكلف الا بوزن اعماله البارزة على يديه على وفق الكتاب والسنة ويعطى كل فعل حظه فما كان من طاعة فليشكر الله وما كان من معصية فيستغفر الله وما كان من مباح فهو فيه بحسب مقامه فان كان عارفا قلب المباح بالنية الى شئ محمود وفي بعض الهواتف الربانية ليس للعبد أن يشغل قلبه بالاختيار لفعل شئ أو تركه في المستقبل وانما عليه أن يعطي ما ابرزناه على يديه حقه فان كان طاعة حمدنا على قسمتها له واستغفرنا من تقصيره فيها وان كان معصية حمدنا على تقديرنا عليه واستغفرنا من ارتكابه مخالفة أمرنا وان كان غفلة وسهوا فعل ما هو اللائق بمقامه انتهى وقوله ليس للعبد أن يشغل قلبه بالاختيار لفعل شئ أو تركه في المستقبل لا ينافي مجاهدة

النفس ورد خواطرها الان ذلك في الحالة الراهنة لا في مستقبل الزمان لانها وجدت وكذلك لا ينافي الاستخارة لفعل شيء في المستقبل لان الاستخارة مأمور بها وقس على ذلك كل مأمور والله اعلم وقال الشيخ محيي الدين في الفتوحات بعد كلام طويل وبالجملة فلا يخلو العبد الذي يعاهد ربه على ترك شيء أو فعله في المستقبل اما أن يكون ممن أطلعه الله تعالى على انه لا يقع منه زلة في المستقبل ام لا فان كان ممن أعلمه الحق تعالى بذلك على لسان ملك الالهام الصحيح فلا فائدة للمعاهدة على عزم أن لا يعود بعد علمه انه لا يعود وان كان لم يطلعه الله تعالى على ذلك وعاهد الله على انه لا يعود فقد يكون ممن قضى الله تعالى عليه أن يعود فيصير ناقضا عهد الله وميثاقه وان كان أطلعه الله على انه يعود فعزمه على أن لا يعود مكابرة ومعارضة للاقدار فعلى كل حال لا فائدة للمعاهدة على ترك الفعل في المستقبل لا الذي علم ولا الذي جهل وليست التوبة التي طلبها الحق تعالى من عباده الا أن يفعلوا ما فعل ابوهم آدم عليه السلام وما بقي على العاصي أمر بعد الوقوع يكلف به الا عدم الاصرار على الذنب والتوبة منه لاشعاره باتهم ون بأوامر الله عز وجل وحد بعضهم الاصرار على الذنب بأن يدخل عليه وقت صلاة اخرى وهو لم يتب وقال بعضهم من لم يتب عقب الذنب فورا فهو مصر ماعدا ما هو اقل عن عدة انتظار الملائكة الكرام الكاتبين فانه ورد انهم ينتظرون العاصي ساعة وما عرفنا مقدار هذه الساعة هل هي الفلكية اوغيرها ومما يؤيد عدم وجوب المعاهدة على العزم أن لا يعود ما ورد في حديث اذا اذنب العبد فعلم ان له ربا يغفر الذنب ويأخذ به الى آخره فانه لم يذكر فيه العزم على ان لا يعود ولعل من شرطه راى انه من لازم صحة التوبة المشروعة فافرده بالشرطية كما افرد والاقلاع عن الذنب بالشرطية مع انه من لازم وقوع الندم وكذلك افرادهم رد المظالم الى اهلها والله اعلم (فان قلت) فهل التوبة من المقامات المستصحبة الى الموت (فالجواب) نعم هي باقية مادام العبد مخاطبا بها حتى تطلع الشمس من مغربها فحينئذ يسد باب التوبة ويغلق فلا ينفع نفسا ايمانها ولا ما تكتسبه من خير بذلك الايمان قال الشيخ محيي الدين ولا يخفى أن المؤمن لا يغلق له باب يمنعه من التوبة وانما يغلق عليه الباب حتى لا يخرج ايمانه من قلبه وكيف يغلق دونه وقد جاوزه وتركه وراء ظهره باستقرار الايمان في قلبه فكان من سعادته غلق هذا الباب على ايمانه حتى لا يخرج منه بعد ما دخل فلا بد بعد ذلك مؤمن ابدا اذ ليس هناك للايمان باب يخرج منه فعلم ان غلق باب التوبة رحمة بالمؤمن ونقمة بالكافر ذكره الشيخ في الابواب الست والثلاثين ومائة من الباب الثالث والسبعين من الفتوحات المكية وقال في الباب السبعين في الزكاة في حديث مسلم تصدقوا فيوشك الرجل يمشي بصدقته فلا يجد من يقبلها الحديث فيه الامر بالمسارعة بالصدقة مبادرة للتوبة فان التوبة من الفرائض الواجبة حال التكليف فان اخرها الى الاحتضار لم تقبل ولهذا لم يقبل ايمان فرعون انتهى (قلت) فكذب والله وافترى من قال ان الشيخ محيي الدين يقول بقبول ايمان فرعون وهذا نصه يكذب الناقل والله اعلم

(فان قلت)

(فان قلت) فمتى يصح من العبد التوبة النصوح التي مابعدها ذنب (فالجواب اذا استوفى جميع ماقدره الله تعالى عليه من المعاصي فهناك يتوب العبد لامحالة توبة نصوحا حتى لو أراد ان يعصى ربه لم يجد مابه يعصي ومادام الحق تعالى يخلق المعصية للعبد فهو واقع لامحالة ولكن ماتركه الحق تعالى سدى بل أمره بالتوبة وقد قال الشيخ في الباب الخامس والخمسين وثلثمائة لا يصح لعبد قط عصيان الارادة الالهية وانما يصح له عصيان الامر لقوة سلطان الارادة عليه فمن اطاع الامر أطاع الارادة ولا يلزم من طاعة الارادة طاعة الامر والسعادة منوطة بفعل الاوامر لا بموافقة الارادة واياك والتفريط في التوبة وتقول هذا مقدر علي لا استطيع رده وقد بسط الشيخ الكلام على ذلك في الباب التاسع والستين وثلثمائة فراجعه * وكان الشيخ محيي الدين رضي الله عنه يقول في قوله تعالى فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات اعلم ان من علامة من قبل الله توبته وبدل الله سيئاته حسنات ان لا يصير يتذكر شيئا من ذنوبه لكونها محيت وكل ذنب تذكره العبد فليعلم انه لم يبدل انتهى ويؤيده حديث الطبراني اذا تاب الله على عبد أنسى حفظته ذنبه وانسى جوارحه ومعالمه من الارض ان تشهد عليه وهي قاصمة للظهر فليتأمل ويحرر والله أعلم (فان قلت) ان من رجال الله من يقع في المعاصي ولا يهتدي لكونها معصية كالمجاذيب وارباب الاحوال فما حكم هؤلاء في التوبة (فالجواب) حكمهم حكم من تصرف في مباح لزوال التكليف وقد اطال الشيخ الكلام على ذلك في الباب العشرين ومائتين ثم قال وحاصل الامر ان اهل الله عزوجل في وقوعهم في المعاصي على قسمين رجال لا تخطر المعاصي لهم ببال لعدم تقديرها عليهم فهؤلاء معصومون أو محفوظون ورجال اطلعهم الله تعالى على ماقدره عليهم من المعاصي لكن من حيث انها افعال الا من حيث كونها معاصي فبادروا الى فعل ماراوه مقدرا عليهم مع فنائهم من شهود مايقرب ويبعد من حضرة الله تعالى من الطاعات والمعاصي فهؤلاء لسان الشريعة المطهرة يقضي عليهم بعصيانهم ووجوب التوبة عليهم وربما يكون حكم هؤلاء عند الله في الآخرة حكم من فعل أمرا لا يدري اطاعة هو أم معصية * قال الشيخ وهذا فناء غريب اطلعني الله تعالى عليه بمدينة فاس ولم الق من رجاله احدا مع علمي بان من رجال الله من ذاقه انتهى (فان قلت) فاذا اطلع الولي على ماقدره الله تعالى عليه في اللوح المحفوظ وان ذلك لا تغيير فيه فهل له المبادرة الى فعله ليستريح من شهوده فان صور المعاصي قبيحة بين العبد وبين ربه (فالجواب) لا يجوز له ذلك بل يصبر حتى يأتي وقتها ويقع بحكم القضاء والقدر كما انه لا يجوز لمن اطلعه الله على انه يمرض في يوم من رمضان انه يصبح مفطرا انما يجب عليه الامساك حتى يوجد المرض المبيح للفطر (فان قلت) فما مراد بعضهم بقوله شرط التوبة التوبة من التوبة (فالجواب) مراده ان يدمن مراقبة الله تعالى حتى يكون محفوظا من الوقوع فيما يسخط الله عليه باطنا وظاهرا فلا يكون له سريرة يفتضح بها قط ولا يتوب منها وقد يريدون بقولهم التوبة من التوبة أن لا يرى توبته هل تقبل

لعدم خلوصها اتهاما لنفسه فلا يقال ان مراد هذا القائل ان التوبة يجب تركها فان ذلك ظن فاحش بالقوم وقد بسط الشيخ الكلام على ذلك فى الباب الثالث والسبعين من الفتوحات (خاتمة) ذكر الشيخ فى الباب السبعين فى الزكاة ما نصه وهنا مسئلة دقيقة قل من عثر عليها من أصحابنا وهى ان العارف بالله تعالى قد لا يوصف بتوبة فى بعض الاحوال وذلك اذا كشف الله تعالى له انه هو الفاعل وحده فلا يجد العارف لنفسه حركة لا ظاهرة ولا باطنة ولا عملا ولا نية ولا شيئا من الامر ويجد الامر كله لله تعالى فهل يتصور من مثل هذا توبة ام لا فانه يرى نفسه مسلوب الاحوال ثم انه اذا تاب فهل تقبل توبته مع هذا الكشف أو يكون بمنزلة من تاب بعد طلوع الشمس من مغربها فان شمس الحقيقة قد طلعت له من مغرب قلبه فسلب جميع افعاله وهو اصعب الاحوال فان قبول التوبة ونحوها من العمل الصالح انما يكون ممن هو خلف حجاب اضافة الفعل للعبد وهنا لم يخرج شئ عن الحق فى هذا الكشف عند التعبد حتى يوصف بأن الله تعالى يتقبله منه بل هو فى يد الحق تعالى وتصريفه وحده لم يخرج وموضوع القبول انما هو ممن يأتى بشئ ليس فى مشهده انه فى ملك الحق * قال الشيخ والذى اقول به تصور التوبة مع هذا الكشف ويكون الله تعالى هنا هو التواب على العبد لا العبد انتهى (قلت) والذى ظهر لى ان الجزء البشرى المنوط به التكليف يدق ولا ينقطع فلا بد من شهود العبد نسبة الفعل اليه من ذلك الوجه وبه صحت مؤاخذته فان الله لا يؤاخذ العبد الا بحسب دعواه من جزء بشريته والله أعلم

(المبحث السابع والخمسون فى بيان ميزان الخواطر الواردة على القلب)

قال فى جمع الجوامع لابن السبكى رحمه الله واذا القى فى قلبك يا أخى أمر فزنه بميزان الشرع ولا يخلو ذلك من ثلاثة أحوال اما أن يكون مأمورا به او منهيا عنه أو مشكوكا فيه قال ويعبر عن هذا الذى القى فى القلب بالخاطر فى اصطلاح العلماء فالحال الاول وهو ان يكون مأمورا به فلا ينبغى التأخير فيه بل يبادر العبد الى فعله لانه من الرحمن تبارك وتعالى رحم العبد به ان أراد به الخير حيث اخطره بباله ليفعله فان خشى العبد وقوعه منه على صفة منهية كعجب ورياء فلا بأس عليه فى قوع ذلك العمل على تلك الصفة لان افتتاح هذا العمل أولا على الاخلاص لكن لا تكون تلك الصفة المذمومة مقصودة له فان أوقعها قاصدا للرياء مثلا كان عليه اثم ذلك فليستغفر منه وجوبا والحال الثانى وهو أن يكون الخاطر منهيا عنه فلا تنبغى المبادرة الى فعله بل يجب على العبد أن يرده المرة بعد المرة فانه من الشيطان فان مال العبد الى فعله ولكن لم يقع فليستغفر الله من هذا الميل والحال الثالث أن يكون ما القى فى القلب مشكوكا فيه بان لم يظهر للعبد اهو مامور به أو منهى عنه فمن الادب الامساك عن العمل به حذرا من الوقوع فى المنهى ومن ثم قال الشيخ أبو محمد الجوينى رحمه الله اذا شك المتوضئ ايغسل ثالثة فيكون مأمورا بها أم رابعة فيكون منهيا عنها فلا يغسل خوف الوقوع فى المنهى عنه قال الكمال فى حاشيته والمعتمد انه يغسل

لان التثليث مأموربه ولم يتحقق قبل هذه الغسلة فيأتى به انتهى كلام شرح جمع الجوامع وحاشيته * وأما كلام الشيخ محيي الدين فى الخواطر فقال فى الباب الرابع والستين ومائتين اعلم ان الله تعالى سفراء الى قلب عبده يسمون الخواطر لا اقامة لهم فى قلب العبد الازمان مرورهم عليه فيؤدون ما أرسلوا به الى ذلك العبد من غير اقامة بذواتهم وهم سبعون ألف خاطر فى اليوم والليلة على عدد من يدخل البيت المعمور كل يوم لا يزيدون ولا ينقصون فلا تغفل يا أخى عن هؤلاء السفراء فانهم يمرون بساحتك ضيوفا ولا يثبتون فان وجدوك متصفا باليقظة فهو المقصود وان وجدوك متصفا بالغفلة نفروا فى مرورهم على بابك لتتيقظ فان تيقظت فانهم لا يفوتونك وان لم تتيقظ لنفرهم تركوك ورجعوا الى ربهم وأطال فى ذلك ثم قال وعدّة الخواطر خمسة جعلها الحق تعالى لك لتمشى عليها على القلب وتمشى على الطريق الواحد وجوبا والثانى ندبا والثالث خطرا والرابع كراهة والخامس اباحة وجعل الله تعالى فى كل طريق من هذه الطرق ملكا يقابل الشيطان يأمر العبد بضدّ ما يأمره به الشيطان ما عدا طريق الاباحة انتهى (فان قلت) فهل عفو الله تعالى عن هذه الخواطر فى حق كل الناس ام العفو خاص ببعضهم (فالجواب) هو خاص ببعضهم عند من يقول ان قوله تعالى ان تبدوا ما فى انفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله غير منسوخة أو منسوخة فى حق العامة دون الخاصة أما عند من يقول انها منسوخة فهى عامة فى حق كل الامة ولكن كتب القوم مشحونة بالمؤاخذة لهم بالخواطر فى هذه الدار وذكر الشيخ فى الباب الثانى والعشرين وار بعمائة ما نصه اعلم ان الله تعالى قد عفى عن الخواطر التى لا تستقرّ عندنا الا بمكة شرفها الله تعالى لان الشرع وردان الحق تعالى يؤاخذ من أراد الظلم فيها قال وهذا كان سبب سكنى عبد الله بن عباس بالطائف احتياطا لنفسه رضى الله عنه فان الانسان ليس فى قدرته أن يمنع قلبه عن الخواطر التى تناقض مقامه الا أن يكون معصوما أو محفوظا وانما نكر فى الآية قوله بظلم ليجتنب الساكن بالحرم كل ظلم انتهى وقال فى علوم الباب التاسع والستين وثلثمائة اعلم ان حديث النفس انما كان مغفورا اذا لم يعمل أو يتكلم والكلام عمل فيؤاخذ به العبد من حيث ما هو متلفظ به كالغيبة والنميمة فان العبد يؤاخذ بذلك و يسأل عنه من حيث لسانه ولا يدخل الهم بالشئ فى حديث النفس لان الهم بالشئ له حكم آخر فى الشرع خلاف حديث النفس ولذلك موطن كمن يرد فى الحرم المكى الحادا بظلم فان الله اخبر انه يذقه من عذاب اليم سواء أوقع منه ذلك الظلم الذى أراده ام لم يقع وأما فى غير المسجد الحرام المكى فانه غير مؤاخذ بالهم فان لم يفعل ما هم به كتبت له حسنة اذا تركه ذلك خاصة فان لم يتركها من اجل الله لم يكتب له ولا عليه فهذا هو الفرق بين حديث النفس والارادة التى هى الهم انتهى (فان قلت) فما حكم من كثرت عليه وسوسة الشيطان فى الصلاة (فالجواب) كما قاله الشيخ فى باب صلاة شدّة الخوف من الفتوحات ان حكمه حكم المصلى صلاة شدّة الخوف فهو وأى الشيطان مع المصلى فى حرب عظيم فيصلى من هذه حالته ولو قطع الصلاة

كلها في محاربة الشيطان فيؤدي الاركان الظاهرة كما شرعت بالقدر الذي له من الحضور انه في الصلاة في باطنه كما يؤدي المجاهد الصلاة حال المسابقة بباطنه كما شرعت بالقدر الذي له من الصلاة في ظاهره من الايماء بعينيه والتكبير بلسانه في جهاد عدوه الظاهر فان وسوس له الشيطان في ذلك لم يضره وسوسته في صلاته فان كان قد جعل المصلي في نفسه انه يصلي رياء وسمعة وكان قد اخلص في أوّل شروعه في الصلاة فلا يبالي فان الاصل صحيح في أوّل نسيانه صورة الصلاة فلا يبطل عمله وغرض الشيطان بذلك الخاطر انما هو أن يترك العبد العمل الذي شرع فيه العبد على صحة ليخالف قوله تعالى ولا تبطلوا أعمالكم بسبب تلك الشبهة التي يلقيها الى قلب العبد انتهى (فان قلت) فما محل مخالفة النفس من الاحكام (فالجواب) محل مخالفتها في ثلاثة امور في المباح والمكروه والمحظور لا غير كما ذكره الشيخ في الباب الثاني عشر ومائة قال وأما اذا وقعت لها لذة عظيمة في طاعة مخصوصة وعمل مقرب فهنالك علة خفية فتخالفها بطاعة اخرى وعمل مقرب فان استوى عندها جميع التصرفات في فنون من العبادات سلمنا لها تلك اللذة في تلك الطاعة الخاصة وان وجدت المشقة في العمل المقرب الآخر الذي هو خلاف هذا العمل فالعدول الى الشاق واجب لانها ان اعتادت المساعدة في مثل هذا انتقلت الى المساعدة في المحظور والمكروه والمباح قال واذا فكر خبيث السريرة انه يفعل سوأ اذا فرغ من الصلاة مع كونه مؤمنا فالصلاة صحيحة وهو ممن حدث نفسه بسوء وقد عفا الله عنه مالم يعمله انتهى (فان قلت) فكم ينقسم الخاطر الشيطاني الى قسم (فالجواب) ينقسم الى قسمين حسي ومعنوي ثم الحسي ينقسم الى قسمين لان الشياطين قسمان شيطان انسي وشيطان جني قال تعالى شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا ولو شاء ربك مافعلوه فذرهم ومايفترون فجعلهم أهل افتراء على الله وحدث بين هذين الشيطانين في الانسان شيطان آخر معنوي وذلك ان شيطان الانس والجن اذا ألقى في قلب الانسان امرا عاما يبعده بذلك عن الله فقد يلقي أمرا خاصا أو خصوص مسئلة بعينها وقد يلقي أمرا عاما ويتركه فان كان أمرا عاما فتح له في ذلك طريقا الى امور لا يتفطن لها الجني ولا الانسي يتفقه فيه ويستنبط من تلك الشبه امورا اذا تكلم بها يعلم ابليس الغواية منها فتلك الوجوه التي تنفتح له في ذلك الاسلوب العام الذي القاه اليه أولا شيطان الانس او شيطان الجن تسمى الشياطين المعنوية اذ كل واحد من شياطين الانس والجن يجهل ذلك ولم يقصدوه على التعيين وانما ارادوا بالقصد الاول فتح هذا الباب على الانسان لانهم علموا ان في قوته وفطنته ان يدقق النظر فيه فينقدح له من المعاني المهلكة مالا يقدر على ردها بعد ذلك وسببه الاصل الاول فانه اتخذه اصلا صحيحا عول عليه فلم يزل انتفقه فيه يسوقه حتى خرج به عن ذلك الاصل قال وعلى هذا جرى أهل البدع والاهواء فان الشياطين القت اليهم أولا اصلا صحيحا لا يشكون فيه ثم طرات عليهم التلبيسات من عدم الفهم حتى ضلوا فنسبت ذلك الى الشيطان بحكم الاصل وما علموا ان الشيطان في تلك المسئلة تلميذهم يتعلم منهم قال

واكثر ما ظهر ذلك فى الشيعة ولا سيما فى الامامية منهم فادخلت عليهم الشياطين اولا حب أهل البيت واستفراغ الحب فيهم ورأوا أن ذلك من اسنى القربات الى الله تعالى والى رسوله وكذلك هو ولو وقفوا ولم يزيدوا عليه بغض الصحابة وسبهم واطال فى ذلك ثم قال وبالجملة فكل شخص لا يفرق بين الخواطر لا يفلح فى طريق أهل الله ابدا فانه ليس غرض الشيطان من الصالحين الا أن يجهلوه فى الخواطر المذمومة فيأخذوا عنه مايلقيه اليهم من الضلالات والشبه انتهى وتقدم فى المبحث الثالث والعشرين فى اثبات بحث زيادة على ذلك وكذلك فى مبحث الولاية فراجعه والله أعلم

(المبحث الثامن والخمسون فى بيان عدم تكفير أحد من أهل القبلة بذنبه أو ببدعته وبيان ان ماورد فى تكفيرهم منسوخ أو مؤول أو تغليظ وتشديد كقوله تعالى ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الكافرون)

قال بن عباس وغيره هو كفر لا ينقل عن الاسلام ومن أمثلة ماورد التكفير به من الذنوب شرب الخمر واتيان الساحر والكاهن ومن امثلة ماقيل التكفير به من البدع انكار صفات الله تعالى اوخلقه افعال عباده اوعدم جواز رؤيته يوم القيامة فان من العلماء من كفر هؤلاء * اما من خرج ببدعته من اهل القبلة كمنكرى حدوث العالم ومنكرى البعث للنشر والحشر للاجسام والعلم بالجزئيات على مامر فى مبحث اسمه تعالى العالم فلا نزاع فى كفرهم لانكارهم بعض ماعلم مجيء الرسول به ضرورة * قال الكمال فى حاشيته على شرح جمع الجوامع وقد عزى بكفر اهل البدع والذنوب من اهل القبلة الى الاشعرى وقال الشيخ عزالدين ابن عبد السلام وغيره قد رجع الشيخ ابو الحسن الاشعرى قبل موته عن تكفير احد من اهل القبلة قال لان الجهل بالصفات ليس جهلا بالموصوف وقال قد اختلفنا فى عبارات كثيرة والمشار اليه واحد * قال الشيخ كمال الدين ابن ابى شريف ومن قال منا بأن لازم المذهب مذهب كفر المبتدعة الذين يلزم مذهبهم ماهو كفر فان المجسمة مثلا عبدوا جسما وهو غير الله تعالى بيقين ومن عبد غير الله كفر قال واما المعتزلة فانهم وان اعترفوا باحكام الصفات فقد انكروا الصفات ويلزم من انكار الصفات انكار احكامها فهم كفار بذلك * قال الكمال والصحيح ان لازم المذهب ليس بمذهب وانه لا كفر بمجرد اللزوم لان اللزوم غير الالتزام وقد وقع فى المواقف مايقتضى تقييده بما اذا لم يعلم ذو المذهب اللزوم وبان اللازم كفر فانه قال من يلزمه الكفر ولا يعلم به ليس بكافر انتهى ومفهومه أن علمه كفر لالتزامه اياه والله اعلم انتهى وقد ذكر الشيخ ابو طاهر القزوينى فى كتابه سراج العقول انه روى فى بعض طرق حديث ستفترق امتى على نيف وسبعين فرقة كلها فى النار الا واحدة مانصه كلها فى الجنة الا واحدة رواها ابن النجار قال العلماء والمراد بهذه الواحدة التى هى فى النار هم الزنادقة قال القزوينى وعلى هذه الرواية فيكون معنى الرواية المشهورة كلها فى النار الا واحدة أى فى النار ورودهم وذلك فى مرورهم على الصراط ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا والظالمون هم الكافرون فلا ينبغى لمتدين ان يكفر احدا

من أهل الفرق الخارجة عن طريق الاستقامة ماداموا مسلمين يتدينون بأحكام اهل الاسلام . قال وامهات هذه الفرق الواردة فى الحديث المتقدم ستة مشبهة معطلة جبرية قدرية رافضة خوارج وكل طائفة من هذه الستة قد تشعبت اثنى عشر فرقة فاضرب الستة فى اثنى عشر فما خرج فهو العدد الذى اشار اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثم لا يخفى ان الكفر هو ضد الايمان قال تعالى فمنهم من آمن ومنهم من كفر والايمان هو التصديق بالرسول وبما جاء به والكفر هو التكذيب لانه مخالفة نص مقطوع به او مخالفة الاجماع وفيهما جميعا تكذيب الرسول ثم ان التكذيب ينقسم الى أربعة أقسام * الاول تكذيب اليهود والنصارى وذلك كفر لا شك فيه * الثانى تكذيب المنكرين لاصل النبوّة وتكفيرهم يكون على الطريق الاولى لانهم كذبوا جميع الانبياء ومن أهل هذا القسم الدهرية لانهم كذبوا بالله وبالرسل جميعا ومنهم ايضا الملاحدة لانهم لبسوا التكذيب فى صورة التصديق فعلقوا معرفة الله بمعرفة الرسول وقد علم قطعا ان معرفة الرسول معلقة بمعرفة المرسل فتكون المسئلة دورية لا يمكن اثبات واحد منهما وفى ضمن دعواهم هذه نفى الرسول والمرسل جميعا وتبعهم اقوام على هذا الاعتقاد فانكروا الشرائع واباحوا نكاح الامهات والبنات وقالوا ما ثم الا فروج تدفع وارض تبلع فالتحقوا بالمجوس والدهرية * القسم الثالث قوم صدقوا الرسول ولكن اعتقدوا ان جميع ما اخبر به الرسل من الشرائع ومنكر ونكير والحشر والنشر ونحو ذلك انما هو على طريق المصالح للخلق وهم الفلاسفة وكفرهم من حيث تجويزهم الكذب على الانبياء عليهم الصلاة والسلام وفى ذلك سد باب النبوّة أصلا اذ يبطل الثقة بقولهم فيجب تكفيرهم بالطريق الاولى ويقرب من أهل هذا القسم الحلولية الذين يزعمون أن روح الاله حلت فيهم وان لله تعالى أعضاء على صورة حروف الهجاء وكذلك يقرب منهم الخطابية التى ادّعت الالوهية لجعفر ابن محمد الصادق وكذلك الصابئة ادّعوها لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه فأمر على بن ابى طالب باحراقهم بالنار فصاروا يصرخون فى النار الآن تحققنا انك اله فلما اطلع ائمة الشريعة على هذه الفضائح الشنيعة الحقوا القدرية بالمجوس والحلولية بأهل الردة والمجسمة بعبدة الاوثان فيستتابون وينبهون على ان ذلك كفر فان اصروا ولم يرجعوا عقد السلطان لهم مجلسا وفعل بهم ما اتفق رأى العلماء عليه من قتل او عقوبة وليس ذلك لآحاد الرعية باجماع الامة * القسم الرابع قوم صدّقوا الرسول فى قوله ولكنهم اخطأوا فى التأويل مع كونهم من أهل القبلة كالمعتزلة والنجارية والروافض والخوارج والمشبهة ونحوهم وقد اختلف الائمة هل الخطأ فى التأويل يبلغ حد التكفير فيبلغوا التكفير أم لا فصاروا فى ذلك فرقتين * الفرقة الاولى زعمت ان من خالف الرسول فى شئ أخبر به فقد كذبه سواء كان بمجرد الانكار او الخطأ فى التأويل واجروا عليهم بذلك أحكام الكفرة ولم يميزوا بين الغلاة منهم وبين المقتصدين وهؤلاء مع ما ضيقوا من رحمة الله التى وسعت كل شئ لم يتابعهم الجمهور من

العلماء والخلفاء ولم يهرقوا دماء القوم بقولهم ولا استباحوا أموالهم ولا حريمهم بفتواهم بل اجروا عليهم أحكام المسلمين الى عصرنا هذا لدخولهم في صدق اسم المسلمين عليهم وهم من أمة الاجابة بلا شك فمن سماهم كفرة فقد غلط وتعدى وانما يقال فيهم فسقة ضالة مبتدعة مخطئة ونحو ذلك ومن سماهم كفرة فانما ذلك على سبيل التشديد والتغليظ لما هم عليه من الخطأ الفاحش والبدع الشنيعة فشبه ذلك بالكفر لمقاربته له كما ورد في الحديث المرائى القرآن كفر وكما ورد بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة ومن ترك الصلاة متعمدا فقد كفر واذا قال المسلم للمسلم يا كافر فقد كفر لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ونحو ذلك فانه كله ورد على وجه التغليظ والزجر فان الشئ قد يطلق على الشئ الآخر بنوع شبه ولا يقتضى حقيقة الحكم عند التفصيل كما يقول الشخص لاجنبى أنت أخى أو ولدى على طريق التقريب والاكرام ثم لا يرثه اذا مات ولا يحرم عليه بناته وأخواته وكما يقول الرجل لآخر انا عبدك على معنى التواضع والطاعة ولا يجوز له بذلك القول بيعه ولا امتلاكه انتهى (قلت) لكن فى فتاوى الامام الكردى فى آخر ألفاظ التكفير بعد ما قاله أئمة الحنفية من المكفرات ما نصه ويحكى عن بعض من لا ساق له انه كان يقول ما ذكر فى الفتاوى أن فلانا يكفر بكذا انما هو للتخويف والتهويل لا لحقيقة الكفر قال وهذا كلام باطل وحاشى أن يلعب أمناء الله أعنى علماء الاحكام بالحلال والحرام والكفر والاسلام بل لا يقولون الا الحق الثابت عن سيد الانام محمد صلى الله عليه وسلم أو ما أدى اجتهاد الامام آخذا من نص القرآن أنزله الملك العلام وشرعه سيد الرسل العظام أو قاله الصحب الكرام قال هذا الذى حررته هو كلام المشايخ السابقين العظام بوءهم الله بفضله دار السلام * انتهى كلامه وما عليه الجمهور أولى فان منازع الفرق دقيقة على غالب الناس وكيف يقتل رجلا يقول ربى الله ومحمد نبيي ويؤمن بالحشر والحساب والله تعالى أعلم * الفرقة الثانية من الائمة قد أمسكت عن القول بتكفير المؤولين ولم يجعلوا أحدا منهم كافرا ولا مكذبا للرسل وقالوا لو كان المؤولون مكذبين للرسل كالكفرة لم يعتنوا بتأويل كلامه صلى الله عليه وسلم ولم يشتغلوا به بل كانوا يضربون عنه صفحا فأشعر عدولهم الى تأويله بأنهم قبلوه وصدقوا به غير انهم لم يوفقوا للصواب فى تأويله فأخطأوا فيه فكان حكمهم حكم من فر من الكفر فوقع فى البدعة بخطائه قال أبو سليمان الخطابى رحمه الله وأول ما وقع مفارقة أهل السنة فى زمن الامام على رضى الله عنه وكان هؤلاء المخالفون هم الذين أخبر عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية قال وقد سئل الامام على رضى الله عنه عنهم أكفار هم فقال لا انهم من الكفر فروا فقيل أمنافقون هم فقال لا ان المنافقين لا يذكرون الله الا قليلا وهؤلاء يذكرون الله كثيرا فقيل أى شئ هم فقال قوم أصابتهم فتنة فعموا فيها وصموا قال الخطابى وانما لم يجعلهم كفارا لانهم تعلقوا بضرب من التأويل والمراد بقوله صلى الله عليه وسلم يمرقون من الدين أى الطاعة كما قال تعالى ما كان ليأخذ أخاه فى دين الملك أى طاعته قال وحجة من قال بعدم تكفير

المتأولين انه قد ثبت عصمة دمائهم وأموالهم بقولهم لا اله الا الله محمد رسول الله ولم يثبت لنا ان الخطأ في التأويل كفر والا فلا بد من دليل على ذلك من نص أو اجماع أو قياس صحيح على أصل صحيح من نص أو اجماع ولم نجد من ذلك شيئا فبقى القوم على الاسلام فان اتفق في زمان وجود مجتهد تكاملت فيه شروط الاجتهاد كالائمة الاربعة وبان له دليل قاطع ان الخطأ في التأويل موجب للكفر كفرناهم بقوله وهيهات ان يوجد مثل ذلك في مثل هذه الازمان انتهى وقد سئل الامام المزني رحمه الله عن مسئلة في علم العقائد فقال حتى انظروا تثبت فانه دين الله وكان ينكر على من يبادر الى تكفير أهل الاهواء والبدع ويقول ان المسائل التي يدعون فيها الطاف تدق عن النظر العقلي وكان امام الحرمين رحمه الله يقول لو قيل لنا فصلوا ما يقتضي التكفير من العبارات مما لا يقتضيه لقلنا هذا الجمع طمع في غير مطمع فان هذا بعيد المدرك وعزيز المسلك يستمد من تيار بحار التوحيد ومن لم يحط علما بنهايات الحقائق لم يتحصل من دلائل التكفير على وثائق وكان ابو المحاسن الروياني وغيره من علماء بغداد قاطبة يقولون لا يكفر أحد من أهل المذاهب الاسلامية لان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا واكل ذبيحتنا فله ما لنا وعليه ما علينا انتهى (قلت) وقد رأيت سؤالا بخط الشيخ شهاب الدين الازرعي صاحب القوت قدمه الى شيخ الاسلام الشيخ تقي الدين السبكي رحمه الله وصورته ما يقول سيدنا ومولانا شيخ الاسلام في تكفير أهل الاهواء والبدع * فكتب اليه اعلم يا أخي وفقني الله واياك ان الاقدام على تكفير المؤمنين عسر جدا وكل من في قلبه ايمان يستعظم القول بتكفير أهل الاهواء والبدع مع قولهم لا اله الا الله محمد رسول الله فان التكفير أمر هائل عظيم الخطر ومن كفر انسانا فكأنه اخبر عن ذلك الانسان بأن عاقبته في الآخرة العقوبة الدائمة أبد الآبدين وانه في الدنيا مباح الدم والمال لا يمكن من نكاح مسلمة ولا تجري عليه احكام أهل الاسلام في حياته ولا بعد مماته والخطأ في قتل مسلم ارجح في الاثم من ترك قتل ألف كافر ثم ان تلك المسائل التي يحكم فيها بالتكفير لهؤلاء المبتدعة في غاية الدقة والغموض لكثرة شعبها ودقة مداركها واختلاف قرائنها وتفاوت دواعي أهلها ويحتاج من يحيط بالحق فيها الى الاستقصاء في معرفة الخطأ بسائر صنوف وجوهه والى الاطلاع على حقائق التأويل وشرائطه في الاماكن ومعرفة الالفاظ المحتملة للتأويل وغير المحتملة وذلك يستدعي معرفة جميع طرق اهل اللسان من سائر قبائل العرب في حقائقها ومجازاتها واستعاراتها ومعرفة دقائق الامور في علم التوحيد الى غير ذلك مما هو متعذر جدا على غالب العلماء فضلا عن غيرهم وأطال في ذلك ثم قال فعلم ان القول بتكفير أهل الاهواء والبدع يحتاج الى أمرين عزيزين أحدهما تحرير المعتقد وهو صعب من جهة عدم الاطلاع على ما في القلب وتخليصه مما يشوبه مع تعذر ان الشخص ينطق عند حاكم بما يعرف ان به يكون قتله هذا أمر اعز من الكبريت الاحمر وكذلك البينة على ما في قلب الشخص

يتعذر

يتعذر اقامتها * الثاني ان الحكم بان ذلك كفر صعب من جهة صعوبة علم الكلام ومواطن الاستنباط وتمييز الحق فيه من غيره وانما يحصل ذلك لرجل جمع صحة الذهن ورياضة النفس حتى خرج عن الهواء والتعصب بالكلية مع امتلائه من علوم الشريعة والاطلاع على اسرارها ومنازع الائمة المجتهدين فيها وهذا قل أن يوجد الآن عند شخص واذا كان الانسان يعجز عن تحرير اعتقاد نفسه في عبارة فكيف يقدر على تحرير اعتقاد غيره في عبارة فالادب من كل مؤمن أن لا يكفر أحدا من أهل الاهواء والبدع لاسيما وغالب أهل الاهواء انما هم عوام مقلدون لبعضهم بعضا لا يعرفون دليلا يناقض اعتقادهم اللهم الا أن يخالفوا النصوص الصريحة التي لا تحتمل التأويل عنادا وجدا فللعلماء في ذلك النظر انتهى كلام الشيخ تقي الدين السبكي ومن خطه نقلت رحمه الله وهو كلام في غاية الجودة والنفاسة * وكان الامام أحمد بن زاهر السرخسي أخص اصحاب الشيخ أبي الحسن الاشعري يقول لما حضرت الوفاة أبا الحسن الاشعري في داري ببغداد أمر بجمع اصحابه ثم قال اشهدوا علي انني لا اكفر أحدا من أهل القبلة بذنب لاني رأيتهم كلهم يشيرون الى معبود واحد والاسلام يشملهم ويعمهم انتهى فانظر كيف سماهم مسلمين والله تعالى اعلم * (خاتمة) * أخبرني شيخنا الامام العالم المحدث الشيخ امين الدين امام جامع الغمري بمصر المحروسة ان شخصا وقع في عبارة في التوحيد ظاهرها مخالف للشريعة فعقدوا له مجلسا بحضرة السلطان بمصر فافتى العلماء بكفره وكان الشيخ جلال الدين المحلي غائبا عن المجلس فلما حضر قال من افتى بقتل هذا فقال شيخ الاسلام صالح البلقيني وجماعة نحن افتينا بذلك فقال لهم ما دليلكم في ذلك فقال الشيخ صالح افتى بذلك والدي شيخ الاسلام سراج الدين البلقيني في نظير هذه الواقعة فقال تقتلون رجلا مسلما موحدا يقول ربي الله ومحمد رسول الله بيننا بفتوى والدك ثم أخذ بيد الرجل ونزل به من القلعة فما تجرأ أحد يتبعه رضي الله عنه وقال شيخ الاسلام بالشام سراج الدين المخزومي افتيت مرة بقتل يهودي انتقص رسول الله صلى الله عليه وسلم فعاتبني على ذلك شيخ الاسلام جلال الدين البلقيني وقال هلا كنت بعثت به الى المالكية ليتقلدوا أمره وارحت نفسك من تبعته قال المخزومي رحمه الله وقد أفتى شيخنا شيخ الاسلام شهاب الدين الزهري رحمه الله بقتل رجل سب امنا عائشة وكان قد نهاه فلم ينته فلما خرجوا به يجرونه للقتل قال بأعلى صوته يا زهري ما حجتك عند الله اتقتلون رجلا يقول ربي الله ومحمد رسول الله نبيي فكان الزهري بعد ذلك لا يزال يذكر قوله ويبكي ويقول اني اخاف من قتل ذلك الرجل ان يؤاخذني الله به يوم القيامة انتهى هذا الخوف في حق من سب من صرح القرآن ببراءتها فكيف بمن يتجرأ على الافتاء بقتل احد من اولياء الله تعالى بعبارة لم يفهمها على وجهها الغلط حجابه * وكان الامام الغزالي رحمه الله يقول من اكبر الآثام تخطئة العلماء من غير اطلاع على مرادهم وحمل كلامهم على حال قد لا يرتضونها وقال في كتابه المنقذ من الضلال انما يجب على العلماء بيان ما تبين لهم انه الحق لا ما لا

يتبين لهم * وقال شيخ الاسلام المخزومي قد نص الامام الشافعي على عدم تكفير أهل الاهواء في رسالته فقال لا أكفر أهل الاهواء بذنب وفي رواية عنه ولا أكفر احدا من أهل القبلة بذنب وفي رواية أخرى عنه ولا أكفر اهل التأويل المخالف للظاهر بذنب قال المخزومي رحمه الله أراد الامام الشافعي رحمه الله بأهل الاهواء أصحاب التأويل المحتمل كالمعتزلة والمرجئة واراد بأهل القبلة أهل التوحيد انتهى فقد علمت يا اخي مما قررناه لك في هذا المبحث ان جميع العلماء المتدينين امسكوا عن القول بالتكفير لاحد من اهل القبلة بذنب فبهداهم اقتده والله تعالى أعلم

(المبحث التاسع والخمسون في بيان جميع ان ملاذ الكفار في الدنيا من اكل وشرب وجماع وغير ذلك) كله استدراج من الله تعالى

حيث يلذه مع علمه باصراره على الكفر الى الموت فهي نقمة عليه يعذب بها عذابا زائدا على عذاب الكفر وقالت المعتزلة انها نعمة يترتب عليها الشكر وقال بعض المحققين جميع مايرزقه الله للكافر ليس لكرامة ولا اهانة وانما ذلك لسبق العلم بأنه يرزقه مايقوم بدنه حتى يفعل جميع ماكتبه له أو عليه انتهى قالوا وجميع مايفعله الكافر من الخيرات يجازيه الله عليه في دار الدنيا من صحة في البدن وتوسعة في الرزق وغير ذلك وليس له في الآخرة من نصيب فانه تعالى اخبر انه لا يضيع أجر من أحسن عملا لوسع كرمه ثم ان ختم الله لذلك الكافر بالاسلام أثيب على كل عمل لا يشترط فيه النية كحفر الآبار للعطش واطعام الجائع وقرى الضعيف وصلة الرحم والعتق زيادة على ثواب الاعمال الاسلامية كما قال صلى الله عليه وسلم لحكيم ابن حزام حين أسلم اسلمت على ماسلف لك من خير وكان قد سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الامور وانه تبرر بها في الجاهلية وهذا ما عليه الجمهور وقال الامدي في الابكار لا نعلم خلافا بين اصحابنا انه تعالى ليس له على من علم اصراره على الكفر نعمة دينية ابدا واما النعمة الدنيوية فللاشعري فيها قولان وميل القاضي ابي بكر الى الاثبات ثم اشار الى ان الخلاف لفظي فمن نفى النعم لا ينكر الملاذ في الدنيا وتحقيق اسباب الهداية غير انه لا يسميها نعما لما يعقبها من الهلاك ومن أثبت كونها نعما لا ينازع في تعقيب الهلاك لها غير انه سماه نعما للصورة وكان ابو العباس السارى رضي الله عنه يقول عطاء الحق للمؤمن على نوعين كرامة واستدراج فما أبقاه عليك فهو كرامة وما أزاله عنك تبين انه استدراج قالوا والالم يقابل اللذة واختلفوا فيه هل هو وجودي او عدمي ولكل منهما وجه قالوا وأعلى اللذات اللذة العقلية وهي الحاصلة بسبب معرفة الاشياء والوقوف على حقائقها وهي اللذة على الحقيقة وعلى هذا فاللذة محصورة في المعارف وقال أبو زكريا الطبيب ان اللذة امر عدمي وهو الخلاص من الالم وضعف هذا القول بان الانسان قد يلتذ بالشئ من غير سبق الم كما اذا وقع بصره على صورة حسنة فانه يلتذ بابصارها مع انه لم يكن له شعور بها حتى تجعل تلك اللذة مخلصة من الم الشوق اليها وكذلك من وقف على مسئلة علم او كنز مال فجاءه من غير خطور ذلك بالبال والم الشوق اليهما وقال

السمرقندى فى الصحايف الحق أن الادراك ليس هو نفس اللذة بل ملزومها وفى المحصول ان الصواب انها لا تحد لانها من الامور الوجدانية وعليه مشى فى الطوالع وقال الشيخ عز الدين ابن عبد السلام هذا مخصص بدار المحنة واما دار الكرامة التى هى الجنة فان اللذة تحصل فيها من غير ألم يتقدمها أو يقترن بها لان العادات خرقت فيها فيجد أهل الجنة لذة الشرب من غير عطش ولذة الطعام من غير جوع وكذلك القول فى العقوبات فان اقل عقوبات الآخرة لا يبقى معها فى هذه الدار حياة واما الدار الآخرة فيأتى احدهم اسباب الموت من كل مكان وما هو بميت والله تعالى اعلم

(المبحث الستون فى بيان وجوب نصب الامام الاعظم ونوابه ووجوب طاعته وانه لا يجوز الخروج عليه وان وجوب نصبه علينا لا على الله عزوجل وانه لا يشترط كون الامام افضل أهل الزمان بل يجب علينا نصبه ولو مفضولا وذلك ليقوم بمصالح المسلمين)

كسد الثغور وتجهيز الجيوش وقهر المتغلبة والمتلصصة وقطاع الطريق وقطع المنازعات الواقعة بين الخصوم وحفظ جميع مصالح الناس الدينية والدنيوية فلولا الامام الاعظم ما زجر الناس عما يضرهم ولا نفذت احكامهم ولا اقيمت حدودهم ولا قسمت غنائمهم وقد أجمع الصحابة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على نصبه حتى جعلوه أهم الواجبات وقدموه على دفنه صلى الله عليه وسلم ولم تزل الناس فى كل عصر على ذلك ويؤيد ذلك أيضا عدة أحاديث منها حديث مسلم من خلع يدا من طاعة لقى الله يوم القيامة ولا حجة له ومن مات وليس فى عنقه بيعة مات ميتة جاهلية * وقال الكمال فى حاشيته نصب الامام واجب سماعا أى شرعا لا عقلا وقال أصحاب الجاحظ والبلخى والبصرى من المعتزلة بوجوب نصب الامام على الحق تعالى عقلا لانهم يقولون الضرر مع عدم الامام متوقع من الظلمة على الضعفاء ودفع الضرر المظنون واجب عقلا وذلك انما يندفع بنصب امام يقوم بأحكام الشرع وهم موافقون لاهل السنة فى تعيين الائمة وأما أهل السنة فذهبوا الى أن الامام يعرف بأمور اما بنصب من يجب أن يقبل قوله كنبى أو امام أو باجماع المسلمين * وكان الامام بعد النبى صلى الله عليه وسلم بالاجماع ابا بكر الصديق * ثم عمر الفاروق بنص أبى بكر عليه * ثم عثمان بنص عمر على جماعة جعل امر الخلافة شورى بينهم فانه لم يستخلف احدا فاجتمع الناس على امامة عثمان * ثم عليا المرتضى واجمع المعتبرون من الصحابة على ذلك وهؤلاء هم الخلفاء الراشدون ثم وقعت المخالفة بين الحسن ومعاوية وصالحه الحسن واستقرت الخلافة عليه ثم على من بعده من بنى اميه وبنى مروان حتى انتقلت الخلافة الى بنى العباس واجمع اكثر أهل الحل والعقد عليهم وانساقت الخلافة منهم الى ان جرى ما جرى * واما قول بعض الروافض ان ابا بكر غصب الخلافة وتقدم على على رضى الله عنه ظلما فهو باطل يلزم منه اجتماع الصحابة على الظلم حيث مكنوا أبا بكر من الخلافة وحاشاهم من ذلك فانهم حماة الدين وقالت

الخوارج والاصم من المعتزلة لا يجب على الناس نصب امام * ومنهم من قال بوجوب نصبه عند ظهور الفتن دون زمن الامن و بعضهم عكس الامر * وقالت الشيعة المسمون بالامامية بوجوب نصب الامام على الله تعالى والحق انه لا يجب على الله تعالى شئ ولو أوجبه على نفسه او حرمه كما فى قوله تعالى وكان حقا علينا نصر المؤمنين وكما فى قوله تعالى فى الحديث القدسى انى حرمت الظلم على نفسى وذلك لان حضرته لا تقبل التحجير سبحانه وتعالى و بذلك باين خلقه اذ التحجير لا يكون الا من أعلى على أدنى فافهم * وقالت المعتزلة يجب على الله تعالى أشياء يترتب الذم بتركها منها الجزاء أى الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية * ومنها اللطف بأن يفعل بعباده ما يقويهم على الطاعة ويقربهم منها ويبعدهم عن المعصية بحيث لا ينتهون الى حد الالجاء * ومنها فعل الاصلح لهم فى الدنيا من حيث الحكمة وقولنا فى ترجمة المبحث لا يجوز الخروج على السلطان قد خالفنا فيه المعتزلة فجوزوا الخروج على السلطان الجائر بناء على انعزاله بالجور عندهم وقولنا يجب نصب الامام ولو مفضولا قد خالفنا قوم فى ذلك فقالوا لا يكفى نصب الامام المفضول مع وجود الفاضل بل يتعين نصب الفاضل ونقل ذلك عن الاسماعيلية وهم قوم منسوبون الى اسماعيل بن الامام جعفر الصادق المدفون بالقرب من البقيع و يسمون بالباطنية وبالملاحدة أما الباطنية فلكونهم يقولون لكل ظاهر باطن وأما تلقيبهم بالملاحدة فلعدولهم عن ظواهر الشريعة الى بواطنها فى بعض الاحوال * واعلم ان بعضهم جعل كلام بعض الصوفية فى دقائق العلوم كمذهب الباطنية سواء والحق ان بينهما فرقا فان الصوفية لا يعتمدون قط على باطن الا ان وافق ظاهر الشريعة والارموا به وكتبهم مشحونة بذلك بخلاف الباطنية يعتمدون ما انتحله اكابرهم سواء وافق الشريعة اوخالفها فافهم وقد تقدم فى مبحث الكلام على القطب والافراد انه قد يكون من الافراد من هو اكمل من القطب لان القطب لم ينل هذا المقام بفضله على الكافة من الاولياء وانما هو لسبق العلم بأنه لا بد فى العالم من واحد يرجع اليه امر الناس فتعين للقطبية لا بأولوية فكذلك القول فى مبحث الامامة هنا لا يشترط أن يكون الامام افضل الرعية والله أعلم واعلم أنه لا يشترط فى الامام العصمة ولا كونه هاشميا ولا علويا خلافا للرافضة وذهب الجمهور الى ان الامام الاعظم لا ينعزل بالفسق * وفى كتب أصحاب امامنا الشافعى رضى الله عنه يشترط أن يكون الامام بالغا عاقلا مسلما عدلا حرا ذكرا مجتهدا شجاعا ذا راى وكفاية قرشيا سميعا بصيرا ناطقا سليم الاعضاء من نقص يمنع استيفاء الحركة وسرعة النهوض فان لم يوجد قرشى اجتمعت فيه الشروط فكنانى فان لم يوجد فغيره والجاهل العادل اولى من الجاهل الفاسق كما هو مقرر فى كتب الفقه هذا ما رايته فى كتب المتكلمين * وأما عبارة الشيخ محيى الدين رحمه الله فقال فى الباب الثانى والعشرين وثلثمائة من الفتوحات (فان قلت) ان الشارع لم ينص على الامر باتخاذ الامام فمن أين يكون واجبا (فالجواب) ان الله تعالى أمرنا باقامة الدين ولا سبيل الى اقامته الا بوجود الامان على انفس الناس واهليهم واموالهم ومنع تعدى

بعضهم على بعض وذلك لا يصح لهم الا مع وجود امام يخافون سطوته ويرجون رحمته ويرجعون اليه ويجتمعون عليه فما لم يأمنوا على انفسهم لا يتفرغون لاقامة الدين الذى اوجب الحق تعالى عليهم اقامته وما لا يتوصل الى الواجب الا به فهو واجب فاتخاذ الامام واجب علينا لا على الله تعالى قال ويجب أن يكون واحدا لئلا يختلفا فيؤدى الى الفساد فى الكون كما ان اله العالم واحد وكما ان القطب الغوث فى العالم واحد فنصب الامام واحدا واجب شرعا انتهى (فان قلت) اذا صحت امامة شخص فبماذا ينعزل منها (فالجواب) ينعزل بعجزه عن القيام بحقها من منع بغى الرعية على بعض ونحو ذلك مما تقدم فى شروط الامامة كما هو مقرر فى كتب الفقه * وقد قال الشيخ محيى الدين فى الباب الستين من الفتوحات كل امام لا ينظر فى احوال رعيته ولا يمشى فيهم بالعدل والاحسان فقد عزل نفسه من الامامة فى نفس الامر دون الظاهر قال وعندى ان الحاكم اذا جار أو فسق انعزل فيما فسق فيه خاصة لانه لم يحكم بما أمره الله ان يحكم به وقد أثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم للولاة اسم الامامة ولو جاروا فقال فان عدلوا فلكم ولهم وان جاروا فلكم وعليهم ونهانا ان نخرج يدا من طاعة ولا خص بذلك وال دون آخر * ومن هنا قلنا انه انعزل فى نفس الامر دون الظاهر انتهى * فعلم انه ليس للامام مخالفة الشريعة ابدا لكن رأيت فى الباب التاسع والستين وثلثمائة فى الكلام على علم السياسة ان للملوك ان يعفوا عن كل شئ الا عن ثلاثة اشياء وهى التعرض للحرم وافشاء السر والقدح فى ملكهم انتهى * ورأيت فى تاريخ الخلفاء للجلال السيوطى ان ذلك من كلام أبى جعفر المنصور وكذلك رأيت فى الاحكام السلطانية ان للوالى ان يضرب المجرم حتى يقر وليس ذلك للقاضى فليتأمل ذلك وقال فى علوم الباب الرابع والستين وثلثمائة من الفتوحات من طعن فى الولاة فقد نسب من نصبهم الى السفه وقصور النظر وهو باب خطر جدا قال ولهذا نهى الحق تعالى عن الطعن فى الملوك والخلفاء واخبر ان قلوبهم بيد الله تعالى ان شاء قبضها عنا وان شاء عطف بها علينا وأمرنا ان ندعو لهم لان وقوع المصلحة بهم فى العامة أعظم من جورهم مع انهم باب الله تعالى فى قضاء الحوائج فى أهل الارض سواء كانوا فاسقين أو صالحين عادلين أو جائرين فلا يخرجهم ذلك عن اطلاق اسم النيابة عليهم انتهى وقال فى الكلام على الامامة من صلاة الجماعة فى أبواب الصلاة من الفتوحات فى قوله صلى الله عليه وسلم صلوا خلف كل بر وفاجر المراد بالفاجر هنا هو العاصى المسلم لا الكافر فما دام الامام فيه ربقة الاسلام فلنا الصلاة خلفه وان كان ذلك مكروها لكن لا يخفى ان الكراهة خاصة بما اذا كان فسق الامام بأمر متيقن لا مظنون لانه يبعد من المؤمن الكامل اعتقاد الفسق فى احد بالظن انتهى * وقال فى الكلام على الطواف من باب الحج من الفتوحات انما جوزنا امامة الفاسق مع الكراهة ولم يبطل الصلاة خلفه لانه لا يدخل للصلاة الا حتى يتوضأ الوضوء المشروع ثم انه يحرم بالصلاة فلا يزال فى خير وعبادة مادام بين قراءة وذكر وخضوع حتى يسلم من الصلاة ولا يوصف اذ ذاك بفسق بل هو فى طاعة الله عزوجل * وقد صلى عبد الله بن عمر خلف الحجاج وكفى به فاسقا وأيضا فانه ما من معصية

تقع من المسلم الا والايمان بانها معصية يصحبه فالحجاج ونحوه في حال صلاته وان كان فاسقا خارجها مؤمن مطيع لله تعالى بايمانه والايمان لا يقاومه شئ فضعف جانب المعصية فلذلك قلنا ان امامته مكروهة لا باطلة انتهى كلامه وفيه نظر فان الكراهة ليست من حيث عدم وصفه بالمعصية في الصلاة وانما هي من حيث استصحابه الظلم والجور ولو خارج الصلاة فلذلك كانت امامته مكروهة (فان قلت) فما شبهة الامامية في قولهم يشترط أن يكون الامام معصوما (فالجواب) شبهتهم قولهم ان الامام اذا صلى لا يناجي الا صفته الاحدية خاصة فيجب عصمته في الصلاة حتى يسلم منها وهم قائلون بعدم عصمته خارج الصلاة قالوا واصل هذا المقام انما هو خاص بالانبياء ولكن من قدم للامامة من غيرهم يجب علينا القول بعصمته حتى يفرغ من الصلاة انتهى والحق الواضح بل الواقع عدم وجوب عصمة الائمة فانه ما من امام الا و يقع له السهو في صلاته وان لم يسه عن صلاته فان بين المقامين فرقا فانه يلزم من السهو عن الصلاة عدم فعلها بالكلية بخلاف الساهي فيها واطال في ذلك في الباب السابع والاربعين وثلثمائة ومما يؤيد عدم القول بعصمة الائمة أيضا ما قاله الشيخ في الباب السادس والثلاثين وثلثمائة من قوله اعلم ان الحق تعالى لا ينظر الى القطب الذي هو السلطان الباطن الا بعين الاهلية ولو أنه تعالى نظر الى السلطان الظاهر بهذه العين ما جار مام قط كما يراه الامامية فان العصمة ليست من شرط الامام الظاهر ولو كانت الامامة غير مطلوبة له ثم أمره الله تعالى ان يقوم بها لعصمه الله بلا شك كما وقع للانبياء عليهم الصلاة والسلام والى ذلك الاشارة بحديث من اعطيها يعني الامارة بغير مسئلة وكل الله تعالى به ملكا يسدده قال وهذا هو معنى العصمة لكن الادب أن يقال انه محفوظ لا معصوم وأما قوله تعالى في حق داود عليه الصلاة والسلام ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله فالمراد بهذا الهوى عدم اتباع اشارة من اشار عليك بما يخالف ما اوحينا به اليك من فعل الاولى لا المكروه ولا الحرام لان مقام الانبياء يجل عن ذلك كما بسطه الشيخ في الباب السادس والاربعين وثلثمائة وأنشد في ذلك يقول

عجبت لمعصوم يقال له اتبع * ولا تبتدع واحكم بما أنزل الله
وكيف يرى المعصوم يحكم بالهوى * مع الوحي والتحقيق ما ثم الا هو

الى آخر ما قال وكذلك بسط الشيخ الكلام في ذلك ايضا في الباب الخامس عشر وخمسمائة فراجعه (فان قلت) فهل بين الخلافة والملك فرق فان في الحديث الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم يكون ملكا ومن اقرب الى صفات الحق تعالى الخليفة او الملك (فالجواب) بين الخلافة والملك فرق ظاهر كما صرح به الحديث وكما تقدم في مبحث النبوة والرسالة وقد قال الشيخ في الباب السابع والسبعين ومائة الفرق بين الخليفة والملك ان الخليفة يعلم الاسماء ومصارفها بخلاف الملك لا يلزم منه انه يعرف علم الاسماء ولا مصارفها فليس هو بخليفة في العالم وقال في الباب الستين ومائتين لا يكون القرب الصوري من الله تعالى الا للخلفاء خاصة سواء أكانوا رسلا أم غير رسل قال ثم ان قربهم على نوعين

الاول الخلافة عن التعريف الالهي بمنشور والثاني خلافة لا عن تعريف الهي مع نفوذ الاحكام منه ومثل هذا لا يسمى بلسان الادباء خليفة وفي الحقيقة هو خليفة (فان قلت) فأيهما اتم (فالجواب) الخلافة بغير تعريف الهي اتم في القرب المعنوي فان الخليفة بالتعريف والامر الطاهر يعد من المستخلف في الصورة فان حكمه في العالم لم يكن عن أمر من غيره بل هو حاكم لنفسه فهو اقرب الى الصفة الالهية ممن عقدت له الخلافة بتعريف ومنشور لكن هذا اقرب الى السعادة المطلوبة ممن لم يقترن بخلافته امر الهي اذ القرب من السعادة هو المطلوب عند العلماء بالله تعالى وقال في الباب السابع والسبعين ومائة (فان قلت) فهل الاولى للخليفة التحكم في العالم او التسليم (فالجواب) هو مخير في ذلك فان شاء تحكم وظهر كالشيخ عبد القادر الجيلي وان شاء سلم وترك التصريف لربه في عباده مع التمكن منه كابي السعود بن الشبل تلميذ الشيخ عبد القادر الا ان يقترن بذلك امر الهي كداود عليه السلام فلا سبيل الى رد أمر الله فانه من الهوى الذي نهى الخليفة عن اتباعه وكعثمان بن عفان رضي الله عنه نهاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يخلع ثوب الخلافة فلم يخلعه من عنقه حتى قتل لعلمه بما للحق تعالى في ذلك وأما من لم يقترن بتحكمه أمر الهي فهو مخير ان شاء ظهر به بحق وان شاء لم يظهر به فاستتر بحق مع ان ترك الظهور أولى عند كل عاقل فعلم ان الاولياء قد يلحقون بالانبياء في الخلافة وأما الرسالة والنبوة فلا لان ذلك باب مسدود بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا رسول الحكم ثم ان استخلف فله التحكم أيضا فان كان رسولا فتحكمه بما شرع وان لم يكن رسولا فتحكمه عن أمر الله بحكم وقته الذي هو شرع زمانه وبذلك الحكم ينسب الى العدل والجور (فان قلت) فهل رتبة التحكم للانسان ابتلاء أو تشريف (فالجواب) هو ابتلاء له اذ لو كانت تشريفا لبقيت معه في الآخرة في دار السعداء ولما كان يقال للخليفة ولا تتبع الهوى فان التحجير مؤذن بالابتلاء بلا شك بخلاف التشريف فانه اطلاق لا تحجير فيه وأيضا فلو كانت تشريفا لما نسب في التحكم الى عدل ولا الى جور ولا كان يتولى الخلافة في العالم الا أهل الله خاصة وقد ولى الله تعالى بعض الفسقة وامرنا بالسمع والطاعة لهم وان جاروا وهذه حالة ابتلاء لا حالة تشريف (فان قلت) فايهما اكمل خلافة هل هو آدم عليه السلام أم داود عليه السلام (فالجواب) كل منهما فاضل من وجه مفضول من وجه آخر كما قاله الشيخ في الباب السادس والاربعين وثلثمائة فقال اعلم ان الحق تعالى لما شرح صدر آدم عليه الصلاة والسلام لان يهب ابنه داود من عمره ستين سنة ثم نسي آدم ذلك عند الوفاة وجحد ما أعطاه من عمره حصل لداود انكسار قلب عند ذلك فجبره الله بذكر لم يعطه آدم عليه السلام وذلك انه تعالى قال في آدم اني جاعل في الارض خليفة وما عينه باسمه ولا جمع له بين اداة المخاطب وبين ما شرفه به فلم يقل له وعلمتك الاسماء كلها وقال في داود انا جعلناك خليفة في الارض فسماه فلما علم الله تعالى في سابق علمه ان مثل هذا المقام والاعتناء قد يورث النفاسة على أبيه من وجه بشريته بسبب النشأة قال

ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله فحذره فاشتغل بذلك الحذر عن الفرح بما حصل له من تعيين الله تعالى له باسمه وامره بمراقبة السبيل ثم ان الحق تعالى سلك مع داود مسلك الادب حيث قال له ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب ولم يقل له انك ان ضللت عن سبيل الله لك عذاب شديد واطال الشيخ فى ذلك (خاتمة) ذكر الشيخ فى الباب الستين من الفتوحات ان الله تعالى جعل فى السموات نقباء من الملائكة وجعل لكل ملك نجما هو مركبه الذى يسبح فيه وجعل الافلاك تدور بهم كل يوم دورة فلا يفوتهم شئ من مملكة السموات والارض فكل سلطان لا ينظر فى احوال رعيته فقد عزل نفسه فى نفس الامر قال وقد جعل الله تعالى بين ولاة السموات وولاة الارض مناسبات ورقائق تمتد الى أهل الارض من الولاة بالعدل مطهرة من الشوائب مطهرة من العيوب فتقبل أرواح هؤلاء الولاة الارضيين من أرواحهم بحسب استعدادهم حسنا أو قبحا فلا يلومن الوالى الا نفسه قال وقد بسطنا الكلام على ذلك فى التنزلات الموصلية والله تعالى أعلم

(المبحث الحادى والستون فى بيان انه لا يموت أحد الا بعد انتهاء أجله وهو الوقت الذى كتب الله فى الازل انتهاء حياته فيه بقتل أوغيره وبيان معنى قوله ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده وانه يتجلى لكل ميت عند موته اثنى عشر صورة)

اعلم أن كثيرا من المعتزلة زعموا ان المقتول لم يمت بأجله وانما القاتل قطع بقتله أجل المقتول وانه لولم يقتله لعاش أكثر من ذلك ويحتاج القائل بهذا القول أن يعرف مقدار عمر ذلك المقتول فى علم الله تعالى حتى يحكم بتقدمه بالقتل ولا سبيل له الى ذلك ثم بتقدير اطلاعه على ذلك لا يجد اجله ينقضى الا بقتله بالسيف فان للحق تعالى ان يأخذ روح العبد بالة وبلا الة وكلاهما هو الاجل المضروب له فى علم الله تعالى فان الحق تعالى اذا كتب قتل عبد بسيف عند انتهاء اجله فلا بد من السيف ولو ان السيف فقد لعاش لا محالة الى وجود السيف قال بعضهم والاولى حمل كلام المعتزلة على هذا لانهم أهل اسلام بلا شك ولا ينبغى حمله على اعتقاد ان الله تعالى اراد حياة هذا المقتول بالسيف والقاتل لم يردها فغلب بقتله الارادة الالهية فان ذلك بعيد عن ان يريده مثل الزمخشرى واضرابه بخلاف عامة المعتزلة من المقلدين فانهم ربما فهموا ان القاتل قطع عمر المقتول فهما من نحو حديث بادرنى عبدى فيمن قتل نفسه وهو فهم حظا لا يصلح أن يكون دليلا لان قاتل نفسه لم يبادر بقتل نفسه مستقلا بغير قضاء الله وانما هو بارادة الله ومشيئته فما بقى اللوم على قاتل نفسه الا من حيث انه قتل نفسه بغير أمر من الله تعالى فكانه هدم ملك الغير بغير اذنه وذلك حرام والاحكام الشرعية دائرة مع الاحتجاج بالامر دون الاحتجاج بالارادة ومن هنا قالوا نؤمن بالقدر ولا نحتج به قال الشيخ كمال الدين بن أبى شريف فى حاشيته ومن مشهور ادلة أهل السنة قوله تعالى فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون وقوله تعالى ان أجل الله اذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون ومن متمسكات المعتزلة احاديث فى الصحيحين وغيرهما صرحت

بان

بأن بعض الطاعات تزيد فى العمر كحديث من أحب أن يبسط له فى رزقه و ينسأ فى أثره فليصل رحمه قال وعن ذلك اجوبة اصحها ان هذه الزيادة مؤولة بالبركة فى اوقات العمر بان يصرف عمره فى الطاعات اذ لا يحسب له من عمره الا ما كان فى طاعة وهذا جمع بين الادلة قال وأما نحو حديث الطبرانى أن المقتول يتعلق بقاتله يوم القيامة و يقول يارب انه ظلمنى وقتلنى وقطع أجلى فقد تكلم الحفاظ فى اسناده و بتقدير صحته فهو محمول على مقتول سبق فى علم الله انه لو لم يقتل لكان يعطى اجلا زائدا الا ان معنى قولنا المقتول ميت باجله ان قتله لم يتولد من فعل القاتل وانما ذلك من فعل الله تعالى وانه لو لم يقتل لم يقطع بموته ولا بحياته على ما ذكره فى شرح المقاصد انتهى *قلت وهذا هو الاعتقاد الصحيح المعتمد وأما نقص العمر فى نحو قوله تعالى وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا فى كتاب فليس المراد به النقص من ذلك العمر لان المراد وما ينقص من عمر معمر آخر والضمير له وان لم يذكر لدلالة مقابله عليه والموت قائم بالميت مخلوق لله تعالى لا صنع فيه للعبد لا كسبا ولا خلقا ومبنى هذا على ان الموت وجودى بدليل قوله تعالى خلق الموت والحياة وفى الحديث أيضا يؤتى بالموت فى صورة كبش املح فيوقف بين الجنة والنار فينظر اليه أهل الجنة وأهل النار فيعرفونه فيضجعه الروح الامين و يأتى يحيى عليه السلام ومعه الشفرة فيذبحه والاكثرون على أنه عدمى ومعنى خلق الموت قدره والنفس باقية بعد موت الجسد منعمة اومعذبة هذا هو مذهب المسلمين بل وغيرهم وخالف فى ذلك الفلاسفة بناء على انكارهم المعاد الجسمانى والكتاب والسنة مشحونات بالدلالة على بقاء النفس قال تعالى كل نفس ذائقة الموت والذائق لا بد أن يبقى بعد المذوق وقال تعالى كلا اذا بلغت التراقى وهى نص فى بقاء الارواح وسوقها الى الله تعالى يومئذ وقال تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون وفى الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم كان يزور الموتى ويقول ما أنتم بأسمع منهم فتأمل وأما من أماتهم الله تعالى عقوبة لهم واعتبارا كقوم موسى حين قالوا أرنا الله جهرة وكالذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت وكالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها فليس موت هؤلاء بانتهاء آجالهم ولذلك بعثهم الله تعالى ليكملوا بقية آجالهم المقدرة فى علم الله تعالى فقد بان لك انه لا يموت أحد الا بأجله وان معنى حديث بادرنى عبدى أى لكونه قتل نفسه بغير أمرى فهو عاص للامر مطيع للارادة كسائر المعاصى الواقعة فى هذا الوجود والله أعلم*

وأما معنى قوله تعالى ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده ثم أنتم تمترون فالمراد بقوله ثم قضى أجلا هو الاجل المقضى لكل حى يقبل الموت وأما قوله تعالى بعد ذلك واجل مسمى عنده فالمراد به اجل الروحانية الذى هو ميقات حياة كل من كان قبل الموت فى حياته الاولى المعبر عنه بالبعث ولذلك عقبه بقوله تعالى ثم أنتم تمترون يعنى فى البعث فان الموت لا يمترون فيه لانه مشهود لهم فى كل حيوان فما وقعت المرية الا فى البعث الذى هو الاجل المسمى عنده تعالى واطال الشيخ محيى الدين فى ذلك فى الباب الرابع

والسبعين ومائتين ثم قال وانما لم يجعل اجل الموت مسمى عنده لانه اذا نفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله يبقى طائفة لا يصعقون فاما أن يكونوا على حقائق لا تقبل الموت فيكون الاستثناء منقطعا و يكون معنى قوله لمن الملك اليوم فلا يجيبه أحد ممن صعق : واما أن يكونوا على مزاج يقبل الموت لكن لم يصل اليهم النفخ فلم يصعقوا فيكون الاستثناء متصلا انتهى (فان قلت) فمن آخر الناس يقبض روحه من بنى آدم (فالجواب) آخر من يقبض روحه الانسان الموحد الذى يقوم ذكره مقام ذكر جميع العالم المشار اليه بحديث لا تقوم الساعة حتى لا يبقى على وجه الارض من يقول الله الله (فان قلت) فما مذهب الشيخ محيى الدين فى الموت هل هو عدمى أو وجودى (فالجواب) هو عنده عدمى وعبارته فى الباب السابع عشر وثلثمائة اعلم أن الموت حقيقة انما هو للسلب وأما الحياة فهى دائمة للاعيان من حيث كونها مسبحة بحمد الله تعالى ولا يسبح الا حى ولكن لما اعرض الروح عن الجسد بالكلية وزال بزواله جميع القوى عبر عنه بالموت فهو كالليل بمغيب الشمس وأما النوم فليس اعراض الروح عن الجسم فيه اعراضا بالكلية وانما هى حجب ابخرة تحول بين القوى وبين مدركاتها الحسية مع وجود الحياة فى النائم كالشمس اذا حال السحاب دونها ودون موضع خاص من الارض يكون التنؤ موجودا كالحياة وان لم يقع ادراك للشمس لذلك الذى حال بينه وبين السماء ذلك السحاب المتراكم انتهى (فان قلت) فما معنى قوله تعالى فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد (فالجواب) المراد به ان البصر يحتد عند الموت فيعاين العبد جميع ما ينتهى أمره اليه وهو النفس المشار اليه بقوله واعبد ربك حتى يأتيك اليقين : قال الشيخ فى الباب السادس والسبعين ومائة واعلم أن كل محتضر يرد عليه اثنا عشر صورة يشهدها كلها أو بعضها لا بد له من ذلك وهى صورة علمه وصورة عمله وصورة اعتقاده وصورة مقامه وصورة حاله وصورة رسوله وصورة الملك وصورة اسم من اسماء الافعال وصورة اسم من اسماء الصفات وصورة اسم من اسماء النعوت وصورة اسم من اسماء التنزيه وصورة اسم من أسماء الذات * فاما الذى يتجلى له علمه عند الموت فقد قال الشيخ محيى الدين المراد به علمه بالله تعالى والعلماء بالله تعالى رجلان رجل أخذ علمه بالله تعالى عن نظر واستدلال ورجل أخذ علمه به عن كشف ومعلوم ان صورة علم الكشف أتم وأكمل وأجمل فى التجلى من صورة النظر والاستدلال لما يطرقها من الشبه وكلا الصورتين لا بد ان يفرح بهما العبد فان صحبه فى علمه دعوى نفسية كان صورة علمه دون صورة علم من لم يصحبه دعوى فتفاوت الناس فى جمال صورة التجلى يكون على قدر نياتهم * وأما الذى يتجلى له عمله عند الموت فيكون فى صورة حسنة أو قبيحة لا بد له من ذلك والحسن والقبح على قدر ما أنشأه العامل من الكمال والنقص فان كان أتم عمله كما أمر ولم ينقص شيئا من اركانه وشروطه وادابه رآه فى أحسن صورة وكان براقا لروحه يسرى به عليه الى اعلى عليين وان كان انتقص شيأ من اركانه وشروطه وادابه رآه فى اقبح

صورة وهوى به الى سجين وعباد الله على طبقات فى العمل فمنهم من عمله حسن ومنهم من عمله أحسن ومنهم من عمله جميل ومنهم من عمله اجمل * واما الذى يتجلى له صورة اعتقاده فهو بحسب ما كان عليه فى دار الدنيا فينظره من خارج كما يرى جبريل فى صورة دحية وتزيد صورة اعتقاده حسناً او قبحاً الا بحسب علو المشاهد * وأما الذى يتجلى له صورة مقامه فهو الذى يحق بدرجة الارواح النورية فيظهر له مقامه فيعرفه معرفة لا يدخلها شك ولا ريب فهو اما حزين واما فرح مسرور والغالب على كل من مات مسلما الفرح والسرور * وأما من يتجلى له حاله فهو اما منقبض واما منبسط فاذا مات على حاله كان بحسب ميزان الشرع فان كان انبسط فى محل كان اللائق به فيه القبض قضاه فى البرزخ فلا يزال مقبوضا بقدر ما فرط * وأما من يتجلى له رسوله فهو خاص بورثة الرسل فان العلماء ورثة الانبياء فتارة يرى هذا عيسى عند احتضاره وتارة يرى موسى أو ابراهيم أو محمدا او أى نبى كان على جميعهم افضل الصلاة والسلام فمن الناس من ينطق باسم ذلك النبى الذى ورثه عندما يأتيه فرحاً به لكون الرسل كلهم سعداء فيستبشر عند رؤية ذلك النبى بالسعادة فيقول عند الاحتضار عيسى أو المسيح وهو الاغلب فيسمع الحاضرون ذلك فيسوؤن به الظن ويعتقدون انه تنصر عند الموت وسلب دين الاسلام وكذلك يظنون من نطق باسم موسى انه تهود وليس كذلك انما ذلك الناطق من اكبر السعداء عند الله تعالى وهذا أمر لا يعرفه الا أهل الكشف * وأما من يتجلى له الملك فهذا الملك هو ملكه الذى شاركه فى المقام فان فيهم الصافين والمسبحين والتالين الى غير ذلك من المقامات فينزل الى ذلك الشخص صاحب هذا المقام مؤنسا وجليسا فربما يسميه عند الموت باسمه ويتهلل وجهه لكن هذا لا يكون للعامة وانما ذلك لاهل الاختصاص الخارجين عن دائرة التلبيس وأما العامة فتمعر وجوههم عند رؤية ذلك الملك وتسود وذلك لغلبة الاحوال النفسانية عليهم فى اعمالهم وأحوالهم وعلومهم * وأما من يتجلى له اسم فهو الاسم الذى كان غالبا عليه من اسماء الافعال كالخالق بمعنى الموجد والبارى والمصور والرازق والمحيى وكل اسم يطلب فعلا فان كان بذل جهده فى اعمال حضرة ذلك الاسم تجلى له فى أحسن صورة وكان من لازمه السرور والفرح وان كان دخله فى تلك الاعمال كسل اوغفلة اوفتور كان فى صورة ممتهنة وكل صورة تخاطب العبد بحسب حاله فان كان عمله كاملا خاطبته تلك الصورة وهى فى غاية الحسن ويقول له انا ذكرك فيسر وان كان عمله ناقصا خاطبته صورته وهى فى اقبح صورة فتقول له انا ذكرك فيحزن ويقاس على ذلك بقية الاسماء انتهى (فان قلت) فما معنى قول الامام على بن أبى طالب رضى الله عنه لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا هل المراد بالغطاء الذى ينكشف غطاؤه رضى الله عنه أو غطاء غيره فانه رضى الله عنه كان كامل الايمان بلا شك وكامل الايمان الغائب عنده كالحاضر على حد سواء (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الستين وثلثمائة ان المراد بذلك الغطاء الذى ينكشف هو غطاؤه هو اذلا بد من مزيد كشف غطاء لكل طائفة عند الموت لانه رضى الله عنه اثبت ان ثم غطاء

ينكشف وقوله ماازددت يقينا يعني في علم اليقين ان كان ذا علم او في عينه ان كان ذا علم عين أو في حقه ان كان ذا علم حق لانه لا يزيد بكشف الغطاء امر لم يكن عنده اذلو كان كذلك لكان كشف الغطاء في حق من هذه صفته عبثا معرى عن الفائدة فلم يكن الغطاء وراءه أمر عدمي وانما هو وجودي وبالجملة فجميع الاغطية تنكشف عند الموت ويتبين الحق لكل احد ولكن ذلك الانكشاف لا يعطي صاحبه سعادة فهو كايمان أهل الباس لا ينفع صاحبه ولكن هذا في حق العامة اما الخاصة من أهل الكشف والشهود فينتقلون من عين اليقين الى حق اليقين كما ان أهل العلم ينتقلون من علم اليقين الى عين اليقين وماسوى هذين الرجلين فينتقلون من العمى الى الابصار فيشاهدون الامر عند كشف غطاء العمى عنهم لا عن علم تقدم انتهى وتصريح الشيخ بان ايمان اهل الباس لا ينفع صاحبه فيه ايماء الى انه لا يقول بقبول ايمان فرعون لانه انما آمن عند البأس والله أعلم. (خاتمة) (ان قلت) ما المراد بقولهم العارفون لا يموتون وانما ينقلون من دار الى دار (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الحادي والخمسين وثلثمائة ان المراد به ان من مات الموت المعنوي بمخالفة نفسه حتى لم يبق له مع الله تعالى اختيار ولا ارادة لا يعظم تالمه عند طلوع روحه لانه عجل بموت نفسه حين قتلها بسيف المجاهدة * وأما من وافق نفسه في هواها وشهواتها فيشتد عليه الالم عند الموت لاجتماع تلك الالام التي فاتته حين لم يجاهد * وايضاح ذلك ان أهل الله تعالى لما علموا ان لقاء الله لا يكون الا بالموت وعلموا معنى الموت استعجلوه في الحياة الدنيا فماتوا في حين حياتهم عن جميع حركاتهم وارادتهم فلما ظهر عليهم الموت في حياتهم التي لا زوال لهم عنها حين ورد عليهم حيث كانوا لقوا الله تعالى فالقيهم وكان لهم حكم من يلقاه محبا للقائه فاذا جاءهم الموت المعروف في العامة وانكشف عنهم غطاء هذا الجسم لم يتغير عليهم حال ولا ازدادوا يقينا عما كانوا عليه فماذاقوا الا الموتة الاولى وهي التي ماتوا في حياتهم فوقاهم ربهم عذاب الجحيم فضلا من ربهم والى هذا الموت المعنوي الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم من اراد ان ينظر الى ميت يمشي على وجه الارض فلينظر الى أبي بكر رضي الله عنه اي لانه رضي الله عنه كان ميتا في حياته عن حركاته وسكناته النفسانية كلها مدحق التسليم لله تعالى جميع ماعنده مما فيه رائحة اعتراض ما نفساني فكان مع الله تعالى في حال حياته كحاله معه في حال عدمه انتهى وقال في الباب الثاني والثمانين ومائتين اعلم ان من صار حكمه حكم الميت في عدم التصرف فقد دخل في مقام الكمال حقه فان الميت لا يتصور منه منع ولا ابابة ولا حمد ولا ذم ولا اعتراض بل هو مسلم لله تعالى فهو حي في الافعال الظاهرة ليقوم بالامر والنهي ميت بالتسليم لموارد القضاء راض بالقضاء لا بالمقضي والله تعالى اعلم

(المبحث الثاني والستون في بيان ان النفس باقية بعد موت جسدها منعمة كانت اومعذبة وفي فنائها عند القيامة تردد للعلماء وبيان ان اجساد الانبياء والشهداء لا تبلى)

اعلم أن العلماء اختلفوا في فناء النفس عند القيمة واتفقوا على بقائها بعد موت جسدها* وكان الشيخ تقي الدين السبكي رحمه الله يقول الاظهر أن الروح لا تفنى أبدا لان الاصل في بقائها بعد الموت استمراره أي البقاء فيكون من المستثنى بقوله الا من شاء الله كما قالوا ذلك في الحور العين وقال بعضهم انها تفنى عند النفخة الاولى كغيرها توفية لقوله تعالى كل من عليها فان ورجحه الشيخ تقي الدين ابن ابي المنصور لكنه قال المراد بفنائها عند الصعق الاخروي خمودها فقط قال وذلك هو حظها من الموت والفناء اللازم لصفة المحدث فمن رآها في كشفه الصوري حال خمودها قال انها ماتت ومن أعطاه الله علم حقيقتها قال انها نائمة * قال والذي كشف لي أيضا ان الطائفة الذين لا يصعقون عند النفخة يموتون أيضا بعد ذلك بأمر الله تعالى تحقيقا لوعده وتمييز الصفة القدم من الحدوث وعليه يحمل قوله تعالى لمن الملك اليوم فلا يجيبه أحد لانه ما ثم حي ينطق فيقول الله تعالى رادا بنفسه لنفسه لله الواحد القهار قال وذهب قوم الى ان الطائفة الذين لم يصعقوا عند النفخة الاولى لا يموتون أيضا الا ان الله تعالى انشأهم على حقائق لا تقبل الموت كالمخلوقات التي خلقها الله تعالى للبقاء وعلى هذا التخصيص عدم الاجابة المذكورة بمن صعق أي فلا يجيبه أحد ممن صعق أو ممن خمد انتهى (فان قلت) فما الصحيح في عجب الذنب (فالجواب) المشهور من القولين انه لا يبلى لحديث الشيخين ليس من الانسان شيء الا يبلى الا عظما واحدا وهو عجب الذنب منه يركب الخلق يوم القيامة * وفي رواية لمسلم كل ابن آدم يأكله التراب الا عجب الذنب منه خلق ومنه يركب الخلق يوم القيامة * وفي رواية للامام أحمد وابن حبان قيل وما هو يا رسول الله قال مثل حبة خردل منه ينشأون قال العلماء وهو في أسفل الصلب عند رأس العصعص يشبه في المحل محل اصل الذنب من ذوات الاربع وقال المزني رحمه الله الصحيح انه يبلى كغيره قال تعالى كل شيء هالك الا وجهه وتاول الحديث بأنه لا يبلى باكل التراب له وانما يبلى بلا تراب كما يميت الله ملك الموت بلا ملك موت انتهى * ووافق المزني على ذلك ابن قتيبة وقال انه آخر ما يبلى من الميت ولم يتعرضا لوقت فنائه هل هو عند فناء العالم أو قبل ذلك وهو محتمل وروى الطبراني وغيره مرفوعا المؤذن المحتسب كالمتشحط في دمه فان مات لم يدود أي لم يأكله الدود وقال في النهاية وكان الشيخ محيي الدين رحمه الله يقول في قوله تعالى كل شيء هالك الا وجهه المراد بالوجه هنا حقيقة الشيء الثابتة في علم الله عز وجل وهذه لا يصح فناؤها في العلم الالهي لانها معلوم علم الله عز وجل * وكان سيدي على ابن وفا رحمه الله يقول في قوله تعالى ويبقى وجه ربك المراد به العمل الصالح كما اذا عمل العبد عملا صالحا وخلط معه نوعا من الرياء فوجه الحق تعالى هو الشق الخالص ووجه غير الرب هو ما أريد به غير الله فما كان لله فهو باق وما كان لغيره فهو فان انتهى * (خاتمة) * يستثنى من بلاء الاجساد أجساد الانبياء والشهداء في قتال الكفار بشرطه ويلحق بهم من خالطت محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم حشاشته حتى سرت في جسمه سريان الماء في العود وكذا المؤمن يأكل الحلال الصرف الذي لا يخالطه شبهة

كما شاهدنا ذلك في الشيخ نور الدين الشوني شيخ الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وفي جدي الشيخ علي رحمه الله اما الشيخ نور الدين الشوني فنزلت بعد سنة وتسعة اشهر فوجدته طريا كما وضعناه * وكنت رأيت له رؤيا قبل أن يموت وذلك اني سمعت قائلا يقول من اراد أن يزور النبي صلى الله عليه وسلم فليزره في المدرسة السيوفية عند الشيخ نور الدين الشوني فمضيت اليه فوجدت على بابها الاول اباهريرة وعلى الباب الثاني المقداد بن الاسود وعلى الباب الثالث الامام علي بن أبي طالب رضي الله عنهم فقلت للامام علي رضي الله عنه اين رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ها هو جالس على التخت داخل تلك الخلوة فوقفت على بابها فوجدت الشيخ نور الدين هو الجالس فقلت له اين رسول الله صلى الله عليه وسلم فتبسم وصرت اتطلب النبي صلى الله عليه وسلم فظهر لي وجهه في وجه الشيخ نور الدين فما زال النور ينتشر من جهة جبهة الشيخ نور الدين الى أصابع رجليه فخفي الشوني وظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلمت عليه فقصصت هذه الرؤيا على الشيخ فقال يا ولدي ما سررت في عمري كله بشيء مثل هذه الرؤيا وان صح منامك يا ولدي لا يبلى لي جسد فكان الامر كما ذكرناه واما جدي رضي الله عنه فكان يبالغ في الورع ويقول من احكم اكل الحلال الصرف لم يبل له جسد وكان لا يأكل قط طعام احد من مشايخ البلاد ولا طعام قاضي ولا طعام مباشر ولا طعام احد لا يتورع وكان لا يأكل فراخ حمام الابراج لاكلهم من زرع الناس وترك آخر عمره اكل العسل النحل لما اخبره أهل برشوم الصغرى ان نحل بلده يعدي البحر ويأكل زهر فواكههم فلما مات دفنوا والدي بجانبه بعد احدى وعشرين سنة فوجدوه طريا كما وضعوه هكذا اخبرني الذي دفنه ودفن الوالد والله تعالى أعلم

* (المبحث الثالث والستون في بيان ان الارواح مخلوقة وانها من امر الله تعالى كما ورد وكل من خاض في معرفة كنهها بعقله فليس هو على يقين من ذلك وانما هو حدس بالظن) *

ولم يبلغنا انه صلى الله عليه وسلم تكلم على حقيقتها مع انه سئل عنها فمسك عنها ادبا ولا يعبر عنها باكثر من موجود كما قاله أبو القاسم الجنيد وغيره وعبارة الجنيد رحمه الله الروح شيء استأثر الله تعالى بعلمه ولم يطلع عليه احدا من خلقه فلا يجوز لاحد البحث عنه باكثر من انه موجود واليه ذهب اكثر المفسرين كالثعلبي وابن عطية وقال جمهور المتكلمين انه جسم لطيف مشتبك بالبدن اشتباك الماء بالعود الاخضر وقال كثير منهم انها عرض وهي الحياة التي صار البدن بوجودها حيا واليه مال القاضي أبو بكر الباقلاني ويدل للاول وصفها في الاخبار بالهبوط والعروج والتردد في البرزخ قاله السهروردي وهذا شأن الاجساد لا الاعراض اذ العرض لا يوصف بهذه الاوصاف وقال كثير من الصوفية انها ليست بجسم ولا عرض بل هو جوهر مجرد قائم بنفسه غير متحيز وله تعلق خاص بالبدن للتدبير والتحريك غير داخل في البدن ولا خارج عنه وهذا رأى الفلاسفة وهو كلام ساقط والذي ظهر لي ان العبد بتقدير أنه يطلع على كنه الروح

لا يستطيع

لا يستطيع ان يعبر عنها بعبارة تؤدى السامع الى معرفة كنهها الا ان الحق تعالى جعلها رتبة تعجيز لنا ليقول احدنا لنفسه اذا كنا نعجز عن معرفة حقيقة ذاتنا فنحن بذاته تعالى اعجز واعجز حتى لا نخوض بالفكر فى الذات فاننا اذا كنا نعجز عن معرفة روحنا مع كونها مخلوقة ومن اقرب الاشياء الينا فكيف نعرف خالقنا فافهم * وفى كلام الامام على رضى الله تعالى عنه من عرف نفسه عرف ربه قال بعضهم أى لانه لا يمكن لاحد معرفة نفسه قط لان الحق تعالى جعل النفس رتبة تعجيز لنا بيننا وبين معرفة ذاته كانه تعالى يقول اذا عجز الانسان عن معرفة نفسه مع كونها مخلوقة ومن أقرب الاشياء اليه فكيف بمعرفة من لا شبيه له ولا نظير ولا يجتمع مع عباده فى حدّ ولا حقيقة انتهى قال الكمال ابن أبى شريف فى حاشيته (فان قيل) كيف خاض الناس فى معنى معرفة الروح وهو باب أمسك عنه الشارع (فالجواب) من وجهين الاوّل انه انما ترك الجواب تفصيلا لاجل قول اليهود فيما بينهم ان لم يجب عنها فهو صادق لان ذلك عندهم من علامات نبوّته فكان تركه صلى الله عليه وسلم الجواب عن الروح تصديقا لما تقدّم فى كتبهم من وصفه بذلك * الثانى ان السؤال كان سؤال تعجيز وتغليظ وتعنت واذا كان السؤال على هذا الوجه فلا يجب الجواب عنه فان الروح أمر مشترك بين روح الانسان وبين جبريل وملك آخر يقال له الروح ويقال أيضا الصنف من الملائكة وللقرآن ولعيسى بن مريم فلو انه صلى الله عليه وسلم كان اجاب بواحد منها لقالت اليهود لم نرد هذا تعنتا منهم واذى له صلى الله عليه وسلم فلذلك جاء الجواب مجملا على وجه يصدق على كل من معانى الروح انتهى كلام الاصوليين * وقال الشيخ محيى الدين فى لواقح الانوار انما كانت الروح من امر الله لانها وجدت عن خطاب الحق تعالى بغير واسطة قال لها كونى فكانت كما قال فى عيسى عليه السلام انه روح الله لانه وجد عن نفخ الحق تعالى كما يليق بجلاله من غير واسطة قال تعالى انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه قال وقد ذهب الغزالى الى ان معنى قوله تعالى قل الروح من امر ربى أى من غيبه فان عالم الامر هو عالم الغيب وعالم الخلق هو عالم الشهادة قال والامر عندنا بخلاف ماقاله الغزالى رحمه الله وذلك انا نقول كلما اوجده الحق تعالى بلا واسطة فهو من عالم الامر أى قال له الحق كن فكان وله وجه واحد الى الحق وكلما اوجده بواسطة فهو من عالم الخلق وله وجهان وجه الى الحق ووجه الى سببه الذى وجد عنه فتارة يدعوه الحق من الوجه الخاص وتارة يدعوه من وجه سببه لتفاصيل وحكم بالغة انتهى * وقال فى الباب الرابع والستين ومائتين من الفتوحات اعلم ان اليهود لما سألوا النبى صلى الله عليه وسلم لم يسألوه عن ماهية الروح وانما سألوه عن الروح من اين ظهر وفهم بعض المفسرين ان ذلك سؤال عن الماهية وليس كذلك فان اليهود لم يقولوا له صلى الله عليه وسلم ما الروح وان كان السؤال بهذه الصيغة محتملا لكن قد قوى الوجه الذى ذهبنا اليه ما جاء فى الجواب من قوله من امر ربى ولم يقل هو كذا وقد سمى الله تعالى الوحى روحا فى قوله وكذلك اوحينا اليك روحا من أمرنا انتهى (فان قلت) فما

المراد بحديث ان الله خلق الارواح قبل الاجسام بألفى عام (فالجواب) مراده بالخلق هنا التقدير والتعيين أى قدر الارواح وعين لكل جسم وصورة روحها المدبر لها الموجود بالقوة فى الروح الكل المضاف اليه فيظهر ذلك بالتفصيل عند النفخ ومثال ذلك صاحب الكشف يرى فى المداد الذى فى الدواة جميع ما فيه من الحروف على صورة ما يصوره الكاتب او الرسام فيقول فى هذا المداد من الصور كذا وكذا صورة فاذا جاء وقت الكتابة او الرسم وكتب من ذلك المداد لم يزد حرفا عما قاله المكاشف ولم ينقص ذكره الشيخ فى الباب الثالث والسبعين وثلثمائة .. وقال فى الباب الثانى والسبعين من الفتوحات انما كان الروح من امر الرب جل وعلا لانه لم يوجد عن خلق وانما اوجده الله تعالى بلا واسطة ولا يطلع على كنه ذلك الا من شاء الله من الاصفياء انتهى . وقال فى الباب السابع والستين ومائتين انما تفاضلت النفوس من حيث القوابل والا فهى من حيث النفخ الالهى غير متفاضلة فلها وجه الى الطبيعة ووجه الى الروحية المحضة فلذلك قلنا مرارا انها من عالم البرازخ كالافعال المعلولة سواء فانها من حيث نسبتها الى العبد مذمومة ومن حيث كون الحق تعالى خالقا لها لا يقال مذمومة فان أفعاله كلها محمودة انتهى وقال فى الباب الثامن والستين ومائتين انما قال تعالى فى آدم ونفخت فيه من روحى بياء الاضافة الى نفسه لينبه على مقام التشريف لآدم وفيه من الاعتبار كأن الحق تعالى يقول لآدم ابك شريف الاصل فاياك ان تفعل ما يخالف أصلك من افعال الاراذل انتهى وقال فى الباب الثامن والسبعين ومائتين اعلم انه لا رياسة عند الارواح ولا تذوق لها طعما وانما هى خاضعة لباريها على الدوام انتهى وقال فى الباب التاسع والتسعين ومائتين ليس للروح كمية فيقبل الزيادة فى جوهر ذاته وانما هو فرد ولولا ما هو عاقل بذاته ما أقر بربوبية خالقه عند اخذ الميثاق منه اذ لا يخاطب الحق تعالى الا من يعقل عنه خطابه وهذا هو حقيقة الانسان فى نفسه واطال فى ذلك ثم قال فعلم ان الله تعالى خلق الروح كاملا بالغا عاقلا عارفا بتوحيد الله مقرا بربوبيته وهى الفطرة التى فطر الله الناس عليها كما أشار اليه خبر كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه فذكر الاغلب وهو وجود الابوين والذى يربيه هو له بمنزلة أبويه . وقال الشيخ فى الباب السادس والعشرين وثلثمائة اعلم أن كل مقيد بصورة من جميع العالم روحا الهيا ملازما له وبه كان مسبحا لله عز وجل فمن الارواح ما يكون مدبرا لتلك الصورة لكونها تقبل تدبير الارواح لها وهى كل صورة تتصف بالحياة الظاهرة وبالموت فان لم تتصف بالحياة الظاهرة والموت فروحها روح تسبيح لا روح تدبير واطال فى ذلك ثم قال وما ثم اعرف بالله تعالى من ارواح الصور التى لا حظ لها فى التدبير وهى ارواح الجماد ودونها فى الرتبة ارواح النبات ودونها فى الرتبة ارواح الحيوان ودونهم ارواح المتمردين من الانس أما الصالحون فما ثم اعلى من معرفة ارواحهم على اختلاف طبقاتهم من أنبياء وأولياء ومؤمنين اختصاصا الهيا انتهى وقال فى الباب الثامن والخمسين وثلثمائة اعلم انه لا حظ للروح السعيدة

في الشقاء في الدنيا والآخرة وأطال في ذلك* وقال في الباب السادس والاربعين والثمانمائة مما غلط فيه جماعة قولهم ان الروح احدى العين في اشخاص نوع الانسان وان روح زيد هي روح عمرو وهؤلاء لم يحققوا النظر على ماهو الامر عليه وشبهتهم في ذلك كونهم رأوا ان الحق تعالى لما سوى جسم العالم وهو الجسم الكلي الصوري في جوهر الهبا المعقول قبل قبض الروح الالهي الذي كان منتشرا غير معين اذ لم يكن ثم من يعينه وهي جسم العالم به ضمن جسمه اجسام شخصياته فقاس على ذلك انه تعالى ضمن روحه ارواح شخصياته وربما استند الى قوله تعالى هو الذي خلقكم من نفس واحدة وغاب عن هؤلاء انه كما لم يكن صورة جسم آدم صورة جسم كل شخص من ذريته وانما كانوا متفرعين عنه فكذلك لم يكن كل روح في العالم هي عين الروح الاخرى واطال في ذلك ثم قال ولا يخفى ان من قال بتناسخ الارواح فهو كافر عندنا والله اعلم (خاتمة) في معنى قوله صلى الله عليه وسلم الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف اعلم انه لا يعرف معنى هذا الحديث حقيقة الا من شهد من طريق كشفه اخذ الذرية من ظهر آدم وذلك مشهد اقدس قل من يشهده لانه خاص بالافراد كسهل بن عبد الله التستري وأبي يزيد البسطامي واضرابهما فكانوا يقولون لم نزل نشهد تلامذتنا وهم نطف في الظهور من اخذ الله الميثاق على الذرية وهم في صلب آدم قالوا ولم نزل نراعي تلامذتنا حتى وصلوا الينا ونعرف ذلك اليوم من كان عن يميننا ومن كان عن شمالنا قالوا ولما جمع الله تعالى الذرية في تلك الحضرة على وجه التمثيل فما كان وجها لوجه هنالك تعارفوا هنا وائتلفوا وما كان ظهرا لظهر تناكروا وتعادوا واختلفوا وما كان وجها للظهر فصاحب الوجه يحب وصاحب الظهر لا يحب وكذا الحكم فيما كان جنبا لجنب او جنبا لوجه او جنبا لظهر يكونون في هذه الدار بحكم ما كانوا هنالك والله تعالى اعلم

(المبحث الرابع والستون في بيان ان سؤال منكر ونكير وعذاب القبر ونعيمه وجميع ما ورد فيه حق خلافا لبعض المعتزلة والروافض)

فاما سؤال منكر ونكير فقال أهل السنة انه يكون لكل ميت سواء كان في قبره أو في بطون الوحوش او الطيور او مهاب الريح بعد ان احرق وذرى في الريح قال الجلال المحلي رحمه الله ويكون عذاب الله تعالى للكافرين ولمن شاء الله تعذيبه من الفاسقين فقط فترد روح المعذب الى جسده كله او ما بقي منه فانه لا يمتنع احياء بعض الجسد وان كان ذلك خلاف العادة لان خرق العادة غير ممتنع في مقدور الله عز وجل قال الكمال في حاشيته وقول أهل الاصول ان سؤال منكر ونكير وعذاب القبر ونعيمه حق جرى على الغالب والا فالحق ان ذلك لا يختص بالقبر المعروف فيحس بالعذاب من اكله السمك والسباع وغير ذلك فقولهم لكل مقبور لا مفهوم له ومما اوقعهم في التعبير بالقبر قوله صلى الله عليه وسلم اذا وضع الميت في قبره أتاه ملكان الحديث قالوا ويجوز اعادة الحياة في جزء واحد ووقوع السؤال على وجه لا نشاهده لان احوال البرزخ لا تقاس بأحوال الدنيا كما ان روح النائم تشاهد اشياء لا يشاهدها اليقظان الذي هو في جانبه

قالوا ويستثنى من فتنة القبر الشهيد لحديث مسلم فى ذلك ولفظه كفى ببارقة السيوف على
رأسه شاهدا قال الجلال المحلى رحمه الله ولعل سكوت بعضهم عن استثنائه كون المسئلة
قطعية ودليل استثنائها ظنى لانه خبر آحاد انتهى وقول الجلال المحلى السابق فترد روح
المعذب الى جسده كله او مابقى منه اشارة للخلاف فى ذلك فان الحليمى يقول ترد الروح الى
جسده كله وابن جرير والطبرى وامام الحرمين يقولان ترد الروح الى مابقى منه وقولنا اول
المبحث خلافا لبعض المعتزلة والروافض المراد بالروافض الجهمية وحجتهم فى انكار عذاب
القبر عدم مشاهدتهم اتألم الميت وقالوا لو وضع على بطن الميت شئ زمانا لم يقع فلو انه
تحرك للعذاب اوغيره لتحرك ذلك الشئ عن مكانه فكيف يقال ان الملكين يجلسانه
و يسألانه ومن هنا نكروا تسبيح الجمادات أيضا (والجواب) ان العقل عاجز عن ادراك
هذه الاشياء بمجرده وقد ورد تفكروا فى آلاء الله ولا تفكروا فى الخالق يعنى لضعف
العقول عن ذلك واذا قصرت عقولكم ايها المعتزلة والجهمية عن ادراك هذه الاشياء
فلا تنكروه وصدقوا الاخبار الصادقة الواردة فى ذلك ومن الدليل على عذاب القبر قوله
تعالى سنعذبهم مرتين أى مرة فى القبر ومرة فى القيامة وقوله تعالى ولنذيقنهم من
العذاب الادنى دون العذاب الاكبر وهو العذاب فى الحياة والعذاب فى القبر وقوله
فى الآية لعلهم يرجعون محمول على عذاب الحياة لانهم بعد الموت لا يمكن رجوعهم
وكذلك من الدليل قوله تعالى النار يعرضون عليها غدوا وعشيا أى فى البرزخ بدليل
قوله ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون أشد العذاب ومن الدليل على عذاب القبر
من السنة حديث نزل قوله تعالى يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى عذاب
القبر وماثبت من استعاذته صلى الله عليه وسلم من عذاب القبر وفى حديث القبرين
ان هذين يعذبان وما يعذبان فى كبير وقد صح مرفوعا تنزهوا من البول فان عامة عذاب
القبر منه وقال بعض المعتزلة التعذيب للروح دون البدن وعذابها تألمها على هلاك
البدن كما يتألم السلطان على عسكره اذا افناه عدوه لان الروح ملكية انتهى وقال بعضهم
يعذب بلا اعادة روح فاذا عادت اليه الروح يوم القيامة ظهر عليه الالم وهذا ليس
بشئ لما صح فى أبى داود وغيره مرفوعا ان الروح تعود الى الجسد واما انكار الجهمية
وبعض المعتزلة تسبيح الجماد فمردود بقوله تعالى وان من شئ الا يسبح بحمده وان تأتى
نافية ومنه قوله تعالى ان امهاتهم الا اللا ولدنهم وان منكم الا واردها ان اردنا الا الحسنى
ان يدعون من دونه الا اناثا ان يقولون الا كذبا فالتسبيح من الجمادات ثابت لان
الاستثناء من النفى اثبات وهذا منه وقد ثبت تسبيح الحصى فى كفه صلى الله عليه وسلم
وقد اتفق من يعتد بما فاقه على تسبيح العالم كله بلسان الحال واختلفوا فى تسبيحه بلسان
المقال فقال الشيخ عبد الوهاب ابن السبكى فى شرحه لعقيدة الامام الماتريدى
ابى منصور رحمه الله المختار ان كل شئ يسبح ربه نطقا وانه ليس فى العقل ما يمنعه وقد
دل على ذلك قوله تعالى انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى والاشراق وفى صحيح البخارى
أنهم كانوا يسمعون تسبيح الطعام وهو يؤكل عند النبى صلى الله عليه وسلم وفى صحيح مسلم

مرفوعا انى لاعرف حجرا بمكة كان يسلم على قبل ان أبعث وخبر حنين الجذع ثابت مشهور فاذا ثبت ان هذه الاشياء تتكلم ثبت جواز التسبيح بالقال كما دلت عليه الآية فلتحمل على ظاهرها وذهب الفخر الرازى وأكثر المعتزلة الى ان الجمادات وغير المكلف من الاحياء لا يسبح الا بلسان الحال وهو مذهب مردود وقال بعضهم ان كل حى ونام يسبح الله دون الميت واليابس واستدلوا لذلك بما ثبت فى حديث القبرين من قوله صلى الله عليه وسلم فى الجريدتين اللتين شقهما ووضعهما على القبر لعله يخفف عنهما ما دامتا رطبتين اشارة الى انهما يسبحان ما دامتا رطبتين دون ما اذا يبستا ونقل هذا المذهب عن الحسن وعكرمة وسبق فى مبحث الايمان مزيد كلام فى حياة الجماد فراجعه والله أعلم انتهى كلام المتكلمين وكان الشيخ تقى الدين ابن أبى المنصور يقول اذا جاء الانسان منكر ونكير لا يجيئان الا متشكلين لكل انسان بشاكلة عمله وعلمه واعتقاده فهما بوابان للبرزخ لا يدخل احد البرزخ الا ويمر عليهما أو يمران عليه فيسألان العبد بعد رد روحه اليه كله اوما بقى منه عن ربه وعن دينه وعن نبيه فيجيبهما بما يوافق ما مات عليه من ايمان اوكفر اوشك نسأل الله العافية * قال الشيخ محيى الدين ابن العربى رحمه الله وانما كان الملكان يقولان للميت ما تقول فى هذا الرجل من غير لفظ تعظيم وتفخيم لان مراد الملكين الفتنة ليتميز الصادق فى الايمان من المرتاب اذ المرتاب يقول لو كان لهذا الرجل القدر الذى كان يدعيه فى رسالته عند الله لم يكن هذا الملك يكنى عنه بمثل هذه الكناية وعند ذلك يقول المرتاب لا ادرى فيشقى شقاء الابد قال وهل يكون كلام الملكين للميت وكلامه لهما بصوت وحرف ام لا الذى اعطاه الكشف ان الكلام بعد الموت يكون بحسب الصورة التى يرى الميت نفسه فيها فان اقتضت الحرف والصوت كان الكلام بحرف وصوت وان اقتضت الاشارة أو النطق أو ما كان فهو ذاك وان اقتضت الذات أن يكون هى عين الكلام كان ذاك فان حضرة البرزخ تقتضى ذلك كله قال واذا رأى الميت نفسه فى صورة انسان حاز جميع المراتب فى الكلام فانه المقام الجامع لاحكام الصور كلها قال وقد جعل الله تعالى لنا النوم فى هذه الدار لنألف حالنا فى البرزخ بعد الموت فان حال الميت كحال النائم فى الصورة الظاهرة الا ان علاقة تدبير الهيكل باقية فى النوم بخلاف الموت فانه لا علاقة له فى التدبير مع احساس الجسم بالنعيم والعذاب كما يرى النائم فى نومه انه فى عذاب وشرور أو فى نعيم وسرور (فان قلت) فلم حجب الثقلان عن سماع كلام الميت وشهود عذابه او نعيمه دون البهائم (فالجواب) انما حجب الثقلان دون غيرهما لانهما من عالم التعبير بخلاف غيرهما فان الناس لو أبصروا شيئا من احوال الموتى لاخبر وابعضهم بعضا كما اشار اليه خبر لولا تمزع فى قلوبكم وتزيدكم فى الحديث لدعوت الله تعالى ان يسمعكم عذاب القبر وفى رواية اخرى لولا ان تدافنوا لدعوت الله ان يسمعكم عذاب القبر فعلم كما قال الشيخ فى الباب الثامن والسبعين وثلثمائة ان كل من رزقه الله تعالى الامانة من الاولياء سمع عذاب القبر وسمع كلام الشياطين حين يوحون الى اوليائهم

ليجادلونا وان الله تعالى ما اخذ باسماع الجن والانس وابصارهم الا طلبا للاستر فان المكاشف لو افشى ذلك لابطل حكمة الوضع الالهي من وجوب الايمان بالغيب فانه كان يصير شهادة (فان قلت) كيف استعاذة الانبياء من فتنة الممات مع عصمتهم (فالجواب) انما استعاذوا من ذلك لعلمهم بسعة الاطلاق وان الله تعالى يفعل ما يريد فقاموا بواجب عبوديتهم واظهار عجزهم وفاقتهم وسألوه من باب الافتقار لا يفتنهم اذا سألهم الملكان عن من ارسل اليهم وهو جبريل عليه السلام فانهم يسألون عنه تكريما كما نسأل نحن عن من ارسل الينا امتحانا والا فالانبياء معصومون لا يحزنهم الفزع الاكبر فضلا عن الاصغر فحضرتهم الاعتراف بانكسار بين يدي ربهم على الدوام (فان قلت) فما حقيقة البرزخ الذي ينتقل اليه بعد الموت (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثالث والستين من الفتوحات ان حقيقة البرزخ هو صور اسرافيل الذي ينفخ فيه وهو يسمى بالناقور ويسمى بالقرن فلا شئ أوسع من هذا القرن وجميع ما يقع للميت في قبره من العذاب والنعيم يدركه صاحبه ادراكا حقيقيا بأس لا في الحس كما ان جميع ما يدركه الانسان بعد الموت في البرزخ من نعيم وعذاب انما يدركه بعين الصورة التي هو فيها في القرن فان الله تعالى اذ قبض الارواح من الاجسام الطبيعية أودعها صورا جسدية في حضرة البرزخ الذي هو صور اسرافيل ثم ان من الصور ما يكون هناك مقيدا ومنها ما يكون مطلقا كارواح الانبياء كلهم وأرواح الشهداء وبعض الاولياء لان كل من حبس نفسه أيام تكليفه في قمقم الشريعة وحجر عليها ما حجره الشرع جازاه الله تعالى بالاطلاق في البرزخ وفي الجنة يتبوأ منها حيث يشاء قال ومن الارواح ما يكون له نظر الى عالم الدنيا ومنها ما يتجلى للنائم في حضرة الخيال قال واما قوم فرعون فيعرضون على النار في تلك الصور غدوا وعشيا ولا يدخلونها لانهم محبوسون في ذلك القرن وفي تلك الصورة ويوم القيامة يدخلون اشد العذاب وهو العذاب المحسوس لا المتخيل الذي كان لهم حال موتهم بالعرض عليه ومنهم من يحرق بالنار المحسوسة أيضا انتهى . وقال الشيخ محيي الدين في كتابه لواقح الانوار ان من أهل البرزخ من يخلق الله تعالى من همته من يعمل في قبره بعمله الذي كان يعمله في دار الدنيا كما صح ذلك عن ثابت البناني التابعي الجليل انهم فحوا قبره فوجدوه قائما يصلي ويشهده خلائق قال ويكتب الله لعبده ثواب ذلك العمل الى ان يخرج من البرزخ ويؤيد ذلك رجحان ميزان اهل الاعراف بالسجدة التي يسجدونها يوم القيامة ويدخلون بها الجنة فلولا ان البرزخ له وجه الى احكام الدنيا ما نفعتهم تلك السجدة ولا رجحت بها ميزانهم فهي آخر ما يبقى من اعمال اهل التكليف قال واما جميع من يرى في المنام او اليقظة من الاموات فكله مثالات متخيلة وليس منه شئ محقق الا ارواح الانبياء فقط فانها مشرفة على جميع وجود الدنيا والآخرة والبرزخ بخلاف ارواح من سواهم الا من شاء الله فانه ليس لها خروج من البرزخ فان رئي احدهم فهو اما ملك خلقه الله تعالى من همة ذلك الولي واما مثال اقامة الله تعالى على صورته

لتنفيذ

لتنفيذ ما يشاء من حكمة واطال فى ذلك بنحو ورقة ثم قال فعلم ان المكاشفين الكمل يرون حياة الجسم بعد مفارقة الروح وذلك ان للجسد عندهم حقائق وعوالم تقبل بها الادراك من غير واسطة الروح واذا انتقلت الروح الى محلها بعد المفارقة وبقى الجسم كان له الادراك بتلك الحقائق التى تخصه ولولا ذلك ما كان مسبحا بحمد ربه اذ التسبيح فرع عن المعرفة قال تعالى وان من شئ الا يسبح بحمده تقديره وان من شئ يعرفه لانه لا يمكن ان ينزه البارى جل وعلا عما لا يجوز عليه الا من عرفه قال وبتلك الحقائق نطقت وشهدوا قال تعالى وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذى انطق كل شئ انتهى وتقدم فى مبحث الايمان ماله تعلق بحياة الجساد فراجعه وقد بان لك يا اخى مما قررناه انه لا يقدح فى صحة نعيم القبر وعذابه كون ابصار اهل الدنيا لا تدركه قال صلى الله عليه وسلم القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النار. قال الشيخ فى الباب السادس والعشرين ومائة من الفتوحات المكية والمراد بهذه الجنة وهذه النار جنة البرزخ وناره لا الجنة والنار الكبيرتان اللتان يدخلهما الناس بعد الحساب والمرور على الصراط قال وهذا مما غلط فيه بعض اهل الله فى كشفهم فانهم اذا طلعوا بشئ من احوال الآخرة يظنون ان ذلك صحيح وانهم شاهدوا الآخرة على الحقيقة وليس كذلك وانما هى الدنيا اظهرها الله تعالى لهم فى عالم البرزخ بعين الكشف او النوم فى صورة ما جهلوه من احكام الدنيا فى اليقظة فيقولون رأينا الجنة والنار والقيامة وأين الدار من الدار واين الاتساع من الانساع ومعلوم ان القيامة ماهى الآن موجودة واذا رؤيت فى الحياة الدنيا فما هى الا قيامة الدنيا ونار الدنيا وفى الحديث الصحيح رأيت الجنة والنار فى مقامى هذا وما قال رأيت جنة الآخرة ولا نار الآخرة بل قال فى عرض هذا الحائط من الدار الدنيا وذكر انه رأى فى النار صاحبة الهرة التى حبستها وعمرو بن لحى الذى سيب السوائب وكان ذلك كله فى صلاة الكسوف فى اليقظة وفى حديث آخر مثلت لى الجنة فى عرض هذا الحائط وتمثل الشئ ماهو عين الشئ بل هو شبهه فقط ولا معنى لقول من قال ان اهل النار اليوم فى النار الكبرى فاذا كان يوم القيامة رجعوا الى القبر ثم بعثوا وحشروا وحوسبوا ثم يدخلون النار ثانيا قلت ويكفى احدنا الايمان بعذاب القبر ولا يحتاج الى بيان كيفية الحقيقة فان العقول تعجز عن مثل ذلك وسيأتى فى مبحث خلق الجنة والنار مزيد كلام فراجعه والله تعالى اعلم

(المبحث الخامس والستون فى بيان ان جميع اشراط الساعة التى اخبرنا بها الشارع حق لا بد ان تقع كلها قبل قيام الساعة)

وذلك كخروج المهدى ثم الدجال ثم نزول عيسى وخروج الدابة وطلوع الشمس من مغربها ورفع القرآن وفتح سد يأجوج ومأجوج حتى لو لم يبق من الدنيا الا مقدار يوم واحد لوقع ذلك كله قال الشيخ تقى الدين ابن أبى المنصور فى عقيدته وكل هذه الآيات تقع فى المائة الاخيرة من اليوم الذى وعد به رسول الله صلى الله عليه وسلم أمته بقوله ان صلحت أمتى فلها يوم وان فسدت فلها نصف يوم يعنى من أيام الرب

المشار اليها بقوله تعالى وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون قال بعض العارفين وأول الالف محسوب من وفاة على بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه آخر الخلفاء فان تلك المدة كانت من جملة أيام نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسالته فمهد الله تعالى بالخلفاء الاربعة البلاد ومراده صلى الله عليه وسلم ان بالالف قوة سلطان شريعته الى انتهاء الالف ثم تأخذ فى ابتداء الاضمحلال الى ان يصير الدين غريبا كما بدا وذلك الاضمحلال يكون بدايته من مضى ثلاثين سنة فى القرن الحادى عشر فهنالك يترقب خروج المهدى عليه السلام وهو من أولاد الامام حسن العسكرى ومولده عليه السلام ليلة النصف من شعبان سنة خمسة وخمسين ومائتين وهو باق الى ان يجتمع بعيسى بن مريم عليه السلام فيكون عمره الى وقتنا هذا وهو سنة ثمان وخمسين وتسعمائة سبعمائة سنة وست سنين هكذا اخبرنى الشيخ حسن العراقى المدفون فوق كوم الريش المطل على بركة الرطلى بمصر المحروسة عن الامام المهدى حين اجتمع به ووافقه على ذلك شيخنا سيدى على الخواص رحمهما الله تعالى وعبارة الشيخ محيى الدين فى الباب السادس والستين وثلثمائة من الفتوحات واعلموا انه لابد من خروج المهدى عليه السلام لكن لا يخرج حتى تمتلىء الارض جورا وظلما فيملأها قسطا وعدلا ولو لم يكن من الدنيا الا يوم واحد طول الله تعالى ذلك اليوم حتى يلى ذلك الخليفة وهو من عترة رسول الله صلى الله عليه وسلم من ولد فاطمة رضى الله عنها جده الحسين بن على بن أبى طالب ووالده حسن العسكرى بن الامام على النقى بالنون ابن محمد التقى بالتاء ابن الامام على موسى الرضى بن الامام موسى الكاظم بن الامام جعفر الصادق بن الامام محمد الباقر بن الامام زين العابدين بن على بن الامام الحسين بن الامام على بن أبى طالب رضى الله عنه يواطى اسمه اسم رسول الله صلى الله عليه وسلم يبايعه المسلمون بين الركن والمقام يشبه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الخلق بفتح الخاء وينزل عنه فى الخلق بضمها اذ لا يكون احد مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اخلاقه والله تعالى يقول وانك لعلى خلق عظيم هو اجلى الجبهة اقنى الانف اسعد الناس به اهل الكوفة يقسم المال بالسوية ويعدل به فى الرعية يأتيه الرجل فيقول يامهدى اعطنى وبين يديه المال فيحثى له فى ثوبه ما استطاع ان يحمله يخرج على فترة من الدين يزع الله مالا يزع بالقرآن يمسى الرجل جاهلا وجبانا وبخيلا فيصبح عالما شجاعا كريما يمشى النصر بين يديه يعيش خمسا او سبعا او تسعا يقفو اثر رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخطى له ملك يسدده من حيث لا يراه يحمل الكل ويعين الضعيف ويساعد على نوائب الحق يفعل ما يقول ويقول ما يفعل ويعلم ما يشهد يصلحه الله فى ليلة يفتح المدينة الرومية بالتكبير مع سبعين ألفا من المسلمين من ولد اسحق يشهد الملحمة العظمى مأدبة الله بمرج عكا يبيد الظلم واهله يقيم الدين وينفخ الروح فى الاسلام يعز الله به الاسلام بعد ذله ويحييه بعد موته يضع الجزية ويدعو الى الله بالسيف فمن أبى قتل

ومن نازعه خذل يظهر من الدين ما هو عليه الدين في نفسه حتى لو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حياً لحكم به فلا يبقى في زمانه الا الدين الخالص عن الرأي يخالف في غالب أحكامه مذاهب العلماء فينقبضون منه لذلك لظنهم ان الله تعالى ما بقي يحدث بعد أئمتهم مجتهداً وأطال في ذكر وقائعه معهم ثم قال واعلم أن المهدي اذا خرج يفرح به جميع المسلمين خاصتهم وعامتهم وله رجال الهيون يقيمون دعوته وينصرونه هم الوزراء له يتحملون أثقال المملكة ويعينونه على ما قلده الله تعالى له ينزل عليه عيسى بن مريم عليه السلام بالمنارة البيضاء شرقي دمشق متكئاً على ملكين ملك عن يمينه وملك عن يساره والناس في صلاة العصر فيتنحى له الامام عن مكانه فيتقدم فيصلي بالناس يأمر الناس بسنة محمد صلى الله عليه وسلم يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويقبض الله المهدي اليه طاهراً مطهراً وفي زمانه يقتل السفياني عند شجرة بغوطة دمشق ويخسف بجيشه في البيداء فمن كان مجبوراً من ذلك الجيش مكرهاً يحشر على نيته وقد جاءكم زمانه واظلكم أوانه وقد ظهر في القرن الرابع اللاحق بالقرون الثلاثة الماضية قرن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قرن الصحابة ثم الذي يليه ثم الذي يلي الثاني ثم جاء بينهما فترات وحدثت أمور وانتشرت أهواء وسفكت دماء فاختفى الى ان يجيء الوقت الموعود فشهداؤه خير الشهداء وامناؤه أفضل الامناء قال الشيخ محيي الدين وقد استوزر الله تعالى له طائفة خبأهم الله له في مكنون غيبه أطلعهم كشفاً وشهوداً على الحقائق وما هو امر الله عليه في عباده وهم على أقدام رجال من الصحابة الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه وهم من الاعاجم ليس فيهم عربي لكن لا يتكلمون الا بالعربية لهم حافظ من غير جنسهم ما عصى الله قط هو أخص الوزراء واعلم ان المهدي لا يفعل شيئاً قط برأيه وانما يشاورهؤلاء الوزراء فانهم هم العارفون بما هنالك وأما هو عليه السلام في نفسه فهو صاحب سيف حق وسياسة ومن شأن هؤلاء الوزراء ان أحدهم لا ينهزم قط من قتال وانما يثبت حتى ينصر أو ينصرف من غير هزيمة الا تراهم يفتحون مدينة الروم بالتكبير فيكبرون التكبيرة الاولى فيسقط ثلثها ويكبرون الثانية فيسقط الثلث الثاني من السور ويكبرون الثالثة فيسقط الثالث فيفتحونها من غير سيف وهذا هو عين الصدق الذي هو والنصر اخوان * قال الشيخ وهؤلاء الوزراء دون العشرة وفوق الخمسة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم شك في مدة اقامته خليفة من خمس الى تسع للشك الذي وقع في وزرائه فلكل وزير معه اقامة سنة فان كانوا خمسة عاش خمسة وان كانوا سبعة عاش سبعة وان كانوا تسعة عاش تسعة أعوام ولكل عام منها أحوال مخصوصة وعلم يختص به ذلك الوزير فما هم أقل من خمسة ولا أكثر من تسعة قال الشيخ ويقتلون كلهم الا واحداً منهم في مرج عكا في المأدبة الالهية التي جعلها الله تعالى مائدة للسباع والطيور والهوام * قال الشيخ وذلك الواحد الذي يبقى لا أدري هل هو ممن استثنى الله في قوله ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله أو هو يموت في تلك النفخة * قال الشيخ محيي الدين وانما شككت في مدة اقامة المهدي اماما

فى الدنيا ولم اقطع فى ذلك بشئ لانى ما طلبت من الله تحقيق ذلك ادبا معه تعالى ان اسأله
فى شئ من ذات نفسى قال ولما سلكت معه هذا الادب قيض الله تعالى لى واحدا من
أهل الله عز وجل فدخل على وذكر لى عدد هؤلاء الوزراء ابتداء وقال لى هم تسعة
فقلت له ان كانوا تسعة فان بقاء المهدى لا بد ان يكون تسع سنين فانى عليم بما يحتاج
اليه وزيره فان كان واحدا اجتمع فى ذلك الواحد جميع ما تحتاج اليه وزراؤهم وان كانو
أكثر من واحد فما يكون أكثر من تسعة فانه النهاية هى الشك من رسول الله صلى الله
عليه وسلم فى قوله خمسا أو سبعا أو تسعا يعنى فى اقامة المهدى تشخيصا لخواص أصحابه
ليطلبوا العلم ولا يقنعوا بالتقليد فانه قال ما يعلمهم الا قليل فافهم قال وجميع ما يحتاج اليه
وزراء المهدى فى قيامهم تسعة أمور لا عاشر لها ولا تنقص عن ذلك وهى نفوذ البصر
ومعرفة الخطاب الالهى عند الالقاء وعلم الترجمة عن الله وتعيين المراتب لولاة الامر
والرحمة فى الغضب وما يحتاج اليه الملك من الارزاق المحسوسة وغيرها وعلم تداخل
الامور بعضها على بعض والمبالغة والاستقصاء فى قضاء حوائج الناس والوقوف على علم
الغيب الذى يحتاج اليه فى الكون فى مدته خاصة فهذه تسعة امور لا بد أن تكون
فى وزراء المهدى من واحد فاكثر واطال الشيخ فى شرح هذه الامور بنحو عشرة
أوراق ثم قال واعلم ان ظهور المهدى عليه السلام من أشراط قرب الساعة كذلك خروج
الدجال فيخرج من خراسان من أرض الشرق موضع الفتن يتبعه الاتراك واليهود
ويخرج اليه من اصبهان وحدها سبعون الف الفا مطيلسين وهو رجل كهل اعور العين
اليمنى كان عينه عنبة طافية مكتوب بين عينيه كاف فا را قال الشيخ محيى الدين
فلا أدرى هل المراد بهذا الهجاء كفر من الافعال الماضية أو اراد به كفر من الاسماء
الان الالف حذفت كما حذفها العرب فى خط المصحف فى مواضع مثل ألف الرحمن بين
الميم والنون (فان قلت) فما صورة ما يحكم به المهدى اذا خرج هل يحكم بالنصوص
أو بالاجتهاد أو بهما (فالجواب) كما قاله الشيخ محيى الدين انه يحكم بما القى اليه ملك
الالهام من الشريعة وذلك انه يلهمه الشرع المحمدى فيحكم به كما أشار اليه حديث
المهدى انه يقفو اثرى لا يخطئ فعرفنا صلى الله عليه وسلم انه متبع لا مبتدع وانه
معصوم فى حكمه اذ لا معنى للمعصوم فى الحكم الا انه لا يخطئ وحكم رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا يخطئ فانه لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى وقد أخبر
عن المهدى انه لا يخطئ وجعله ملحقا بالانبياء فى ذلك الحكم * قال الشيخ فعلم
انه يحرم على المهدى القياس مع وجود النصوص التى منحه الله اياها على لسان ملك
الالهام بل حرم بعض المحققين على جميع أهل الله القياس لكون رسول الله
صلى الله عليه وسلم مشهودا لهم فاذا شكوا فى صحة حديث أو حكم رجعوا اليه فى ذلك
فأخبرهم بالامر الحق يقظة ومشافهة وصاحب هذا المشهد لا يحتاج الى تقليد أحد
من الائمة غير رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعالى قل هذه سبيلى ادعو الى الله

على بصيرة انا ومن اتبعني واطال في ذلك ثم قال فللامام المهدى أيضا الاطلاع من جانب الحق على ما يريد الحق تعالى ان يحدثه من الشؤن قبل وقوعها في الوجود ليستعد لذلك قبل وقوعها فان كان ذلك مما فيه منفعة لرعية شكر الله عزّ وجل وسكت عنه وان كان مما فيه عقوبة بنزول بلاء عام أو على اشخاص معينين سأل الله تعالى فيهم وشفع وتضرع اليه فصرف الله عنهم ذلك البلاء بفضله ورحمته وأجاب دعاءه وسؤاله (فان قلت) فاذا عمى الله تعالى عليه حكما في نازلة ماذا يفعل (فالجواب) اذا عمى الله تعالى عليه حكما في نازلة ولم يقع له بها تعريف ولا كشف الحقها في الحكم بالمباحات فيعلم بعد التعريف ان ذلك حكم الشرع فيها فانه معصوم من الرأى والقياس في الدين اذ القياس ممن ليس بنبي حكم على الله في دينه بما لا يعلم فانه طرد علة وما يدرى العبد لعل الله لا يريد طرد تلك العلة ولو انه كان ارادها لابانها على لسان محمد صلى الله عليه وسلم وابان بطردها واطال في ذلك ثم قال واعلم انه لم يبلغنا ان النبي صلى الله عليه وسلم نص على أحد من الائمة بعده ان يقفوا اثره لا يخطى الا المهدى خاصة فقد شهد له بعصمته في خلافته واحكامه كما شهد الدليل العقلي بعصمة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يبلغه عن ربه من الحكم المشروع له في عباده (فان قلت) فاذا نزل عيسى عليه السلام فمتى يموت وكيف يموت (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب التاسع والستين وثلثمائة انه يموت اذا قتل الدجال وذلك انه يموت هو وأصحابه في نفس واحد فيأتيهم ريح طيبة تأخذهم من تحت آباطهم يجدون لها لذة كلذة الوسنان الذى قد جهده السهر وأتاه في السحر العسيلة سميت بذلك لحلاوتها فيجدون للموت لذة لا يقدر قدرها ثم يبقى بعدهم رعاع كغثاء السيل اشباه البهائم فعليهم تقوم الساعة انتهى * وأما طلوع الشمس من مغربها فقد ورد في الصحيح مرفوعا لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فاذا طلعت ورآها الناس آمنوا اجمعون حتى لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل وطلوع الشمس من مغربها جائز في العقل لا استحالة فيه فان الله قادر على ذلك والجهات بالنسبة الى قدرته متساوية وفي ذلك رد على نمروذ لما قال له ابراهيم عليه السلام فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الآية * قال الشيخ أبو طاهر القزويني وأصحاب الهيئة والمنجمون يستحيلون طلوعها من المغرب فيقال لهم أليس الله تعالى قد اجرى العادة بان كل دوارة من رحى ودولاب اذا انتهى دورها ترجع منعكسة ثم تقف فيم ينكرون ان الله تعالى يعكس دوران الشمس عند انتهاء أدوارها قال تعالى والشمس تجرى لمستقر لها والمستقر مصدر بمعنى الاستقرار واللام بمعنى الى كما قال تعالى بان ربك أوحى لها أى اليها قال وعند وقوف الشمس في وسط السماء تنشق السماء وتنكدر النجوم ويقولون في المثل السائر الدولاب اذا تعطل تكسر * وهناك يظهر الشمس والقمر في وسط السماء كالغرارتين وفي رواية اخرى كالثورين الاسودين فاذا طلعا الى وسط السماء رجعا نازلين الى المغرب لا انهما يغربان في المشرق كما توهمه بعضهم وفي الحديث انهما يطلعان من المغرب مكورتين كالغرارتين فلا ضوء

للشمس ولا نور للقمر ومابين طلوع الشمس من مغربها الى نفخ الصور اقل من ان يركب الرجل المهر بعد النتاج (فان قيل) قد ورد فى الحديث انهما يطلعان ذلك اليوم من المشرق الى نفخ الصور (فالجواب) لا اعتبار بذلك الطلوع اذ هو طلوع اضطراب للوقوف والانتهاء لا طلوع دوب لهما بحساب وكذلك يكون حال كل دوارة اذا انتهى دورها تنعكس مرة وترجع اخرى ثم تقف هكذا سنة الله فى الخلق ولن تجد لسنة الله تحويلا وتقدم فى مبحث الايمان ان الشمس اذا طلعت من مغربها اغلق باب التوبة فمن كان مؤمنا لا يدخل قلبه بعد ذلك كفر ومن كان كافرا لا يدخل قلبه بعد ذلك ايمان فراجعه (فان قيل) فما الدليل على نزول عيسى عليه السلام من القرآن (فالجواب) الدليل على نزوله قوله تعالى وان من أهل الكتاب لا ليؤمنن به قبل موته أى حين ينزل ويجتمعون عليه وانكرت المعتزلة والفلاسفة واليهود والنصارى عروجه بجسده الى السماء وقال تعالى فى عيسى عليه السلام وانه لعلم للساعة قرئ لعلم بفتح اللام والعين والضمير فى انه راجع الى عيسى عليه السلام لقوله تعالى ولما ضرب ابن مريم مثلا ومعناه ان نزوله علامة القيامة وفى الحديث فى صفة الدجال فبينما هم فى الصلاة اذ بعث الله المسيح بن مريم فنزل عند المنارة البيضاء شرقى دمشق بين يديه مهرذ بتان واضعا كفه على اجنحة ملكين والمهرذبتان بالذال المعجمة والمهملة معا حلتان مصبوغتان بالورس فقد ثبت نزوله عليه السلام بالكتاب والسنة وزعمت النصارى ان ناسوته صلب ولاهوته رفع والحق انه رفع بجسده الى السماء والايمان بذلك واجب قال تعالى بل رفعه الله اليه قال أبو طاهر القزوينى واعلم ان كيفية رفعه ونزوله وكيفية مكثه فى السماء الى ان ينزل من غير طعام ولا شراب مما يتقاصر عن دركه العقل ولا سبيل لنا الا ان نؤمن بذلك تسليما السمعة قدرة الله تعالى واطال فى ذكر شبه الفلاسفة وغيرهم فى انكار الرفع (فان قيل) فما الجواب عن استغنائه عن الطعام والشراب مدة رفعه فان الله تعالى قال وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام (فالجواب) ان الطعام انما جعل قوتا لمن يعيش فى الارض لانه مسلط عليه الهواء الحار والبارد فيحل بدنه فاذا انحل عوضه الله تعالى بالغذاء اجراء لعادته فى هذه الخطة الغبراء وأما من رفعه الله الى السماء فانه يلطفه بقدرته ويغنيه عن الطعام والشراب كما اغنى الملائكة عنهما فيكون حينئذ طعامه التسبيح وشرابه التهاليل كما قال صلى الله عليه وسلم انى ابيت عند ربى يطعمنى ويسقينى وفى الحديث مرفوعا ان بين يدى الدجال ثلاث سنين سنة تمسك السماء ثلث قطرها والارض ثلث نباتها وفى السنة الثانية تمسك السماء ثلثى قطرها والارض ثلثى نباتها وفى السنة الثالثة تمسك السماء قطرها كله فقالت له اسماء بنت زيد يا رسول الله انا لنعجن عجيننا فما نخبزه حتى نجوع فكيف بالمؤمنين حينئذ فقال يجزيهم ما يجزى أهل السماء من التسبيح والتقديس قال الشيخ أبو طاهر وقد شاهدنا رجلا اسمه خليفة تاخراط كان مقيما بابهرمن بلاد المشرق مكث لا يطعم طعاما منذ ثلاث وعشرين سنة وكان يعبد الله ليلا ونهارا من غير ضعف فاذا علمت ذلك فلا يبعد ان يكون

قوت عيسى عليه السلام التسبيح والتهليل والله اعلم بجميع ذلك * وأما خروج الدابة التي يقال لها الجساسة فقد ذكر الشيخ محيي الدين في الباب السابع والخمسين وثلثمائة في قوله تعالى اخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم مانصه اعلم ان هذه الدابة تخرج من اجناد وهي دابة كثيرة الشعر لا يعرف قبلها من دبرها فتنفخ في وجوه الناس شرقا وغربا برا وبحرا جنوبا وشمالا فيرتقم بنفخها في جبين كل شخص ماهو عليه في علم الله تعالى من ايمان وكفر فيقول من سمته مؤمنا لمن سمته كافرا يا كافر اعطني كذا وكذا بغضب من ذلك الاسم لعلمه بانه مكتوب في جبينه كتابة لا يمكنه ازالتها فيقول الكافر للمؤمن نعم أولا في قضاء ما طلب منه فليس كلامها المنسوب اليها في العموم سوى ماوسمت به الوجوه بنفخها وان كان لها كلام مع من يجالسها في سائر أصحاب اللسان فهي تكلمه بلسانه عربيا كان أو عجميا على اختلاف اللغات * وقد ورد حديثها في صحيح مسلم في حديث الدجال حيث دلت تميما الداري عليه وقالت له انه الى حديثك بالاشواق * قال الشيخ وهي الآن في جزيرة من البحر الذي يلي جهة الشمال وهي الجزيرة التي فيها الدجال قال وانما سمى الله تعالى رقمها في وجوه الناس كلاما لانه افاد ما افاده الكلام الا ترى العاقل من أهل النظر اذا أراد ان يوصل اليك ما في نفسه لم يقتصر في ذلك التوصيل على العبارة بنظم حروف ولا بد فان غرضه منك انما هو اعلامك بالامر الذي في نفسه فوقتا بالعبارة اللفظية المسماة في العرف قولا وكلاما ووقتا بالاشارة بيد اورأس أو بما كان ووقتا بكتابة ورقوم ووقتا بما يريد الحق افهامك به فيوجد فيك اثرا تعرف منه ما في نفسه ويسمى هذا كلاما فصح ان رقم الدابة يطلق عليه كلام والله أعلم واطال في ذلك في الباب السابع والخمسين وثلثمائة بذكر فوائد عظيمة فراجعها * وأما رفع القرآن فروى البيهقي في الشعب عن ابن مسعود قال اقرؤا القرآن قبل ان يرفع فانه لا تقوم الساعة حتى يرفع قالوا هذه المصاحف ترفع فكيف بما في صدور الناس قال يغدى عليهم ليلا فيرفع من صدورهم فيصبحون فيقولون لكنا كنا نعلم شيئا ثم يقعون في الشعر * قال القرطبي وهذا انما يكون بعد موت عيسى عليه السلام وبعد هدم الحبشة الكعبة * واما خروج يأجوج ومأجوج فهو ثابت بالنصوص القطعية وهو سد عظيم يصل اليه السواح * واخبرني الشيخ عبد القادر الدشطوطي رحمه الله ان لسيدي ابراهيم المتبولي كل سنة سماطا يمده فوق هذا السد فيحضره جميع الاولياء والصحابة الاحياء والاموات قال وقد حضرت معهم مرات فقلت له وهل يسع السد هؤلاء الناس كلهم فقال نعم طوله سبعون ميلا وعرضه خمسون ميلا انتهى واحوال مقدمات الساعة صنف الناس فيها كتبا كثيرة وانما بخصنا في العقائد الاشارة بذكر طرف منها الاجل الايمان بها لا غير والله أعلم (خاتمة) ذكر الشيخ في الباب التاسع والخمسين من الفتوحات في معنى حديث الدجال يوم كجمعة ويوم كشهر ويوم كسنة وسائر ايامه كايامكم معنى يوم كجمعة ان الغيوم تكثر في ذلك الزمان فلا ترى الشمس الا بعد سبعة ايام فتطلع الشمس وتغرب ولا يعلم ذلك الا ارباب

الكشف وكذلك القول فى الشهر والسنة وليس المراد ان اليوم الواحد يمتد مقدار سنة مثلا لانه لو امتد لم يكن يلزمنا فيه الا خمس صلوات فقط فى كل يوم وليلة فلما تواترت الغيوم وتوالت تساوى فى رأى العين وجود الليل والنهار فظن الناس ان الشمس لم تغرب فى نفس الامر وهو من الاشكال الغريبة التى تحدث فى آخر الزمان فاذا حال الغيم المراكم بيننا وبين السماء كانت الحركات التى علمها أهل الهيئة باقية كما هى لم تختل ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اقدروا لها أى للصلوات فلما اقر الشارع أوقات الصلاة بالتقدير عرفنا ان حركات الافلاك على حالها لم يختل نظامها فال ولو ان ذلك اليوم الذى كسنة يوم واحد ممتد لوجب علينا ان لا نصلى الظهر حتى تزول الشمس ومالم تزل الشمس لا نصلى الظهر ولو مكثنا اكثر من سنة فتحصل من هذا ان المعنى اقدروا لها من يوم واحد مثلا أى فى رأى العين لا فى نفس الامر فانه فى نفس الامر مضى اليوم ولم يشهد به أحد وان اليوم الذى كسنة تطلع فيه الشمس وتغرب ثلثمائة وستين يوما وكذلك القول فى الشهر والجمعة تمكث الشمس فيه لا ترى شهرا أو سبعة أيام . قلت وهذا الذى ذكره الشيخ جلال الدين خلاف مايدل عليه ظاهر قوله فى الحديث فاقدروا له فليتأمل فان غالب الافهام على ان اليوم الواحد يطول المدة التى ذكرها فى الحديث من جمعة أو شهر أو سنة والله أعلم بحقيقة الحال

(المبحث السادس والستون فى وجوب اعتقاد ان الله تعالى يعيدنا كما بدأنا أول مرة وبيان كيفية تهيئة الاجساد لقبول الارواح وبيان صورة الصور واحياء من فى القبور وبيان شبه المنكرين للبعث)

ولنبدأ بعبارة شرح جمع الجوامع وحاشيته ثم نذكر نقول المحققين من الصوفية فنقول وبالله التوفيق اعلم ان عود الجسم بعد الاعدام بجميع اجزائه الاصلية وعوارضه حق كما كان قبل الموت قال تعالى وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وقال تعالى كما بدأكم تعودون وقال تعالى وبعثر ما فى القبور مع ماقد ورد فى الكتاب والسنة من العبارات التى لا تقبل التأويل حتى ان ذلك صار معلوما من الدين بالضرورة وانعقد الاجماع على كفر من انكر البعث جوازا أو وقوعا وقد انكرت الفلاسفة اعادة الاجسام وقالوا انما تعاد الارواح بمعنى انها بعد موت البدن تعاد الى ما كانت عليه ملتذة بالكمال أو متألمة بالنقصان قال الكمال فى حاشيته ومرادهم بقولهم ان الجسم يعاد بجميع اجزائه الاصلية أى الباقية من أول العمر الى اخره لا ان الاجزاء مطلقا تعاد وذلك ليندفع بذلك الشبهة المشهورة وهى ما اذ أكل انسان انسانا بحيث صار المأكول جزأ من الاكل فاذا اعاد الله تعالى ذينك الانسانين بعينهما فتلك الاجزا التى كانت للمأكول ثم صارت للاكل اما ان تعاد فى كل واحد منهما وهو محال لاستحالة ان يكون جزء واحد بعينه فى آن واحد فى شخصين متباينين او يعاد فى أحدهما وحده فلا يكون الآخر معادا بعينه والمفروض خلافه ووجه الاندفاع ان المعاد هو الاجزاء الاصلية الباقية من اول العمر الى آخره دون الاجزاء الفضلية والاجزاء

الاصلية التي كانت للمأكول هي فضلة في الاكل فانا نعلم ان الانسان باق مدة عمره واجزاء الغذاء تتوارد عليه وتزول عنه واذا كانت فضلة لم يجب اعادتها في الاكل بل في المأكول انتهى والله اعلم وعبارة الشيخ محيي الدين اعلم ان من انكر البعث والاعادة في الاجسام كفر وصورة الاعادة ان الله تعالى ينزل من السماء مطرا يشبه مني الرجال تمخض منه الارض فينشئ الله تعالى منه الخلق النشأة الاخرة قائمة على عجب الذنب الذى بقي من نشأة الدنيا وهو اصلها الذى لا يقبل البلاء كما مر في مبحث الارواح ثم اذا أنشأها الله تعالى النشأة الآخرة وسوّاها وعدلها استعدت لقبول الارواح كاستعداد الشجر بالنارية التي فيه لقبول الاشتعال وكانت الصور البرزخية كالسرج المشتعلة بالارواح التي فيها فاذا نفخ اسرافيل في الصور الذى هو الحضرة البرزخية التي ينتقل اليها بعد الموت مرت تلك النفخة على جميع تلك الصور البرزخية التي احتوى عليها الصور فاطفأتها كلها فيقول الله عز وجل لمن الملك اليوم فلا يجيبه احد فاذا نفخ الثانية اشتعلت تلك الصور المستعدة للاشتعال بأرواحها فاذا هم قيام ينظرون فكل صورة تقوم حية ناطقة بما ينطقها الله عز وجل به فمنهم من ينطق بالحمد لله ومنهم من ينطق بقوله سبحان من احيانا بعد ما اماتنا واليه النشور ومنهم من ينطق بقوله من بعثنا من مرقدنا وهكذا ينطق كل انسان بما كان عليه عند موته واعلم ان كل واحد ينسى حاله الذى كان عليه في البرزخ ويتخيل ان كل ما كان فيه منام كما يتخيله المستيقظ من منامه وقال في باب الاسرار في قوله تعالى وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده المراد بالخلق هو الفعل الصادر منه تعالى لا المخلوق فان عين المخلوق ما زالت من الوجود وان اختلفت عليها الاطوار في الدنيا والبرزخ والجنة والنار فان عين المخلوق واحدة من حيث جوهرها فلم تنعدم حتى يقال انها توجد وانما هو انتقال في علم الله تعالى من وجود الى وجود ولذلك كان نعيم القبر وعذابه حقا وايضاح ذلك ان نشأة الآخرة ابتداء لا اعادة حقيقة اذ لو كانت اعادة حقيقة لعاد حكمها معها من التكليف فكل جوهر لا ينعدم من حين خلقه الله تعالى وانما هي اطوار تتوارد عليه واطال في ذلك ثم قال فعلم ان الحق تعالى لما دعى الارواح من هيا كلها حنت الى ذلك الدعاء وهان عليها مفارقة الوعاء فكان لها الانفساخ بالسراح من هذه الاشباح ثم انه اذا وقعت الاعادة عادت الى ما كانت عليه روحا وجسما هذا معنى الرجوع انتهى فليتامل * وقال في الباب الثاني والسبعين وثلثمائة ان لم تكن الاعادة على صورة الابتداء فما هي اعادة انتهى * وقال في الباب السبعين من الفتوحات في قوله تعالى كما بدأكم تعودون اعلم ان الحق تعالى قد بدأنا على غير مثال سبق وكذلك يكون انشاؤه لنا في الآخرة على غير مثال سبق فمن علم ذلك لم يستبعد وقوع المحالات من حيث العقل والا فليس ذلك بمحال من حيث القدرة الالهية انتهى فليحرر وسيأتي أيضا عن الغزالي في جواب السؤال الثاني من شبه المنكرين للبعث فراجعه * وقال في الباب الحادي والسبعين وثلثمائة في قوله تعالى اذا بعثر ما في القبور اعلم انه اذا بعثر ما في القبور وأخرجت الارض أثقالها

لم يبق فى بطنها سوى عينها فخرج ما كان فيها اخراجا لا نباتا وذلك لفرق بين نشأة
الدنيا الظاهرة وبين نشأة الآخرة فان الدنيا أنبتنا فيها من الارض نباتا كما ينبت
النبات شيئا بعد شئ على التدريج وقبول الزيادة فى الجرم طولا وعرضا واما نشأة
الآخرة فهى اخراج من الارض على الصورة التى يشاء الحق تعالى ان يخرجنا عليها
قال تعالى وننشئكم فيما لا تعلمون فاذا اخرجت الارض اثقالها وحدثت بأنه لم يبق
فيها مما اختزنته شئ جيئ بالعالم الى الظلمة التى دون الحشر فألقى الخلائق فيها حتى
لا ينظر بعضهم بعضا ولا يبصرون كيفية التبديل فى السماء والارض حتى يقع فتمتد
الارض اولا مد الاديم وتبسط فلا ترى فيها عوجا ولا أمتا وهى الساهرة اذ لا نوم فيها
لكونها بعد الدنيا ولا نوم لاحد بعدها انتهى * وقال فى الثالث وثلثمائة اعلم ان الناس
قد اختلفوا فى صفة الاعادة بناء على اختلافهم فى الموت هل هو طلاق رجعى او بائن
وفرعوا على ذلك ما اذا ماتت امرأة هل يغسلها زوجها فقال بعضهم حكمها بعد
موتها كالاجنبية قطعا فليس له ان يكشف عليها وقال قوم حرمة الزوجية باقية
فله ان يغسلها وحاله معها كحاله حال حياتها فان كان رجعيا فان الارواح ترد الى
أعيان هذه الاجسام من حيث جواهرها فى البعث وان كان بائنا فقد ترد اليها
ويختلف التأليف وقد ينشأ لها أجسام أخر لاهل النعيم أصفى وأحسن ولاهل العذاب
بالعكس قال والحق انها ترد الى أعيان هذه الاجسام التى كانت مكلفة حتى تنعم
أو تعذب وحتى تشهد على صاحبها حين تستشهد انتهى * وقال فى الباب الستين
وماثتين اعلم ان الجوارح اذا استشهدت يوم القيامة على النفس المدبرة هى والجلود
لا تشهد بوقوع معصية ولا طاعة لانه لا خبر لها بما تنويه النفس فى الاعمال ولا تدرى
هل ذلك العمل مشروع أو غير مشروع وانما تشهد بما عملته والله تعالى يعلم حكمه
فى ذلك العمل ولهذا قال تعالى يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا
يعملون ولم يشهدوا بكون ذلك العمل طاعة أو معصية فان مرتبة الجوارح لا تقتضى
ذلك انما تقتضى ان الفرج مثلا يقول انا دخلت فى فرج فلانة ويقول الفم انا شربت
خمرا ولا علم لها بكون ذلك حراما ام لا وسيأتى عبارة الشيخ ابى طاهر فى بيان شبهة
المنكرين للبعث ان شاء الله تعالى * وقال الشيخ محيى الدين فى علوم الباب التاسع
والستين وثلثمائة اعلم ان العمل حق للجارحة والنية حق للروح ولا خبر للجارحة
بما نوته النفس من ذلك فاذا شهدت الجلود من هذه النشأة والاسماع والابصار
والايدى والارجل وجميع الجوارح لا تشهد الا بما جرى منها لا علم لها بكون صاحبها
تعدى حدود الله ام لا قال الشيخ وليس فى العلوم اصعب تصورا من هذه المسئلة فان
الارواح طاهرة بحكم الاصل والاجسام وقواها كذلك طاهرة بما فطرت عليه من
تسبيح خالقها وتوحيده ثم باجتماع الجسم والروح حدث اسم الانسان وتعلق به
التكليف وظهرت منه الطاعات والمخالفات فالارواح لا حظ لها فى الشقاء لطهارتها
والنفوس الحيوانية تجرى بحكم طبعها فى الاشياء ليس عليها بمجردها تكليف والجوارح

كلها ناطقة مسجلة بجده فمن المخالف والعاصى المتوجه عليه الذم والعقوبة فان كان قد حدث بالمجموع للجمعية القائمة بالانسان امر آخر كما حدث له اسم الانسان فما هو وذلك الحادث الذى حدث وما هو حقيقته انتهى وقد اجاب بعضهم بان الله تعالى ما كلف الا البالغ العاقل ولا يكون مكلفا الا من جمع بين الروح والجسم ومتى فارقت الروح الجسم اوعكسه انتفى التكليف فانتفى المدح والذم والعقوبة فليتامل واما بيان تهيئة الاجساد لقبول الارواح فقال الامام أبو طاهر فى كتابه سراج العقول اعلم ان المنكرين للمعاد ورد الارواح الى الاجساد زعموا ان تعلق الارواح اللطيفة بالتراب الراسى الغليظ الجافى مستبعد مستحيل للتنافر بينهما طبعا وان قدر ذلك فلا يتصور الابعد أن ينقلب التراب نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم ينتهى الى التسوية وهيهات وقالوا انا انكم تدعون ان الرفات والتراب يحيى بالروح وذلك رجع بعيد فنقول لهم اعتبروا بالنشأة الاولى فان القدرة الازلية لم تقصر عما كانت عليه فى الخلق الاول من التراب اذ قال له كن فكان ثم ان هؤلاء انما يقيسون الاحياء فى الآخرة على ما عهدوه فى الدنيا من اجراء الله العادة فى خلق الجنين ولو لم يشاهدوا ذلك فى الابتداء واخبروا به لكانوا اشد انكارا على انا نقول لعل الله تعالى ينقل تراب القبور فى تغييرات نوازل الساعة واستحالاته طورا بعد طور حتى يبلغ حالة التسوية ثم يأمر بنفخ الروح فيه كما كان ذلك فى تخمير طينة آدم عليه السلام حين سوّاه ونفخ فيه من روحه وذلك ان الاطوار المتعارفة فى خلق الجنين هى كونه نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظما كما دلت عليه الآية وكانت تلك الاطوار فى حق آدم عليه السلام هو قوله خلقكم من تراب خلقكم من طين من حمأ مسنون من صلصال كالفخار فاستوى مراتب خلق آدم وخلق الجنين فتم عدل أعضاء آدم هنالك وأعضاء بنيه ههنا بالتصوير فخلق آدم على صورته الخاصة به كما شاء فتم ذلك فى حق آدم فى اربعين صباحا التى هى مدة التخمير وتم ذلك فى خلق الجنين من اولاده فى مائة وعشرين يوما من ثلاث اربعينات وفى هذا المقام تساوى الاب والولد فى استتمام الخلقة غير ان صورة الاب طين وصورة الابن لحم ودم وعظم فسوّى الله تعالى جسم آدم مع جسد الجنين بقوله كن فكان وكان الطين لحما ودما وعصبا وعظما وذلك قوله تعالى كمثل ادم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون فاخبر ان تكوينه بعد خلقه اذ تقدم قوله خلقه من تراب وهذا الطور هو التسوية فى قوله فاذا سويته ونفخت فيه من روحى وقال فى الجنين ثم أنشأناه خلقا آخر وهذا يشهد له اشارات الآيات والاحاديث بتلويحات خفية وجلية منبئة بأن هذه الاطوار أيضا تتعاور على التراب عند النشأة الاخرى وايضاح ذلك ان الارض كفات أودعت ذرات الاموات بعد اختلاطاتها وتفرقها فى جهات الارض بكرور الدهور ومرور الايام والشهور فاذا اقتربت الساعة وفنيت الجماعة وأراد الله تعالى ان يبعثهم من القبور ويعيد اليهم الارواح بعد النشور غشاها من نوازل الساعة وزلازلها العظام والدواهى الهائلة والحوائج المتواترة ما يبلغها الى هيئة تلك التسوية القابلة للروح من النفخ فى الصور الا ترى

انه تعالى أخبر أولا بالزلزال ونسف الجبال فقال اذا زلزلت الارض زلزالها ان زلزلة الساعة شئ عظيم كلا اذا دكت الارض دكا دكا فقل ينسفها ربي نسفا اذا رجت الارض رجا وبست الجبال بسا ثم تسييرها في مشارق الارض ومغاربها كما قال تعالى ويوم تسير الجبال وتكون الجبال كالعهن المنفوش هكذا يفعل بها حتى تتساحق اجزاء الارض والجبال فتصير كالرمال كما قال وكانت الجبال كثيبا مهيلا ثم لا يزال ينسحق بعضها بالبعض من الجبال والارض تحت هذه القوارع والوقايع حتى يصير جميع اجزائها هباء كما قال تعالى وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا فلعله تعالى يصير ذرات الارض في هذه الدكادك والاهوال صفوا من الكدورات ويزيل عنها جميع الشوائب والخبث حتى تبدى جواهرها التي هي متهيئة لقبول الارواح وهي معنى قوله اذا بعثر ما في القبور وحصل ما في الصدور فتبقى بعد ذلك في غاية الصفاء والرقة والنعومة والدقة كالهواء وما سواها من اجزاء الارض الغريبة يتلاشى وينعدم الا ترى الى قوله تعالى وسيرت الجبال فكانت سرابا ولا شك ان جرم الجبال اشد من جرم الارض فاذا صارت الجبال سرابا فما حال التراب والسراب هيئة كالخيال يتلاشى في الحال حتى اذا جاءه الشخص لم يجده شيأ للطافته وهذا اشارة الى اعدام الله جميع اجزاء الارض سوى ذرات بني ادم واليه الاشارة بقوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض وما أشبه تلك الذرات بذرات الذهب في المعدن حين تمطر عليها الامطار وتغسلها من تراب المعدن حتى تصير تبرق وفي الحديث ينزل الله تعالى امطارا متوالية كمني الرجال فينبتون من الارض كما ينبت البقل وفي رواية كما تنبت الحبة في حميل السيل اما ترونها تخرج صفراء ملتوية وقد شبه الله تعالى في القرآن احياء الموتى باحياء الارض بعد موتها في مواضع كقوله تعالى ومن اياته انك ترى الارض خاشعة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت ان الذي احياها لمحيي الموتى واطال الشيخ أبو طاهر في ذلك ثم قال فهذه التغييرات والتبديلات لذوات الاموات بمنزلة تغاير التراب في ايام تخمير طينة آدم وتغاير النطف في تخليق الاجنة في الارحام فاذا جرت على الارض لا يبقى للتراب حساوة ولا قساوة تنافي الارواح في لطافتها بل يصير من تقاربها منها في لطفها وصفائها حانة الى ارواحها حنين الابل الى مراحها بل كحنين الالف اذا فارقه الفه دليل على ان الله تعالى اذا اراد امرا لم يحتج الى آلات ووسائط واصول وروابط وانما يقول له كن فيكون وقد ارى الله تعالى موسى بن عمران في قصة البقرة واحياها مثل هذه الجملة حتى راها عيانا قال تعالى فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى فصار الحشر والنشر له معاينة مما اختص به من ذلك العلم عنده انتهى وأما بيان صورة الصور واحياء من في القبور فاعلم رحمك الله انه قد ورد في الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كيف انعم وصاحب الصور قد التقم الصور واصغى سمعه وحنى جبهته وشخص ببصره الى ذي العرش ينتظر متى يؤمر ينفخ فينفخ فيه قالوا يا رسول الله وما تأمرنا قال قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل وفي الحديث مرفوعا أيضا الصور قرن ينفخ فيه وفي حديث آخر انه ذو ثقب

بعدد كل انسان ثقبة فيها روحه وينفخ اسرافيل فى الصور مرتين الاولى نفخة الصعق والثانية نفخة الاحياء تسمى احداهما الراجفة والاخرى الرادفة وبينهما اربعون عاما على الاصح وقيل اربعون يوما وقد يسمى الصور أيضا الناقور قال تعالى فاذا نقر فى الناقور وفى الحديث انه يقول فيها ايها الاعضاء المتهشمة والعظام البالية والاجسام المتفرقة والجلود المتمزقة والاوصال المتقطعة والشعور المتطايرة قوموا الى العرض على الله تعالى فتخرج حينئذ ارواحهم من ثقب الصور ولها دوى كدوى النحل ورب العزة يقول وعزتى وجلالى لاعيدنكم كما خلقتكم اول مرة قال الشيخ أبو طاهر رحمه الله فهذه الاحاديث وماشا كلها دلت بمجموعها على ان الصور شئ على هيئة القرن وله تدوير اذ قد جاء فى الخبر دائرة رأس الصور كعرض السموات والارض واسرافيل تحت العرش والصور فى فمه نافذ بجميع اطباق السموات الى تخوم الارضين وفيه ثقوب بعدد ارواح الخلق فى كل ثقب روح محتبسة فاذا نفخ فى الصور النفخة الاولى صعق كل من فى السموات ومن فى الارض من كل ذى روح لشدة الفزع الا من شاء الله قيل هم جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل وقيل الحور العين وقيل موسى عليه السلام لانه صعق فى الدنيا مرة فجوزى بها ثم بين النفختين يأمر الله تعالى عزرائل ان يقبض روح جبريل وميكائيل واسرافيل ثم يقول الله له مت فيموت فحينئذ يعم الهمود والخمود اربعين سنة فلا يبقى فى الكون حى الا الحي الذى لا يموت ثم يحيي الله تعالى اسرافيل فينفخ النفخة الثانية كما قال تعالى ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون فاشعرت هذه الآية والاحاديث بان الصور هيئة حبس الله تعالى فيها ارواح الموتى وهو البرزخ الاكبر رأسه الى عليين واسفله الى سجين وما ورد فى الاحاديث من مواضع الارواح مثل قوله صلى الله عليه وسلم ان ارواح الانبياء فى جنات عدن تصعد مرة وتنحدر اخرى وتكون فى اللحد مؤنسة لاجسادهم ساجدة لله تعالى وارواح السعداء فى الفردوس وارواح الشهداء فى حواصل طير خضر فى قناديل معلقة تحت العرش وارواح اطفال المسلمين فى حواصل عصافير الجنة عند جبال المسك وارواح ولدان المشركين فى الجنان وليس لها مأوى يخدمون اهل الجنة وارواح المسلمين الذين لهم تبعات معلقة فى الهواء لا تصل الى الجنة ولا الى السماء حتى يرضى الخصماء وارواح الفساق المصرين تعذب فى القبر مع الجسد وارواح المنافقين فى بئر برهوت وارواح الكفار فى سجين تعرض على النار غدوا وعشيا قال العلماء وشعب الصور تلاقى هذه الارواح كلها فى اماكنها من العرش الى السموات الى الارض لعظمها فالارواح فى الصورة فى هذه المواضع التى ورد الحديث بها وهى فى المعنى محبوسة فى الصور فانه ينضبطها الى يوم القيامة وهذا من علوم الاولياء وهم يشاهدون ذلك عيانا فى عصرنا هذا ومثاله ان يقال فلان بالمشرق وفلان بالمغرب وفلان فى بغدد وفلان بمكة وفلان بالمدينة وفلان باصبهان وفلان بمصر الى غير ذلك من البلدان وكلهم فى ضوء النهار يضمهم شعاع الشمس فعلى هذا المعنى لا تناقض فى الاحاديث فكل من تأمل ذلك علم ان للاموات برزخين برزخ فى القبور الى يوم يبعثون وبرزخ فى الصور

فبرزخ القبور محتبس اجسادهم وبرزخ الصور محتبس ارواحهم وهو قوله تعالى ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون ولفظ البرزخ معرب لان اصله برزه وهو المكان المرتفع وسمي به القبر لارتفاعه من الارض ولذلك سمي به الصور لارتفاعه الى العرش قال الشيخ أبو طاهر رحمه الله وانما سمي الصور صورا لصوره أي ميله وانحنائه والصور في اللغة الميل وكذلك القرن يكون مميلا فكان الصور بانحنائه تطوف بالعالم كله وقال أبو عبيدة الصور جمع صورة كالكور جمع كورة وهو معنى لطيف وذلك ان اسرافيل لما كان موكلا بحفظ كل روح بصورتها فكان صورة مكمن الصور للارواح على ماهي عليها في الدنيا كما ذكروا ان لها صورة الانسان قال الشيخ ومعنى النفخ هو ان الارواح لطائف كالرياح وانما تدخل في تجاويف الاجسام بالنفخ كما دخلتها أولا قال الله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي أي نفخ جبريل روحه فيه باذني قلت الدهر بالنفخ شيء واحد فكيف يميت مرة ويحيي أخرى قلنا لهم ان النفخة الاولى نفخة قهر فهي نظام الاجساد وتقرع الآذان بقرعها وهي الطامة الكبرى والصاخة العظمى والقارعة لهذه الاجساد بهدتها وتفارقها الارواح بشدتها وأما النفخة الثانية فنفخة رحمة وعطف واصلاح فالاولى بها يميت الخلق وبالاخرى يحييهم مثاله النفخة القوية فانها تطفي النار لعظمها والنفخة اللطيفة تحييها قال الشاعر

منك صلاحي وفسادي معا . كالنفخ مطفي النار والمذكي

فاذا عرفت يا أخي صفة الصور والارواح المحتبسة فيه وعرفت ان ذوات الاجساد المصفاة من الاوساخ والكدورات الارضية انما كان تصفيتها بلطف ما به من قوارع الارض وحوادثها كما قيل ان الحوادث صيقل الاحرار واما صارت اذ ذاك أرض فضة وحبرة بقيت متهيئة لقبول أرواحها كالارض الطيبة المهيأة لقبول زرع فيها وكانت كل ذرة منها ناظرة الى روحها الخاصة بها وكذلك روحها ناظرة اليها سعيدة كانت أم شقية وعرفانها ذلك فطرة والهام من الله تبارك وتعالى كما قال في مثل ذلك قد علم كل أناس مشربهم فاذا تمت الاربعون من النفخة الاولى ولم يبق في الدار ديار ألقى الله الروح الى اسرافيل أولا فيحييه كما مر وذلك قوله تعالى يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق يوم هم بارزون ثم يأمره أن ينفخ نفخة ثانية وذلك قوله تعالى ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون وأشرقت الارض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقوله تعالى يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا ونفخ في الصور فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون أي يخرجون من الارض متخلصين عما ليس من ذراتهم من غرائب اجزاء الارض قال أهل اللغة والنسل العسل اذا ذاب وفارق الشمع قال الشيخ أبو طاهر فيحتمل أن يكون انجذاب كل ذرة الى روحها وتميزها من سائر اجزاء الارض كانجذاب كل ذرة من برادة الحديد ممتازة من ذرات سائر الاجساد الى حجر المغناطيس الا ترى انها كيف

تلتصق به خالصة من غيرها وكيف وهي في علم الله تعالى كل روح مع جسده حاضران مجتمعان وان كانا في الصورة عندنا متفرقين قال الله تعالى قد علمنا ما تنقص الارض منهم وعندنا كتاب حفيظ وقال بلى قادرين على ان نسوّى بنانه وقال قل يحييها الذى أنشأها اول مرة قال الشيخ أبو طاهر وانما بسطنا الكلام في هذه لكثرة ما يعترى النفوس التى شغلت عن ذكر ربها حتى طال عليهم الامد فقست قلوبها وجهلت أمور معادها حتى كأنها حوسبت وفرغت نسأل الله أن يحسن ظننا به عند الممات انه كريم جواد آمين انتهت عبارة الشيخ أبي طاهر القزويني في كتابه سراج العقول واما عبارة الشيخ محيي الدين في الفتوحات فهى قريبة من عبارة الشيخ أبي طاهر فانه ذكر في الباب الثالث والستين مانصه اعلم ان الصور والناقور الذين ذكرهما الله تعالى في القرآن هما واحد وهو الحضرة البرزخية التى ننتقل اليها بعد الموت ونشهد نفوسنا فيها قال والصور جمع صورة بالصاد فينفخ في الصور وينقر في الناقور وهو بعينه وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصور ماهو قال قرن من نور التقمه اسرافيل فأخبره ان شكله شكل القرن فوصفه بالسعة والضيق فان القرن واسع ضيق فهو في غاية الوسع لا شئ في الاكوان أوسع منه وذلك انه يحكم بحقيقته على كل شئ وعلى ماليس بشئ ويصوّر العدم المحض والمحال والواجب والممكن ويجعل الوجود عدما والعدم وجودا وفيه يقول النبي صلى الله عليه وسلم أعبد الله كأنك تراه وقوله ان الله في قبلة أحدكم فلا يبصق تجاه وجهه فأمر العبد ان يتخيل ربه في قبلته مواجهاله ليراقبه ويستحى منه ويلزم الادب معه في صلاته مع انه تعالى لا يقبل من حيث ذاته الجهة أبدا ومن لم يتخيل هذا التخيل في صلاته فقد أساء الادب فلولا علم الشارع صلى الله عليه وسلم ان عند العبد حقيقة تسمى الخيال لها هذا الحكم ماقال له اعبد الله كأنك تراه أى تبصره قال الشيخ ومعلوم ان الدليل العقلى يمنع من كأن فانه يخيل بدليله التشبيه واما البصر فما ادرك شيأ سوى الجدار فعلمنا ان الشارع ما اراد انحصار الحق تعالى في جهة القبلة وانما العبد هو الذى يبصره لكونه ذا جهة ومعلوم ان الحق تعالى لا يحويه الجهات فقد صوره الخيال من يستحيل عليه بالدليل العقلى الصورة والتصوير ولهذا كان الخيال اوسع الحضرات قال الشيخ ولا يخفى ان سعة القرن انما هى في الطرف الاعلى لا الاسفل خلاف ما يتخيله اهل النظر فانهم جعلوا اضيق مافيه المركز واعلاه الفلك الاعلى الذى لا فلك فوقه وان الصور يحوى صور العالم كلها فجعلوا الواسع هو الاعلى كما هو في الميزان وليس الامر كما زعموا بل لما كان الخيال كما ذكرنا يصور الحق فمادونه من العالم حتى العدم كان اعلاه الضيق واسفله الواسع هكذا خلقه الله وشهدناه من طريق كشفنا فاوّل ما خلق الله منه الضيق وآخر ما خلق الله منه ما اتسع وهو الذى يلى رأس الحيوان ولا شك ان حضرة التكوين والافعال اوسع الحضرات قال ولهذا لا يكون لعارف تساع في العلم لا بقدر ما يحمله من العالم ثم انه اذا اراد ان ينتقل الى العلم بأحدية الله تعالى لا يزال يرقى من السعة الى الضيق قليلا قليلا وعلومه

تنقص فاذا تم عمله ولم يبق له معلوم الا الحق تعالى وحده كان ذلك اضيق ما فى القرن فضيقه هو الاعلى على الحقيقية وفيه الشرف التام وهو الاول الذى يظهر منه فى رأس الحيوان اذا أنبته الله تعالى فلا يزال يصعد على صورته من الضيق وأسفله يتسع وهو لا يتغير عن حاله فهو المخلوق الاول الا ترى الحق تعالى أول ما خلق القلم المعبر عنه بالعقل فما خلق الله لا واحدا ثم أنشأ الخلق من ذلك الواحد فاتسع العالم وكذلك العدد منشأه من الواحد قال ولا يخفى أيضا ان الله تعالى اذا قبض الارواح من هذه الاجساد اودعها صورا جسدية فى مجموع هذا القرن النورى فجميع ما يدركه الانسان بعد الموت فى البرزخ من الامور انما يدركه بعين الصورة التى هو فيها فى القرن وبنورها يدرك فهو ادراك حقيقى قال ومن الصور هنالك ما هى مقيدة ومنها ما هى مطلقة كارواح الانبياء كلهم وارواح الشهداء ومنها ما يكون له نظر الى عالم الدنيا من هذه الدار ومنها ما يتجلى للنائم فى حضرة الخيال قال واما نحو قوم فرعون فهم يعرضون على النار فى تلك الصور غدوا وعشيا ولا يدخلونها فانهم محبوسون فى ذلك القرن وفى تلك الصورة ويوم القيامة يدخلون اشد العذاب وهو العذاب المحسوس لا المتخيل الذى كان لهم فى البرزخ بالعرض على النار فانه عذاب محسوس فى الخيال لا بالحس فافهم فانه محل غلط فيه من لا كشف عنده فان الحس لا يغلط ابدا وانما يغلط الحاكم عليه كصاحب المرة الصفرا يدرك العسل مرا فعلم ان كل من فى البرزخ محبوس فى صور اعماله مرهون بكسبه الى يوم يبعث من تلك الصورة فى النشأة الاخرى انتهى واما بيان شبه المنكرين للبعث فقال الشيخ أبو طاهر رحمه الله فاعلم رحمك الله ان الفلاسفة انكروا البعث للاجساد وتعلقوا بشبه ضلوا فيها واضلوا كثيرا من الناس ومعظم شبههم سؤالان الاول قولهم ان الانسان ليس انسانا بمادته بل بصورته وانما تكون الافعال الانسانية صادرة عنه لوجود صورته فاذا بطلت صورته عن مادته وعادت المادة الى اصولها من العناصر فقد بطل الانسان بعينه ثم اذا خلقت فى تلك المادة بعينها صورة انسان جديد حدث منها انسان آخر لا ذلك الانسان الاول فان الموجود فى الثانى من ذلك الاول هو مادته لا صورته فلا يكون هو محمودا ولا مذموما ولا مستحقا لثواب او عقاب بمادته بل بصورته وبانه انسان من تراب فيكون الانسان المثاب والمعاقب ليس هو الانسان المحسن المسيء بل انسان آخر مشارك فى مادته وربما استشهد الفلاسفة على ذلك بقوله تعالى وما نحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم وقوله تعالى قادر على أن يخلق مثلهم وقالوا ومثل الشئ لا يكون عين ذلك الشئ هذا ما أورده ابن سيناء فى كتابه فى المعاد وقد أجاب عن ذلك الشيخ أبو طاهر رحمه الله بقوله أما قولهم ليس الانسان انسانا بمادته بل بصورته يريدون بالمادة جوهريته المركبة من الاخلاط ويسمونه الهيولى ويريدون بالصورة معانيه المودعة فيه وهذه منهم دعوى لا برهان عليها بل الانسان عند أهل البصائر هو هذا المجموع من الجسد والروح بما فيه من المعانى فاذا بطلت صورة جسده بالموت وزالت عنه المعانى بقبض روحه لا يسمى انسانا فاذا جمعت هذه الاشياء اليه بالاعادة ثانيا كان هو

ذلك

ذلك الانسان بعينه الاترى ان الجسد الفارغ من الروح والمعانى يسمى شبحا وجثة
ولا يسمى انسانا وكذلك الروح المجرد لا يسمى انسانا وكذلك المعانى القائمة به من العلم
والقدرة والارادة والسمع والبصر لا يسمى انسانا بمجموعها ولا بتفاريقها اعنى الا ترى اذا
لا عقلا ولا عرفا فعلى هذا قولهم الانسان اذا كان تصورته فقط كلام باطل بل الانسان
بجسده وروحه ومعانيه المجتمعة به انسان ألاترى انه يقال انسان وقال بعض فى الخطاب
فيقال له نفسك روحك جسدك قلبك عقلك قدرتك وكذلك يضاف اليه جميع أعضائه
فيقال رأسك يدك رجلك الى آخرها فلولا ان الانسان مجموع الا فمن كان المخاطب
بكاف الخطاب من جميعها وقد اضيف الجميع اليه فعلى هذا الاصل يكون تبديل الصفات
بالموت والاعادة اليه غير مخرج له عن ان يكون ذلك الانسان الاول بل هو هو بعينه
ان كان محمودا فمحمود وان كان مذموما فمذموم واستحق الثواب والعقاب لانه هو الاول
واما قولهم ان مثل الشئ لا يكون حقيقة ذلك الشئ تمسكا بقوله تعالى وما نحن بمسبوقين
على ان نبدل امثالكم فمعناه على ان نبدلكم والمثل قد يراد فى الكلام تأكيدا كقوله
ليس كمثله شئ والعرب تقول مثل الامير لا يقول هذا يعنون الامير لا يقول هذا وقد
صرح بذلك أبو الطيب فى شعره

مثلك يثنى الحزن عن صوبه * ويسترد الدمع عن غربه
ولم أقل مثلك اعنى به * سواك يا فردا بلا مشبه

وهذا المعنى شائع فى العربية لا يخفى على من شم رائحتها والله اعلم * (السؤال الثانى)
وهو المشكل الاعضل فيه كثير من الناس وهو الذى نقلناه اوائل المبحث عن الجلال
المحلى وعن الكمال فى حاشيته على سبيل الاختصار وبسط ذلك هو انهم قالوا المعاد من
الانسان ما هو ان كان اجزاؤه الحاضرة عند الموت فيجب ان يبعث المجذوع والمقطوع على
صورته تلك وهذا لم يرد به شرع وان اعيد اليه جميع اجزائه التى كانت له مدة عمره ثم
زالت وتبدلت وجب أن يكون جزء واحد بعينه يدا ورأسا وقلبا وكبدا لان الاجزاء
العضوية المركبة من الدم وسائر الاخلاط سيالة تنتقل من عضو الى عضو وعند ذلك
وكذلك اذا اكل الانسان انسانا فصار بالاغتذاء واحدا فكيف يتعلق روحان بانسان
واحد وكذلك اذا قطعت يد كافر فاسلم فكيف يكون يده فى النار وهو فى الجنة اقطع
وعلى عكسه لو قطعت يد مسلم فكفر وايضا فان الغالب على ظاهر الارض اجزاء ابدان
الموتى الدارسة وقد زرع فيها زروع كثيرة وغرس فيها اشجار وكروم واغتذى منها
الناس وانعقد فى ابدانهم ذلك لحما ودما فكيف يكون مادة واحدة واصل واحد حاصلة
لصور اناسى كثيرة هذه شبهتهم الهايلة المتضمنة لهذا السؤال المنسوب الى ابن سينا
وقد حكى الغزالى هذا السؤال وكانه قد سلم المسئلة وصرح فى فتاويه وغيرها بانه
لا يجب ان يكون المعاد بعينه هو الجسد الاول بل أى جسد كان جائز واهمل هذا السؤال
جماعات كثيرة (والجواب) كما قاله الشيخ أبو طاهر رحمه الله وقال انه معتقد السلف والخلف
أن المعاد هو هذا الجسم بعينه وبيانه ان نعلم بالحس ان الذرة التى قبضنها عزرائيل عليه

السلام من الارض اولا فى كل انسان باقية لا تتبدل ألبتة وهى الجزء الفرد ثم منه الذى أخذ عليه الميثاق ويتوجه عليه فى القبر سؤال الملكين ويتولى جوابهما بردّ الروح اليه والحياة له وسائر اجزائه بسبب صمت وهو والذى يتعلق به الروح عند النفخ فى الصور على ما دلت عليه الاخبار ثم ينضم اليه سائر الاجزاء حيث كانت بقدرة الله تعالى حتى يقوم الشخص تاما كما كان فى الدنيا هذا شئ لا يخالفه عقل ولا شرع واما قولهم المعاد من الانسان ما هو وهل هو اجزاؤه عند الموت أم الاجزاء التى فارقته (فالجواب) المعاد انما يكون أكمل أجزاء جميع حالاته فى أيام حياته كما أشار اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله يحشر الناس عراة عزلا يعنى قلفا والاعزل الاقلف الذى لم يختن ثم انه يجوز أن يزاد فى اجساد اهل النعيم لتتوفر عليهم اللذات ويزاد فى اجساد اهل الجحيم تغليظا للعقوبات وفى الحديث اهل الجنة مرد جرد مكحلون ابناء ثلاث وثلاثين على خلق آدم عليه السلام طولهم ستون ذراعا فى عرض سبعة اذرع وقد جاء فى صفة اهل النار ان سن احدهم مثل جبل أحد وهذا كله جائز فى العقل وورد به الشرع واما قولهم ان كانت اجزاؤه الحاضرة عند الموت هى المعادة يجب ان يبعث المجذوع والمقطوع يده على صورتهم وهذا لم يرد به شرع (فالجواب) انا قد ذكرنا فى الجواب قبله ان المعاد اكمل حالة كان عليها فى عمره اجزاؤه لقوله تعالى قل يحييها الذى انشأها اول مرة فكل جزء أنشأه الله اول مرة فيه ايام عمره يعيده اليه بخلاف المبدلات بعد الهزال والانحلال فانها بالاضافة الى ما تحللت به وفنيت كانت منشأة ثانى مرة فلو اعيدت هى أيضا فى الآخرة لقال تعالى قل يحييها الذى انشأها اول مرة وثانى مرة وعلى هذا صح ان المعادات فى الآخرة هى المنشأة فى الدنيا اول مرة وهى اكمل الاجزاء المبدعة التى تخص بها كل شخص هذا الذى دل عليه مضمون الآية واما قولهم ان اعيد اليه جميع اجزائه التى كانت له مدة عمره ثم زالت وتبدلت وجب ان يكون جزء ذلك بعينه يدا ورأسا وكبدا وذلك لان الاجزاء العضوية المركبة من الاخلاط سياله تنتقل من عضو الى عضو عند الاغتذاء (فالجواب) قد ذكرنا فيما تقدم ما هو المعاد وما ذكروه من سيلان الاخلاط من عضو الى عضو عند الاغتذاء لا يلزم ان يصير القلب كبدا ولا الرأس يدا لان الذرة التى هى الاصل واخذ الميثاق عليها كانت هيئة الانسان مقدرة فيها بجميع اشكال اعضائه فى علم الله تعالى وانما سماها ذرة تشبيها بالذرة التى هى النملة الصغيرة وهى مع صغرها لها اعضاء مخصوصة محسوسة فلا يستحيل ان يكون لتلك الذرة اعضاء مقدرة ثم اذا خلقها الله تعالى انسانا تنبسط تلك الاعضاء على قدر الجثة وتنضم اليه الاجزاء السيالة من الاخلاط فتتشكل على هيئة الشكل المقدر فى الذرة الاولى فعلى هذا المنتقل من عضو الى عضو هو تلك الاجزاء السيالة الغذائية دون اجزاء الذرة الاولى التى شكل الانسان فيها مقدور فى علم الله بجميع اعضائه وهى بعينها قائمة منبسطة فى جميع البدن اذ هو حافظ لشكلها وصورها ولا تبلى قط لقوله تعالى وتقلبك فى الساجدين والاجزاء الغذائية تارة تنضم اليها وتارة تفارقها فعلى هذا المعنى الرأس

رأس واليد والتراب قلب والكبد كبد باعتبار اجزائها الاصلية التي هي على غاية اللطافة والاجزاء الغذيبة التي هي الدم وغيره تجري من عضو الى عضو وتستحيل وتلك الاصلية باقية على حالها ومما يقرب من مثالها المحسوس هو رأيت الثعبان المخيط من الحرير يدخل الريح من جوفها وينتقل من عضو الى عضو فتنتفخ الدابة على هيئة الثعبان ثم يخرج منها وهي تبقى على ما كانت وقريب منه أيضا الاسفنجية وهي شئ كالغم هش متخلخل لطيف خفيف اذا طرح في الماء يشرب الماء بتجاويفه فيربو ويعظم ويثقل ثم اذا جف عاد الى الاصل فعلم من هذين المثالين ان اجزاء الذرة في كل شخص باقية على هيآتها بالنص الوارد في قوله وتقلبك في الساجدين والاجزاء الملتحقة بها تستحيل وتزيد وتنقص واصل تلك الاجزاء الاصلية في الخلقية هو العجب وهو اصل الذنب وسمي به للتعجب من بقائه عند بلى سائر الجسد كما ورد وعليه يتركب الجسد عند الاحياء في الحشر (واما قولهم) اذا اكل الانسان انسانا فصار بالاغتذاء واحدا فكيف تتعلق روحان بجسد واحد (فالجواب) ان الذرة الاصلية للآكل والمأكول باقيتان كما كانتا والدليل عليه اجراء الله العادة كما اخبر في قوله وتقلبك في الساجدين فعلى هذا الروحان يتعلقان بذرتي الآكل والمأكول ثم سائر الاجزاء تلتحق بها ايما كانت فانها وان استحالت في رأي العين وتفرقت فهي في علم الله تعالى موجودة حاضرة سواء امتزجت بالارض ام بالهواء كما قال تعالى قد علمنا ما تنقص الارض منهم الآية والقدر الذي نقص منه يزده اليه كما رده في الدنيا عند الهزال ومحل الحياة فيها فيصير الشخصان متكاملين كما كانا في الدنيا (واما قولهم) اذا قطعت يد كافر فاسلم كيف تكون يده في النار وهو في الجنة اقطع وكذلك القول في عكسه (فالجواب) اما اليد المقطوعة فحكمها تابع للجملة في الايمان والكفر اعتبارا بالذريات فانهن كابعاض الاباء حكما قال تعالى والذين آمنوا واتبعناهم ذرياتهم بايمان الحقنا بهم ذرياتهم وقال صلى الله عليه وسلم فاطمة بضعة مني فعلى هذا يد الكافر ما دامت متصلة به حكمها الكفر فان قطعت وآمن الكافر صار حكمها حيث كانت حكم الايمان اتباعا للجملة وكذا الثواب والعقاب عليها يقعان تبعا الايمان الجملة وكفرها وهذا ظاهر لا استحالة فيه (واما قولهم) غذاء الانسان مستحيل من تراب اجساد الموتى القديمة اذا صارت اجسادهم الرميمة ترابا والتراب زرعا والزرع غذاء (فالجواب) ان ذلك غير مسلم وان سلم فلا نسلم استحالة الذرة الاصلية التي هي عليها مدار البدن كله كما بيناه من قبل فان سائر الاجزاء تابع لتلك الذرة وهي في علم الله تعالى مجتمعة وان تفرقت في رأي العين وتأتيه وان استحالت والدليل على ان المعاد من الانسان هي الاجزاء التي كانت في الدنيا بعينها قوله تعالى يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون فلو كانت غيرها كما ذكروا كانت شهادتهم زورا (فان قيل) يد الكافر اذ قطعت وآمن هو اوردت لكانت تشهد عليه بالكفر وهو مؤمن (فالجواب) ان شهادة الاعضاء في القيامة بالمعاصي والطاعات لا بالكفر والايمان لقوله تعالى في الآية بما كانوا يكسبون اذ الايمان يختص بالقلب لا بالاعضاء الظاهرة فلم يعلق

بما كانوا يعتقدون وهذا جواب الشيخ أبي طاهر القزويني رحمه الله وتقدم كلام الشيخ محي الدين فيه اوائل المبحث قال الشيخ أبو طاهر والعجب كل العجب من انكار الفلاسفة الحشر والنشر وهل الحشر الا اعادة اجزائه في الآخرة على مثال ما كان الله تعالى يعيدها في الدنيا حالا بعد حال أليس الشيخ الكبير في الدنيا هو الذي كان كهلا وقبل الكهولة كان شابا وقبل الشبيبة كان صبيا وطفلا وقبله جنينا وهو في هذه الاطوار انسان واحد بعينه بلا شك ولا اعتبار بتلك الاجزاء المتبدلة هناك كما لا اعتبار بها ههنا بل تكون الاجزاء قليلة كانت أو كثيرة تابعة للذرة التي خلق منها أولا وأيضا فلا يبعد عن قدرة الله تعالى ان ترد جميع الاجزاء التي تعاورت على تلك الذرة أيام عمره ولكنه سيلطفها ويلززها فلا يكون الشخص متجاوزا عن الحد والقدرة متسعة والامكان كائن ولكن الظاهر ما بيناه هذا غاية الكلام في هذه المسئلة (فان قيل) فما الحكمة في ان الله تعالى يقبض ارواح العباد ثم يردها اليهم يوم المعاد وقد خلقهم لابد الآباد فهلا استدام حياتهم ابدا من غير موت (فالجواب) لو انه فعل ذلك كان خارجا عن الحكمة وهو تعالى احكم الحاكمين ولكنه اماتهم في دار الفناء ليبقيهم ببقاء الابد في دار البقاء من وجوه منها ان رقعة هذه الخطة الغبراء التي هي الربع المسكون من الارض بالنسبة الى اجساد بني آدم جميعا صغيرة لا سيما النادر المعمور منها فكانت لا تسعهم ولا تفي زروعها واثمارها باقواتهم التي هي سبب معاشهم وفي الحديث ان الله تعالى لما استخرج الذر من صلب آدم امتلأ وجه الارض منهم فقالت الملائكة الهنا قد امتلأت الارض منهم وهم ذرات فكيف تسعهم اذا تمت خلقتهم فقال تعالى أني كلما آتي بقوم اميت آخرين ومنها ان القبور برزخ الاجساد والصور برزخ الارواح كما مر ولله تعالى في البرزخين انشاآت خفية لاجسادهم وارواحهم يصيرها بها قابلة للبقاء لابدي ولا يعلم كيفية ذلك الا الله تعالى كما قال تعالى وننشئكم فيما لا تعلمون ومنها انه تعالى فرق بين الارواح والاجساد ليعرف الخلق بالقطيعة قدر الوصال فان الوصل اذا استدام حقر وعند الفراق يكون التحنن والاشتياق وبهما يعرف قدر الوصال قال الشيخ أبو طاهر وسمعت بعض الصالحين بهمدان يقول نظرت من ربوة الى بعض المقابر فرأيتها مد البصر فخطر ببالي ما هذه الاطلال والاحجار فسمعت بي هاتفا يقول

قشور بيض طار عنها فراخها ❊ وهل ترجع الاطيار يوما الى البيض

فسمعت على اثره قائلا يقول

بل يجعل الله الفشور رهادجا ❊ من الذر بيضا لا كرامة للتميض
فترجع عنها الطائرات اوامنا ❊ من الصيد لا يبرحن من ارج الروض

قال وبالجملة فمحصول علم البدء والاعادة ان يعلم ان الارض التي خلق منها آدم قد قدر الله تعالى لكل ذرة منها من ذرات ذريته روحا مختصة بها وهو قوله تعالى خلقه فقدره ثم السبيل يسره قيل معناه فقدر له روحا ثم لما اخرجها من صلب آدم قرن كل ذرة بروحها واخذ الميثاق عليها ثم ردهم الى ظهره ورد ارواحهم الى خزانة الغيب ثم اخرج تلك

الذرات كلها من ظهر آدم ممتزجة بأمشاج النطفة الى رحم حواء ثم من اصلاب بنيه قرنا بعد قرن الى الارحام ثم انه ينشيها بالاغذية كما يشاء و ينقلها فى اطوارها كما شرحناه فيما مر ثم يخرجها من الارحام الى فضاء الدنيا ثم بعد انقضاء آجالهم يقبض ارواحهم و يردهم الى بطون الارض ثم انه يرد اليهم فى القبور ارواحهم عند سؤال الملكين فكانت تلك الذرة الفاهمة من الجملة تفهم الخطاب و ترد الجواب وسائر الاجزاء اموات ومن هنا غلطت المعتزلة فانكروا السؤال وربما يتحرك جميع الجسد و يتكلم تبعا لتلك الذرة الاصلية لقوتها وذلك يكون للانبياء وللاولياء كما جاء فى الاخبار ثم ان الانسان مادام فى البرزخ فبين هذه الارواح وتلك الذرات المقبورة تواصل معنوى وتزاور الهامى وان صارت هى فى الصورة رفاتا فالاخبار وردت بان القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النار هكذا يكون الامر الى حين دنا ميعاد الميعاد فى النشأة الاخرى بعد الطامة الكبرى فينقيها بالزلازل والرجفات والرياح المؤتفكات و يعجنها بالامطار الشبيهة بمنى الرجال كما جاء فى الاخبار فتهيأت حينئذ لقبول ارواحها وكانت ارواحها حانة اليها حنين الغريب الى وطنه فاذا نفخ فى الصور النفخة الاخرى طارت الارواح من مكامنها الى اجسادها التى فارقتها بالنفخ اسرع من طيران الحمامة الى الفرخ وهو قوله تعالى كما بدأكم تعودون قال وتسميتهم فى هذه المنازل ذرية آدم يدل على انهم كانوا جميعا من تلك الذرات والصحيح ان الذرية فعلية من الذر كالسرية من السر وهو النكاح وهذا القدر كاف فى مبحث البعث والنشور والله تعالى اعلم

(المبحث السابع والستون فى بيان ان الحشر بعد البعث حق وكذلك تبديل الارض غير الارض والسموات)

فاما الحشر فهو جمع الخلق للعرض على الله والحساب بين يديه وهو عام فى سائر الخلق من خاص وعام فيحشر جميع المتقين من رسل وانبياء واولياء ومؤمنين الى حضرة الاسم الرحمن قال تعالى يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا واما المجرمون فيحشرون على اختلاف طبقاتهم الى حضرة الاسم الجبار والمنتقم قال الشيخ محيى الدين والحكمة فى ذلك ان المتقى كان جليسه فى دار الدنيا اسماء الجلال والهيبة و تخوف ولذلك اتقى الله تعالى وخاف عقابه فيحشر يوم القيامة الى الاسم الذى يعطى الرحمة والانس واللطف والامان مما كان يخاف منه و يتقى ولا يجمع الله على عبد خوفين وقد سمع أبو يزيد البسطامى قاريا يقرأ يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا فصاح صيحة طار الدم من انفه وقال يا عجبا كيف يحشر اليه من هو جليسه * قال الشيخ محيى الدين فى الباب الخمسين وثلثمائة وانما صاح أبو يزيد لانه كان جليسه الاسماء من حيث ماهى دالة على الذات ولم يكن مع الاسم من حيث ما يطلبه حقيقة من غير دلالة على الذات فلذلك انكر مالم يعطه مشهده فهو شبيه الانكار وليس بانكار كما قال الخليل فى طلبه علم الكيفية فى احياء الموتى فان الخليل لم يكن ينكر احياء الموتى وانما كان يعلم ان للاحياء طرقا كثيرة وهو مجبول على طلب العلم فطلب ان يعرف بأى طريق يحيى الله الموتى فافهم

فلوان أبا يزيد كان يعلم ان المتقى لم يكن جليسا للاسم الرحمن فى ايام التكليف وانما كان جليس الاسم الجبار وما تعجب من ذلك فيحشر المتقى الى الرحمن ليزول عنه الخوف الذى كان عليه فى دار التكليف من مجالسته الاسم الجبار والمنتقم فان الرحمن لا يخاف منه ولا يتقى انما هو محل الطمع والدلال والانس لكن الاولياء رضى الله عنهم صادقون لا يتعدون ذوقهم فى كل حال بخلاف العامة من أهل الله فانهم ربما يتكلمون باحوال غيرهم انتهى (فان قلت) فهل يحشر الناس مرة من ابتداء أمرهم الى انتهائه (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الرابع والثمانين ومائتين ان صور الحشر لا تحصر ولكن نذكر منها طرفا فأول حشر كان لهم فى الدنيا فهو حشرهم فى الصورة التى أخذ عليهم الميثاق فيها * الثانى حشرهم من تلك الصور الى هذه الصورة الجسمية الدنيوية * الثالث حشرهم فى الصورة التى تنتقل الروح اليها بعد الموت * الرابع حشرهم فى الصورة التى يسألون فيها فى قبورهم وهى الصورة التى انتقلوا اليها بعد الموت الى الجسد الموصوف بالموت ولكنه يؤخذ بابصار الخلائق واسماعهم الا من شاء الله عن حياة الميت وما هو فيه غيبا وسماعا * الخامس حشرهم من الصورة التى سئلوا فيها الى الصورة التى يكونون فيها فى البرزخ فيكون أحدهم فيها كالنائم الى نفخة البعث فيبعث من تلك الصورة ويحشر الى الصورة التى كان فارقها فى دار الدنيا ان كان بقى عليه سؤال لاجل جسده الموصوف بالتكليف فان لم يكن عليه سؤال حشر فى الصورة التى يدخل بها الجنة أو النار فان الناس اذا دخلوا الجنة أو النار حشروا فى صورة لا نهاية لها قال وأهل النار كلهم مسئولون بخلاف أهل الجنة فان منهم من لا يسأل اذا دخل أهل الجنة الجنة الكبرى واستقروا فيها ثم دعوا الى الرؤية حشروا فى صور لا تصلح الا للرؤية فاذا عادوا حشروا فى صورة تصلح للجنة * واعلم ان فى كل صورة ينسى الانسان الصورة التى كان عليها ويرجع أمره الى حكم الصورة التى انتقل اليها وحشر فيها ثم انه اذا دخل سوق الجنة ورأى ما فيه من الصور فأى صورة اعجبته دخل فيها اوذهب بها داره والصورة فى السوق ما برحت ولا تزال أهل الجنة ينتقلون من صورة الى صورة احسن مما قبلها وأهل النار بالعكس ابد الآبدين ودهر الداهرين نسأل الله الموت على الايمان آمين (فان قيل) فما حكمة حشر الدواب والوحوش (فالجواب) الحكمة فى ذلك كما قاله الشيخ فى الباب الحادى والسبعين وثلثمائة ان الله تعالى انما يحشر الوحوش انعاما منه تعالى عليها وكذلك سائر الدواب ثم انها تكون ترابا ماعدا الغزلان وما استعمل من الحيوان فى سبيل الله فانهم يدخلون الجنة على صور يقتضيها ذلك الموطن وكل حيوان تقدى به أهل الجنة خاصة فى الدنيا انتهى (فان قيل) فكم اجتمع الناس فى موطن (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب التاسع والثلاثين وثلثمائة انهم يجتمعون فى ثلاثة مواطن فى أخذ الميثاق وفى البرزخ بين الدنيا والآخرة وفى البعث بعد الموت وما ثم بعد هذه الثلاثة مواطن جمع تعم ابدا انما يجتمع بعض دون بعض وبعد يوم القيامة تشتغل كل دار باهلها فلا يجتمع عالم الجن والانس بعد

ذلك ابدا ومن هنا قال تعالى مالك يوم الدين أى لان الاولين والآخرين تجتمع في ذلك اليوم لا يتخلف أحد منهم في الارض ولا في الاصلاب فيكون ملكه تعالى في ذلك اليوم اعظم واظهر من غيره من الايام التى حضر فيها بعض دون بعض فهذا سبب تخصيص يوم الدين والا فهو سبحانه وتعالى لم يزل مالك الملك فافهم والله تعالى أعلم * وأما بيان ان الله تعالى يبدل الارض غير الارض والسموات فقد جاءت به النصوص الالهية القاطعة * قال الشيخ في الباب الحادي والسبعين وثلثمائة واذا وقع التبديل في السموات والارض يوم القيامة فهو في الصور لا في الاعيان وان كانت الاعيان أيضا صورا قال ويكون النشر والحشر والحساب والعرش الذى يقع التجلى عليه للفصل والقضاء في جوف الفلك المكوكب ثم يستحيل جميع ما في جوفه الى الآخرة لكن في صور غير هذه الصور قال وقد خلق الله تعالى الفلك المكوكب في جوف الفلك الاطلس وكذلك الجنات بما فيها مخلوقة بينهما فالفلك المكوكب ارضها والاطلس سماؤها وبينهما أى الفلكين فضاء واسع لا يعلمه الا الله فهما فيه كحلقة في فلاة فيما قال ومقعر هذا الفلك هو الدار الدنيا فانه من هنالك الى ما تحته يكون استحالة جميع ما يراه الى الارض فينتقل من ينتقل من الدنيا الى الجنة من انسان وغير انسان ويبقى ما يبقى فيها من انسان وغير انسان وكل من يبقى بعد ذلك فهو من أهل النار الذين هم أهلها * قال الشيخ واعلم ان ما دام الانسان الكامل موجودا في الارض فالسماء على حالها فاذا زال الانسان الكامل الى البرزخ هوت السماء لانه هو عمدها الذى يمسكها الله تعالى به حتى لا تقع على الارض وهو قوله تعالى وانشقت السماء فهى يومئذ واهية أى ساقطة الى الارض والسماء جسم شفاف صاب فاذا هوت السماء حلل جسمها حر النار فصارت دخانا احمر كالدهان السائل مثل شعلة نار كما كانت أول مرة وزال ضوء الشمس فطمست النجوم فلم يبق لها نور الا ان سماحتها لا تزول في النار بل تنتثر فتكون على غير النظام التى كانت عليه في الدنيا حال سترها واطال في ذلك (فان قلت) فـ المراد بقوله تعالى واذا الارض مدت ما صورة مدها (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب السابع والسبعين وثلثمائة ان المراد بمدها اتساعها وامتداد الجبال وتصييرها أرضا فانه في يوم القيامة تصير الجبال كلها دكا من تجلى الحق تعالى اذ كانت كالعهن المنفوش فما كان عاليا منها في الجو اذا انبسط زاد في وسع الارض ولهذا جاء في الخبر ان الله تعالى يمد الارض يوم القيامة مد الاديم فشبه مدها بمد الاديم لان الانسان اذا مد الاديم طال من غير أن يزاد فيه شئ لم يكن في عينه وانما كان فيه تقبض ونتو فلما مد انبسط عن قبضه وفرش ذلك النتو الذى كان فيه فزاد في سعة الارض ورفع المنخفض منها حتى بسطه فزاد منها ما كان من طول من مسطحها الى القاع منها كما يكون في الجلد سواء فلذلك لا ترى في الارض عوجا ولا أمتا فيأخذ البصر من المبصر جميع ما في الموقف بلا حجاب لعدم الارتفاع والانخفاض فيرى كل من الخلق بعضهم بعضا فيشهدون حكم الله تعالى بالفصل والقضاء بين عباده واطال في ذلك (فان قلت) فكم مدة يوم القيامة

(فالجواب) مدته من خروج الناس من قبورهم الى ان ينزلوا منازلهم من الجنة او النار ذكره الشيخ فى الباب العشرين وثلثمائة * وقال فى الباب الثامن والاربعين وثلثمائة اعلم أن يوم هذه الامة متصل بيوم الآخرة ليس بين اليومين الا ليل البرزخ خاصة وفى فجر هذه الليلة يكون نفخة البعث وفى طلوع شمس يومه يكون اتيان الحق جل وعلا كما يليق بجلاله للفصل والقضاء وفى قدر ركعتى الاشراق ينقضى الحكم فتعمر الداران باهلهما وذلك يكون فى يوم السبت فيكون نهاره أبديا لاهل الجنة ويكون ليله ابديا لأهل النار واطال فى ذلك ثم قال .. واعلم ان النيل والفرات يخرجان من أصل سدرة المنتهى فيمشيان الى الجنة ثم يخرجان الى دار الجلال فيظهر النيل من جبل القمر والفرات من أرض الروم وهما فى غاية الحلاوة وانما اثر فيهما مزاج الارض فتغير طعمها عما كانا عليه فى الجنة فاذا كانت القيامة عادا الى الجنة وكذلك يعود سيحون وجيحون والله تعالى أعلم

:(المبحث الثامن والستون فى بيان أن الحوض والصراط والميزان حق):

قال الشيخ كمال الدين بن أبى شريف وانما ذكر أهل الكلام ان الحوض والصراط والميزان حق بيانا لاعتقاد أهل الزيغ وهو مشهور عن اكثر المعتزلة فانهم قالوا ان العبور على الصراط مع كونه ادق من الشعر واحد من السيف ممتنع عادة وقال لهم أهل السنة لا امتناع فان الذى اقدر الطير على السير فى الهواء قادر على ان يمشى الانسان على الصراط قال وقد أجرى أهل السنة الحديث على ظاهره وأوله بعضهم بان كونه ادق من الشعر انما هو ضرب مثل للامر الخفى الغامض * والمعنى ان يسر الجواز عليه وعسره على قدر الطاعات والنهوض لها والمعاصى وكثرة الوقوع فيها وقلته ودقة كل واحد من القسمين لا يعلم حده الا الله قال وأول بعضهم أيضا كونه أحد من السيف بسرعة انفاذ الملائكة امر الله باجازة الناس عليه قال وانما قلنا هذا التأويل ليوافق الحديث الآخر فى قيام الناس والملائكة على جنبى الصراط وكون الكلاليب والحسك فيه واعطاء المار عليه قدر موضع قدميه ونحو ذلك انتهى .. ولنبسط الكلام على ذلك بعض البسط * فنقول اعلم ان الحوض والصراط ثابتان بالنصوص قالوا ويتشكلان بشكل الاعمال والعلوم اذ الشريعة علم وعمل فالحوض علومها والصراط اعمالها .. فعلى مقدار الشرب من علم الشريعة يكون الشرب من الحوض وعلى مقدار تباع الشريعة فى الافعال والاقوال والعقائد يكون المشى على الصراط هناك فمن زاغ عن الشريعة هنا زلت به قدمه هناك وغص شربه من الحوض فالمشى حقيقة على الصراط انما هو هنا لا هناك فان الصراط المنصوب المشروح هنا معنى هو الذى ينصب هناك حسا وما ثم طريق الى الجنة الا عليه قال تعالى وان منكم الا واردها قال الشيخ محيى الدين والحوض فى عطفة من الصراط وضرب له مثالا على الماشى وهذا ...

... والله اعلم

٧ قال واعلم أن نور كل انسان على الصراط لا يتعدى نفسه الى غيره فلا يمشي أحد
في نور أحد ويتسع الصراط ويدق بحسب انتشار النور وضيقه فعرض صراط كل انسان
بقدر انتشار نوره ومن هنا كان دقيقا في حق قوم وعريضا في حق آخرين وهو واحد
في نفسه قال وانما قال تعالى يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم دون شمائلهم لان المؤمن
السعيد كلتا يديه يمين فلا شمال له انتهى وقال في الباب الثامن وثلثمائة اعلم ان الصراط
الذي تسلك عليه ويثبت الله تعالى اقدامك عليه حتى يوصلك الى الجنة صراط الهدى
الذي أنشأته لنفسك في دار الدنيا من الاعمال الصالحة الظاهرة والباطنة فهو في هذه
الدار بحكم المعنى لا تشاهد له صورة حسية فيمد لك يوم القيامة جسرا محسوسا على ظهر
جهنم اوله في الموقف وآخره في المرج الذي على باب الجنة فتعرف أول ما تشاهده انه
صنعتك وبناؤك بجوارحك وتعلم انه قد كان في الدنيا ممدودا على متن جهنم طبيعتك
في طولك وعرضك وعمقك ذو ثلاث شعب اذ كان ظل حقيقتك وهو ظل غير ظليل
لا يغنيها من اللهب بل هو الذي يقودها الى لهب الجهالة ويضرم فيها نارها انتهى وقال
في الباب الحادي والسبعين وثلثمائة اعلم انه اذا وضع الصراط يكون من الارض علوا
على استقامة الى سطح الفلك المكوكب فيكون منتهاه الى المرج الذي هو خارج سور
الجنة التي يدخلها الناس أولا وتسمى جنة النعيم والمأدبة تكون في المرج وهي درمكة
بيضاء نقية يأكل منها جميع أهل المأدبة ويقوم بعضهم فيتقطف من الثمار المدلاة من فروع
واغصان الجنة على السور انتهى وقال في الرابع والستين اذا مر الخلائق الى الصراط
ينتهون اليه وقد ضربت عليه جسور على متن جهنم ادق من الشعر وأحد من السيف
وقد غابت الجسور في جهنم مقدار أربعين ألف عام ولهب جهنم بجانبها يلتهب وعليها
حسك وكلاليب وخطاطيف وهي سبعة جسور يحشر العباد كلهم عليها وعلى كل
جسر منها عقبة مسيرة ثلاثة آلاف عام ألف عام صعودا وألف عام استواء وألف
عام هبوطا وذلك قول الله عز وجل ان ربك لبالمرصاد يعني على تلك الجسور
وغيرها قال والملائكة يرصدون الخلق على هذه الجسور فيسأل العبد عن
الايمان الكامل بالله تعالى فان جاء به مؤمنا مخلصا موقنا لا شك فيه ولا زيغ جاز
الى الجسر الثاني فيسأل عن كمال الصلاة فان جاء بها تامة جاز الى الجسر الثالث
فيسأل عن الزكاة فان جاء بها تامة جاز الى الجسر الرابع فيسأل عن الصيام فان جاء به تاما
جاز الى الجسر الخامس فيسأل عن الحج فان جاء به تاما جاز الى الجسر السادس فيسأل
عن الطهر من الحدث فان جاء به تاما جاز الى الجسر السابع فيسأل عن المظالم فان
كان لم يظلم أحدا جاز الى الجنة وان كان قصر في واحدة من هذه الاعمال حبس
على كل جسر منها ألف سنة حتى يقضي الله فيه بما يشاء وقال أيضا في الباب الرابع
والستين ما نصه اعلم ان الكلاليب والخطاطيف والحسك التي على جنبتي الصراط انما
هي صور أعمال بني آدم تمسكهم أعمالهم تلك على الصراط فلا ينهضون الى الجنة

ولا يقعون في النار حتى تدركهم الشفاعة والعناية الربانية وانما هي أعمالكم ترد عليكم انتهى وكان الشيخ أبو طاهر القزويني رحمه الله يقول الصراط صراطان أحدهما في الدنيا وهو الاسلام فهو عقلي ولكن ينقلب في الآخرة جسرا حسيا وهو المعنى بقوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم وهو في الحقيقة جسر ممدود على متن الكفر والشرك والبدع والاهواء قال تعالى وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه الآية وفي الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ يوما والصافات صفا فلما بلغ قوله فاهدوهم الى صراط الجحيم وقفوهم انهم مسئولون بكى حتى تحادرت الدموع على لحيته فقال بعض الوفد انك تبكي خوفا ممن بعثك قال اي وربي انه بعثني على طريق كحد السيف ان زغت هلكت وهذا الصراط كالخط الطويل الممتد بين العبد وبين الله في عين الاستقامة في الرتبة الوسطى بين التشبيه والتعطيل والجبر والقدر وبين السخاء والبخل وبين الشجاعة والجبن كالتواضع بين الكبر والخساسة وكالعفة بين الشهوة والخمود ولهذه الخصال وامثالها طرفان مذمومان والمجرد الوسط فالمرابطة على هذا الوسط هي المعبر عنها بالدقة والحد واليها الاشارة بقوله تعالى فاستقم كما أمرت وأما الصراط الثاني فهو الاخروي الحسي وهو في الحقيقة صورة الصراط الاول وهو طريق المسلمين الى الجنة ثم لا يخفى ان كل من اعتاد المرور في الدنيا على صراط الاسلام هان عليه المرور على صراط الآخرة ومن لم يتعود ذلك في الدنيا صعب عليه وزلت قدمه واطال ندمه وهل هذا الصراط الامثالي محسوس لذلك الصراط المعنوي * وبالجملة فسرعة مرور الناس على صراط الآخرة وبطؤهم يكون على حسب سرعة مبادرتهم الى مرضات الله تعالى بطؤهم عنها قال وما جاء من الكلاليب والخطاطيف فهو عبارة عن علائق الدنيا المتعلقات بالقلب فكما تجذب صاحبها الى الدنيا كذلك تجذبه الى الهاوية كما ان شوك السعدان والحسك يكون بمقدار ذنوب كل انسان وخطاياه فكما كانت تؤذيه في دينه بالعكوف عليها فكذلك تؤذيه يوم القيامة بالمرور عليها * وأما ما جاء في الحبو والزحف على الصراط انما هو اشارة الى تثاقل ظهور الناس بالمظالم والتبعات * وأما الزالون والزالات فهم الناكبون في الدنيا عن الصراط المستقيم والدين القويم نسأل الله اللطف بنا اجمعين وأما الميزان فاثبته جمهور أهل السنة وانكرته المعتزلة قال الغزالي والقرطبي ولا يكون الميزان في حق كل احد لحديث السبعين الفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب لا يرفع لهم ميزان وان كان المعنى من غيران يكون دخولهم في حسابهم قالوا والمراد بالميزان هو الميزان الكل الجامع لتفاصيل موازين جميع الخلائق فترفع رفعة واحدة فترفع موازين جميع الخلائق كلها رفعة واحدة وكل أحد يشهد ميزانه قد رفع واعماله مودعة في كفته الى ان ينقضي حكم المحاسبات والموازنات * قال الشيخ محيي الدين وتكون ميزان كل شخص بشاكلة ما كان الشخص عليه في دار الدنيا فان الله تعالى قد خلق جسد الانسان على صورة الميزان وجعل كفتيه يمينه وشماله وجعل لسانه قائمة ذيه فهو لاى جانب مال قال تعالى واقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا

الميزان

الميزان يعني بالميل الى المعاصي والوقوع فيها قال وقد قرن الله السعادة بالكفة اليمنى والشقاء بالكفة اليسار فالاعتدال سبب البقاء والانحراف سبب الهلاك ثم لا يخفى ان موازين الآخرة كلها تدرك بحاسة البصر كموازين أهل الدنيا ولكنها ممثلة لا محسوسة عكس الدنيا فهي كتمثل الاعمال سواء فانها في الدنيا اعراض وفي الآخرة تكون اشخاصا كما قال صلى الله عليه وسلم في الموت انه يؤتى به في صورة كبش فما قال يؤتى به كبشا لان الحقائق لا تتبدل ثم انه اذا وضعت الموازين لوزن الاعمال جعلت فيها كتب الخلائق الحاوية لجميع اعمالهم الظاهرة لا الباطنة اذ الاعمال الباطنة لا تدخل الميزان المحسوس ابدا لكن يقام فيها العدل وهو الميزان الحكمي المعنوي فمحسوس لمحسوس ومعنى لمعنى كل شئ بمثله انتهى . وعبارة الشيخ صفي الدين ابن أبي المنصور في عقيدته اعلم انه اذا وقعت الشفاعة العظمى لمحمد صلى الله عليه وسلم وضع الرب سبحانه وتعالى كتابه المتضمن علم جميع مخلوقاته الجامع لتفاصيل كتب جميع الخلائق فاذا وضع جملة كلية وضعت سائر الكتب التفصيلية وضعة واحدة فيجد كل انسان كتابه في وجود دائرته قد وضع دفعة واحدة وكل احد لا يرى وضع الكتاب والحساب الا له وكذلك الميزان الكلي الجامع لتفاصيل موازين جميع الخلائق يرفع رفعة واحدة فترفع سائر موازين الخلائق كلها دفعة واحدة كل واحد يشهد ميزانه قد رفع واعماله مودعة في كفته الى ان ينقضي حكم الموازنات والمحاسبات فان نظرت الى الميزان الكلي قلت انه واحد وان نظرت الى تفاصيل ذلك قلت انه كثير قالوا وكل ميزان له لسان وكفتان يعرف بهما مقادير الاعمال بان توزن صحفها * قال الشيخ محيي الدين وآخر ما يوضع في الميزان قول العبد الحمد لله ولذلك ورد والحمد لله تملأ الميزان (فان قلت) فلم تكن لا اله الا الله تملأ الميزان كالحمد لله (فالجواب) انما لم تكن لا اله الا الله تملأ الميزان كالحمد لله لان كل عمل من اعمال الخير لا بد له من عمل آخر من ضده يقابله ليجعل هذا الخير في موازنته ولا يقابل لا اله الا الله الا الشرك اذ هو ضده ولا يجتمع توحيد وشرك في ميزان ابدا بخلاف التوحيد مع معاصي أهل الاسلام وايضاح ذلك ان العبد ان كان يقول لا اله الا الله معتقدا فما اشرك وان اشرك فما اعتقد لا اله الا الله فلما لم يصح الجمع بينهما لم تدخل لا اله الا الله الميزان لعدم ما يقابلها ويعادلها في الكفة الاخرى . قال الشيخ محيي الدين * وأما صاحب السجلات التسعة وتسعين فانما دخلت لا اله الا الله ميزانه لانه كان يقول لا اله الا الله معتقدا لها لكنه لم يعمل معها خيرا قط وانما عمل معها سيئات فتوضع لا اله الا الله في مقابلة التسعة وتسعين سجلا من السيئات فترجح كفة لا اله الا الله بالجميع وتطيش السجلات فلا يثقل مع اسم الله تعالى شئ انتهى قال الشيخ في الباب الثاني والعشرين واربعمائة من الفتوحات في معنى قوله تعالى فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم في جهنم خالدون . اعلم ان ميزان يوم القيامة نظهر بصورة نشأة الخلق من الثقل لانهم انما يحشرون ، وينشرون في الاجسام الطبيعية فمن ثقلت موازينه فهو السعيد وذلك

لان الحسنة بعشرة امثالها الى مائة ألف فما فوق ذلك وقد فعل هذا السعيد حسنا فى ظاهره وأراد حسنا فى باطنه وأما الذى خفت موازينه فهو الشقى وذلك لانه فعل سيئا والسيئة بواحدة فخفت موازينه بالنسبة الى ثقل ميزان السعيد ولم يعتبر الحق تعالى فى الوزن الا كفة الخير دون كفة الشر فهى الثقيلة فى حق السعيد الخفيفة فى حق الشقى مع كون السيئة غير مضاعفة ومع هذا فقد خفت كفة خيره فعلم أن الكفة الثقيلة للسعيد هى بعينها الخفيفة للشقى لقلة ما فيها من الخير او عدمه بالكلية مثل صاحب السجلات والذى يخرجه الله تعالى من النار وما عمل خيرا قط سوى التوحيد من أهل الفترات فان هذا ليس فى كفته شئ له وانما عنده التوحيد لله فقط الحاصل من العلم الضرورى الذى ليس له فيه عمل . قال الشيخ ولو ان الله تعالى اعتبر فى الثقل والخفة الكفتين معا كفة الخير وكفة الشر لكان يزيد بيانا فى ذلك فان احدى الكفتين اذا ثقلت خفت الاخرى بلاشك خيرا كان او شرا هذا حكم وزن الاعمال وأما اذا وقع الوزن بالعبد نفسه بان يكون هو فى احدى الكفتين وعمله فى الكفة الاخرى كما اشار اليه حديث يؤتى بالرجل السمين العظيم يوم القيامة فلا يزن عند الله جناح بعوضة فذلك وزن آخر غير هذا فمن ثقل ميزانه نزل عمله الى اسفل رد ذلك لان الاعمال فى دار الدنيا من مشاق النفوس والمشاق محلها النار ولذلك كره الشارع العمل الشاق لامته وقال اكلفوا من العمل ما تطيقون فاذا كانت كفة عمل هذا الذى ذكرناه تنزل تطلب النار وترتفع الكفة التى هو فيها لخفتها فيدخل الجنة لان الجنة محلها العلو كما ان الشقى يثقل كفة الميزان التى هو فيها ويخف كفة عمله فيهوى فى النار وهو قوله تعالى فامه هاوية فعلم ان كفة ميزان العمل هى المعتبرة فى هذا النوع من الوزن الموصوفة بالثقل فى السعيد لرفعة صاحبها وهى الموصوفة بالخفة فى حق الشقى لثقل صاحبها وهو قوله تعالى وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم وليست الا سيئاتهم وأوزارهم من الثقل الذى يهوون به فى نار جهنم . وحاصل ذلك ان وزن الاعمال بعضها ببعض يعتبر فيه كفة الحسنات وان وزن الاعمال بعاملها يعتبر فيه كفة العمل انتهى وقال فى الباب الاحد وثلثمائة فى قوله تعالى والسماء رفعها ووضع الميزان انما وضع الله تعالى الميزان ليوزن به الثقلان وقوله ان لا تطغوا فى الميزان أى بالافراط والتفريط من اجل الخسران واقيموا الوزن بالقسط أى مثل اعتدال نشأة الانسان اذ الانسان لسان الميزان ولا تخسروا الميزان أى لا تفرطوا بترجيح احدى الكفتين الا بالفضل . ولا يخفى ان الميزان الذى يوزن به الاعمال على شكل القبان ولهذا وصفه بالخفة والثقل ليجمع بين الميزان العددى وهو قوله تعالى بحسبان وبين ما يوزن بالرجال وذلك لا يكون الا فى القبان فلذلك لم يعين الكفتين بل قال فامامن ثقلت موازينه فى حق السعداء وأمامن خفت موازينه فى حق الاشقياء ولو كان المراد به ميزان الكفتين لقال وأمامن ثقلت كفة حسناته فهو كذا وأمامن خفت كفة سيئاته فهو كذا فعلم انه لولا ميزان الثقل هو عين ميزان الخفة وانه كالقبان لكان ذا كفتين ولو كان ذا كفتين

لم يصف

لوصف كفة السيئات بالثقل أيضا اذا رجحت على الحسنات فلما لم يصفها الا بالخفة فقط عرفنا ان هذا الميزان على شكل القبان انتهى * وقال فى الباب التاسع والتسعين من الفتوحات مما يقرب لعقلك كون الحق تعالى يأتى يوم القيامة باعمال بنى آدم صورا قائمة مع كونها اعراضا كون الحق تعالى قادرا على ايجاد المحال وكون الانسان يشهد من نفسه قدرة خياله على ايجاد المحال فيرى العبد ربه عزوجل فى المنام فى صورة مع ان ذلك محال فى جهة الحق تعالى فقد جعل الخيال لمن لا تعلم له صورة صورة ورد المحال ممكنا فاذا كان الخيال رتبته هذا مع انه مخلوق فكيف بالخالق فقد بان لك صحة وضع الاعمال فى الميزان مع كونها اعراضا وذلك لاقامة القسط * وكذلك مما يقرب لعقلك وزن الاعمال تطوّر الموت مع كونه نسبة فى صورة كبش املح أى فى غاية الوضوح اذ الاملح الابيض وذلك ليعرف جميع الناس فهذا محال مقدور فأين حكم العقل وفساد تأويله وأطال فى ذلك * وعبارة الشيخ أبى طاهر القزوينى فى الباب الثلاثين من كتابه سراج العقول اعلم انه لما كانت الدنيا دار عمل والآخرة دار جزاء وكان الله تعالى هو الملك العدل الذى لا يظلم الناس شيئا ولا يضيع اجر من أحسن عملا بل يجازى كل امرء بما كسب نصب تعالى ميزانا فى القيامة عدلا يوزن به سيئات عبيده وحسناتهم اظهارا لعدله قال تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها أى وان كان وزن حبة خردل ومن دخلت للتبيين كقوله تعالى مالكم من اله غيره وقيل انها للتبعيض ومعناه وان كان وزن حبة من خردل كانه قسم الخردلة ثمانية واربعين جزأ مثلا هى حباتها كما ان الدرهم ثمانية واربعون حبة والمعنى وان كان وزن جزء من ثمانية واربعين جزأ من خردلة واحدة وفى الحديث مرفوعا حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا وزنوا الاعمال قبل ان توزنوا يعنى ان توزن اعمالكم كقوله تعالى واذا كالوهم اووزنوهم أى كالوا لهم ووزنوا لهم ومعنى وزنوا الاعمال تعرفوا مقاديرها بالمقايسة الى أوقاتكم وعن ابن عباس قال توزن الحسنات والسيئات فى ميزان له لسان وكفتان كل كفة كاطباق الدنيا كفة من نور وكفة من ظلمة * قال حذيفة رضى الله عنه وصاحب الميزان يومئذ هو جبريل عليه السلام * وأما المؤمن فيؤتى بعمله فى أحسن صورة فيوضع فى كفة الميزان وهو الحق فتثقل كفة الحسنات على سيئاته فتثقل الى الجنة و يعرف ذلك وهو المفلح فى قوله فاولئك هم المفلحون * وأما الكافر فيؤتى بعمله فى اقبح صورة فيوضع فى ميزانه وهو الباطل فيخف وزنه فيقع فى النار فيقال له الحق بعملك وفى الحديث مرفوعا ان الله تعالى ملكا موكلا بالميزان فيجاء بابن آدم حتى يوقف بين كفتى الميزان فيوزن عمله فان ثقل الميزان نادى الملك بارفع صوته الا ان فلانا سعد سعادة لا يشقى بعدها ابدا وفى الحديث ثلاثة مواطن تشغل المرء عن والده وولده عند الصراط حتى ينظر اينجو ام يزل وعند تطاير الكتب فى الايمان والشمائل وعند الميزان حتى ينظر يثقل ام يخف * فهذه وامثالها من الآيات والاخبار تدل على صحة الوزن بالميزان وانما يتلجلج فى صدور

المنكرين له كيفية وزن الاعمال لكونها اعراضا عرضت وفنيت والثقل والخفة معنيان
أجساماولا يقوم المعنى بالمعنى والاعمال صفات أصحابها وقد خبط الناس فى هذه المسئلة
عشوى وخلاصة المسئلة ان يعرف الانسان ان المقصود بوزن الاشياء انما هو ظهور
مقاديرها وقد جعل لذلك الات مختلفة كالميزان و القبان لمعرفة اثقال الاحمال
والاسطرلاب لمعرفة مقادير حركات الشمس والكواكب فكذلك ههنا المقصود
بوزن الاعمال فى القيامة هو ظهور مقاديرها لتقابل بامثالها من الجزاء ثوابا كان ام
عقابا ونحن نرى فى الدنيا الات وضعت لعرفان مقادير المعانى فى الاشياء كالعروض
جعل ميزانا يعرف به صحيح الشعر من منزحفه ومنكسره وكالنحو يعرف به فصيح
الكلام من ملحونه وكالحجر الذى يرفعه الاقوياء من الاحداث ليعرفوا به مقادير قواهم
التى خلقها الله تعالى فى أعضائهم وليست هى بمنفصلة عنهم كذلك لا يبعد ان يجعل الله
تعالى الميزان القسط ليوم القيامة آلة محسوسة صالحة لوزن الاعمال التى هى اعراض
فيعرف بها مقادير الحسنات والسيئات لاصحابها فيجازون بمقاديرها من غير عدوان
كما قال تعالى ولا تظلمون فتيلا فقد علمت ان ذلك جائز فى العقل ورد به الشرع
فوجب الايمان به ومن عجز عن تعقل ذلك وعرفة كيفيته فليكل علم ذلك الى الله
عزوجل كنظائره والله تعالى اعلم * فعلم انه ينبغى لكل من خاف من يوم الحساب ان
يكثر من الاعمال الصالحة ولا يميل وذلك ليعطى منها لخصمائه يوم القيامة فان الظالم
اذا لم يكن معه شئ يعطيه لاخصامه طرح على ظهره من سيئات خصمه ثم قذف به
فى النار فوالله ما خاطبنا الا لامر عظيم ونحن غافلون عن ذلك كالبهائم السارحة فلا حول
ولا قوة الا بالله العلى العظيم * وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول لا ينبغى لاحد
ان يستكثر قط اعماله فى عينه فان اعمال امثالنا ولو صارت كالجبال فربما لا يحصل
منها فى الميزان الاخروى مثقال ذرة لعدم الاخلاص لله فيها نسأل الله اللطف بنا
فى الحياة الدنيا وفى الآخرة آمين امين آمين (خاتمة) فى بيان عجز العقول عن ادراك
كثير مما غاب عنها من امور الآخرة من حين تبدل الارض غير الارض والسموات
الى استقرار الخلق فى الجنة والنار وبعد ذلك مما قصه الله تعالى علينا الى ما لا نهاية له
وليس مع الخلق الآن الا الايمان بذلك على علم الله فيه اللهم الا ان يؤيد الله عزوجل
بعض خواصه بنور الكشف * قال الشيخ أبو طاهر القزوينى رضى الله عنه واعلم رحمك الله
ان تصور العقل لاحوال القيامة وما غاب منها عسر جدا ولكن ينبغى للعاقل ان يعلم ان
الله تعالى جعل ادم وذريته خلائف فى الارض وعمرها بهم * قال تعالى وهو الذى
جعلكم خلائف فى الارض وقال تعالى هو الذى انشأكم فى الارض واستعمركم
فيها * انه سبحانه وتعالى لما رشحهم للخلافة اتاهم من كل آلة يدبرون بها معاشهم
وقد خلقهم الله تعالى فى الدنيا للآخرة فاعطاهم الله تعالى العقل والنطق فضيلة لهم
فكان العقل والنطق لهم آلتين يتوصلون بهما الى تدبير معاشهم فى الدنيا وتهيئة اسباب
معادهم حسب ما جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام فكما ان العقول عاجزة عن

معرفة الله عزوجل حق المعرفة لكونه تعالى غيب عنها فكذلك ما غاب عنها من احوال الآخرة وما يتقدمها من سؤال الملكين فى القبر وجوابهما وكيفية البعث والحشر والنشر والصراط والميزان وقراءة الكتب وكيفية الحوض والشفاعة واوصاف الجنة والنار بحقائقها ورؤية الله عزوجل فى غير جهة وسماع كلامه تعالى من غير صوت ولا حرف وغير ذلك من تفاصيل لذات الثواب والالام التى تستغرق فيها النفوس لا سيما لذة النظر الى وجه الله الكريم والم الفزع الاكبر نعوذ بالله منه فان العقل بمجرده لا يستقل بدركه اذ العقل انما هو آلة للعبد يدرك بها تفاصيل الاوامر والنواهى فى دار التكليف ويعرف به مصالح المعاش ومفاسده وكان بعض العارفين يقول الالسنة عن ذلك وعن حقائق الذات المقدس والامور الاخروية محتبسة والعقول عن درك معانيها محتبسة ولم يخبرنا الشارع صلى الله عليه وسلم عن الله وعن امور الآخرة الا على طريق الاجمال والارسال بما يقرب معناه من الافهام فكان غاية النطق انه اخبرنا بها على الجملة ايجابا للايمان بها وغاية العقل البحث عن تجويز ذلك او استحالته فاذا اخبرنا بها الشارع مجملة واستبان بازائها العقل مرتبة توجب الايمان بها صدقا والاعتقاد لها حقا ثم انه يجب علينا كف الفكر عن البحث عن كيفياتها وردعه عن ان يتشوف للطمع فى درك حقائقها فان الفكر عن ذلك مصدود كما ان البصر عن سماع الصوت مردود اللهم الا ان كاشف بعض الاولياء من احوال الآخرة بشئ فى حال غيبته عن الخلق وشهوده الحق فان فى ذلك الوقت يكون مسلوب النطق مغلوب العقل لانه حينئذ يشاهد امورا لا تسع لها ظروف الحروف ولا تنتهى اليها العقول كما قال الشاعر

وان قميصا خيط من نسج تسعة * وعشرين حرفا عن معانيه قاصر

قال الشيخ ابو طاهر ومن تامل هذا المعنى انكشف له كثير من الغوامض التى درج عليها المتقدمون مكلفين عقولهم ما ليس فى وسعها طمعا فى ان ينالوا ما لا ينال فكان عاقبتهم الحيرة والضلال وان من هذا القبيل قراءة اهل العرصات الكتب المكتوبة بخط الملائكة الكرام ولا شك انها بخلاف كتابة اهل الدنيا ولهذا يقال للكتابة التى لا تقرأ كانها خط الملائكة ومن ذلك ايضا ما يخلق الله تعالى من ادراك لذات كثيرة من نعيم الجنة مطعومها ومشروبها ومشمومها وملبوسها ومنكوحها عن حالة لا توجد فى الدنيا كما وردت به الاخبار الصحيحة فى ثواب الاعمال وتلك الادراكات بلذاتها لا تناهى شيئا من الادراكات التى تدرك بها اللذات الدنيوية فانها وان كانت تشاكلها فى الجنسية والتسمية فان لها اختصاصات عجيبة تكل العقول عن دركها وقول ابن عباس رضى الله عنهما ليس فى الجنة شئ يشبه ما فى الدنيا الا باسمه ثم اصل كثيرا فى هذا الباب قال الشيخ ابو طاهر فلعدم تلك الادراكات فى الدنيا لا نجد فى انفسنا لذة النظر الى وجه الله الكريم ولا غير ذلك من اللذات الموعودة فى الجنة كما لا يجد الصبى فى صباه لذة الجماع لانه لم يخلق له ادراك ذلك قال والدليل على هذه الجملة قوله صلى الله عليه وسلم عن رب العزة جل وعلا اعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا

خطر على قلب بشر بله ما اطلعتهم عليه ثم قرأ قوله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة اعين وهذه خطة ضلت فيها الفلاسفة فانكروا امور الآخرة واذ قد صح لك ان العقل لا يطلع على كنه حقائق الاشياء الغيبية ولا يبلغ منتهى اسرارها علمت ان غايته انه يقيس ما لم يره على ما يراه بأدنى شبه يكون بينهما وقد جاءت الشرايع باشياء يعجز العقل عن معرفة عللها وكيفياتها ولكن اذا حكم العقل باجازتها وجب علينا الايمان بها كالحشر والنشر في الآخرة وكالوجه والقدم في صفات الله تعالى وكذلك القول في معرفة مقادير الشرايع والعبادات وقد درج السلف الصالح والتابعون لهم على التصديق بها جزما ومنعوا أصحابهم عن البحث عن حقائقها وردها الى علم سر القدر المنهي عن الخوض فيه وقالوا اقرؤها كما جاءت بلا كيف ولم يجد التشبيه الى عقايدهم سبيلا لقوتها وصلابتها وذلك لغضاضة الاسلام وقرب العهد من ازمانه صلى الله عليه وسلم التي هي زمان الوحي ومشاهدة التنزيل ومهبط جبريل فلما ان درج القرن الاول ثم الذين يلونهم وهم خير القرون انبعثت الاهواء من كل صقع وباض الشيطان بكل قطر ونفث في عقد القلوب وجال في الخواطر بخطراته فتزلزلت لذلك العقائد واضطربت الآراء وكثرت مقالات أهل الاهواء كالقرامطة والزنادقة والمعتزلة والرافضة خذلهم الله تعالى اذ ألفوا الكتب في الضلالات وبثوها في الامصار ودعوا اليها الاغنياء من الناس فشاعت البدع وفشى البهتان وانحلت عقد العقائد وذلك لبعد الناس عن زمان البعثة كما قال تعالى في حق قوم فطال عليهم الامد فقست قلوبهم ولهذا قال أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه طوبى لمن مات في نانأة الاسلام يعني في اوله ثم لا يخفى عليك يا اخي ان المعتقدين اليوم وان صحت عقائدهم وراجت نقودهم فكثيرا ما يتخالج في ضمائرهم خواطر الشكوك من كثرة ما يقرع مسامعهم من شبه اهل الاباطيل ولا يجدون أحدا من الائمة المحققين يبين لهم مصادر الامور ومواردها وربما يموت أحدهم على رجز وبين ضلوعه من تجسيم وتشبيه وتعطيل وامور منكرة ولا يجسر أن يسأل أحدا عنها ولا يجد أحدا يشفي الغليل بجوابه فلا يزال يخفي عقيدته عن نفسه فكيف عن غيره فهذا الذي دعى المحققين من المتكلمين الى ايراد امثلة كثيرة في مضايق المشكلات وكشف ما امكنهم من المعضلات وتكرير العبارات في جميع مباحث الكلام وهذه الخاتمة يحتاج اليها من يطالع مثل هذا الكتاب فأمعن يا اخي النظر فيها يسهل عليك فهم كثير من آيات الصفات وتعقل اشياء كثيرة من محالات العقول

(المبحث التاسع والستون في بيان أن تطاير الصحف والعرض على الله تعالى يوم القيامة حق)

لورود النصوص به لكن لا يخفى ان الناس يتفاوتون في ذلك فأما تطاير الصحف فمنهم من يأخذ كتابه بيمينه ومنهم من يأخذ كتابه بشماله ومنهم من يأخذ كتابه من وراء ظهره فأما الذين يأخذون كتبهم بأيمانهم فهم المؤمنون على اختلاف طبقاتهم وأما الذين يعطون كتبهم بشمائلهم فهم المنافقون لا المشركون كما قاله الشيخ محيي الدين

قال

قال لان المشرك لا كتاب له يقرأ ولذلك يقول الله عزوجل للمنافق اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا لانه كان يعلم ما انطوت عليه نفسه من الكفر خلاف ما كان يظهر للناس ولذلك عقب الله تعالى الذي يأخذ كتابه بشماله بقوله انه كان لا يؤمن بالله العظيم فسلب عنه الايمان دون الاسلام لانه كان منقادا للاسلام في ظاهره ليحفظ دمه وأهله وماله وهو في باطنه اما مشرك أو معطل أو متكبر أو كافر بخلاف الايمان فانه من اعمال القلوب لا يطلع عليه أحد الا الله * وأما الذين يأخذون كتبهم من وراء ظهورهم فهم الذين اوتوا الكتاب فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فاذا كان يوم القيامة قيل لاحدهم خذ كتابك من وراء ظهرك أي من الموضع الذي نبذته فيه في حياتك الدنيا بتركك العمل به فهو كتابهم المنزل عليهم لا كتاب الاعمال كما توهمه بعضهم فان هذا حين نبذه وراء ظهره ظن ان لن يحور أي تيقن انه لن يرجع وهذا هو الذي يقول الله تعالى له يوم القيامة حين يعاتبه ويقرره اظننت انك ملاقي الحديث قال وليس اولئك الا الائمة المضلين الذين ضلوا وأضلوا فافهم * قال الشيخ محيي الدين ثم لا يخفى ان هذه الكتب التي كتبتها الحفظة في الدنيا خاصة باعمال المكلفين واقوالهم وليس فيها شئ من عقائدهم الا ما شهدوا به على أنفسهم من تلفظهم به فان الملائكة لا تكتب من اقوالهم الا ما تلفظوا به انتهى * وقال الامام الغزالي رحمه الله في قوله تعالى وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون اعلم ان الملكين يوكلان بالشخص اذا قارب البلوغ قال تعالى اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد وقال تعالى بلى ورسلنا لديهم يكتبون ثم اذا اتصف العبد بالعقل كان احد الملكين يهديه والآخر يغويه ورتبة الهادي اعلى من رتبة المغوي وهما من الملائكة السفرة الكرام البررة الذين هم اعوان الملك الاعظم الذي هو صاحب القلم عند اكثر المحققين قال ثم ان الملكين يكتبان الحسنات والسيئات كتابة لا تشبه كتابة أهل الدنيا لانهما انما يكتبان في صحف مطهرة مطوية في سر القلب لا يطلع على ذلك أحد من أهل الدنيا اذ الملكان وكتابتهما وصحفهما وجميع ما يتعلق بهما من عالم الملكوت وذلك لا يدركه أبصارنا في عالمنا هذا ثم ان تلك الصحف المطوية تنشر مرة بن مرة عند النزع لقوله فكشفنا عنك غطاءك ومرة في القيامة على رؤس الاشهاد قال تعالى ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا وذلك عند وضع الميزان القسط فيرى الكتب هنالك طائرة من الهواء وهو قوله طائره في عنقه على احد التفاسير ثم اذا قرأ كل احد كتابه يجد حروف كتابه نيرة أو مظلمة بحسب اعماله الحسنة أو القبيحة فصاحب الحسنات يجد كتابه خطوطا بيضا وصاحب السيئات يجد كتابه خطوطا سودا * قال الشيخ أبو طاهر القزويني وأصحاب الكتب يومئذ اذا عرضت عليهم كتبهم مضطرون الى قراءتها من غير تعليم من أحد بل بالهام من الله تعالى فنسألك اللهم ان تؤتينا كتابنا بايماننا وتدخلنا جنتك بايماننا ولا تفضحنا يا ارحم الراحمين * وأما العرض على الله يوم القيامة فهو مثل عرض العساكر على الملك فيوقف العبد بين يدي الله عزوجل كما يليق

بجلاله ويقع السؤال بحسب ما يريد الله عزوجل بذلك العبد فياله من موقف يتساقط فيه لحم الوجوه من شدة الخجل والحياء من الله عزوجل وفي الحديث من نوقش الحساب عذب * قال الشيخ محيي الدين في الباب التاسع والستين وثلثمائة والمراد بالمناقشة هو السؤال عن علل الاعمال فيعرض تعالى على العبد عمله قال وهذا السؤال عام في حق كل الخلق حتى الرسل عليهم الصلاة والسلام قال تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم الآية قال ولكن فرق عظيم بين سؤاله للانبياء وسؤاله لغيرهم فان سؤاله للرسل يكون على تقرير النعم على طريق المباسطة * وأما سؤاله لغيرهم فيكون في أمور قبيحة نسأل الله اللطف وفي الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أكل هو وأصحابه رطبا وبسرا وشربوا بعده الماء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتسألن عن هذا النعيم يوم القيامة مع ان هذا كان عقب الجوع كما يدل عليه سياق الحديث فقد شارك هؤلاء الانبياء في سؤال تقرير النعم في هذه القصة وفارقوهم في سؤال التوبيخ والتقريع (فان قيل) فما سبب شهادة الاعضاء على صاحبها ولو لم يكن يشهد على نفسه بلسانه (فالجواب) كما قال الشيخ في الباب السبعين من الفتوحات ان سبب شهادة الاعضاء قبح تلك الذنوب فيستحي العبد بين يدي الله عزوجل ان ينطق بها أو ينكرها أصلا وهو تعالى أسرع الحاسبين فلا ينتظر زوال الاستحياء فلذلك تستشهد أعضاؤه ثم يقبل الله شهادتها لعدالتها الاصلية من أصل الفطرة والاصل العدالة والجرح طارئ وينقدح من هذا السؤال وهو اذا كانت الاعضاء كلها تشهد وهي عدول مزكاة وما ثم الا الاعضاء فمن المعذب انظر يحتاج ذلك الى جواب ولعل تعذيب الاعضاء اغا هو لتلذذها بفعل مانهيت عنه في دار الدنيا وكان بعضهم يقول في حديث السبعين الفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب ان المراد انه لم يكن في حسابهم ان الله تعالى يدخلهم الجنة لسوء ما تعاطوه قال وليس المراد ان الحق تعالى لا يحاسبهم على اعمالهم انتهى فليتأمل * وقال في الباب الثامن وتسعين ومائة من الفتوحات اذا اخبر الحق تعالى عباده عما فعلوه من الجرائم يوم القيامة فيما بينه وبينهم * كقوله يا عبدي فعلت كذا وكذا في وقت كذا وكذا لا يكون ذلك منه على وجه التوبيخ وانما يكون ذلك من باب اعلامه بسعة رحمته تعالى وهذا خاص بالموحدين فافهم * وقال في الباب الحادي والخمسين وثلثمائة اعلم ان كل مسلم استحيى من الله تعالى في الدار الدنيا ومن لقائه يوم القيامة فلابد ان يؤنسه الحق تعالى يوم القيامة ويزيل خجله * واصل الاستحياء يكون من المخالفة أو التقصير في خدمة الله تعالى وما ثم غير هذين الطريقين قال وصورة تأنيس الحق تعالى لعبده أن يقول له عبدي ما كان الذي وقع منك في دار الدنيا الا بقضائي وقدري لانك موضع جريان احكامي فيأنس العبد بهذا القول اشد الانس ولو ان العبد قال هذا القول لله تعالى ابتداء لاساء الادب مع الله تعالى ولم يسمع منه وبهذا بعينه يؤنسه الحق تعالى فهو من جانب الحق تعالى في غاية الحسن ومن جانب العبد في غاية القبح فليس له ان

يقول يارب كيف تقدر على المعاصي ثم تؤاخذني وأما الحق تعالى فاذا قال للعبد انت موضع جريان احكامي فهو في غاية الفضل والاحسان لان فيه اقامة العذر للعبد وتأنيسه ومباسطته وازالة خجله ورفع وجله * قال الشيخ محيي الدين ولما ورد على هذا التعريف الالهي في واقعة من الوقائع الشريفة لم يسعني وجودي من الفرح حيث اطلعني على مثل ذلك انتهى * وقال في آخر الباب الثامن والثمانين وثلثمائة انما كان الصابرون يوفون أجرهم بغير حساب أي معين علمه عندنا لان الصبر يعم جميع الاعمال اذ هو حبس النفس على فعل الاعمال المكروهة فلهذا لم يأخذه المقدار بخلاف بقية الاعمال تأخذها انتهى (خاتمة) قال في الباب التسعين من الفتوحات في قوله تعالى واقرضوا الله قرضا حسنا اعلم انه لا ينبغي للعبد ان يقرض الله عزوجل لاجل مضاعفة الاجر يوم القيامة وانما ينبغي له أن يقرض ربه عزوجل امتثالا لامره تعالى حين أمره بالاحسان الى عباده وهذا هو معنى وصف القرض بالحسن * وايضاح ذلك ان الحق تعالى لا يعاملنا الا بما شرعه لنا الا تراه تعالى قد سأل نبيه ان يسأله يوم القيامة ان يحكم بالحق أي الذي بعثه به لعباده اذ الالف واللام في الحق للعهد أي رب احكم بالحق المعهود الذي بعثتني به وعلى هذا تجري احوال الخلائق يوم القيامة فمن أراد ان يرى حكم الله تعالى يوم القيامة فلينظر الى حكم الشرائع في الدنيا من غير زيادة ولا نقصان * فكن يا أخي على بصيرة من شرعك فانه عين الحق الذي اليه مآلك يوم الدين انتهى وقال في الباب الاحد وخمسين وخمسمائة في قوله تعالى وسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون اعلم ان الحق تعالى اذا حكم يوم القيامة في الامور التي فيه يكون حكمه على أنواع بحسب المواطن فموطن يحكم فيه سبحانه وتعالى بنفسه بعلمه دون رسوله والمؤمنين على حسب ما يراه في العمل وموطن يحكم فيه تعالى بما يراه رسوله صلى الله عليه وسلم في العمل على اختلاف الطبقات وموطن يحكم فيه بما يراه المؤمنون يعني الائمة المجتهدين رضي الله تعالى عنهم اجمعين وموطن يحكم فيه بالمجموع هذا وجه جمع الرسول والمؤمنين معه تعالى في الحكم بما يرونه مع ان كل ما يراه عباده تعالى فهو حكمه وتقديره بالاصالة وقد قال بعض المحققين اذا كان الحق تعالى هو الحاكم الحقيقي في جميع احكام الدنيا فكيف يصح وصف بعض احكام القضاة بالبطلان انظر انتهى * قلت انما صح لنا وصف بعض الاحكام بالبطلان عملا منا بالشريعة التي تعبدنا الله تعالى بالعمل بها في هذه الدار دون الحقيقة فان الحق تعالى لم يأمرنا بالحكم بها في هذه الدار لخفاء وجه مطابقتها للشريعة لا لمخالفتها لها في نفس الامر كما قاله المحققون والله اعلم

(المبحث السبعون في بيان ان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم أول شافع يوم القيامة وأول مشفع وأولاه فلا احد يتقدم عليه)

قال صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول شافع وأول مشفع زاد في رواية ولا فخر قال العلماء وانما خص يوم القيامة بالسيادة لانه يوم ظهورها لكل

أحد كقوله تعالى لمن الملك اليوم بخلاف شرفه في الدنيا وسيادته فانها لا تخلو من منازع * قال الشيخ محيي الدين وانما اخبرنا صلى الله عليه وسلم بانه أول شافع وأول مشفع شفقة علينا لنستريح من التعب الحاصل بالذهاب الى نبي بعد نبي في ذلك اليوم العظيم وكل منهم يقول نفسي نفسي فأراد اعلامنا بمقامه يوم القيامة لنصبر في مكاننا مستريحين حتى تأتي نوبته صلى الله عليه وسلم * ويقول انا لها انا لها فكل من لم يبلغه هذا الحديث أو بلغه ونسيه لا بد من تعبه وذهابه الى نبي بعد نبي بخلاف من بلغه ذلك ودام معه الى يوم القيامة فصلى الله عليه وسلم ما أكثر شفقته على الامة وانما قال في آخر الحديث ولا فخر أي لا افتخر بكوني سيد ولد آدم من الانبياء فمن دونهم وانما قصدت بذلك راحتكم من التعب يوم القيامة بحكم الوعد السابق لي من الله عزوجل أن أكون أول شافع وأول مشفع * فما زكى صلى الله عليه وسلم نفسه الا لغرض صحيح وكذلك تزكية جميع الائمة لانفسهم لا يكون الا لغرض صحيح فانهم منزهون من روية فخر نفوسهم على أحد من الخلق * بل كان بعض العارفين يقول لا يبلغ احد مقام الكمال حتى يرى نفسه انها ليست باهل ان تنالها رحمة الله عزوجل * قال الجلال السيوطي وغيره وله صلى الله عليه وسلم يوم القيامة ثمان شفاعات * أولها واعظمها شفاعته صلى الله عليه وسلم في تعجيل حساب الخلائق واراحتهم من طول ذلك الموقف وهي مختصة به صلى الله عليه وسلم * ثانيها في ادخال قوم الجنة بغير حساب قال النووي وهي مختصة به وتردد في ذلك الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد والشيخ تقي الدين السبكي وقالا لم يرد في ذلك شئ وكان الشيخ محيي الدين يقول في معنى ان قوما يدخلون الجنة بغير حساب ان المراد انه لم يكن في حسابهم وفكرهم ان الله يدخلهم الجنة ابدا لشهودهم قبيح زلاتهم وقدمر ذلك عن غيره أيضا * ثالثها فيمن استحق دخول النار ان لا يدخلها وتردد النووي في كون هذه مختصة به قال السبكي لانه لم يرد في ذلك نص لا بنفيه ولا باثباته * رابعها في اخراج من ادخل النار من الموحدين حتى لا يبقى فيها أحد منهم وتخلوا طبقتهم وينبت فيها الجرجير كما ورد وهذه الشفاعة يشاركه صلى الله عليه وسلم فيها الانبياء والملائكة والمؤمنون وقد حكى القاضي عياض في ذلك تفصيلا فقال ان كانت هذه الشفاعة لاخراج من في قلبه مثقال ذرة من ايمان فهي خاصة به ليست لاحد من الانبياء ولا الملائكة ولا المؤمنين وان كانت لغير من ذكر فقد يشاركه في ذلك غيره * خامسها في زيادة الدرجات في الجنة لاهلها وجوز الامام النووي رحمه الله اختصاص هذه به صلى الله عليه وسلم * سادسها في جماعة من صلحاء امته ليتجاوز عنهم في تقصيرهم في الطاعات كما ذكره القزويني في العروة الوثقى * سابعها في من خلد من الكفار في النار ان يخفف عنهم العذاب في أوقات مخصوصة جمعا بين هذا وبين قوله تعالى لا يفتر عنهم كما ورد وذلك في الصحيحين في حق أبي طالب وكما ذكره ابن دحية في حق أبي لهب من انه يخفف عنه العذاب في كل يوم اثنين لسروره بولادة رسول الله صلى الله عليه وسلم واعتاقه ثويبة حين بشرته به * قال الجلال السيوطي ولا يرد علينا شفاعته

صلى الله عليه وسلم لبعضهم ان يخفف عنه عذاب القبر لان هذه شفاعة فى المؤمنين وفى البرزخ وكلامنا انما هو فى شفاعاته صلى الله عليه وسلم يوم القيامة على وجه فيه عموم لسائر الموحدين ولغيرهم على وجه التخفيف فقط كما مر * ثامنها فى اطفال المشركين ان لا يعذبوا وهذه الثلاث الاخيرة ذكرها بعضهم واضاف اليها من دفن بالمدينة رواه الترمذى وصححه قال الشيخ محيى الدين فى الباب الاحد وسبعين وثلثمائة واعلم ان الشفاعة الاولى من محمد صلى الله عليه وسلم تكون فى فتح باب الشفاعة للناس فيشفع فى كل شافع ان يشفع فاذا شفع الشافعون قبل الحق تعالى من شفاعاتهم ماشاء ورد منها ماشاء قال و يبسط الله تعالى الرحمة ذلك اليوم فى قلوب الشفعاء فمن رد الله تعالى شفاعته من الشافعين فى ذلك اليوم لا يردها انتقاصا له ولا عدم رحمة بالمشفوع فيه وانما أراد تعالى بذلك اظهار المنة الالهية على بعض عبيده فيتولى الله تعالى سعادتهم و يرفع الشقا عنهم باخراجهم من النار الى الجنان بشفاعة الاسم أرحم الراحمين عند الاسم المنتقم والجبار فهى أى شفاعة الحق مراتب اسماء الهية لا شفاعة محققة لان الله تعالى يقول سبقت رحمتى غضبى شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون وبقى ارحم الراحمين فدل بالمفهوم انه لم يشفع فيتولى بنفسه اخراج من شاء من عصاة الموحدين من النار الى الجنة و يملأ الله تعالى جهنم بغضبه وعقابه كما يملأ الله الجنة برضاه ورحمته وقال فى الباب الرابع والسبعين وثلاثمائة مانصه اعلم ان لكل من أرحم الراحمين والملائكة والنبيين والمؤمنين جماعة مخصوصة يشفع فيهم شفاعة أرحم الراحمين خاصة بمن لم يعمل خيرا قط غير توحيدهم لله عزوجل فقط قال وهؤلاء هم الذين شهدوا مع شهادة الله والملائكة انه لا اله الا هو وشفاعة الملائكة خاصة بمن كان على مكارم الاخلاق من العصاة قال و تكون شفاعة الملائكة على الترتيب الذى جعله الله لهم وأخرهم شفاعة التسعة عشر التى على جهنم وأما شفاعة النبيين فتكون فى المؤمنين خاصة والمؤمنون قسمان مؤمن عن نظر وتحصيل دليل فالشافع فيه النبيون فان الانبياء جاؤا بالخبر الى الامم والخبر هو متعلق الايمان والقسم الثانى مؤمن مقلد لما اعطاه ابواه وأهل الدار التى نشأ فيها فالشافع فى هذا المؤمنون الذين هم فوقه فى الدرجة بعد ان خلص هؤلاء الشافعون بانفسهم ونجوا بشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم ثم ان الشفعاء كلهم لا يشفعون الا اذا انتهت مدة المواخذة لعصاة الموحدين انتهى وقال فى الباب السابع والسبعين وثلثمائة فى قوله صلى الله عليه وسلم سحقا سحقا فى حق قوم ارتدوا على ادبارهم بعده صلى الله عليه وسلم انما قال صلى الله عليه وسلم ذلك طلبا لموافقة الحق تعالى فى غضبه عليهم اذ العالم بالامر لا يزيد على حكم ما يقضى به الوقت فلهذا قال صلى الله عليه وسلم مع شفقته ورحمته سحقا سحقا ثم انه صلى الله عليه وسلم بعد زوال ذلك الحال يتلطف فى المسئلة و يشفع فيمن كادت تهوى به الريح فى مكان سحيق فهى شفاعة فيمن ارتد عن فعل شئ من فروض الاسلام لا فيمن ارتد عن اصل الدين انتهى وقال فى الباب الثالث والسبعين انما كان صلى الله

عليه وسلم صاحب المقام المحمود فى الشفاعة يوم القيامة بين يدى الله عزوجل لانه اوتى جوامع الكلم فيحمده فى ذلك المقام الاولون والآخرون ويرجع الى مقامه ذلك جميع مقامات الخلائق وكما كانت بعثته صلى الله عليه وسلم عامة وشريعته جامعة لجميع الشرائع كانت شفاعته كذلك عامة فكما لا يخرج عن شريعته عمل يسع ان يشرع كذا لا يصح ان يخرج عن شفاعته أحد وأطال فى ذلك ثم قال فى الجواب الثامن والسبعين من الباب السابق انما سجد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة بين يدى الله عزوجل من غير ان يتقدمه اذن من الله عزوجل فى ذلك السجود لان السجود فى ذلك اليوم هو المأمور بالتكوين فى عين جسم محمد صلى الله عليه وسلم اذ هو طريق الى فتح باب الشفاعة التى ليست لاحد غيره فلذلك يتقدم محمد صلى الله عليه وسلم بين يدى الرب جل وعلا كما يليق بجلاله فى ذلك اليوم الاعظم ويسجد من غير أمر ورد عليه بالسجود فيقال له ارفع رأسك سل تعط واشفع تشفع صلى الله عليه وسلم (خاتمة) ذكر الشيخ فى الباب الحادى والسبعين فى أسرار الصوم ثم اعلم ان فترة أولياء الله تعالى اذا أذن لهم فى الشفاعة ان يبدؤا بالشفاعة فيمن أذاهم فى دار الدنيا ورماهم بالكفر والزندقة والرياء والتنقيص وذلك ليزيلوا عنه الخجل حين يرى مقام أولياء الله تعالى فى الآخرة عند الله تعالى من التقريب ورفعة السؤدد وقد كان فى دار الدنيا يجهل ذلك وهذا من نطهير نفوس المنكرين ويزيل عنهم الخوف الذى حصل لهم من أولياء الله تعالى فى ذلك اليوم العظيم قال وانما لم يبدأ الاولياء بالشفاعة فيمن احسن اليهم واعتقدهم فى دار الدنيا لان المحسن مطمئن بما قدم من الاحسان فعين احسانه يكفيه ويكون شفيعا له عند الله عزوجل هل جزاء الاحسان الا الاحسان انتهى وكان سيدى على الخواص رحمه الله يقول لا يكمل الفقير حتى يسأل الله العفو والصفح فى دار الدنيا عن كل من سبه وذمه وتنكر عليه ليوافى الدنيا مقفورا له ولا يحصل له خجل ولا خوف ممن سبهم أو انكر عليهم من أهل الله عزوجل ولهذا المقام حلاوة يجدها العبد وانشراح عكس من ينتقم ممن آذاه أو انكر عليه والله تعالى اعلم

(المبحث الحادى والسبعون فى بيان ان الجنة والنار حق وانهما مخلوقتان قبل خلق آدم عليه الصلاة والسلام)

كما تقدم بسطه فى المبحث الثانى من الكتاب فى حدوث العالم وذكرنا هناك ان خلق الجنة والنار متأخر عن خلق الدنيا بتسعة آلاف سنة ولذلك سميت الجنة بالآخرة لتأخر خلقها عن خلق الدنيا المدة المذكورة على ما تقدم فيه فهما مخلوقتان مهيأتان لاصحابهما قبل خلقهم ثم ان اعمال كل مكلف تأتى على حسب ما سبق له فى دار الجنة أو النار وزعم أكثر المعتزلة انهما يخلقان يوم الجزاء ودليلنا عليهم النصوص الصريحة الصحيحة الدالة على انهما مخلوقتان قبل يوم الجزاء نحو قوله تعالى أعدت للمتقين أعدت للكافرين وقصة آدم وحوى واسكانهما الجنة واخراجهما منها بالزلة ونحو ذلك كحديث يفتح للمؤمن فى قبره كوة فينظر منها الى الجنة ويدخل عليه من روحها ونعيمها ويفتح

للكافر

للكافر كوة الى النار فيدخل عليه من حرها وسمومها وكحديث لما خلق الله تعالى جنة عدن بيده ودلى فيها ثمارها وشق فيها أنهارها قال لها تكلمى فقالت قد أفلح المؤمنون رواهما البخارى وغيره وقوله صلى الله عليه وسلم رأيت الجنة والنار فى عدة أحاديث وكان الشيخ محيى الدين رحمه الله يقول الجنة والنار مخلوقتان لكنهما لا يكمل بناؤهما الا بانتهاء الدنيا وانقضاء زمن التكليف فهما بمثابة سور الدار الذى بناه الملك ثم بعد ذلك يشق الجدران و يبنى حتى ينتهى البناء لانهما انما يبنيان من اعمال المكلفين من خير او شر فمن نظر الى السور من خارج قال انهما فرغ من بنائهما ومن دخل السور وجدهما قيعتين من البناء بقدر ما بقى من اعمال المكلفين فى هذه الدار ويدل لذلك حديث ان الجنة عذبة الماء طيبة التربة وانها قيعان وغراسها سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله الحديث فان القيعان هى التى لا بنا فيها ولا شجر وفى الحديث أيضا من صلى كل يوم اثنتى عشرة ركعة بنى الله له بيتا فى الجنة ومن قال سبحان الله مثلا غرس له شجرة فى الجنة انتهى وقال الخريطى ليست الجنة التى اخرج منها آدم هى الجنة الكبرى المذخرة فى علم الله تعالى فان تلك لا يصح فيها معصية لآدم ولا ابايه لابليس لكونها حضرة الله تعالى الخاصة التى لا حجاب فيها ومعلوم ان المعصية لا تقع حتى يحجب صاحبها وانما هى جنة البرزخ التى هى فوق جبل الياقوت فالجنة الكبرى لا يدخلها الناس الا بعد انتهاء الحساب والمرور على الصراط قال وجنة البرزخ هى التى ترى فى دار الدنيا وكذلك نار البرزخ فانه صلى الله عليه وسلم لما قال رأيت الجنة والنار فى مقامى هذا ذكر انه رأى عمرو بن لحى الذى سيب السوائب وذكر انه رأى المرأة التى حبست الهرة حتى ماتت جوعا ومعلوم ان هؤلاء لم يدخلوا النار الكبرى الى الآن وانما هم محبوسون فى البرزخ هكذا فليتأمل ويحرر وقد حبب لى ان ابسط الكلام على هاتين الدارين بعض البسط لانهما محل محط رحال الاولين والآخرين فاقول وبالله التوفيق قال الشيخ محيى الدين فى الباب السادس والعشرين ومائة اعلم ان الدنيا كمل نشأة من الآخرة لان الدنيا دار تمييز واختلاط وتكليف والآخرة دار تمييز فقط ولا يكون فيها تشريع قط كما فى الدنيا الا فى موطن واحد وذلك حين يدعى أهل الاعراف الى السجود فيسجدون فترجح بتلك السجدة ميزانهم واطال فى ذلك ثم قال واعلم ان الله تعالى قد امرنا بالاحسان الى امهاتنا وعدم عقوقهن فما قام بذلك الادب الا قليل من الناس ومعلوم ان الدنيا هى امنا التى ولدتنا فاذا قال الواحد منا لعن الله الدنيا قالت الدنيا لعن الله اعصانا لربه عزوجل كما ورد فى الحديث ومن لعن امه فهو عاق لها بلا شك وليتأمل الشخص شدة ادبها وحنوها على اولادها فى قولها لعن الله اعصانا لربه فما قدرت ان تلعن من لعنها بحكم التعيين ولا على ان تسميه باسمه وهذا من حنو الوالدة وشفقتها على ولدها وفى الحديث الدنيا مطية المؤمن عليها يبلغ الخير وبها ينجو من الشر فوصفها بأنها من شدة حنوها على اولادها تذكرهم بالشرور وتهرب بهم منها وتزين لهم الخير وتسوقهم اليه فهى تسافر بهم

ويحملهم من موطن الشر الى موطن الخير كل ذلك لشدة مراقبتها الى ما انزل الله تعالى فيها من الاوامر الالهية المسماة شرائع فيجب أن يقوم بها ابناؤها ليسعدوا فواعجبا منا كيف لم نتبع اخلاق امنا ولا وقفنا عند حدود ربنا كما وقفت امنا فينبغي لكل عبد ان يراقب حال امه فان الطفل لا يفتح عينه الا على امه ولا يبصر الا هي ولذلك كان يحبها ويميل اليها طبعا ومن أخلاق الدنيا انه لا يهون عليها نسبة أحد من أبنائها الى الآخرة لانها ما ولدتهم ولا تعبت في تربيتهم ومن عقوقنا لها أننا ننسب الشرور والانكاد اليها واخاننا انها احوالنا ما هي احوالها والشر انما هو فعل المكلف لا فعلها هي ومن اشد ما عليها هي أيضا نسبة اولادها كل ما يفعلونه من الخير الى الآخرة مع انهم ما عملوا ذلك الا في الدنيا وأطال في ذلك ثم قال فعلم ان للدنيا اجر المصيبة التي في اولادها ومن اولادها انتهى ولنبدأ بالكلام على النار أعاذنا الله منها فنقول اعلم يا أخي ان جهنم من أعظم المخلوقات وهي سجن الله تعالى في الآخرة يسجن فيها المعطلة والمشركين والكافرين والمنافقين أبد الابدين ودهر الداهرين قال تعالى وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا وأما أهل الكبائر من المؤمنين فيسجنون ما شاء الله ثم يخرجون وسميت جهنم لبعد قعرها يقال بئر جهنام اذا كانت بعيدة القعر وهي مشتملة على حرور وزمهرير ففيها البرد على أقصى درجاته والحر على أقصى درجته وبين أعلاها وأسفلها خمس وسبعمائة من السنين ولا يخفى ان حرورها انما هو هواء محترق لا جمرة لها سوى بني آدم والاحجار المتخذة آلهة من دون الله قال تعالى وقودها الناس والحجارة وقال تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم وقال تعالى فكبكبوا فيها هم والغاوون وجنود ابليس أجمعون فأثبت ان الجن لهبها قال الشيخ محيي الدين في الباب الحادي والستين من الفتوحات اعلم ان الله تعالى يحدث في جهنم الآلات على حسب حدوث اعمال الجن والانس الذين يدخلونها قال وقد اوجدها الله تعالى بطالع الثور ولذلك كان خلقها في الصورة على صورة الجاموس قال وهكذا رأيتها في كشفي ونزلت فيها خمس دركات ورأيت الجن يصطنعون فيها المقامع قال وكذلك راءها أبو الحكم ابن برجان من طريق كشفه وقد تمثلت لبعضهم صورة حية فتخيل ان تلك الصورة هي التي خلقها الله تعالى عليها وليس كذلك قال الشيخ محيي الدين ولما خلقها الله تعالى كان زحل في الثور وكان الشمس والاحمر في القوس وكان سائر الدراري في الجدي فكان فيها لاجل ذلك الحر والبرد وانما كان فيها الجوع لان الله تعالى خلقها من تجلي قوله في صحيح مسلم جعت فلم تطعمني ومرضت فلم تعدني وظمئت فلم تسقني فمن ذلك خلقت جهنم أعاذنا الله منها قال الشيخ ولذلك تجبرت على الجبارين وقصمت المتكبرين وجميع ما يخلق الله فيها من الآلام التي يجدها الداخلون فيها فمن صفة الغضب ولا يكون ذلك فيها الا عند دخول الخلق فيها من الجن والانس متى دخلوها واما اذا لم يكن فيها احد من أهلها فلا الم في نفسها ولا في نفس ملائكتها بل هي ومن فيها من زبانيتها في رحمة الله متنعمون ملتذون يسبحون الله لا يفترون واطال في ذلك

ثم قال ومن أعجب ما روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان قاعدا يوما في المسجد مع أصحابه فسمعوا هدة عظيمة فارتاعوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتعرفون ما هذه الهدة قالوا الله ورسوله اعلم قال حجر ألقي من أعلى جهنم منذ سبعين سنة الآن وصل الى قعرها فكان وصوله الى قعرها وسقوطه فيها هذه الهدة فما فرغ صلى الله عليه وسلم من كلامه الا والصراخ في دار منافق من المنافقين قد مات وكان عمره سبعين سنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله اكبر فعلم كبراء الصحابة ان ذلك الحجر هو ذلك المنافق وانه من حين ولد يهوى في نار جهنم بأعماله في علم الله وان لم يكن مكلفا الا بعد البلوغ فلما بلغ عمره سبعين سنة مات فحصل في قعرها قال تعالى ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار فكان سماعهم لتلك الهدة التي أسمعهم الله اياها انما هو ليعتبروا فانظروا ما أعجب كلام النبوة وما ألطف تعريفه وما أحسن اشارته وما أعذب كلامه صلى الله عليه وسلم قال الشيخ محيي الدين ولقد سألت الله تعالى ان يطلعني على جهنم واهلها فاطلعني على ذلك فعرفتها وعرفت مكانها ولولا انه صلى الله عليه وسلم قال في علم الله لما سئل عنها لعينت مكانها ولكن الادب يمنعنا ان نتعدى مقام الادب معه صلى الله عليه وسلم قال ورأيت اهلها يتخاصمون مع ائمة الضلال الذين اضلوهم ومع اصنامهم التي كانوا يعبدونها من دون الله ورأيت صورة خصامهم صورة خصام ارباب المذاهب الشرعية مع أهل المذاهب الزائغة في طلب ادحاض حجج بعضهم بعضا فاني كنت ارى خصام ارباب المذاهب عندنا مع أهل الزيغ اتذكر خصام اهل النار ورأيت الرحمة كلها في التسليم والتلقي من النبوة والوقوف عند حدود الشريعة والتأدب عند قراءة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وقراءة كلام الائمة المجتهدين والعلماء العاملين وعدم رفع الصوت عند قراءة كلامهم قال ولما أطلعني الله عليها رأيت من دركات النار من حيث كونها دارا ماشاء الله أن يطلعني ورأيت فيها موضعا يسمى المظلمة نزلت فيه ماشاء الله ان انزل فعلمت من ذلك الوقت كل عمل يتطور نارا وكل عمل يتطور نعيما وعلمت ان عذاب أهل جهنم ماهو من جهنم حقيقة وانما هو من أعمال الداخلين وأنشدت في ذلك

النار منك وبالاعمال توقدها ⁂ كما تاججها في الحال تطفيها
فأنت بالطبع منها هارب أبدا ⁂ وأنت في كل حال منك تنشيها

الى آخر ما قال انتهى قلت هكذا قال الشيخ رحمه الله ولكن قال علماء الشريعة من قال دخلت الجنة كفر وقياسه ان يكون الحكم كذلك في دخول النار فليتأمل ويحرر ولعل قوله نزلت أي أطاعت كشفا كما يفسره ما تقدم والله اعلم فعلم ان جهنم انما هي دار سكنى لاهلها وسجن لهم والله تعالى يخلق فيهم أنواع العذاب متى شاء فعذابهم من الله وهم محل له قال الشيخ محيي الدين ولجهنم سبعة ابواب مفتحة ليس فيها باب مغلق الا الباب الثامن الذي هو باب الحجاب عن رؤية الله عزوجل فلا يفتح لاهل النار أبدا قال وجميع الكواكب التي في جهنم مظلمة الاجرام عظيمة الخلق وكذلك الشمس

والقمر والطلوع والغروب لهما في جهنم دائما فشمس جهنم شارقة لا مشرقة والتكوينات عن سيرها بحسب ما يليق بتلك الدار (فان قلت) فما حد جهنم (فالجواب) ان حدها بعد الفراغ من الحساب من مقعر فلك الكواكب الثابتة الى اسفل سافلين وذلك كله يزيد في جهنم اتساعا عما هي الان عليه حيث لا مخلوق فيها وكل مكان لم يذكر الشارع انه يعود الى الجنة فانه يعود كله نارا قال تعالى واذا البحار سجرت أي أججت نارا من سجرت التنور اذا اوقدته قال ومن هنا كره ابن عمر وغيره الوضوء بماء البحر مع قولهم بجواز الطهارة منه وكان بعضهم يقول التيمم احب الي من البحر قال الشيخ محيي الدين واهل الكشف كلهم يرون بحر الملح الان يتأجج نارا (فان قلت) فمن اشد الخلق كلهم عذابا في النار (فالجواب) اشدهم عذابا ابليس لانه هو الذي سن الشرك وكل معصية (فان قلت) ان ابليس مخلوق من النار فكيف جعل الله تعالى عذابه بما خلق منه (فالجواب) ان الله تعالى على كل شئ قدير الا ترى النفس يكون به حياة الجسم الحساس فاذا منع بالشق او الخنق انعكس راجعا الى القلب فاحرقه من ساعته فهلك من حينه فبالنفس كان حياته وبه كانت وفاته (فان قلت) فقد ورد انه يعذب بالزمهرير المناقض لنشأته فهل يعذب بذلك من خارجه ام من داخله (فالجواب) لا يأتيه الزمهرير الا من ذاته لانه احد اركانها فيغلب جزء الزمهرير بقية الاركان فيعذب بذلك كما يغلب بعض الاخلاط على الانسان في دار الدنيا فيتالم بها فيأمره الطبيب بالفصد فلولا انه فصد لو بما مات وبالجملة فكل من دخل النار عذب بكل ركن من اركانه حتى الماء والهواء (فان قلت) فكم عدد دركات النار فالجواب عددها مائة درك لانها في مقابلة درج الجنة ولكل درك منها اقوام مخصوصون ولهم من الغضب الالهي الحال بهم آلام مخصوصة (فان قلت) فكم أقسام أهل النار الذين هم أهلها (فالجواب) هم أربعة أقسام كما قاله الشيخ في الباب الثاني والستين من الفتوحات وترجع الاربعة أقسام الى المجرمين خاصة قال تعالى وامتازوا اليوم أيها المجرمون أي المستحقون لان يكونوا أهلا لسكنى جهنم لا يخرجون منها الى الجنة أبدا القسم الاول المتكبرون عن أمر الله كفرعون والنمرود وأبي لهب واضرابهم الثاني المشركون وهم الذين يجعلون مع الله الها آخر الثالث المعطلون وهم الذين نفوا الالهة جملة فلم يثبتوا للعالم الها ولا من العالم الرابع المنافقون وهم الذين أظهروا الاسلام من أهل هذه الاقسام الثلاثة للقهر الذي حكم عليهم فخافوا على دمائهم وأموالهم وذراريهم وهم في أنفسهم على ما هم عليه من اعتقاد ما عليه هذه الطوائف الثلاث فهؤلاء الاربعة هم الذين لا يخرجون من النار من جن وانس انتهى (قلت) فكذب والله وافترى من نسب الى الشيخ محيي الدين انه يقول بقبول ايمان فرعون ولو انه كان يقول به ما صرح هنا بانه من أهل النار الذين لا يخرجون منها ابد الابدين فاما انه مدسوس عليه كما مرت الاشارة الى ذلك في الخطبة واما انه كان تبع فيه القاضي ابا بكر الباقلاني فانه قائل بقبول ايمان فرعون لان الله تعالى حكى عنه انه قال لا اله الا الذي امنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين ولم يحك عنه ما يناقضه

بعد

بعد ذلك وقد انعقد اجماع الائمة كلهم على عدم قبول ايمانه فاياك ان تنقل عن الشيخ محيي الدين انه يقول بقبول ايمان فرعون وتخرق الاجماع لاسيما والفتوحات من اواخر مؤلفاته لانه فرغ منها قبل موته بنحو خمس سنين والله تعالى اعلم (فان قلت) فهل في النار دركات اختصاص نظير ما في الجنة من درجات الاختصاص التي ليست هي في مقابلة عمل (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثاني والستين من الفتوحات ليس في النار دركات اختصاص الهي ولا عذاب اختصاص كالجنة لان الله تعالى ما عرفنا انه يختص بنقمته من يشاء كما أخبرنا انه يختص برحمته من يشاء فلا يعذب أهل النار فيها الا بأعمالهم التي عملوها فقط بخلاف أهل الجنة فانهم ينعمون فيها بأعمالهم وبغير اعمالهم في جنات الاختصاص اذ الجنات ثلاث جنة اعمال وجنة اختصاص وجنة ميراث كما سيأتي بيانها في الكلام على الجنة ان شاء الله تعالى فكان من كرم الله تعالى وفضله انه ما انزل أهل النار الا على اعمالهم خاصة واما قوله تعالى زدناهم عذابا فوق العذاب فذلك لطائفة مخصوصة وهم الائمة المضلون المشار اليهم بقول الله تعالى وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم فانهم هم الذين اضلوا العباد وادخلوا عليهم الشبه المضلة فحادوا بها عن سواء السبيل فما انزلوا من النار الا منازل استحقاق اذ الاضلال معدود من جملة اعمالهم بخلاف أهل الجنة فانهم ينزلون فيها منازل استحقاق باعمالهم كما في الكفار ويزيدون عليهم منازل وراثة ومنازل اختصاص (فان قلت) فمن اين جاء تقسيم أهل النار الى اربعة اقسام (فالجواب) لان الله تعالى ذكر عن ابليس انه يأتينا من بين ايدينا ومن خلفنا وعن أيماننا وعن شمائلنا ولا يدخل أحد النار الا بواسطته فهو يأتي المشرك من بين يديه ويأتي المتكبر من عن يمينه ويأتي المنافق من عن شماله ويأتي المعطل من خلفه فان قلت فما الحكمة في الاتيان من هذه الجهات المخصوصة فالجواب الحكمة فيه ظاهرة أما المشرك فانما جاءه من بين يديه لان المشرك رأى بين عينيه جهة غيبته فأثبت وجود الله ولم يقدر على انكاره فجعله ابليس يشرك بالله في الوهيته شيئا يراه ويشاهده وأما المتكبر فانما جاءه من جهة اليمين لان اليمين محل القوة فلذلك تكبر للقوة التي اختص بها من نفسه وأما المنافق فانما جاءه من جهة شماله التي هي الجانب الاضعف لان المنافق اضعف الطوائف كما ان الشمال في العادة اضعف من اليمين ولذلك كان في الدرك الاسفل من النار وكان يعطى كتابه بشماله واما المعطل فانما جاءه من خلفه لان الخلق ما هو محل نظر فقال له ما ثم شئ فهذا وجه حكمة تخصيص اتيان ابليس من هذه الجهات قال الشيخ ولهذه الطوائف الاربعة من كل باب من ابواب جهنم جزء مقسوم وهي منازل عذابهم لانك اذا ضربت الاربعة اقسام التي هي المراتب في السبعة ابواب كان الخارج ثمانية وعشرين منزلا عدد منازل القمر وغيره من الكواكب السيارة وكان مما ظهر من تسيير هذه الكواكب السيارة وجود ثمانية وعشرين حرفا بها ألف الله تعالى الكلمات وبها أظهر الكفر والايمان في العالم فترجم بها كل شخص عما أضمره في نفسه من أيمان أو كفر أو كذب أو صدق

بألم حتى تخرج بالشفاعة فضلا من الله تعالى عليها بخلاف الكفار لا تموت لهم جوارح
أبدا ليذوقوا العذاب وذلك لان معصيتهم بالكفر مستصحبة لا تفارقهم ولو انهم
كانوا بقوا ابد الآبدين لكانوا كفارا فلذلك خلدوا في النار من حيث نيتهم * واما
عصاة الموحدين فلهم زاجر من انفسهم اذا عصوا ويعقبهم الندم * وايضاح ذلك كما
قاله الشيخ في الباب الموفي ثلثمائة من الفتوحات ان جسد الانسان كله من حيث
طبيعته طائع لله خائف من عذابه وما من جارحة يرسلها العبد في معصية الا وهي
تناديه لا تفعل لا ترسلني فيما حرمه الله عليك فاني شاهدة عليك وتتبرا الى الله تعالى
من ذلك الفعل وكل قوة وجارحة في العبد بهذه المثابة تنادي اخواتها لا تفعلوا معصية
انتهى (فان قلت) ان الله تعالى قد جعل الكي بالنار في هذه الدار وقاية ودفعا لالم أشد
من النار فهل يكون احراق الموحدين في النار كذلك دفعا لما هو اشد من الحرق
(فالجواب) نعم احراق الموحدين في النار دفعا لما هو اشد منه وهو غضب الله السرمدي
فاسكن الغضب الالهي الا بحرقهم بالنار نظير ما يضرب الانسان غلامه أو عبده
ثم يرضى عنه وهذا من رحمة الله تعالى بالموحدين ومن هنا قال بعضهم مت مسلما
ولا تبالي بخلاف المشركين فان عذابهم لا ينقطع فكانت النار لاصحاب الكبائر من
الموحدين الذين ماتوا على غير توبة مقبولة كالكي بالنار في الدنيا ولذلك ورد انهم
يخرجون من النار قد امتحشوا فيلقون في نهر على باب الجنة نظير ما يخرج صاحب الكي
بالنار الى العافية ذكره الشيخ في الباب الثامن والثمانين من الفتوحات وقال هذا كله
على جعل النار وقاية كالحدود الدنيوية فان الله تعالى جعلها وقاية من عذاب الآخرة
ولهذا سميت كفارات والكفر الستر فهو يستر العاصي عن عذاب الآخرة ولهذا
قلنا في قوله تعالى انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا الى
آخره ان المراد بهم الكفار لا الموحدون لان الله تعالى لما عاقبهم في الدنيا بالقتل
والصلب وتقطيع ايديهم وارجلهم من خلاف لم يجعل تلك العقوبات كفارة مثل
ما جعلها في الحدود في حق الموحدين بل قال ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة
عذاب عظيم وهذا لا يكون الا للكفار اذ العذاب العظيم هو الذي يعم الظاهر والباطن
بخلاف أهل الكبائر من الموحدين كما مر فان الله تعالى يميتهم في النار اماتة حتى يعودوا
حمما شبه الفحم فاذا لم يحسوا بالعذاب في موتهم ليس لهم حظ في العذاب العظيم
لانهم محروقون بالنار مثل الجمرات ثم ان النار تفعل بواسطة الجمرات التي ظهرت فيها
امرا اخر فيه منفعة كما تنفع النار تحت القدر في انضاج ما فيه ولولا انضاجه ما ساغ
اكله اذا فهمت ذلك علمت حكمة تأثير النار التي هي تحت ارض الجنة وانها انما جعلت
لتؤثر في فواكه الجنة النضج والاصلاح فان مقعر أرض الجنة هو سقف النار والشمس
والقمر والنجوم كلها في النار فتفعل في الاشياء هنالك علوا ما كانت تفعله هنا سفلا
الا ترى ان أرض الجنة كلها مسك وهو حار بالطبع لما فيه من النار واشجار الجنة
كلها مغروسة في تلك التربة المسكية كما يقتضي نبات هذه الدار الدنيا جعل الزبل

تحته لما فيه من الحرارة الطبيعية لانه معفن والحرارة تعطى التعفين فى الاجسام القابلة للتعفين انتهى (فان قلت) فهل لاهل النار ان يتبوؤا من النار حيث شاءوا كاهل الجنة ام هم محبوسون فى اماكنهم لا يبرحون (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الثالث وأربعين وثلثمائة ان أهل النار لا يتبوّون وانما هم محبوسون فى اماكنهم لا يبرحون وايضاح ذلك انهم لو كان لهم التبوّء حيث شاء وأما استقروا حتى تنضج جلودهم فكان من رحمة الله تعالى الخفية بهم من حيث لا يشعرون عدم تبوّئهم فان العذاب المستصحب اهون من العذاب المجدد فلو كانوا ينتقلون من مكان الى مكان لكانوا يذوقون فى كل مكان ينتقلون اليه عذابا جديدا الى حصول الانضاج وذلك اشد العذاب (فان قلت) فما الدليل على عدم تبوء أهل النار من القران (فالجواب) الدليل على ذلك قوله تعالى وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا أى سجنا لان المحصور ممنوع من التصرف فرحم الله الكفار من حيث لا يشعرون بعدم التبوّء فى النار كما مكر بهم فى دار الدنيا من حيث لا يشعرون ونظير ذلك المضروب فى بيت الوالى مثلا يحس بالالم أولا فاذا تخدرت اعضاؤه غاب عن الاحساس بالالم فهذا الجزاء اليسير من عدم الاحساس هو من الرحمة التى سبقت الغضب فى أهل النار فى بعض الاوقات (فان قلت) فهل تتزاور أهل النار كما تتزاور أهل الجنة (فالجواب نعم يتزاورون لكن لا يتزاور الا اهل كل طبقة مع بعضها فقط فيتزاور المحرورون مثلا لبعضهم بعضا والمقرورون لبعضهم بعضا فلا يزور مقرور محرورا ولا عكسه واطال فى عذاب أهل التنوبه والتثليث فى الباب الثالث واربعين وثلثمائة (فان قلت) فما المراد بقوله صلى الله عليه وسلم فى حديث البيهقى امتى امة مرحومة ليس عليها فى الآخرة عذاب وان عذابها فى الدنيا الزلازل والفتن والبلايا والمحن الحديث بمعناه وفى رواية اخرى عذاب امتى فى دنياها واذا كانوا كذلك فأين العصابة الذين يدخلون النار من الموحدين (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الرابع والاربعين وثلثمائة ان المراد بقوله ليس عليها فى الآخرة عذاب أى مسرمد بدليل الاحاديث الصحيحة الواردة فى دخول طائفة من هذه الامة النار من الموحدين ولكن من رحمة الله تعالى بهم اماتتهم فى النار كما مر آنفا حتى لا يحسوا بما تأكل النار منهم وذلك لان النفوس المتألمة هى الموحدة المؤمنة والايمان والتوحيد يمنعان قيام الآلام والعذاب الى غير نهاية فاحرقوا وصاروا حمما الا وهم اموات والميت لا يحس بما يفعل به ولو تصور علمه بالحرق لم يحس به اذ ليس كل ما يعلمه العبد يحس به فلذلك كان لا بد من رفع العذاب عن الموحدين وانهم ان دخلوا النار فانما ذلك تحقيق للكلمة الالهية فلا يبقى فى النار من قال لا اله الا الله محمد رسول الله ولو مرة واحدة فى عمره ومات على ذلك انتهى (فان قلت) فما معنى قوله تعالى فى أهل النار حين ذاقوا العذاب ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه مع انهم قالوا فى محل يصدق به المكذوب ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل (فالجواب) انما قالوا اخرجنا نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل بلسان الحالة التى هى حالة بهم لظنهم انها تدوم معهم

اذا رجعوا الى الدنيا وهى لاتدوم فانهم اذا رجعوا الى الدنيا رجعوا بحكم القبضتين وهو
علمهم بعمل الاشقياء لايمكنهم ان يعملوا بعمل السعداء * وايضاح ذلك كما قاله
الشيخ فى الباب الرابع والخمسين وثلثمائة ان الله تعالى خلق الانسان على مزاج يقبل
النسيان والغفلة ويقبل أيضا ضد ذلك على حسب ما يقام فيه فهو تعالى يعلم من
نشأة هؤلاء الذين لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه انهم لا يرجعون الى الدنيا الا بتلك النشأة
فينسون ما ذاقوه من عذاب النار وما قالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون
من المؤمنين الا بلسان النشأة التى هم فيها فتخيلهم ان ذلك العلم والذوق الذى حصل
عندهم فى النار يبقى عليهم ولو انه بقى معهم لما كانوا يعودون لما نهوا عنه اذا ردوا الى
الدنيا الاترى الى قوله صلى الله عليه وسلم يؤتى فى القيامة بانعم أهل الدنيا فيغمس
فى النار غمسة فيقال له هل رأيت نعيما قط فيقول لا والله ومعلوم انه رأى فى الدنيا نعيما
ولكن حجبه شاهد الحال عن هذا النعيم فنسيه وكذلك ورد فى صاحب البؤس اذا غمس
فى الجنة غمسة فيقال له هل رأيت يوما بؤسا قط فيقول لا والله ما رأيت بؤسا قط واطال
فى ذلك ثم قال فعلم ان جميع المؤمنين يعلمون بانفاذ الوعيد فى حق طائفة منهم ولكن
غير معينة لانها لو تعينت العقوبة لواحد منهم فى دار الدنيا وانه هو الذى ينفذ فيه الوعيد
لم يقم على سببها ابدا انتهى (فان قلت) فما اكثر عصاة الموحدين مكثا فى النار
(فالجواب) قد ذكر الشيخ فى علوم الباب التاسع والستين وثلثمائة ما نصه ان الله
تعالى لم يطلعنى على مدة اكثر العصاة مكثا فى جهنم قال وانما استروحنا من قوله تعالى
فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة ان اخرهم مكثا من يمكث فيها هذا القدر قال وما
نحن من كمال الخمسين الف على يقين فهذه هى مدة اقامة الحدود على الموحدين من اهل
الكبائر قال وكل ذلك فى يوم القيامة وليس السرمد الا لاهل النار الذين هم اهلها فاذا
تمضى يوم القيامة لم يبق احد من عصاة الموحدين فى النار ابدا فرحم الله عبدا اطلعه الله
على مدة اقامة العصاة فى النار على التحديد فالحقه بهذا الكتاب فانى انما علمت ذلك مجملا
من غير تفصيل (فان قلت) فما معنى قوله تعالى وجئ يومئذ بجهنم لم تأت بنفسها لاهلها
عند الميقات (فالجواب) انما لم يصفها الحق تعالى بالمجئ من ذاتها مع علمها بما هى عليه من
اسباب الانتقام من العباد لما جبلها الله تعالى عليه من العلم برحمة الله التى وسعت كل
شئ فمنعتها الرحمة الكامنة فيها من المبادرة للاتيان فانها ما وقعت عينها الا على مسبح
لله تعالى بحمده مطيع لارادته فلذلك جئ بها ليعلم الذى لا يدخلها ما أنعم الله تعالى
عليه مما لم يكن يعلمه وليعلمه أيضا من يدخلها بانه بالاستحقاق يدخلها فتجذبه بالخاصية
اليها جذب المغناطيس للحديد وهو قوله عليه الصلاة والسلام انا آخذ بحجزكم عن
النار وانتم تقتحمون فيها تقحم الفراش انتهى (فان قلت) فهل لاهل النار حظ من النعيم
فى وقت من الاوقات (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب العشرين من الفتوحات
نعم لاهل النار حظ من النعيم ولكن صورة نعيمهم عدم توهمهم وقوع العذاب بهم كما
ان حظهم من شدة العذاب توقعه لانه لا امان لهم بطريق الاخبار عن الله تعالى فلا

يفتر عنهم العذاب فلم يزالوا في غشية من العذاب بعد غشية وافاقة بعد افاقة ففي حال الغشية يعذبون بالعذاب المتخيل وفي حال الافاقة يعذبون بالعذاب المحسوس وقد يطول زمن الغشية نحو عشرة آلاف سنة وقد يطول زمن الافاقة فيعذبون خمسة عشر ألف سنة وهكذا أبدا الآبدين ودهر الداهرين فعلم ان أشد العذاب على أهل النار مايقع في نفوسهم من التوهمات فانهم لا يتوهمون قط عذابا أشد مما هم فيه الا تكون في نفوسهم لوقته (فان قلت) فهل عند أهل النار الذين هم أهلها نوم (فالجواب) ليس عندهم نوم وانما النوم خاص بعصاة هذه الامة من الموحدين فقط وذلك هو القدر الذي يتنعمون به في النار ويستريحون به في بعض الاوقات ثم ان عصاة الموحدين اذا ناموا يكون نعيمهم في منامهم الرؤيا الحسنة فيرى نفسه مثلا انه خرج من النار ودخل الجنة وصار في فرح وسرور وأكل وشرب وجماع بين أهله واخوانه ثم اذا استيقظ لا يرى شيئا كما يقع لاهل الدنيا اذا ناموا وبعض اهل النار من الموحدين قد يرى في منامه أيضا ما يسوءه فيعذب في منامه أيضا فيرى انه في بؤس وضر وعقوبة وفراش من شوك ونحو ذلك نسأل الله العافية (فان قلت) قد بلغنا ان ابليس يكون في الطبقة الوسطى من النار التي هي الرابعة فهل ذلك تخفيف لعذابه (فالجواب) ليس ذلك تخفيفا للعذاب وانما ذلك لاحاطته والشمول فهو ملء النار فلا يعذب احد فيها الا وابليس مشارك له في عذابه لانه كان سببا في تعذيبه وفي الحديث من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها في يوم القيامة فهو باعتبار كان من النار بحقيقته فكونه لا يدخل احد النار الا بواسطته هو سر مستقره في النار في الطبقة الرابعة فليس ذلك تخفيفا عنه بالنسبة للدركات السفلية كما مر (فان قلت) فهل تكون اقسام أهل النار الاربعة السابقة أول المبحث في الجن كما هي في الانس (فالجواب) ليس في الجن مشرك ولا منافق ولا معطل وانما هم كفار فقط ويؤيد ذلك قوله تعالى كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال اني بريء منك اني اخاف الله رب العالمين فالحق الله تعالى الشيطان بالكفار ولم يلحقه بالمشركين وان كان هو الذي يوسوس للخلق بالشرك حتى يشركوا فكل مشرك كافر شرعا وليس كل كافر مشركا لان من قال ان الله تعالى هو المسيح بن مريم كافر وليس بمشرك (فان قلت) فهل قول ابليس اني اخاف الله رب العالمين توحيد فان كان توحيدا فلم يسعده (فالجواب) هو توحيد ولكن كتوحيد المنافق بلسانه فقط دون قلبه فكان الحكم عليه بالكفر والشرك والنفاق والتعطيل في هذه الدار كحكمنا على أهل هذه الصفات في الآخرة سواء وقد انعقد اجماع الملل كلها على كفره وانه لا يصح أن يسلم قط حقيقة لانه لو تصور اسلامه حقيقة لم تجد الكفار والعصاة من يوسوس لهم بالوقوع في الكفر والمعاصي ولا بد لكل عاص من واسطته فهو أول من سن الشرك والكفر وسائر المعاصي ثم بتقدير ان قوله اني أخاف الله رب العالمين توحيد فما نحن على يقين من استدامة ذلك الى الممات لان الله تعالى أخبر عنه انه يخطب لاهل النار في النار وقد سئل الشيخ محيي الدين عن قول ابليس اني أخاف الله

هل هو توحيد فقال ليس ذلك بتوحيد لان ابليس أشقى الاشقياء وهو أول شقى من الجن
فهو ولو وحد بلسانه فليس ذلك بتوحيد شرعى يقبل منه انتهى ذكره فى الباب التاسع
من الفتوحات وذكر فى الباب الرابع والستين ان النار بذاتها لا تقبل خلود موحد فيها
بأى وجه كان توحيده وابليس مخلد فى النار بالاجماع وفى صحيح مسلم من مات وهو يعلم
ان لا اله الا الله دخل الجنة فلم يقل وهو مؤمن ولا قال من مات وهو يقول بل افرد العلم
فلا يبقى بعد الشفاعات فى النار احد ممن عمل عملا مشروعا من حيث ما هو مشروع
بلسان نبى ولو كان مثقال حبة من خردل فما فوق ذلك فى الصغر فيخرجون كلهم
بشفاعة أرحم الراحمين (فان قلت) فلم خص الله تعالى الجباه والجنوب والظهور بالحرق
لمن كنز الذهب والفضة ولم ينفقها فى سبيل الله (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب
السبعين انما خص الله تعالى الكى بهذه الاعضاء الثلاثة لان صاحب المال اذا رأى
السائل مقبلا اليه انقبضت أسارير جبهته لعلمه بأنه يسأله من ماله فتكوى جبهته
منعه ثم ان الغنى يتغافل عن السائل ويعطيه جنبه كأنه ما عنده منه خبر فيكوى
بها جنبه فاذا عرف من السائل انه يطلب منه ولا بد عطاه ظهره وانصرف فيكوى بها
ظهره هذا حكم مانعى زكاة الفضة والذهب فى النار انتهى فان قلت فلم كانت أبواب
جهنم سبعة أبواب لانها على عدد أعضاء التكليف الظاهرة من باب القلب منه
عليه لا يغلق من حيث ظنه [illegible] وهذه [illegible] الابواب الا
السبعة التى يدخل منها الناس الجنان وأما الباب المغلق الذى لا يدخل منه أحد [illegible]
[illegible] السور باطنه فيه الرحمة لاقرار العبد بوجود الله [illegible] وظاهره
من قبله العذاب بالنار التى تطلع على الافئدة فان قلت فلم [illegible] نار تحرق جوارح
[illegible] الظاهرة فقط دون الباطنة فالجواب انما لم تحرق [illegible]
[illegible] الموحد [illegible] من تخلص النار الى قلوبهم فانظر [illegible] التوحيد والايمان
[illegible] وان اذا حرقت غابت فلا تحس [illegible] بالعذاب [illegible]
سواء حتى تأتيه الشفاعة فاذا بعثه الله من تلك النومة وجد ايمانه على باب النار ينتظره
[illegible] فى نهر الحياة [illegible] باب الجنة دخل الجنة فلا يبقى فى النار من عباد الله
[illegible] واحدة فان قلت [illegible] فى القرآن معلقة ومقيدة [illegible]
[illegible] ذلك خصوصية [illegible] وهى ان [illegible]
وحرق الاجسام لانها نتائج أعمال حسية ظاهرة [illegible] هذه [illegible] بين [illegible]
كما فعل بأهل الجزية من تعذيبهم باخراج أموالهم من يدهم قهرا صغارا [illegible] ذلك
عذاب نفوسهم أيضا وأما نار الله فهى مجسدة لانها نتائج أعمال [illegible] باطنة وهو
قوله تعالى نار الله الموقدة التى تطلع على الافئدة ومعلوم ان الافئدة هى باطن الانسان
فهى تظهر فى فؤاد الانسان وعن هذه النار الباطنة ظهرت النار الظاهرة [illegible]
النار فى الحالين فما عذبه سوى ما أنشاه بأعماله وأطال الشيخ فى ذلك الباب التاسع
والستين وثلثمائة فراجعه فان قلت فما حكم من وقف اذا لم يبق فيها أحد هل

تصير من الجنة أو من النار فالجواب كما قاله الشيخ في الباب الحادي والسبعين وثلثمائة ان أرض الموقف اذا خلت ولم يبق فيها أحد تعود كلها في جهنم وان كان فيها زمهرير وذلك لان حد جهنم من مقعر فلك الكواكب الى أسفل سافلين كما مرّ فهي تهوي على السموات والارض على صورة ما كانتا عليه اذ كانتا رتقا فرجعت الى صفتها من الرتق والكواكب كلها فيها طالعة وغاربة على أهل النار بالحرور والزمهرير فيأتي الحرور على المحرورين وبالزمهرير على المقرورين فان قلت اذا كانت الكواكب كلها طالعة وغاربة في النار فأين نورها وجهنم سوداء مظلمة (فالجواب) ان نور الكواكب موجود ولكن أهل النار لا يشهدون نورها لا حال شروقها ولا حال غروبها المانع دخان جهنم من الكدورة وكانوا في الدنيا عميا عن ادراك الحق الذي جاءت به الشرائع كذلك صاروا عميا في النار عن ادراك الانوار فليل أهل النار لا صباح له كما ان نهار أهل الجنة لا ليل له ولا يزال أهل الجنة وأهل النار على ما وصفنا أبد الآبدين ولذلك سمى الله تعالى يوم القيامة باليوم العقيم لانه لا يوم بعده قال وهو يوم السبت (فان قلت) قد بلغنا ان منازل أهل النار ودركاتها وخوخاتها على عدد منازل الجنة ودركاتها وخوخاتها فهل ذلك صحيح (فالجواب) كما قاله الشيخ محيي الدين نعم لا تزيد على منازل الجنة ودركاتها ولا تنقص لكن ليس في النار نار ميراث ولا نار اختصاص كما مرّ أوائل المبحث وانما ذلك خاص بالجنة فنار جهنم نار اعمال لا غير ولقد بسطنا الكلام في النار في رسالة الكلام على الدارين فراجعها والله أعلم (فان قلت) فهل يتوالد أهل النار كما هو شأن أهل الجنة (فالجواب) لا توالد في النار والله أعلم (خاتمة) ذكر الشيخ في الباب الحادي والسبعين وثلثمائة من الفتوحات ما نصه اعلم انه اذا ذبح الموت بعد تجسيده في صورة كبش ونادى المنادي يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت ارتفع الامكان من قلوب أهل الجنة وأيسوا من الخروج منها وكذلك يرتفع من قلوب أهل النار فيا لها من حسرة ما أعظمها قال وتغلق أبواب النار غلقا لا فتح بعده أبدا لكن لا تنغلق الا عن عين غلق أبواب النار وعين فتح باب الجنة لانها على شكل الباب الذي اذا فتحته سددت به موضعا آخر فعين غلقه لمنزل هو عين فتحه منزلا آخر وتقدم ان الباب الثامن الذي لا يفتح في النار هو باب الحجاب عن رؤية ربهم عز وجل فلا يفتح أبدا قال الشيخ محيي الدين واعلم انه اذا غلقت أبواب جهنم فارت وغلت وصار أعلاها أسفلها وأسفلها أعلاها وصار الخلق فيها كقطع اللحم في القدر الذي على نار شديدة وأطال في صفة عذاب أهل النار انتهى (قلت) فكذب والله وافترى من أشاع عن الشيخ محيي الدين بن العربي رحمه الله انه كان يقول ان أهل النار الذين هم أهلها يخرجون منها بعد مدة تعذيبهم وكذلك كذب من دس في كتاب الفصوص والفتوحات المكية ان الشيخ قائل بأن أهل النار يتلذذون بالنار وانهم لو أخرجوا منها لاستغاثوا وطلبوا الرجوع اليها كما رأيت ذلك في هذين الكتابين وقد حذفت ذلك من الفتوحات حال اختصاري لها حتى ورد على الشيخ شمس الدين

الشريف المدني فأخبرني بأنهم دسوا على الشيخ في كتبه كثيرا من العقائد الزائغة التي نقلت عن غير الشيخ كما مرت الاشارة اليه في الخطبة فان الشيخ من كمل العارفين باجماع أهل الطريق وكان جليس رسول الله صلى الله عليه وسلم على الدوام فكيف يتكلم بما يهدم شيئا من أركان شريعته ويساوي بين دينه وبين جميع الاديان الباطلة ويجعل أهل الدارين سواء هذا لا يعتقده في الشيخ الا من عزل عنه عقله فاياك يا أخي ان تصدق من يضيف شيئا من العقائد الزائغة الى الشيخ واحم سمعك وبصرك وقلبك وقد نصحتك والسلام وقد رأيت في عقائد الشيخ الوسطى ما نصه ونعتقد ان أهل الجنة وأهل النار مخلدون في داريهما لا يخرج أحد منهم من داره أبد الابدين ودهر الداهرين قال ومرادنا بأهل النار الذين هم اهلها من الكفار والمشركين والمنافقين والمعطلين لا عصاة الموحدين فانهم يخرجون من النار بالنصوص قال لان النار كما لا تقبل بطبعها خلود موحد فيها كذلك لا تقبل بطبعها خروج أهلها منها أبدا لانها خلقت من الغضب السرمد قال وهذا اعتقاد الجماعة الى قيام الساعة انتهى وفي لواقح الانوار التي جمعها محمد بن سويدكين من مجالس الشيخ وتقريراته اعلم يا اخي ان جميع ما وجدته من قولنا بخروج أهل النار منها في سائر كتبنا وتقريراتنا فمرادنا بهم عصاة الموحدين انتهى وقد نبه على ذلك ايضا الشيخ الكامل عبد الكريم الجيلي في شرحه لباب الاسرار من الفتوحات فقال ان الغلاة فتفهموا من كلام الشيخ انه يريد بخروج أهل النار غير الموحدين من الكفار فان ذلك خطأ انتهى وقد رجع بحمد الله تعالى على يدي جماعات كثيرة من صوفية الزمان الذين لا غوص لهم في الشريعة في اعتقاد خروج أهل النار الذين هم أهلها تقليدا لما أشيع عن الشيخ محيي الدين وتابوا الى الله تعالى بعد ان كانوا يتسارون بذلك فيما بينهم فالحمد لله رب العالمين (واما الكلام على الجنة واهلها) فنذكر لك يا اخي منه نبذة صالحة ان شاء الله تعالى فنقول وبالله التوفيق. قال الامام ابو طاهر القزويني في كتابه سراج العقول في الباب الخامس والثلاثين منه اعلم ان الجنة اوسع من السموات والارض وذلك قوله تعالى وجنة عرضها السموات والارض ذكر المفسرون في معنى عرضها وجوها وفسروها بالعرض الذى هو ضد الطول ثم اشكل عليهم ان الجنة بعرضها الذي هو مثل عرض السموات والارض كيف تسعها السماء وزادوا في بيان ذلك بما يزيد اشكالا ولا يحل اشكالا والذى اراه ان معنى عرضها اظهارها لاهلها بسمواتها وارضها كما عرضت هذه الدنيا بسمواتها وارضها على اهلها وانه من عرضت المتاع للبيع ومثاله وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا فكما عرض الله جهنم للكافرين فكذلك عرض الجنة للمؤمنين وهذا أمر ظاهر لا أشكال فيه وروى الحاكم وصححه ان اعرابيا قال يا رسول الله أرأيت قوله تعالى جنة عرضها السموات والارض فأين النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أرأيت الليل اذا جاء فأين يكون النهار قال الله اعلم فقال كذلك الله يفعل ما يشاء (فان قيل) فما معنى قوله عرضها السموات والارض جعل السموات

والارض عرضها (فالجواب) هذا جائز في اللغة كما قال الشاعر ووجه نوره البدر التمام أي كنور البدر فيكون المعنى هنا كعرض السماء والارض تصديقه ما في سورة الحديد من قوله وجنة عرضها كعرض السماء والارض (فان قيل) فما وجه من منع حمل العرض على العرض الذي هو ضد الطول (فالجواب) وجهه انه جعل حكم ذلك حكم من نظرمنا الى هذه السماء أليس يرى قدر وسعها بعينه ومعلوم ان محل الادراك من العين هو تلك اللعبة الصغيرة التي هي مقدار عدسة فعلى هذا يكون نسبة عرض الجنة الى عرض السموات نسبة هذا الربع مثلا من السماء الى لعبة عينك وان الذي قدر على بناء الجبال والفيلة العظام على قوائمهن الصغار وقدر على بناء طلل الانسان على قدميه الصغيرين لا يعجز عن بناء الجنة بسعتها على السماء التي تصغر في جنبها اذ السماء كالعمود وتحت سقف بيت واسع * قال الشيخ أبو طاهر القزويني واعلم ان سموات الجنة عدد درجها وهي مائة واعلاها هو ما دلت عليه الاخبار وهو ساق العرش ففي الحديث مرفوعا الجنة مائة درجة ما بين كل درجة والاخرى ما بين السماء والارض والفردوس اعلاها * ومنها تنفجر انهار الجنة وعليها يوضع العرش يوم القيامة وأما ارضها فتنتهي الى سدرة المنتهى لقوله تعالى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى وسدرة المنتهى فوق السموات السبع على ما جاء في الاحاديث وفي بعض الروايات عن ابن عباس ان الجنة في جوف الكرسي هذا ما بلغنا من سماء الجنة وارضها والله أعلم * قال ولا يكون في الجنة شمس ولا قمر كما قال تعالى لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا قيل معناه ولا قمرا وقيل حرا ولا بردا وانما يكون بدل الشمس والقمر انوار طالعة من سرادقات العرش وهي الانوار التي يكسى بعضها شمسنا هذه كل ليلة فتطلع مضيئة علينا وفي الحديث عن أبي ذر قال قلت يا رسول الله أين تذهب الشمس اذا غربت قال تذهب حتى تسجد لله تعالى تحت العرش فتستأذن فيكسى عليها سبعون حلة من نور العرش ويؤذن لها الحديث * فعلمنا بهذا الحديث وغيره ان للجنة سموات وارضا باقيات خالدات ابد الابدين لا تفنى ولا تبيد * ومن توقف فيما قلناه فانما هو لعكوفه على المألوفات في هذه الدار كما قيل لمن ليس في بلاده زيت اما رأيت في بلاد شيئا يوضع في شئ اسم احدهما زيت والآخر فتيلة قطن فينور على الناس طول ليلتهم فانه يستبعد ذلك اشد البعد ولا يصدقه الا ان رآه ولكن من رزقه الله قوة الايمان لا يتوقف فيما اخبر الله ورسوله ابدا * قال الشيخ أبو طاهر والآية التي اشكلت على الائمة الماضين دالة على هذا المعنى وهي قوله وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ يريد ان السعداء يكونون في الجنة خالدين دوام خلود سموات الجنة وارضها الا ما شاء ربك زيادة على الملك الدائم من النعم السنية والالطاف الخفية مما اعده الله فيها كما في حديث * في الجنة ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر قال واعلى نعيمها الرضى والنظر الى وجهه الكريم فمثل هذه هي العطايا الجسام المستثناة من نعمة الخلود وتصديق هذا التفسير قوله تعالى في آخر

لآية عطاء غير مجذوذ أي غير مقطوع واما قوله في صفة أهل النار خالدين فيها مادامت السموات والارض الا ماشاء ربك ان ربك فعال لما يريد فهي دالة أيضا على ان للكفار ارضا وسموات اذ السماء في اللغة هو كلما علاك واظلك والارض كلما تحت قدمك فارض النار الدرك الاسفل وسمواتها اطباق دركاتها طبقا فوق طبق الى ان ينتهي الى الصخرة التي فوقها نظير العرش فوق الجنة كما مر والله اعلم بحقيقة الحال * فعلم أيضا ان أرض النار وسمواتها باقيات خالدات ومعنى الا ماشاء ربك يعني الا ماشاء الله بعد خلودهم فيها من أنواع الآلام والعقوبات المتلونة الزائدة لهم على عقوبة الحبس الدائم قال الشيخ أبو طاهر وهذا الذي استنبطته من نظري في معنى هاتين الآيتين رأيته بعد ذلك منقولا في تفسير الحسين بن الفضل وكان ذلك مثل وقع الحافر على الحافر وهو اصح ماقيل في الآيتين فان فيهما نيفا وعشرين قولا كلها ضعيف * قال ومثال تفسيرنا هذا مثال ملك استخلص بعض رعيته لنفسه واسكنه معه في داره وكان يفيض عليه من مباره وخيره وحبس بعض رعيته في سجنه وصار يأمر كل يوم مع ذلك بانواع العقوبات لهم ثم صار الملك يخبر الناس عن حال الفريقين ويقول أما فلان ففي رعايتي وجواري يتبوء معي في داري ماعشت الا ماشئت له زيادة على جواري واحساني وخلعي عليه وأما فلان ففي سجني ماعشت الا ماشئت له من أنواع المثلات والآلام بصنوف العقوبات زيادة له على الحبس الدائم قال وهو كلام سديد فتأمله فانه نفيس (فان قيل) كيف يتصور الخلود الدائم والنعيم الابدي وكذلك العذاب السرمدي في العقل (فالجواب) يتصور ذلك في العقل بتجدد حالات بعد حالات على الدوام وأما عدم تناهي ذلك فيما لا يزال فيدركه العقل المجرد ويتقاعس عنه الوهم والخيال فلا يكاد يتخيل ذلك لعجزه عن التصوير مع كونه يدرك ذلك بالدليل * وقد قرب الامام الغزالي رحمه الله ذلك بقوله من عجز عن تخيل العدد الغير المتناهي * فليقدر ان الله تعالى خلق مثل هذه الدنيا ألف ألف مدينة وملأها كلها من الحب ثم خلق طيرا يلتقط في كل ألف ألف سنة حبة واحدة فانه ينفذ تلك الحبات من المدائن كلها ويبقى الا بد كما كان وقد ورد في الحديث نحو ذلك (فان قيل) فهل اللذات الاخروية حسية ام عقلية أم خيالية فان هذا سؤال ضل فيه كثير من الناس (فالجواب) عن ذلك هو أن تعلم يا أخي ان الآخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا والآخرة خير وابقى فلا يجوز ان تتقاصر لذاتها عن لذات النفس في الدنيا ولذات الدنيا من ثلاثة اوجه حسي خيالي عقلي فيمكن ان يخلق الله تعالى لاهل الجنة ادراكات اخر زائدة على هذه المدارك يدركون بها ما اخفي لهم من قرة اعين فضلا من الله ونعمة (فان قيل) فما هي اللذة الحسية أي التي تدرك بالحس والخيالية أي التي تدرك بالخيال والعقلية أي التي تدرك بالعقل (فالجواب) أما الحسية فهي كلذة الطعام والشراب بالذوق وكلذة النكاح وسائر الملموسات باللمس وكلذة الالوان والصور الحسان بالعين وكلذة المشمومات بالشم وكلذة الاصوات والالحان بالسمع فمن تلذذ بالحواس الخمس فهو الذي كمل عيشه

قال

قال وأما اللذة الخيالية وهي مطلوبة في الدنيا أيضا فان الرجل ربما يتخيل اشياء يتمناها فيلتذ بها بل ربما رأى الشئ الذي يهواه في المنام فيلتذ به وقال بعضهم لا تكون اللذة الخيالية في الجنة ابدا لان الجنة دار صدق واللذة الخيالية من قضايا الوهم الكاذب فهي اكاذيب وغرور والدار الآخرة دار الحقائق ولذلك سميت الحاقة قال تعالى الحاقة ما الحاقة قال المفسرون سميت الحاقة لان فيها حواق الامور وليس فيها أباطيل ولا اكاذيب بدليل قوله تعالى لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا واذا كانت اللذة الخيالية بالتمني والامنية في الجنة من حيث ان فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين فذلك يدل على ان اللذة الخيالية فيها معدومة قال وهذا القول عندي صحيح اذ اللذات الخيالية اماني والاماني اكاذيب واباطيل فلا يكون ذلك في الآخرة فان كل ما يشتهيه أهل الجنة يجدونه في الحال عيانا نقدا فلا يكون لهم امنية التذاذهم يكون بالموجود المشاهد لا بالمفقود المتمنى المتخيل فافهم ذلك فانه من غرائب امور الآخرة وأما اللذة العقلية فلا خلاف في انها الذ الاشياء واقواها واسرها للنفس واشهاها وابسطها للروح واحلاها اعتبر ذلك بلذة الفهم والعلم فانك اذا ادركت مسئلة كانت تشكل عليك رأيتك تجد في قلبك وفي نفسك لذة لا يعادلها شئ من لذات الدنيا كما قال الامام أبو حنيفة لو يعلم الملوك ما نحن فيه من لذة العلم لحاربونا عليه بالسيوف وناهيك بلذة الامر والولاية والامر والنهي والابتهاج بالاشياء الموافقة للطبع والغرض ولذة الوجدان كما وقع لبعض الاعراب انه ضاع له بعير فكان يقول الا من يبشرني بوجدانه وهوله فقالوا له فما حظك اذن من ذلك فقال لذة الوجدان ومثل ذلك لذة الولد ولذة محادثة الاخوان الصادقين قال الامام الشافعي رضي الله عنه لولا محادثة الاخوان والتهجد عند السحر ما احببت البقاء في هذه الدار وقس على ذلك سائر اللذات العقلية وان كان فيها تفاوت ولها مراتب فهي لذات غير منكرة في الدنيا فيجب اثباتها في الآخرة لقوله تعالى وللآخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا وقوله تعالى ولكم فيها ما تشتهي انفسكم ولكم فيها ما تدعون الى غير ذلك من الآيات والاخبار * قال وعلى هذا الاصل تكون الآلام الحاصلة في الحس والعقل في جهنم لاهلها ثابتة نعوذ بالله تعالى منها قال تعالى ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى واضل سبيلا ولا يخفى شدة العمى على من ابتلى به في الدنيا فقد بان لك يا اخي صحة اللذات الحسية والعقلية جميعا وكذلك الآلام مثلها في الاخرة وقد سبق بسط القول في صحة اعادة الاجسام بارواحها واجسامها على ما هي عليه فاذا ثبت عند الانسان على ما هو عليه اليوم في العقل جوازا وفي الشرع وجوبا وجود اللذة والالم بحذافيره في الاخرة أيضا من غير شك ولا ريب (فان قيل) فاذا أكل أهل الجنة وشربوا فأين يذهب ثقل الطعام والشراب (فالجواب) قد ثبت في الحديث ان الطعام يكون جشاء والشراب يكون رشحا كرشح المسك وهو حديث حسن كما قاله القزويني * قال ولقد جربنا ان من غدي باللبن والعسل لا يحتاج الى استفراغ * قال الشيخ أبو طاهر ولولا خوف

التطويل لانهينا الكلام في بيان استحالة طعامهم وشرابهم الى الرشح والعرق وقد شهدنا امرأة تسمى عائشة من ناحية التور ولم تحتج الى المستراح منذ ثلاثين سنة وتواردت الاخبار الينا بان تركمانا اقاموا عند الملك مسعود سنين ولم يدخلوا الكنيف قط مع انهم كانوا يأكلون كما لنا فاذا كان هذا موجودا في الدنيا مشاهدا مع طعامها الكثيف الثقيل وشرابها الوبيل وهوائها العفن وماثها الآجن فكيف ينكر احد ما اخبر به الانبياء والمرسلون صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين من اطعمة الجنة وفواكهها مما يتخيرون ومما يشتهون من شرابهم العسل المصفى والماء الغير آسن واللبن الذى لم يتغير طعمه والشراب الذى لا يتصدع عند شاربه ولا ينزف وايضاح ذلك ان اطعمة الجنة وفواكهها واشربتها لطيفة رقيقة خالصة صافية لا يعتورها الاستحالات ولا يكون لها اتفال منكرات ولا روائح مكروهات * قال الشيخ ابو طاهر واعلم ان الله تعالى ما وصف الجنة بالاشيا الحاضرة عندنا كالعسل والزنجبيل والمسك والكافور والسندس والحرير والذهب والفضة واللؤلؤ والمرجان والحلل والرمان والخيرات الحسان وغير ذلك الا لتهتدى بذلك القلوب وتستأنس به النفوس اما تصور ذلك فى العقل فمستحيل لان التصور ادراك الوهم خيال ما ادركه الحس والذى لم يدركه الحس يعجز الوهم عن تصوره ولا كان للخلق طريق الى معرفة ذلك لما قال تعالى فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة اعين ولا قال صلى الله عليه وسلم عن الله عز وجل أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر قال بن عباس ومقاتل بن سليمان ليس شئ مما يكون فى الجنة من ثمرة وشراب وحلى وحلل تشبه ما فى الدنيا بشئ سوى ان الله تعالى وصف ما عنده بما عندنا فسمى لنا الذهب والحرير والثياب والفواكه ولا نعلم نحن حقائق ذلك الذى عنده انتهى فان قيل فاذا سماها لنا بما عندنا وهى على خلاف ذلك حقيقة فهو خلف وتعالى الله عن ذلك فالجواب ان تسميتها بما عندنا لا بد أن يكون ذلك بأدنى مناسبة ليقع فى افهامنا عقله وأصل ذلك قوله تعالى مثل نوره كمشكاة فيها مصباح واين المشكاة من نوره تعالى واذا كان فيه أدنى مناسبة فلا خلف ولا كذب وقد قال العلماء بالله تعالى كل شئ من الدنيا سماعه أعظم من عيانه وكل شئ فى الآخرة عيانه أعظم من سماعه والله تعالى أعلم فان قيل فما اللذة والرغبة فى الطلح المنضود والسدر المخضود (فالجواب) فقد اخبر الله تعالى ان فى الجنة ما تشتهى الانفس وتلذ الاعين على العموم وشهوات نفوس الخلق مختلفة ولعل نفوس بعض اهلها تشتهى ذلك كما تشتهى السمك القديد وتستطيبا كله فى دنياها لا سيما اهل البوادى من الاعراب وكيف وطلح الجنة وسدرها انما يشبه ما فى الدنيا فى الاسم فقط كما مر فلعل الله تعالى يخص ذلك بلذة فى ذلك الموطن يفوق اللذات قال الشيخ ابو طاهر وفى نفى المكروه عن النفوس دليل على ما ذكرناه الا تراه تعالى يقول وسدر مخضود نفى الشوك ونفى احتمال الاذية فى قطعها وفى ذلك دلالة على وجود نفى مكروهات النفوس هنالك عكس الدنيا وفى بعض التفاسير ان الطلح فى القرآن هو الموز (فان قيل) فهل فى الجنة

نكاح (فالجواب) نعم ثبت به الاحاديث الصحيحة وسئل صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال نعم دحادحا أى كثيرا وانما اراد به استغراقهم ذلك فى لذة عظيمة ينالونها بخلاف لذة الوقاع فى الدنيا فقد قيل انها وهمية لا حقيقة لها (فان قيل) هل يولد لاحد فى الجنة (فالجواب) نعم روى ذلك عن النبى صلى الله عليه وسلم ولفظ الحديث ان المؤمن اذا اشتهى الولد كان حمله ووضعه وسنه فى ساعة كما يشتهى وفى رواية ولكنه لا يشتهى قال الشيخ أبو طاهر واصل هذه المسائل واشباهها نكتة واحدة وهى ان تعلم يا اخى ان شهوات النفوس فى الدنيا تابعة لمشتهياتها ومشتهيات أهل الجنة تابعة لشهواتهم فيها قال تعالى ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولم يقل أنفسكم تشتهى كل ما فيها فأعرف قدر هذه النكتة فانها غريبة انتهى كلام الشيخ أبو طاهر رحمه الله وأما كلام الشيخ محيى الدين رحمه الله تعالى فقال ان قيل كم أقسام أهل الجنة (فالجواب) هى اربعة أقسام الرسل والاولياء والمؤمنون والعلماء بالله تعالى من طريق الادلة العقلية (فان قيل) فهل تتميز بعض هذه الاقسام عن بعضهم وبماذا يكون تميزهم (فالجواب) نعم يتميزون وذلك عند رؤية الحق جل وعلا فى جنة عدن فى الكثيب الابيض وتميز كل قسم يكون بما هو جالس عليه فالرسل والانبياء يكونون على منابر والاولياء على أسرة والعلماء بالله من طريق البرهان والنظر العقلى يكونون على كراسى والمؤمنون المقلدون فى توحيدهم يكونون على مراتب دون الاسرة انتهى (فان قيل) فما المراد بحديث السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب هل المراد لم يكن ذلك فى حسابهم وظنهم أم المراد انهم لا يحاسبون كغيرهم (فالجواب) المراد به كما مر فى مبحث الحساب ان دخول الجنة لم يكن فى حسابهم ولا فى ظنهم ولا تخيلوه قط فبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وليس المراد به الحساب بين يدى الله عزوجل ذكره الشيخ فى الباب الثامن والاربعين وثلثمائة وقال فى الباب السبعين من الفتوحات فى معنى حديث البخارى من كان من أهل الصلاة دعى يعنى يوم القيامة من ابواب الصلاة ومن كان من أهل الجهاد دعى من باب الجهاد ومن كان من اهل الصدقة دعى من باب الصدقة ومن كان من اهل الصيام دعى من باب الصيام فقال أبو بكر رضى الله عنه يا رسول الله ما على هذا الذى يدخل من تلك الابواب كلها من بأس فهل يدعى منها كلها احد يا رسول الله فقال نعم وأرجو أن تكون منهم يا ابا بكر معنى الحديث ان دعاء الله تعالى الناس الى الدخول دعاء واحد فمنهم من يدخل من باب واحد ومنهم من يدخل من بابين ومنهم من يدخل من ثلاثة وأعمهم دخولا من دخل من الابواب الثمانية فى ان واحد وايضاح ذلك ان اعضاء التكليف ثمانية لكل عضو منها باب فاياك يا أخى ان تنكر ذلك فى الثواب الاخروى فى الآن الواحد وأنت تشهد ذلك فى العمل من فعل وترك كغاض بصره فى حال استماعه موعظة فى حال تلاوة فى حال صيام فى حال تصدق فى حال ورع فى حال تحصين فرج كل ذلك بنية التقرب الى الله تعالى قال وهذه المسئلة من جملة مسائل ذى النون المشهورة التى تحيلها العقول وهو ان الواحد يكون

بجسمه الواحد فى اماكن مختلفة فى الآن الواحد فاهل الكشف يعرفون هذه المسائل واهل العقل ينكرونها فمن تحقق بمعرفة ما قلناه لم يتوقف فى دخول الواحد الجنة من ابوابها الثمانية فى آن واحد اذ النشأة الاخروية تعطى هذه الامور كما ان نشأة الدنيا تعطى جميع شعب الايمان فى الانسان فى الزمان الواحد من غير استحالة انتهى (فان قيل) هل لنا جنة معنوية أيضا كالحسية أو ما ثم لنا جنة سوى الحسية (فالجواب) نعم ان الجنة على نوعين جنة معنوية وجنة حسية والعقل يعقل هاتين الجنتين معا كما به يعقل العالمين العالم اللطيف والعالم الكثيف ويعقل عالم الغيب وعالم الشهادة وايضاح ذلك ان النفس لها جنة المكافأة لها نعيم بما تحمله من العلوم والمعارف من طريق نظرها وفكرها وما وصلت اليه من ذلك بالادلة العقلية ولها أيضا نعيم بما تحمله من اللذات والشهوات بما تناله بالنفس الحيوانية من طريق قواها الحسية من اكل وشرب ونكاح ولباس وروائح ونغمات طيبة وصور حسان وغير ذلك (فان قلت) فهل خلق الله تعالى هاتين الجنتين وهل خلقهما من مادة واحدة ام من مادتين (فالجواب) قد خلقهما الله من مادتين فاما الجنة المحسوسة فخلقها من بناء وذلك الخلق كان بطالع الاسد الذى هو الاقليم وبذلك كانوا يقولون للشىء كن فيكون باذن الله تعالى واما الجنة المعنوية التى هى روح هذه الجنة المحسوسة فخلقها الله تعالى من الفرح الالهى والكمال والابتهاج والسرور فكانت الجنة المحسوسة كالجسم وكانت المعنوية لها كالروح وقواه ولهذا اسماها الله تعالى الدار الحيوان لحياتها وان اهلها يتنعمون فيها وبها حسا ومعنى وقد ورد فى الحديث ان الجنة اشتاقت الى اربعة بلال وعمار وعلى وسلمان فوصفها بالشوق الى هؤلاء وما احسن موافقتها لهذه الاسماء فان بلالا مأخوذ من البلل من دائه اذا خلص منه وسلمان من السلامة من الآلام والامراض وعمار من العمارة اى بعمارة اهلها لها يزول الم شوقها اليهم وما على فهو من العلو اى يعلو على النار التى هى اختها واطال فى ذلك ثم قال وتحقيق ذلك ان الناس فى هذه المسألة على اربعة اقسام قسم يشتهى الجنة وتشتهيه الجنة وهم الاكابر من رجال الله عز وجل من رسول ونبى وولى كامل وقسم تشتهيه الجنة ولا يشتهيها هو وهم ارباب الاحوال من رجال الله الهيمون فى جلال الله عز وجل حتى حجبهم ذلك عن شهود الجنة وما فيها وهؤلاء دون القسم الاول لجهلهم بما تطلب حقائقهم وقسم يشتهى الجنة ولا تشتهيه الجنة وهم عصاة الموحدين وقسم لا يشتهى الجنة ولا تشتهيه الجنة وهم المكذبون بيوم الدين والقائلون بنفى الجنة المحسوسة ولا خامس لهذه الاربعة اقسام (فان قيل) فما عدد انواع الجنان (فالجواب) هى ثلاثة انواع جنة اختصاص وجنة ميراث وجنة اعمال (فان قيل) فمن اهل هذه الجنان (فالجواب) اما جنة الاختصاص فهى التى يدخلها الاطفال الذين لم يبلغوا حد العمل من اول ما يولد احدهم الى انقضاء ستة اعوام غالبا ويعطى الله تعالى من شاء من عباده من جهة الاختصاص ما شاء ومن اهلها المجانين الذين عقلوا واهل التوحيد العلمى واهل

الفترات الذين لم يصل اليهم دعوة رسول من اهل التوحيد بالفطرة وأما أهل جنة الميراث فهم كل من دخل الجنة ممن ذكرنا ومن المؤمنين وهي الاماكن التي كانت معينة لاهل النار لو آمنوا ودخلوها وأما أهل جنة الاعمال فهي التي ينزل الناس فيها بأعمالهم فمن كان أفضل من غيره في وجوه التفاضل كان له من الجنة أكثر واعلم ان الرسل عليهم الصلاة والسلام ما فضلوا على غيرهم الا بجنة الاختصاص وأما في العمل فيشاركهم غيرهم فيه (فان قلت) فاذا جنة الاختصاص الالهي لا تقبل التحجير ولا الموارثة ولا العمل (فالجواب) نعم وهو كذلك لانها انما هي فضل من الله تعالى يخص بها من يشاء من عباده (فان قلت) فكم في جنة الاعمال درجة (فالجواب) درجاتها مائة درجة لا غير كما ان النار كذلك مائة درك كما مر في مبحث النار قال الشيخ محيي الدين ثم ان هذه المائة درجة تكون في كل جنة من الجنان الثمانية وصورتها جنة في جنة واعلاها جنة عدن ويليها جنة الفردوس وهي اوسط الجنان ويليها جنة الخلد ويليها جنة النعيم ويليها جنة المأوى ويليها دار السلام ويليها دار المقامة واما الوسيلة فهي اعلى درجة في جنة عدن وهي لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة كما مر في مبحث افضليته على سائر الانبياء والمرسلين وانما توقف حصولها له على دعاء امته غيرة الهية ان ينفرد احد دون الله تعالى بالغناء المطلق وقال الشيخ محيي الدين ولا يخفى ان الراحة في الجنة مطلقة وكذلك الرحمة وان كانتا ليستا بأمر وجودي اذ هما عبارة عن الامر الذي يلتذ به ويتنعم به المرحوم وذلك هو الامر الوجودي فكل من في الجنة متنعم وكل ما فيها نعيم الا راحة النوم فان أهل الجنة ما عندهم من نعيمه شيء لعدم التعب والنصب وانما راحة النوم خاصة بأهل جهنم لكن في أوقات كما تقدم في الكلام عليها قال وهذا يدلك على ان الرحمة وسعت بلا شك ويؤيد ذلك قوله تعالى كلما خبت زدناهم سعيرا اذ النار لا تتصف بهذا الوصف الا من حيث فيها بالاجسام لا من حيث ذاتها ولا تقبل زيادة ولا النقص وانما الجسم المحرق بالنار هو الذي يسجر بالنارية واطال في ذلك (فان قلت) ان الله تعالى قد وصف الجنة بقوله تعالى ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا مع انه ليس في الجنة شمس ولا قمر فكيف يعرف أهل الجنة البكرة والعشي (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثامن والتسعين وثلثمائة ان لاهل الجنة مقادير يعرفون بها انتهاء مدة الشمس في الدنيا في طلوعها وغروبها فيعلمون بتلك المقادير حد ما كان في الدنيا بكرة وعشيا وعند ذلك يتذكرون انه كان لهم في الدنيا حالة تسمى الغداء والعشاء فيأتيهم الله عند ذلك التذكر برزق بكرة وعشيا فهو رزق خاص في وقت خاص معلوم عندهم وما عدا ذلك فاكلهم دائم لا ينقطع اذ الدوام في الاكل هو عين النعيم الذي يكون به غذاء الجسم ولكن لا يشعر بذلك كثير من الناس وايضاح ذلك ان الانسان اذا أكل الطعام حتى شبع فليس ذلك بغذاء ولا هو بأكل على الحقيقة وانما هو كالجابي الجامع للمال في خزانته والمعدة خزانة لما جمعه هذا الآكل من الاطعمة والاشربة فاذا جعل فيها أي في المعدة ورفع يده فحينئذ يتولاها الطبيعة بالتدبير وينتقل

ذلك الطعام من حال الى حال وتغذيه بها فى كل نفس يخرج عنه دائما فهو لا يزال فى هذا دائما ولولا ذلك لبطلت الحكمة فى ترتيب نشأة كل متغذ ثم اذا خلت الخزانة تحرك الطبع الجابى الى تحصيل ما يملأ أهابه فلا يزال الامر كذا دائما ابدا فهذا هو صورة الغذاء فى المتغذى فعلم ان التغذى موجود فى كل نفس دنيا وأخرى وأطال الشيخ فى ذلك وقال فى الباب الثامن والثمانين وثلثمائة فى قوله تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة اعلم ان فى هذه الآية تعيينا لمعين وزيادة لغير معين اذ الزيادة هى كل ما لا يخطر بالبال كما اشار اليه حديث ان فى الجنة ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فلا بدّ أن يكون غير معلوم للبشر ولا بدّ أن يكون للبشر صفة غير معلومة ولا معينة منها يحصل له هذا الذى ذكر انه ما خطر على قلب بشر موازنة لمجهول لمجهول وفى القرآن العظيم فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة أعين فنكر النفس وبقى العلم بما اخفى له من قرة اعين فعلمنا على الاجمال انه امر شاهد لكونه تعالى قرنه بالاعين ولم يقرنه بالاذن ولا بشئ من الادراكات وأطال فى ذلك (فان قلت) فما المراد بحديث الصور التى فى سوق الجنة هل هى برازخ ام لا (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الثانى والثمانين وثلثمائة انها كلها برازخ وذلك ان اهل الجنة يأتون الى هذا السوق من اجل هذه الصور التى تنقلب فيها أعيان أهل الجنة فاذا دخلوا هذا السوق صار كل من اشتهى صورة دخل فيها وانصرف بها الى أهله كما ينصرف بالحاجة مشتريها من السوق وقد يرى جماعة صورة واحدة من صور ذلك السوق فيشتهيها كل واحد من تلك الجماعة فيدخل فيها ويلبسها ويحوزها كل واحد من تلك الجماعة ومن لا يشتهيها بعينها واقف ينظر الى كل واحد من تلك الجماعة قد دخل فى تلك الصورة وانصرف بها الى أهله والصورة كما هى فى السوق ما خرجت منه فلا يعلم حقيقة هذا الامر الذى نص عليه الشرع ووجب به الايمان الا من علم نشأة الآخرة وحقيقة البرزخ وعلم تجلى الحق تعالى للقلوب وانه لا يكون الا بصورة الاستعدادات اذ المشاهد لذلك يشهد ببصره تحوّله فى الصور ويعلم عقلا انها ما تحوّلت قط لكل قوة ادركت بحسب ما أعطتها ذاتها وقد صدق الله تعالى العقل فى حكمه والبصر فى حكمه ولله تعالى بنفسه علم آخر غير ما ادركه العقل والبصر انتهى (فان قلت) ما هذا الكثيب الابيض الذى يكون فى جنة عدن (فالجواب) هذا مسك ابيض تنشئ الملائكة عليه منابر الانبياء واسرة الاولياء ومراتب المؤمنين كما مر وجنة عدن هى قصبة الجنان وقلعتها وهى حضرة الملك الخاصة وحضرة خواصه لا يدخلها أحد من العامة الا بحكم الزيارة ذكره الشيخ فى الباب الحادى والسبعين وثلثمائة واطال فيه ثم قال واعلم انه اذا أخذ الناس منازلهم فى الجنة استدعاهم الحق تعالى الى رؤيته فيسارعون للرؤية على قدر مراتبهم ومسارعتهم الى الطاعات فى دار الدنيا سرعة وبطأ فان من الناس السريع ومنهم البطىء ومنهم المتوسط فاذا اجتمعوا فى الكثيب عرف كل شخص مرتبته علما ضروريا يجرى اليها فلا ينزل الا فيها كما يجرى الطفل الى الثدى والحديد لحجر المغناطيس ولو رام احد أن ينزل فى غير مرتبته لما قدر ولو رام ان

يتعشق لغير مرتبته لما استطاع بل كل واحد يرى في منزلته انه بلغ منتهى امله وقصده فهو متعشق لما هو فيه من النعيم تعشقا طبيعيا ذاتيا ولولا ذلك لكانت الجنة دار ألم وتنغيص عيش ولم تكن دار نعيم غير أن الاعلى له نعيم لما هو فيه في منزلته وعنده نعيم الادنى وادنى الناس من لا نعيم له الا بمنزلة خاصة واعلاهم الذي لا اعلى منه من له نعيم بالكل فعلم ان كل شخص مقصور عليه نعيمه وهذا حكم عجيب (فان قلت) فاذا وقع التجلي الالهي فهل هو عام بجميع المعتقدات فيأخذ كل واحد من ذلك التجلي الواحد حظه أم لكل شخص تجل مستقل (فالجواب) ليس هناك الا تجل واحد عام لسائر صور المعتقدات الشرعية فالتجلي واحد من حيث العين وكثير من حيث اختلاف الصور ثم ان الخلق اذا رأوا ربهم جل وعلا انصبغوا عن اخرهم بنور ذلك التجلي فظهر كل واحد منهم بنور على صورة ماشاهده بحسب استعداده (فان قلت) فهل من عرف الحق تعالى في الدنيا في سائر مراتب التنكرات الاسلامية يراه في الآخرة كذلك ام لا (فالجواب) نعم يرى ربه في صورة كل اعتقاد اسلامي فما ألذها من رؤية فمثل هذا له نور كل معتقد كما ان من عرف الحق تعالى من طريق عقله في طريقة من الطرق كان نوره بحسب تلك الطريقة فقط وقد تقدم في مبحث رؤية الله عز وجل اقسام الناظرين الى ربهم في الدار الآخرة ومراتبهم فراجعه (فان قلت) فهل شجرة طوبى أصل لجميع شجر الجنان كآدم عليه السلام لما جيء في ظهره من النبيين (فالجواب) نعم هي لجميع شجر الجنان كآدم بالنسبة لبنيه فان الله تعالى لما غرسها بيده وسوّاها نفخ فيها من روحه كما فعل في مريم عليها السلام ولذلك كان عيسى عليه السلام يحيي الموتى ويبرئ الاكمه والابرص من العلل التى لا قوة للعلق على يبها من حيث هو انسان فكما ان شرف آدم كان باليدين ونفخ الروح وكان ثمرة ذلك النفخ علم الاسماء كذلك كان شرف شجرة طوبى بغرسها باليد كما يليق بجلاله تعالى ونفخ الروح فيها وكان ثمرة ذلك النفخ تزيينها بثمر الحلي والحلل اللذين هما زينة لكل لابس فاعطت شجرة طوبى كل ما فيها من ثمر الجنة كما اعطت النواة النخلة جميع ما تحمله من النوى الذي في جميع ثمرها (فان قلت) قد تقدم مذهب الشيخ أبي طاهر رحمه الله في توالد اهل الجنة فما مذهب الشيخ محيي الدين في ذلك (فالجواب) ان مذهبه وجود التناسل في الجنة ووقوع التوالد من حيث الاجسام والارواح وعبارته في الباب التاسع والستين وثلثمائة اختلف أصحابنا في هذا النوع الانساني هل تنقطع اشخاصه بانتهاء مدة الدنيا ام لا فمن لم يكشف له قال بانتهائه ومن كشف له قال بعدم انتهائه * وقال ان التوالد في الآخرة في هذا النوع الانساني باق في المثل اذ الحق تعالى لم يوجد شيئا في العالم الذي لا اكمل منه الا وله مثال في خزائن الجود في كرسيه تعالى وتلك الامثال التي يحوي عليها تلك الخزائن لا تتناها اشخاصها فالامثال في كل نوع توجد في كل زمان فرد في الدنيا والآخرة ابقاء كل نوع وجد منه (فان قلت) فهل الحور العين على صورة نساء الدنيا أم لا تشبهها الا في الاسم فقط كما قاله ابن عباس بالنظر الى فواكه الجنة وما كيفية جماع الحور العين (فالجواب)

صورة خلق جميع الحور العين على صورة خلق الانس مع انهن لسن باناسي وأماصورة
نكاحهن فكما ينكح الرجل منا المرأة الادمية الانسانية كذلك ينكح الحور في الزمن
الفرد وهذا النكاح خاص بالسعداء من بني ادم فليس للاشقياء نصيب من النكاح
في النار *قال الشيخ محيي الدين في الباب التاسع والستين وثلثمائة بعد كلام
طويل فعلم ان الرجل منا لو أراد ان ينكح جميع ما عنده من النساء والحور العين لنكحهن
في لمحة واحدة من غير تقدم ولا تأخر بخرق العوائد هنالك وذلك مثل فاكهة الجنة
لا مقطوعة ولا ممنوعة فهي تقطف دائما من غير فقدان مع وجود اكل وطيب طعم فاذا
افضى الرجل الى الحوراء أو الانسية كان له في كل دفعة شهوة ولذة لا يقدر قدرها
لو وجدها أهل الدنيا الغشي عليهم من شدة حلاوتها فيكون من الشخص في كل دفعة
ريح مثيرة تخرج من ذكره فيتلقاها رحم المرأة فيتكون من حينه فيها ولد في كل
دفعة وتكمل نشأته ما بين الدفعتين فيخرج مولودا مصورا مع النفس الخارج من المرأة
روحا مجردا طبيعيا فهذا هو صورة التوالد الروحاني في البشر مع الجنس المختلف والمتماثل
ولا يزال الامر كذلك دائما ابدا (فان قلت) فهل يشاهد الابوان ما تولد بينهما من ذلك
النكاح أم لا (فالجواب) نعم يشاهدان ما تولد منهما من ذلك النكاح ثم تخفى تلك
الاولاد عنهما فلا يعودون كالملائكة التي تدخل البيت المعمور كل يوم لا يعودون اليه
ابدا (فان قلت) فهل لهؤلاء الاولاد حظ في النعيم المحسوس (فالجواب) كما قاله الشيخ
محيي الدين ليس لهؤلاء الاولاد نعيم محسوس ولا معنوي وانما نعيمهم برزخي كنعيم
صاحب الرؤيا بما يراه في حال نومه وذلك لما يقتضيه النشأ الطبيعي فلا يزال النوع
الانساني يتوالد ولكن على هذا الحكم الذي ذكرناه (فان قلت) فما صورة توالد
الارواح البشرية فانه بلغنا أن لها في الاخرة مثل ما لها في الدنيا من الاجتماعات
البرزخيات مثل ما يرى النائم في النوم (فالجواب) ان صورة توالد الارواح في الآخرة
صورة ما يرى النائم في الدنيا انه نكح زوجته وولد له ولد فكل من اقيم في هذا المقام
ونكح زوجته من حيث روحها وروحه يولد له أولاد من ذلك النكاح الذي بينهما
روحانيون يخالف حكمهم حكم المولودين من النكاح الحسي في الاجسام والصور
المحسوسات فتخرج الاولاد ملائكة كراما لا بل ارواحا مطهرة *فهذه صورة توالد
الارواح لكن لا بد ان يكون ذلك عن تجل برزخي كتجلي الحق تعالى في الاحوال المقيدة
فان البرزخ أوسع الحضرات لقبوله وجود المحالات العقلية فاذن صورة نكاح أهل
الجنة صورة نشء الملائكة أو الصور من انفاس الذاكرين لله تعالى وما يخلق تعالى من
صور الاعمال كما صحت بذلك الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واطال
في ذلك في الباب السابق (فان قلت) فما الحكمة في قوله تعالى ولكم فيها ما تشتهي
أنفسكم دون ان يقول ولكم فيها ما تريد انفسكم (فالجواب) الحكمة في ذلك كما قاله
الشيخ في الباب الثامن والعشرين وثلثمائة ان ما كل مراد مشتهى اذ الارادة تعلق
بايجاد ما يلتذ به وبما لا يلتذ به واما الشهوة فانها خاصة بالملذوذ ولذلك كان السعداء

يأخذون الاعمال بالارادة والقصد ويأخذون النتائج بالشهوة فمن رزق الشهوة في حال العمل فالتذ بالعمل التذاذه بنتيجته فقد عجل له نعيمه ومن رزق الارادة في حال العمل من غير شهوة فهو صاحب مجاهدة ينال النتيجة بشهوة ولكنها مرتبة دون الاولى (فان قيل) لم كانت الشهوات في الآخرة لا تمنع شهود تجليات الحق تعالى ولا يحجب صاحبها كما هو حكم تناول الشهوات في هذه الدار مع ان اللذة بالشهوات في الدار الآخرة اعظم من لذة شهوات الدنيا (فالجواب) انما كانت شهوات الآخرة لا تحجب عن الله تعالى لان التجلي هناك على الابصار وليست الابصار بمحل للشهوات بخلاف التجلي في هذه الدار فانما هو على البصائر والبواطن دون الظواهر؛ ومعلوم ان البواطن هي محل الشهوات ولا تجتمع الشهوات المذمومة والتجلي الالهي في محل واحد ابدا فلذلك جنح العارفون والزهاد في هذه الدار الى التقلل من نيل شهوات النفوس في هذه الدار حين رأوها حاجبة لهم عن شهود الامر على ما هو عليه اذ المانع عن ادراك العلوم والانوار والتجليات انما هو كدورات الشهوات والشبهات الهادمة لركن الورع الشرعي في الجوارح مع أن كدورات الشهوات تؤثر في الاستعداد وتورث الحجاب وان كان المطعم والمشرب والمنكح مثلا حلالا فافهم ذكره في الباب الخامس عشر من الفتوحات (فان قيل) فكم يزور العبد مرة ربه في كل يوم (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثامن والتسعين ومائة ان زيارة كل عبد لربه في الجنة تكون على قدر صلاته كما ان رؤيته له في الآخرة تكون على قدر حضوره معه في صلاته كما ان مجالسته لربه تكون على قدر فعله للواجبات والمندوبات وترك الحرام والمكروهات في دار الدنيا كما ان مجالسة العبد لربه في المباح تكون على حسب النية فيه فان شهد العبد ربه أو بنية صاحب التشريع في فعله للمباح ولم يفعله مع الغفلة كما هو الغالب كان حكمه حكم المندوب فيحضر مع ربه هنالك كما يحضر معه في فعل المندوب وان حجب عن ذلك وفعل المباح مع الغفلة فليس له حظ مما ذكرناه (فان قلت) فهل نبق سدرة المنتهى يكون على عدد أهل الجنة كما قيل من غير زيادة أم هو زائد على عددهم كما هو الحكم في فواكه الدنيا (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب السابق ان نبقها يكون على عدد نسمة السعداء واعمالهم بل نقول ان النبق عين اعمالهم واطال في ذلك ثم قال فعلم انه ليس في جنة الاعمال قصر ولا طاق الا وغصن من اغصان هذه السدرة داخل فيه وفي ذلك الغصن من الثمر على قدر ما في العمل الذي هو الغصن صورته من الحركات (فان قلت) فما حكم ورقها في الحسن وعدمه (فالجواب) حكم ورقها ان فيه من الحسن بقدر ما حضر العبد في ذلك العمل الذي الورق مظهره كما ان عدد أوراق كل غصن يكون على عدد ما في ذلك العمل من الانفاس؛ قال الشيخ محيي الدين واعلم ان اسعد الناس بهذه السدرة أهل بيت المقدس كما ان اسعد الناس بالمقدس أهل الكوفة كما ان اسعد الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الحرم المكي كما ان اسعد الناس بالله عز وجل أهل القرآن انتهى ولم اطلع لهذا الكلام على دليل والله أعلم (فان قيل) فما حكمة الاكل

من هـذه الشجرة (فالجواب) حكمة زوال الغل من قلوب أهل الجنـة فلا يزول الغل من قلب أحد منهم الا ان اكل منها والله أعلم (فان قلت) فما المراد بقوله تعالى في فاكهة الجنة لا مقطوعة ولا ممنوعة هل المراد بذلك انها لا تنقطع في فصول السنة أم المراد غير ذلك (فالجواب) كما قاله الشيخ محيي الدين في الباب التاسع والتسعين ان المراد بذلك عند بعضهم ما ذكر في السؤال وهو ان الفاكهة تنقضي بانقضاء زمانها ثم تعود في السنة الآخرة وان المراد انها دائمة التكوين لا تنقطع فهذا مبلغ علم العقول والذي عندنا نحن من العلم في قوله لا مقطوعة ولا ممنوعة ان الله تعالى يجعل لنا فيها رزقا يسمى قطفا وتناولا كما جعل الله تعالى لعالم الجن في العظام رزقا وما نرى ينقص من العظام شئ فنحن بلا شك نأكل من ثمر الجنة قطفا مع كون الثمرة في موضعها من الشجرة ما زالت عنها لانها دار بقاء تتكون فيها الامور ولذلك سميت دار تكوين لا دار اعدام ونظير ذلك سوق الجنة يدخل المؤمن في أي صورة شاء من صور السوق مع كونه على صورته لا ينكره احد من أهله ونحن نعلم ان قد لبسنا صورة جديدة تكوينه مع بقائنا على صورتنا فاين العقول والمعقول هنا (فان قيل) فهل يحجب اهل الجنة عن شئ منها ام هي كلها مشهودة لهم (فالجواب) ان من خصائص اهل الجنة انهم لا يغيب عنهم شئ من العالم بل العالم كله على مراتبه مشهود لهم مع كونهم غير متصفين بالنوم كما مر ايضاحه (فان قيل) هل يتنعم اهل الجنة بالتمني (فالجواب) نعم يتنعمون بذلك بل هو من اعظم نعيمهم فلا يتوهم احد منهم فوق نعيمه أو يتمناه الا حصل ووجد نفسه فيه (فان قيل) فما سبب اعطائهم هذا النعيم المقيم والجزاء العظيم الزائد على مدة طاعاتهم في دار الدنيا (فالجواب) السبب في ذلك نيتهم الصالحة التي كانوا عليها في دار الدنيا وذلك ان احدهم كان يتمنى لو أنه عاش أبد الآبدين لكان مطيعا لله تعالى لا يشرك به شيئا عكس اهل النار فلما قصرت بالمؤمن العناية الالهية ولم يستوف ما نواه من دوام الاعمال اعطاه الله تعالى نظير هذا التمني في الجنة فيكون له فيها كلما يتمناه فلحق هذا باصحاب تلك الاعمال التي كان نواها أبد الآبدين مع راحته في دار الدنيا من التعب كما ورد ذلك فيمن نوى انه يقوم من الليل فأخذ الله روحه الى الصباح يكتب الله تعالى له اجر قيامه الذي نواه (فان قلت) قد بلغنا ان لنا جنة برزخية اخرى فما هي تلك الجنة (فالجواب) قد اشار القرآن الى هذه الجنة ولم يصرح بها وذلك في نحو قوله مثل الجنة التي وعد المتقون فيها انهار من ماء غير آسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين وانهار من عسل مصفى قال الشيخ محيي الدين وانما كانت هذه الجنة برزخية لانها ما هي محسوسة كقوله تعالى متكئين على سرر مصفوفة ولا هي روحانية كقوله تعالى في مقعد صدق عند مليك مقتدر فوصف الله تعالى الجنان على حسب تفاوت عقول الناس قال وقد صرح المسيح عليه السلام بما أومأ اليه من النعيم الروحاني فقال للحواريين حين اوصاهم بوصية وفرغ منها اذا فعلتم ما امرتكم به كنتم غدا معي في ملكوت السماء عند ربي وربكم وترون الملائكة حول عرشه تعالى يسبحون بحمده ويقدسونه وأنتم هناك ملتذون بجميع اللذات

من غير اكل ولا شرب انتهى قال الشيخ واغـا صرح المسيح بذلك ولم يرمزه كما رمز
كتابنا الآن خطابه كان مع قوم قد هذبتهم التوراة ومطالعة كتب الانبياء وكانوا متمتعين
متهيئين لتصورهـا وقبولها بخلاف نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فانه اتفق مبعثه فى قوم
أميين أهل برارى وجبال غير مرتاضين بعلوم ولا مقرين ببعث ولا نشور بل ولا عارفين
بنعيم ملوك الدنيـا فضلا عن معرفتهم بنعيم ملوك الآخرة فلذلك جاء اكثر اوصاف
الجنان فى كتابهم جثمانية تقريبا لفهم القوم وترغيبا لنفوسهم انتهى (فان قيـل) فـما
الحكمة فى كون انهار الجنة اربعة من غير زيادة (فالجواب) انما كانت اربعة لان التجلى
العلمى لا يقع الا فى أربعة صور ماء ولبن وخمر وعسل ولـكل قسم من هذه الاربعـة اهل
فاهل انهار الماء هم اصحاب العلوم التى يدخلها الآراء واصحاب أنهار اللبن الحليب الذى
لم يتغير طعمه لعقده أو مخضه أو تربيته لاصحاب الاستنباط الصحيح من الائمـة المجتهدين
وأصحاب انهـار الخمر هم الامناء من أصحاب العلوم الذوقية كعلم الخضر عليه الصلاة
والسلام وأصحاب انهـار العسل المصفى هم أهل العلم بالله تعالى و بشرائعه من طريق
الوحى والايمـان وصفاء الالهام انتهى (فان قلت) فمـا صفة التكوين الذى يعطاه أهل
الجنة (فالجواب) صورته ان كلـما خطر لاحدهـم تكوين شئ يكون أسرع من لمح
البصر فلا يزال أهل الجنـة يكونون ما شاءوا بارادة الله تعالى لارتفاع الافتقار والذلة
هنالك فان الذلة خاصة بأهـل النـار وما عند أهل الجنة الا العز (فان قلت) هل الحـكم
الاعظم فى الجنة للاجسـام أم للارواح (فالجواب) الحكم فى الجنة للارواح لا للاجسام
عكس الدنيا فتنطوى أجسام أهل الجنة فى ارواحهم وتكون الارواح ظروفا للاجسام
و يكون الظهور والحـكم للارواح ولهذا يتحولون فى أى صورة شاؤا كما هم اليوم عندنا
الملائـكة وعالم الارواح دون الاجسام قال الشيخ محيي الدين رحمه الله وقد زل بعض اهل
الكشف فقال تحشر الارواح دون الاجسام حين رأى تطوّر أهل الجنة كيف شاؤا
وغاب عنـه ما قلنا من انطواء الاجسـام فى الارواح فلو حقق الـكشف فى نظره لرأى
الاجسـام منطوية فى الارواح (فان قلت) فهل تتفاوت أجسام اهل الجنة فى الصفاء
(فالجواب) نعم تتجوهر ابدانهم بحسب صفاء أعمـالهـم الصالحة فى دار الدنيـا فكل من
كـان اكثر اخلاصا فى عمله وعلمه وتوحيده كان انور وأشف (فان قلت) فاذا كان اهل
الجنة ترشح ابدانهم مسكا وليس لهم فضلات كالدنيا فهل يكون لهم ادبار ام لا (فالجواب)
لم يرد لنا فى ذلك شئ من طريق النقل والذى يظهر انه ليس لاهل الجنـة ادبار مطلقا لان
الدبر انمـا جعـل فى الدنيـا مخرجا للغائط ولا غائط هنـالك ولولا ان فرج الرجل يعنى ذكره
يحتاج اليه فى جماع زوجته هنـالك أو للولادة ان وقعت لمـا كان لاهل الجنة ذكر ولا فرج
(فان قلت) فـكم عـدد درجات الجنـة (فالجواب) هى على عدد شعب الايمـان
لا تزيد ولا تنقص وقد ورد ان شعب الايمـان بضع وسبعون شعبة والبضع من الواحد
الى التسع فمن اجتمع فيه شـعب الايمـان كلها فهو الذى يتبوأ من الجنـة حيث يشأ قال
الشيخ محيي الدين وصورة مجاورة الجنان الثمـانية لبعضها بعضا صورة دوائر ثمـانية جنة

فى قلب جنة اعلاها جنة عدن بمنزلة دار الملك يدور عليها ثمانية اسوار بين كل سورين جنة ويلى جنة عدن فى الفضل جنة الفردوس ثم جنة الخلد ثم جنة النعيم الى آخرها كما مر قال وكل جنة من هذه الجنان يصدق عليها اسم اخواتها فجنة النعيم مثلا جنة خلد ودار سلام وجنة مأوى وجنة مقامة الى آخره (فان قلت) فهل لهذه الجنان اتصال بمنزلة الوسيلة الخاصة برسول الله صلى الله عليه وسلم من حيث كونه هو المشرع لامته ما وصلوا به الى دخول الجنة (فالجواب) نعم ما من جنة من هذه الجنان الا وهى متصلة بمقام الوسيلة وذلك ليتنعموا بشهود طلعته صلى الله عليه وسلم فسائر الجنان تتفرع من مقام الوسيلة فلها شعبة فى كل جنة ومن تلك الشعبة يظهر محمد صلى الله عليه وسلم لاهل تلك الجنة فهى فى كل جنة اعظم منزلة تكون فيها (فان قلت) فهل درجات الجنة موازية لدركات اهل النار كما قيل (فالجواب) نعم هى موازية لها كما ذكره الشيخ فى الباب السادس والتسعين ومائتين وايضاح ذلك انه ما ثم الا امر ونهى فان عمل العبد ما امر به كانت له درجة وان عمل ما نهى عنه كانت له دركة موازية لتلك الدركة لو سقطت من تلك الدرجة حصاة لوقعت على خط الاستواء لتلك الدركة من النار وكذلك الانسان اذا سقط من العمل بما امر فلم يعمل كان ذلك النزول لذلك العمل عين سقوطه الى ذلك الدرك فعلم ان محمدا صلى الله عليه وسلم ملئ الجنان فلا ولى يتنعم بجنته الا وهو صلى الله عليه وسلم متنعم معه بنعمته مشارك له فيها لان اولى ما وصل الى ذلك الا باتباع شريعته صلى الله عليه وسلم فلهذا كان سر النبوة قائما به فى تنعمه وهو معنى قوله صلى الله عليه وسلم من سن سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها فله صلى الله عليه وسلم من لذة النعيم مثل لذة جميع العاملين بشريعته زيادة على ثواب عمله الزكية وعلى ما قاله الشيخ تقى الدين السبكى وغيره ان جميع شرائع الانبياء كلهم من باطنه صلى الله عليه وسلم من حيث انه نبى الانبياء كلهم فله مثل اجر جميع العاملين بجميع الشرائع (فان قلت) فما اعظم منزلة تكون لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى الآخرة (فالجواب) ان اعظم منزلة تكون له وقوفه بين يدى الله عز وجل كما ينبغى لجلاله لتنفيذ الاوامر الالهية فى ذلك اليوم لعظيم فهو الترجمان فى حضرة الملك العدل جل وعلا دون جميع الخلق قال الشيخ محيى الدين ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم فى ذلك المقام ان اهل الموقف كلهم يأخذون عنه فى ذلك الموطن لانه هناك وجه كله فيرى من جميع جهاته واعلام من الله تعالى فى كل جهة يفهم منه ما يريد (فان قلت) ففى اى منزل يكون اصل شجرة طوبى (فالجواب) كما قاله الشيخ محيى الدين فى الباب الحادى والسبعين من الفتوحات والشيخ ابن أبى المنصور فى رسالته ان اصل شجرة طوبى فى منزل الامام على بن أبى طالب رضى الله عنه لان شجرة طوبى هى حجاب مظهر نور فاطمة الزهرا رضى الله عنها فما من جنة من الثمان ولا درجة فيها ولا بيت ولا مكان الا وفيه فرع من شجرة طوبى لا يعرف غالب الناس اين اصله حتى ان بعض من كشف له عن احوال الجنة زعم ان اشجار الجنة اصولها فى الهواء دون الارض حين لم ير الا الفرع

والخال

والحال انها مغروسة في ارض الجنة التي هي مسك اذفر واصل ذلك كله حتى يكون سر كل نعيم في الجنان وكل نصيب للاولياء متفرعا من نور فاطمة رضي الله عنها فان في كل فرع تدلى في بيت اوقصر اومخدع جميع ما يطلب العبد في الجنة من ثمر وحلل وطير وحور عين وغير ذلك (فان قلت) فما معنى قوله تعالى اكلها دائم وقوله تعالى ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا فان الآية الاولى تقتضي دوام الاكل والثانية تقتضي تخصيصه بوقت دون وقت (فالجواب) ان معنى قوله تعالى اكلها دائم أي لا ينقطع عنهم شئ متى اشتهوه لا انهم يأكلون دائما لكن لما كان الغذاء يمد الجسم بالقوة كان ذلك بمثابة من يأكل دائما (فان قلت) فما الفرق بين لذة اكل الدنيا واكل الجنة (فالجواب) الفرق بينهما ان اكل الدنيا تزول لذته اذا نزل الى الجوف بخلاف اكل الآخرة لذته تدوم مدة بقائه في البطن حتى ينزل عليه طعام آخر يتجدد له لذة اخرى اعم مما قبلها وهكذا (فان قلت) فما معنى قوله تعالى بكرة وعشيا مع انه لا شمس هناك ولا قمر كما في دار الدنيا (فالجواب) كما قاله الشيخ في الفتوحات ان معناه مقدار البكرة والعشي بالنظر لاحوال الدنيا قال وذلك لان الحركة التي كانت تسير بالشمس ويظهر من أجلها طلوعها وغروبها موجودة في الفلك الاطلس الذي هو سقف الجنة وجميع الكواكب السيارة سابحة فيها كسباحتها الان في افلاكها على حد سواء قال ولولا ذلك ما عرف اهل التقويم في الدنيا متى يكون الكسوف ولا كم يذهب من ضوء الشمس عن اعيننا فلولا المقادير الموضوعة والموازين الحكمة التي قد علمها الله تعالى للمقومين ما علم احد منهم متى يكون الكسوف (فان قلت) فهل يصح في الجنة رفع حجاب العظمة لاحد من الخواص حتى يرى الخواص ربهم على وجه الاحاطة به (فالجواب) حجاب العظمة الذي هو كناية عن عدم الاحاطة به تعالى لا يرفع أبدا وانما المراد بكمال الرؤية له تعالى زيادة انكشاف امر لم يكن لاهل الجنة قبل ذلك اذ لو كشف حجاب العظمة لاحاط الخلق علما بربهم ولعرفوه تعالى كما يعلم هو نفسه ولا قائل بذلك فليست لذة الرؤية الواقعة لاهل الجنة كلها الا مزيد انكشاف لهم لاغير ولذلك قال المحققون انه تعالى يرى بلا كيف (فان قلت) فما الوجه الجامع بين قوله تعالى ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون وبين قوله صلى الله عليه وسلم لا يدخل احد الجنة بعمله قالوا ولا انت يارسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمته (فالجواب) هذا من تعليق الاسباب على مسبباتها ومعلوم ان الكل من الله تعالى فمن رأى الى توقف دخول الجنة على العمل قال انه دخل الجنة بعمله ومن نظر الى خالق السبب قال انه دخل الجنة بفضل الله ورحمته ونقل الشيخ الكامل الراسخ محيي الدين ابن العربي في الباب التاسع والثمانين والمائتين من الفتوحات عن الشيخ أبي مدين امام الجماعة رضي الله عنه انه كان يقول يدخل السعداء الجنة بفضل الله ويدخل الاشقياء النار بعدل الله وكل احد ينزل في داره بالاعمال ويخلد فيها بالنيات انتهى قال الشيخ محيي الدين وهو كلام صحيح وكشف مليح خبر عليه حشمة وادب ووقار انتهى والله تعالى اعلم خاتمة اذا سجد أهل الاعراف السجدة التي

يؤمرون بها يوم القيامة رجحت ميزانهم وسعدوا ودخلوا الجنة قال الشيخ محيي الدين وهذه السجدة هي آخر ما يبقى من حكم تكاليف الدنيا فان يوم القيامة برزخ بين الدنيا والآخرة فله وجه الى احكام الدنيا به دعى اهل الاعراف الى السجود الذى رجحت به ميزانهم وله وجه الى الآخرة به جوزوا بأعمالهم قال وما منع اهل الاعراف من الوقوع فى النار حال كونهم كانوا على الجسر الا وجود توحيدهم فهو المانع لهم عن الوقوع حتى وجدت منهم هذه السجدة فانظر يا أخى عناية التوحيد باهله فالحمد لله رب العالمين *

وليكن ذلك آخر كتاب اليواقيت والجواهر فى بيان عقائد الاكابر جعله الله تعالى خالصا لوجهه الكريم ونفع به مؤلفه وكاتبه وسامعه والناظر فيه وقد الفته بحمد الله فى دون شهر وطالعت الفتوحات على عدد مباحثه فكنت اطالع على كل مبحث جميع الكتاب لاخذ النقول المناسبة له وقد عدوا ذلك من الكرامات فان الفتوحات عشر مجلدات ضخمة فعلى ذلك الحساب قد طالعته فى كل يوم الفتوحات مرتين ونصفا فمقدار ذلك خمسة وعشرون جزءا كل يوم وقد قدمنا فى مبحث الكرامات انه يجب على صاحب الكرامة أن يؤمن بها كما يؤمن بها اذا وقعت على يد غيره فالمؤلف أول مؤمن بهذه الكرامة فلله الحمد أولا واخرا وكان الفراغ من تأليفه فى يوم الاثنين المبارك سابع عشر رجب سنة خمس وخمسين وتسعمائة بمنزل المؤلف بمصر المحروسة بخط بين السورين هذا ما وجد كله بخط المؤلف بقوله طالعت الى آخر الكلام تم بحمد الله وعونه وحسن توفيقه وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا والحمد لله رب العالمين

وقد انشد العالم العلامة الشيخ محمد الكومى يمدح هذا الكتاب

يواقيت علم فى عقود عقائد * لذا صاغ معناها ففيها جواهر
وما هى الا وهبة الله للذى * حباه قديما فهى عنه مآثر
هو العبد للوهاب وترزمانه * يعلم له فى الشرق والغرب سائر
يحق لمحيى الدين احيا علومه * وناصره نعم الولى وناصر
فيا ربنا اوفر جزاء السعيه * فانه بدا علم عظيم ووافر
ومن حاز شيئا من نفائس كتبه * له الله يعطى ما يروم وجابر
وناظمه الكومى يدعى محمدا * عليه من الله الكريم ستائر

وانشد

وانشد الشيخ احمد الابوصيري

لقد رحم الرحمن عبد الواهب * من الخير والاحسان هديا مفصلا
طلا وجلا كل التفاصيل اجملت * فما احسن التفصيل اذ جاء مجملا
بعيني رأيت البدر في وسط هالة * فقل رحم الرحمن عبدا تفضلا

وجد بخط مؤلفه يقول مؤلفه عفا الله عنه قد كتب على مسودة هذا الكتاب جماعة من مشايخ الاسلام بمصر واجازوه ومدحوه ومن جملة ما كتبه الشيخ شهاب الدين ابن الشلبي الحنفي في مدح مؤلفه قد اجتمعنا على خلق كثير من اهل الطريق فلم نر أحدا منهم حام حول معاني هذا المؤلف وانه يجب على كل مسلم حسن الاعتقاد وترك التعصب والانتقاد ونعوذ بالله من حصول حسد يسد باب الانصاف ويمنع من الاعتراف بجميل الاوصاف وما أحسن ما قال بعضهم ومن البلية عدل من لا يرعوى * عن جهله وخطاب من لا يفهم * انتهى ومن جملة ما كتبه شيخ الاسلام الفتوحي الحنبلي رضى الله عنه لا يقدح في معاني هذا الكتاب الا معاند مرتاب او جاحد كذاب كما لا يسعى في تخطئة مؤلفه الا كل عار عن علم الكتاب حائد عن طريق الصواب وكما لا ينكر فضل مؤلفه الا كل غبي حسود * او جاهل معاند جحود * او زائغ عن السنة مارق * ولاجماع أئمتها خارق * انتهى * ومن جملة ما قاله شيخنا الشيخ شهاب الدين الرملي الشافعي رضى الله عنه بعد كلام طويل وبالجملة فهو كتاب لا يشكر فضله * ولا يختلف اثنان بانه ما صنف مثله * انتهى ومن جملة ما قاله الشيخ شهاب الدين عميرة الشافعي رضى الله عنه بعد مدح الكتاب وما كنا نظن ان الله تعالى يبرز في هذا الزمان مثل هذا المؤلف العظيم الشأن فجزاه الله عن الملة المحمدية خيرا ونفعنا ببركاته وحشرنا في زمرته انتهى وكان من جملة ما قاله الشيخ ناصر الدين اللقاني المالكي بعد مدح الكتاب ومؤلفه واعلم ان المعتزلة وغيرهم من الفرق الاسلامية وان ذمهم علماؤنا فلا يقدح في حقنا نقل شئ من مذاهبهم في كتبنا فانهم على كل حال معدودون من اهل القبلة غير محكوم بكفرهم وان اخطأوا طريق الاستقامة التي عليها أئمة الشريعة الا ترى الى الامام الزمخشري وان جنح الى مذهب المعتزلة كيف وهو معدود من الائمة وعلماء الامة وغالب الكتب مشحونة باقواله من غير نكير فكما لا يخرج المقلد في الفروع لامام من الائمة خطأه في فهمه عن الانتساب الى مذهبه كذلك علماء الامة من المعتزلة وغيرهم لا يخرجهم خطأهم عن كونهم من العلماء وقد تبع جماعة من الائمة مذاهب اهل الاعتزال كالحليمي وغيره ولم يقدح ذلك في امامته لدقة منازع الفرق وخفائها على غالب الافهام وكذا طريق الصوفية لا يقدح فيها عدم فهم من ليس من اهلها انتهى ومن جملة ما قاله الشيخ محمد البرهمتوشي ونقلته من خطه على نسخة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين * وعلى آله وصحبه أجمعين * الحمد لله الذي بذكره تتم الصالحات * وبتوفيقه تنال الدرجات * والصلاة والتسليم على سيد السادات * ومعدن الكرامات * وعلى آله وصحابته والتابعين لهم

باحسان الى انقراض الساعات * وبعد فقد وقف العبد الفقير الى الله تعالى محمد
ابن محمد البرهمتوشى الحنفى على اليواقيت والجواهر فى عقائد الاكابر
لسيدنا ومولانا الامام العالم العامل العلامة * المحقق المدقق الفهامة *
خاتمة المحققين * وارث علوم الانبياء والمرسلين * شيخ الحقيقة والشريعة *
معدن السلوك والطريقة * من توجه الله تاج العرفان * ورفعه على أهل
هذه الازمان * منة مولانا الشيخ عبد الوهاب أدام الله النفع به للانام *
وابقاه تعالى لنفع العباد مدى الايام * وحرسه بعينه التى لا تنام * فاذا هو
كتاب جل مقداره * ولمعت اسراره * وسمحت من سحب الفضل أمطاره
وفاضت فى رياض التحقيق ازهاره * ولاحت فى سماء التدقيق
شموسه واقماره * وتناغت فى غياض الارشاد بلغات الحق
أطياره * وأشرقت على صفحات القلوب بايات
انواره * فأسأل الله الكريم ان يمن على العباد
بطول حياته * والمسؤل من فضله واحسانه
وصدقاته * ان لا يخلى العبد من
نظره ودعواته * وان يمتعنا بطول
بقائه وحياته *
آمين

(بسم الله الرحمن الرحيم)

يقول كثير الذنوب الراجى على ربه * فى جبر كسره وانجاز اربه * الفقير الى فضل ربه المعين
المتين * عبد المعطى الملقب بشرف الدين * حمدا لمن طرز يواقيت الجواهر
فى صفحات اخص عباده * وشكرا له اينعت ثمار فضله فى كل قرن وزمانه لنتائج
نقائح عباده * واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له تنزه عن الامثال * واشهد أن
سيدنا محمدا عبده ورسوله الواسطة فى جزاء الاعمال صلى الله وسلم عليه وعلى آله
واصحابه ما انبعثت اشواق الاكابر الى نشر الشريعة وما يتعلق بصلاح رعاياه * وما دامت
احبار هذه الامة ساعية باخلاص النية فى بذل همتهم لاجلاله وتحقيق رضاه * آمين
(اما بعد) فلما كان كتاب اليواقيت والجواهر من اجل المؤلفات مقدارا * وارفعها لدى
الحذاق من العلماء تبيانا واسرارا * كيف لا وقد راقت موارده * ورقت معانيه وقد
أنجزت معاهده * كما هى العادة لمؤلفه فى جميع مؤلفاته * فانها خصت بالقبول لتهذيب
الضبط وكثرة افاداته * حيث ان فضائله لا تحصى * واسرار علومه لا تستقصى * وهو
سيدى القطب الربانى * مولانا العارف بالله الشيخ عبد الوهاب الشعرانى * وكان من
العالمين بمكانته من جلبابه لباس التوفيق * وشعاره بين أقرانه من العلماء التزامه
بسواء الطريق * ذخيرة المحتاجين وكهف المساكين * السيد والملاذ * والقدوة الاستاذ

العلامة الذى طابق اسمه معناه * فطاب بذلك ذكره ومسعاه * ولازال بريئا مما يشين من سائر المساوى * مولانا الشيخ حسن العدوى الحمزاوى * التزم بطبعه لعموم نفعه * وقد قلدنى بعد ان مضى من تصحيح بعض الافاضل ماينوف عن ثلث كل جزء من جزأى هذا الكتاب بتتميم التصحيح * فالتزمت وحسب الطاقة بذلت الهمة واحتطت فى المقابلة مع التحرى لهذا التنقيح * والا فما اجدر الانسان بالسهو والنسيان * اذا لم يعصمه ويحفظه الملك المنان *

ومابرئ نفسى اننى بشر * اسهو واخطئ مالم يحمنى قدر

وقد تمت محاسن طبعه * وآن أوان عموم نفعه * قال مؤرخا الحاذق الاديب * والفاضل اللبيب * الشيخ محمد السمالوطى

طبع اليواقيت ازهته جواهره * وازهرت فى ذرى الدنيا ازاهره
واينعت فى الربا جناته ودنت * منها القطوف وحيى الدين ناصره
وطاب فى الملة السمحاء مشربها * وقد جرت للملا تحلو كواثره
وارتجت حلة الارجاء نافحة * كانما عودها مسك عناصره
وقام للمجد ذو بشر على يده * مخلق تملأ الدنيا بشائره
لله آية علم فيه محكمة * وحكمة نورها تزهو بصائره
هى اليواقيت فى فخر وفى دعة * وهل سواها ترى دوما مفاخره
عقائد نزهت عن كل شائبة * وشيدت ديننا منها اكابره
بنظمها عابد الوهاب ارشدنا * وعمت الدين والدنيا مآثره
فياله عارفا فاقت معارفه * وياله سيدا سادت عشائره
هداية الله للدين الحنيف فكم * افنى الليالى فى علم يسامره
وما اذاعت سوى ذكر ظواهره * وما اكنت سوى التقوى سرائره
فحسبنا المرتجى من فضله مدد * فكم لسائله عز يناصره
ناهيك بالشمس نور المصطفى حسن * عدوينا انه بالفضل غامره
لنشر احكام دين الله ارشده * وبالمحامد اسعافا يبادره
وكيف لا واصطفاه خادما وكفى * بخدمة القطب ماتغنى تكاثره
ولم يزل طبعه يحيى العلوم لنا * وفى اليواقيت مايحديك وافره
اضحى به المجد موفورا فأرخه * طبع اليواقيت ازهته جواهره

٣٣٠ ٤١٨ ٥٥٨ ٨١
١٢٧٧